

مُصْبِحُ الظَّالِمِ

وَبَهْجَةُ الْأَنَامِ

فِي شَرْحِ

نَيْلِ الْمَرَامِ مِنْ أَحَادِيثِ خَيْرِ الْأَنَامِ

تأليف
العلامة السيد محمد بن عبد اللطيف المجداني
المتوفى ١٢٠٧ هـ

قدّم له وفهرسه
د. محمد الإسكندراي

الجزء الأول

الناشر
دار الكتاب العربي

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت
الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيلوس - الصابوق الشامن تلفون: ٨٠٥٤٧٨/٨٠٠٨١١/٨٠٠٨٣٢

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلکس: ٤٠١٣٩٠ L.E. كتاب برفيا: الكتاب ص. ب. ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

مَصْبَحُ الظَّالِمِينَ

وَبَهْجَةُ الْأَنْسَاءِ

فِي شَرْحِ

نَيْلِ الْمَرَامِ مِنْ أَحَادِيثِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،
سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين . .

وبعد:

فللسنة النبوية الشريفة مكانتها بالنسبة إلى القرآن الكريم، وبالنسبة
للإسلام. فهي المصدر الثاني للإسلام.

إنها المصدر الثاني للإسلام بأعتباره عقيدة . . والمصدر الثاني للإسلام
بأعتباره تشريعاً . . والمصدر الثاني للإسلام بأعتباره أخلاقاً.

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ (المائدة: ٩٢).

وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

وقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
(الحشر: ٧).

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
واليوم الآخرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١).

وقال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتابُ الله وسُنَّتِي». رواه مالك في الموطأ.

وقال ﷺ: «يوشك رجل منكم متكبئاً على أريكته يحدث بحديثٍ عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه. ألا وإن ما حرّمه رسول الله مثل الذي حرّم الله». رواه أبو داود والترمذي.

وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن المقدم بن معد.

منزلة السنة من القرآن

ومنزلة السنة من القرآن لها وجهان، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله. أحدهما: ما أنزل الله فيه نصّ كتاب، فبيّن رسول الله ما نصّ الكتاب. والآخر: مما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبيّن رسول الله معنى ما أراد.

أما الوجه الأول، فمن الواضح أن رسول الله ﷺ كان يبيّن القرآن عقيدة وشريعة وأخلاقاً على وجوه شتى، وعلى أنحاء مختلفة، وعلى أساليب تختلف في الإيجاز والإسهاب، بحسب حال المخاطب.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤).

وقال ﷺ: «ما تركت شيئاً مما أمركم الله به، إلا وقد أمرتكم به. ولا تركت شيئاً مما نهاكم عنه، إلا وقد نهيتكم عنه».

أما الوجه الثاني، فقد اشتملت السنة على بيان ما أجمل، وتقيد ما أطلق، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣).

والرسول ﷺ هو الذي بيّن عددها ومواقيتها وسننها، وعدد ركعاتها.

وقال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣).

والرسول ﷺ هو الذي بين مواقيتها وقدرها.

وقال تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦).

والرسول ﷺ هو الذي بين أعمال الحج والعمرة.
ولهذا كله أشباه كثيرة في القرآن والسنة.

* * *

أما عن مكانة السنة من التشريع : فإن رسول الله ﷺ كان يشرع - عن الله تعالى - فيما لا نص فيه من كتاب الله .

روى الحاكم : «حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلي وغيره» .

والسنة هي التي أوضحت أنه لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها،
والمرأة وخالتها.

وغير هذا كثير وكثير.

ولهذا آتفق المسلمون، قديماً وحديثاً، على أن سنة رسول الله ﷺ من فعلٍ أو قولٍ أو تقريرٍ أصلٌ من أصول الدين، وركنٌ عظيم من أركانه. والإيمان بهذا فرع الإيمان بالدين، وقبوله ثمرة من ثمرات قبول الدين. وقد جاء في الأثر المشهور: «إن هذا العلم دين، فأنظروا عمن تأخذون دينكم» . رواه الترمذي في آخر كتابه «الشمائل» .

وقد قيض الله سبحانه للحديث النبوي الشريف في كل وقت من أزيح عنه خموله كما قال ﷺ : «يحمل هذا العلم من كل خلق عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» .

وقد نحا هذا الصراط المستقيم والطريق القويم الإمام السيد محمد بن عبدالله بن عبد اللطيف الجرداني، من أفاضل ثغر دمياط، فأهدى إلى الأفكار وزف إلى البصائر هذا الكتاب الجليل الجامع لكل نفعٍ جميل، فجاء الجامع

الكبير التقطه من الكتب الصحيحة والأسانيد الراجحة، وشرح مبهمه وفصل مجمله.

ترجمة المؤلف:

هو محمد بن عبدالله بن عبد اللطيف الجرداني . ولد رحمه الله تعالى بدمياط، ومات أبوه وهو صغير.

نشأ في تعلم القرآن والعلم، فحفظ القرآن حفظاً جيداً، وبرع في العلوم حتى صار مدرساً. ثم توجه إلى الجامع الأزهر سنة ١٢٦١ هـ. ومكث فيه لغاية سنة ١٢٦٦ هـ. ثم رجع إلى دمياط.

وفي سنة ١٢٧٥ هـ. توجه إلى مكة المكرمة لأداء حجة الفرض، ورجع إلى دمياط. ثم في شوال سنة ١٣٠٤ هـ. توجه إلى مكة ثانياً، وبعد أن أتم أعمال الحج توجه إلى المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في رجب سنة ١٣٠٧ هـ. ودُفن بالبقيع بالقرب من قبة سيدنا العباس.

شيوخه:

تلقى العلوم عن مشايخ أجلاء منهم: العلامة شيخ الإسلام الباجوري، والشيخ مصطفى المبلط، والعلامة الشيخ إبراهيم السقا، والشيخ مصطفى البلتاني، والشيخ فتوح البجيرمي، والشيخ محمد السباعي، والشيخ أحمد منة المالكي، والشيخ مصطفى الذهبي، والشيخ مصطفى البدري، والشيخ محمد الخضري، والشيخ محمد أبو العذر، رحمة الله عليهم أجمعين.

مناقبه:

كان الجرداني رحمه الله ورعاً، مواظباً على تلاوة القرآن ومدارسة العلوم آناء الليل وأطراف النهار. وكان في غاية التواضع والحياء مُطَرِّقاً برأسه إلى الأرض.

وقد ظهر له بعد موته كرامة، وهي أنه بعد أن غسلوه أراد أحد

الحاضرين تقييل يده، فلما أن أمسكها رفعها الشيخ نفعنا الله به وبعلومه
والمسلمين. أمين.

جمع الجرداني من كتاب «الجامع الصغير من حديث البشير النذير»
للعلامة الشيخ جلال الدين السيوطي جملةً من الأحاديث النبوية الشريفة
المشتملة على الحث والترغيب والزجر والترهيب في كتاب سماه «نيل المرام
من أحاديث خير الأنام».

ثم قام بشرح الأحاديث الواردة في «نيل المرام»، والتعليق عليها
وكشف بعض أسرارها إستناداً إلى شُرْحِي العزيزي والمناوي، وحاشية
الحفني على الأصل، في «مصباح الظلام بشرح نيل المرام».

وقد بلغ مجموع أحاديث الكتاب سبعمائة وخمسة وعشرين حديثاً،
مُرتَّبِين على حروف المعجم؛ إضافةً إلى الفوائد الشريفة والحكايات التي
جُمِعت في غالبها مما نقله العلامة القليوبي، والعلامة الشيخ عبد الرحمن
الصفوري؛ ومن شرح الشيخ أحمد السحيمي على متن الأربعين النووية.

وقد رأت دار الكتاب العربي نشر هذا الكتاب وتقديمه للقراء خدمةً
للعلم وتعميماً للفائدة.

والله المستعان وهو خير المعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي شرح صدور أحبائه بنور اليقين، وأذاقهم لذة قربهِ وأنسه فشغلهم عن الخلق أجمعين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب السموات والأرضين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، المبلغ كل ما أمر بتبليغه من رب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول العبد الفقير الفاني محمد بن عبدالله الجرداني لما تم كتاب «نيل المرام من أحاديث خير الأنام» الذي جمعته من كتاب «الجامع الصغير من حديث البشير النذير»، أمرني شيعي بشرحه. فبادرت بالامثال لأمره أداء لبعض حقوقه الواجبة عليّ، وتفضلاته الواصلة منه إليّ. طالباً من الله الإعانة والقبول؛ راجياً أن أندرج في خدم سنة طه الرسول. فجاء بحمد الله تعالى شرحاً لطيفاً، ووضعاً حسناً ظريفاً. كاشفاً بعض أسراره لطالبه، رافعاً النقاب عن وجوه محاسنه لراغبه. فيا فوز من برؤيته اغتتم، ويا سعادة من لقراءته التزم. كيف لا وقد سطعت أنوار الجامع الصغير في جبهته، وأشرقت شمس شارحيه على غرته، وطلع بدر محشيه مضيئاً فوق طرته. ولما منّ الله عليّ بالإتمام، وفاح مسك الختام، سميته «مصباح الظلام بشرح نيل المرام»؛ ويليق أن يدعى «بهجة الأنام في شرح نيل المرام».

وإني وإن كنت لست أهلاً للتأليف، لكن تطلعت على باب الفتح

اللطيف، وتشبهت بأهل الصلاح لأن التشبه بالكرام فلاح. وتمثلت بقول الشاعر:

أسير خلف ركاب القوم ذا عرج مؤملاً جبر ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعدما سبقوا فكم لرب السما في الناس من فرج
وإن ظللت بقفر الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج

على أني أقول كما قال بعضهم:

وما لي فيه سوى أنني أراه هوى وافق المقصدا
وأرجو الثواب بكتب الصلاة على السيد المصطفى أحمدا

وبالجملة فإني إنما جمعته من شرحي العزيزي والمناوي، وحاشية الحفني على الأصل؛ فما كان فيه من صواب فمنسوب لهم، وما كان من خطأ فمن زلة القلم حال النقل وحلّيته بفوائد شريفة، وحكايات ونكات ظريفة جمعت غالبها مما نقله العلامة القليوبي والعلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري، ومن شرح العلامة الشيخ أحمد السحيمي على متن الأربعين للشيخ النووي تغمده الله برحمته، وأعاد عليّ والمسلمين من بركته. فأرجو من المطلع عليه أن لا يحمله احتقاري على التعسف، ولا الهوى النفساني على أن يكون له عن الحق تخلف. وإن رأى فيه هفوة أو هفوات فليصلحها، فإني لست معصوماً من العثرات، بل لكوني مبتدئاً معذور، وعندني الاعتراف بالعجز والقصور. وأسأل الله العظيم من فضله أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يمنّ بقبوله وينفع به كما نفع بأصوله، إنه جواد كريم وعباده رؤوف رحيم.

(بسم الله) أي أوّل متبركاً ومستعيناً باسم الله إذ لا اعتداد بما لم يصدر باسمه تعالى لما في الحديث المشهور وسيأتي، والإسم مشتق من السمو وهو العلو لأنه يعلو مسماه. والله اسم للذات العلية، وهو اسم الله الأعظم عند الجمهور. وعدم الإجابة بعين المطلوب عند الدعاء به لفقد شروطه التي أعظمها أكل الحلال. (الرحمن) أي المحسن بالنعم العظيمة. (الرحيم) أي المحسن بالنعم الصغيرة. وإنما جمع بينهما إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى كما ينبغي أن يطلب منه النعم العظيمة ينبغي أن يطلب منه الحقيرة، لأن الكل منه وحده سبحانه وتعالى.

فضائل بسم الله الرحمن الرحيم

واعلم أن للبسملة فضائل وخواص كثيرة. منها ما أخرجه الديلمي عن ابن مسعود مرفوعاً: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة، ومحا عنه أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة. وفي الحديث: إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم، قالت الجنة ليبيك وسعديك اللهم إن عبدك فلاناً قال بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم زحزحه عن النار وأدخله جنتك.

وروي أن المصطفى ﷺ رأى ليلة المعراج قبة من درة بيضاء لها باب من ذهب وقفل من ذهب. لو أن الجن والإنس اجتمعوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل. فأراد أن يرجع، ف قيل له لم لا تدخلها؟ قال: لأنها مقفولة! ف قيل مفتاحها معك وهو بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فانفتحت، فرأى فيها أربعة أنهار: نهر من ماء غير آسن، أي غير متغير، يخرج من ميم بسم الله؛ ونهر من لبن لم يتغير طعمه يخرج من هاء الجلالة؛ ونهر من خمر لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن؛ ونهر من عسل مصفى يخرج من ميم الرحيم. فقال الله تعالى: يا محمد من ذكرني من أمتك بهذه الأسماء سقيته من هذه الأنهار الأربع.

وأخرج ابن العربي في فتوحاته المكية بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً، قال الله تعالى: يا إسرافيل، بعزتي وجلالي وجودي

وكرمي، من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة شهدوا عليّ أني قد غفرت له، وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات، ولا أحرق لسانه بالنار، وأجيره من عذاب القبر، ومن عذاب النار، وعذاب يوم القيامة، والفرع الأكبر. ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين.

وقال بعض الصالحين: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثني عشر ألف مرة، وبعد كل ألف يصلي ركعتين، ثم يصلي على النبي ﷺ ويسأل حاجته ثم يعود إلى القراءة، وكلما أكمل ألفاً فعل مثل ذلك إلى انقضاء العدد المذكور، فإن حاجته تقضى كائنه ما كانت، وقال أبو الحسن الشاذلي: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثني عشر ألف مرة فك رقبته من النار، واستجيب له دعوته. وقال سيدي علي الأجهوري: إذا أردت قضاء الحوائج فقل وأنت متوجه إلى حاجتك عشر مرات اللهم أنت لها ولكل حاجة فاقضها بفضل بسم الله الرحمن الرحيم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها. وقال بعض العارفين: من قرأ البسملة عند دخوله على جبار تسع عشرة مرة آمنه الله تعالى شره. وقال بعض العارفين: من كتب بسم الله الرحمن الرحيم في أول يوم من المحرم مائة وثلاث عشرة مرة، وحملت، لم ينل حاملها مكروه هو وأهل بيته مدة عمره. ومن استيقظ من منامه وقال بسم الله الرحمن الرحيم، رزقه الله رضوانه الأكبر. وقال الإمام العارف بالله تعالى سيدي عبدالله اليافعي رضي الله تعالى عنه، مما نقله بعض العارفين لقضاء الحوائج: إن من كانت له حاجة مهمة فليكتب في رقعة بسم الله الرحمن الرحيم من عبده الذليل إلى ربه الجليل، رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. ثم يرمي بالرقعة في ماء جار، ويقول: إلهي بمحمد وآله الطيبين اقض حاجتي ويسميها. فإنها تقضى بإذن الله تعالى.

وأخرج ابن السني عن علي مرفوعاً: إذا وقعت في ورطة، أي شدة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء. ومن قرأها عدد حروفها بالجمل وهو ستة وثمانون وسبعمائة، سبعة أيام متوالية على نية أي أمر كان، تم له ذلك من جلب خير أو دفع شر.

وحكي أنه كان لأبي مسلم الخولاني جارية وكانت تبغضه، فكانت تسقيه السم فلا يؤثر فيه. فلما طال عليها ذلك قالت: إني سقيتك السم مراراً وهولا يؤثر فيك. فقال لها: ولم ذلك؟ قالت: لأنك صرت شيخاً كبيراً، وليس لي فيك رغبة. فقال: إنه لا يؤثر فيّ لأني أذكر الله تعالى وأقول بسم الله الرحمن الرحيم. ثم أعتقها. ومن قرأها عند نومه إحدى وعشرين مرة آمنه الله تعالى في تلك الليلة من الشيطان الرجيم، ومن السرقة، ومن موت الفجأة، ويدفع عنه كل بلاء.

وروي أن ملك الروم أرسل جاسوساً يقتل المأمون لأنه كان لا يحتجب. فلما دخل الليل قصده بخنجر وهو نائم، فقصدته حية من عنده فهرب. ثم قصده ثانياً فقصدته؛ فسمع المأمون قائلاً يقول له: تحصنت باسم الله فاستيقظ. فوجد الجاسوس فسأله عن حاله، فأخبر بحاله وبالحية. فقال: لا أنام حتى أقرأ البسملة أربعين مرة. فقال: أخبرني عن فضائلها. فقال: عندي العلماء يخبرونك. فأتى بهم واحداً واحداً، فكأنه لم يحصل غرض الجاسوس. فقال: هل بقي منهم أحد؟ قال: نعم بقي ابن السماك. فجاء فأخبره بفضائلها، فقال في آخر كلامه: لو لم يكن من فضائلها إلا حفظ المأمون منك بالحية التي خرجت إليك لكفي. فأعجب الجاسوس ذلك فأسلم.

وروي أن ملكاً من ملوك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب أن بي صداعاً فأرسل لي شيئاً من الدواء. فأرسل إليه قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه سكن وجعه، وإذا رفعها عاد إليه. فتعجب من ذلك، ففتش القلنسوة فإذا مكتوب فيها البسملة فقط. فقال، ما أكرم هذا الدين وأعزه، شفاني الله بآية منه. فأسلم وحسن إسلامه.

وحكي أن يهودياً عشق امرأة يهودية فصار كالمجنون فيها ولا يهنا بطعام ولا شراب، فذهب إلى عطاء الأكبر وسأله عن حاله، فكتب له عطاء البسملة في كاغد^(١)، وقال له: ابتلع هذه فلعل الله تعالى يسليك عنها أو يرزقك بها.

(١) قوله في كاغد أي قرطاس كما في القاموس. وهو مضبوط فيه بالقلم بفتح الغين اهـ. مؤلف.

فلما ابتلعها، قال: يا عطاء قد وجدت حلاوة الإيمان وظهر في قلبي النور، ونسيت تلك المرأة فاعرض عليّ الإسلام. فعرضه عليه فأسلم ببركة البسملة. فسمعت تلك المرأة بإسلامه، فجاءت إلى عطاء وقالت له: يا إمام المسلمين أنا المرأة التي ذكرها لك اليهودي الذي أسلم، وإني رأيت البارحة في منامي أنه أتاني آت وقال لي: إن أردت أن تنظري موضعك من الجنة فاذهبي إلى عطاء، فإنه يريك إياه وإني قد أتيت إليك فقل لي أين الجنة. فقال لها عطاء: إن أردت الجنة فعليك أولاً أن تفتحي بابها، ثم تدخلين إليها. فقالت له: كيف افتح بابها؟ قال: قللي بسم الله الرحمن الرحيم. فقالت لها، ثم قالت: يا عطاء قد وجدت في قلبي نوراً، ورأيت ملكوت الله، فاعرض عليّ الإسلام. فعرضه عليها، فأسلمت ببركة البسملة، ثم عادت إلى بيتها فنامت تلك الليلة فرأت في منامها أنها دخلت الجنة، ورأت قصورها وقبابها، وفيها قبة مكتوب عليها بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقرأت ذلك وإذا بمناد يقول: يا أيتها القارئة، كذلك قد أعطك الله جميع ما رأيته. فانتبهت المرأة وقالت: إلهي، كنت دخلت الجنة فأخرجتني منها، اللهم أخرجني من هم الدنيا بقدرتك. فلما فرغت من دعائها سقطت دارها عليها فماتت شهيدة، فرحمها الله تعالى ببركة بسم الله الرحمن الرحيم.

وروي أن خالد بن الوليد حاصر قوماً من الكفار في حصن لهم، فقالوا له أنك تزعم أن دين الإسلام حق، فأرنا آية لنسلم. فقال: احملوا إليّ السم القاتل. فأتوه بكأس منه، فأخذه وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. وشربه فلم يضره وقام قائماً، فأسلموا جميعاً.

وروي فخر الدين الشيرازي أن عيسى عليه السلام مرَّ بقبر فرأى الملائكة يعذبون صاحبه، فلما رجع من حاجته رآهم ومعهم أطباق من نور. فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أن هذا كان عاصياً، وقد ترك ولداً صغيراً فسلمته أمه إلى المكتب، فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحيت أن أعذبه وولده يذكر اسمي.

وحكمة كون البسملة أربع كلمات، أن الذنوب أربعة أنواع ذنوب الليل

وذنوب النهار وذنوب السر، وذنوب العلانية، فمن ذكر هذه الكلمات الأربعة مخلصاً، غفر الله له هذه الأنواع.

وَحُكِي أن بعض العارفين قرأ البسملة، فقالت له نفسه: ما معناها؟ فقال: الباء بر، والسين ستر، والميم مغفرة، فقالت: ممن ترجو الثلاثة؟ فقال: أما علمت ما بعد الميم وهو الله، فقالت: ترجو منه الثلاثة مع كثرة ذنوبك فقال: يا ضعيفة اليقين أما سمعت قوله تعالى: الرحمن الرحيم. ومن النكت الظريفة ما حُكِي أن شيطاناً سميناً لقي شيطاناً مهزولاً، فقال السمين للمهزول: ما الذي صيرك في هذه الحالة؟ فقال: إني عند رجل إذا دخل منزله قال بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا أكل قال بسم الله، وإذا شرب قال بسم الله، فأهزل بسبب ذلك فقال له السمين: لكنني عند رجل لا يعرف شيئاً من ذلك، فأشاركه في مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه وأركب على عنقه مثل الدابة.

وَحُكِي أن امرأة مؤمنة كان زوجها منافقاً، وكانت تقول في كل أمرها بسم الله الرحمن الرحيم. فغضب زوجها ثم قال سوف أخجلها فدفع إليها صرة وقال: احفظيها. فأخذتها وقالت: بسم الله الرحمن الرحيم. وجاءت بمرقعة وخاطتها فيها، وقالت: بسم الله الرحمن الرحيم. فجاء زوجها وسرق الصرة من المرقعة ورمها في البحر. ثم جاء وجلس في حانوته فمرّ عليه صياداً فاشتري منه سمكتين وأرسلهما إلى زوجته، فجلست تصلحهما لعشاء زوجها. فلما وضعتهما بين يديها قالت: بسم الله الرحمن الرحيم، وشقت بطن إحدى السمكتين وإذا بالصرة قد خرجت من بطن السمكة، فأخذتها، وقالت: بسم الله الرحمن الرحيم، ورفعتها مكانها كما كانت. فجاء زوجها آخر النهار فقدمت له العشاء فأكل. فلما فرغ طلب الصرة، فقامت وهي تقول: بسم الله الرحمن الرحيم وأتت بها إليه، فلما رآها زوجها سجد لله عز وجل، وقال: آمنت بالله رب العالمين.

وذكر بعضهم أن بشر الحافي رضي الله عنه رأى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم، وكان معه ثلاثة دراهم فأخذ بها طيباً وطيبها، فنودي في سره كما طيبت اسمنا لنطين اسمك. وفي الحديث: من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيماً لله تعالى غفر له.

فائدة: نظم العلامة^(١) المَقْرِي ما تسن فيه التسمية فقال:

وتسمية الرحمن جل جلاله لنا شرعت فاحرص عليها وواصل
لدى الأكل والشرب اللذين تجملا وغسل بها حال الطهور لغاسل
وعند ركوب جاز في الشرع فعله على البرّ أو في البحر ثم لداخل
إلى مسجد أو بيته ولبسه ونزع واغلاق لباب المنازل
وإطفاء مصباح ووطء حليلة له وصعود منبر خير حامل
وتغميض ميت ثم في اللحد جعله خروج^(٢) من المرحاض ثم لداخل
وعند ابتداء لطواف بكعبة لها شرف الرحمن تشریف عادل
وعند وضوء ثم عند تيمم ونحر فواظب كالحيب المواصل
وبعد صلاة الله ثم سلامه على المصطفى المختار خير الأفاضل

والكلام على البسمة كثير جداً وفي هذا القدر كفاية .

[الحمد لله]

(الحمد) أي كل ثناء بجميل، سواء كان في مقابلة نعمة أو لا، ثابت ومملوك ومستحق . (الله) سبحانه وتعالى .

فائدة: ورد في الحديث إذا قال الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض، فإذا قال ثانياً ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض السابعة، وإذا قال مرة ثالثة قال الله سل تُعْطَ .

وأخرج ابن ماجه عن أنس مرفوعاً لو أن الدنيا كلها^(٣) بحذافيرها في يد رجل من أمتي، ثم قال الحمد لله، لكان الحمد لله أفضل من ذلك، أي من الدنيا، لأنها تفنى والكلمة يبقى ثوابها . وفي رواية لكان ما أعطي، أي وهو الحمد، أكثر مما أخذ، أي وهو الدنيا .

(١) قوله المَقْرِي بفتح الميم وتشديد القاف مفتوحة اسمه أحمد مالكي المذهب أفاده بعض الأفاضل .

(٢) قوله خروج من المرحاض) في شرح العلامة الشيخ عد الباقي على متن العزية أنه يقال عند الخروج من الخلاء بسم الله اللهم غفرانك وعزاه للخطاب اهـ .

(٣) قوله بحذافيرها أي بأسرها أو بجانبها كما في القاموس اهـ مؤلف .

وقال الفضيل: بلغني أن أكرم الخلائق على الله تعالى يوم القيامة، وأحبهم إليه وأقربهم الحمّادون على كل حال. وفي الحديث: احمداوا الله على السراء والضراء فإن أفضل عباد الله يوم القيامة^(١) الحمّادون. وفيه أيضاً: ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانوا يحمداوا الله في السراء والضراء؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب.

وحكي أن رجلاً كان يعبد الله تعالى في الزمن الأول، فعجب جبريل منه، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له بشرط أن ينظر في اللوح المحفوظ، فنظر فيه فوجد اسم الرجل مكتوباً مع الأشقياء. فنزل إليه فأخبره بذلك. فقال: الحمد لله، فظن جبريل أنه لم يسمع كلامه، فأعاد عليه القول. فقال: الحمد لله، لو لم أكن أهلاً لذلك لم يفعله بي ربي، فالحمد لله على الشدة والرخاء. فعجب جبريل من ذلك. فقال الله تعالى: يا جبريل انظر في اللوح المحفوظ. فنظر فوجد اسمه قد تحوّل من الأشقياء إلى السعداء.

وقال وهب: قرأت في بعض كتب الله تعالى أن إبليس ما قال في عبادته قط الحمد لله، ولو قالها ما مكر الله به.

وقال كعب الأحبار: أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى لولا من يحمدي ما أنزلت من السماء قطرة. ولا أنبت في الأرض خضرة، يا موسى لولا من يحمدي ما أمهلت من يعصيني. يا موسى لولا من يقول لا إله إلا الله مخلصاً لسلطت جهنم على أهل الدنيا.

وابتدأت بالبسملة ثم بالحمدلة جمعاً بين الابتداءين الابتداء الحقيقي والابتداء الإضافي واقتداءً بالكتاب العزيز، وعملاً بخبر كل أمر ذي بال. أي حال يهتم به شرعاً لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم، فهو أبتراً أو أجذماً أو أقطع روايات، أي ناقص وقليل البركة. فهو وإن تم حساً لا يتم معنى، مع خبر كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله الخ. والمراد بالأمر ما يعم القول، كالقراءة، والفعل، كالتأليف.

(الذي فضل سيدنا محمداً) صلى الله عليه وسلم. (على سائر

(١) قوله الحمادون بتشديد الميم كما في القاموس أي الذين يكثرهم الحمد اه مؤلف.

الأنام) أي الخلق، فهو أفضلهم على الإطلاق. و يليه سيدنا إبراهيم، ثم سيدنا موسى، ثم سيدنا عيسى، ثم سيدنا نوح، ثم بقية الرسل، ثم الأنبياء غير الرسل، وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى. ثم جبريل، ثم ميكائيل، ثم بقية رؤسائهم. ثم عوام البشر^(١)، ثم عوام الملائكة وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى أيضاً. (وخصه بالفصاحة) وهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح؛ والمراد الفصاحة التامة. وأما أصلها فموجود في غيره ﷺ.

حكى أن الأصمعي مرَّ على حيٍّ فوجد بتناً صغيرة بلغت خمس سنين أو ستاً، وهي تقول: أستغفر الله من ذنوبي كلها. فقال لها: مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم؟ فقالت:

أستغفر الله لذنبي كله، قتلت إنساناً بغير حله، مثل غزال^(٢) ناعم في دله. انتصف الليل ولم أصله. أي قتلت نفسي بعدم فعل الطاعات لانتصاف الليل ولا صليت، أو قتلت نفساً بالعشق. قال لها: ما أفصحك. فقالت له^(٣): شيخ فاني وتخالط الغواني، جمع غانية وهي الجميلة المستغنية بجمالها عن التزين. فقال: إنما أتعجب من فصاحتك. فقالت: هل ترك القرآن لأحد فصاحة؟ فقال: نهيني على آية فصيحة. فقالت: اقرأ آية القصص: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أي ألهمناها أرضعيه الآية، فجمع فيها بين أمرين وهما أرضعيه وألقيه، ونهيين وهما ولا تخافي ولا تحزني، وخبرين وهما إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين. (وجوامع الكلام) أي الكلام الجامع للمعاني الكثيرة؛ أعني أن الله تعالى أعطاه ملكة اقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظم لطيف، قال بعضهم: علمت من حديث من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، سبعين علماً وما فرغت منه. ومن جوامع كلمة صلى الله عليه وسلم قوله: زرغباً^(٤) تزدد حباً، اشفعوا تؤجروا وتهادوا تحابوا،

(١) قوله ثم عوام البشر الخ المراد بعوام البشر أولياؤه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وليس المراد ما يشمل الفساق. والمراد بعوام الملائكة غير رؤسائهم الأربعة كحملة العرش والكروبيين اهـ. مؤلف.

(٢) قوله ناعم في دله أي حسن في تدلله اهـ مؤلف.

(٣) قوله شيخ فاني أي أنت شيخ كبير الخ اهـ.

(٤) قوله زغباً أي وقتاً بعد وقت اهـ مؤلف.

يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، المجالس بالأمانة، العلم في الصغر كالنقش في الحجر، لا يغني حذر من قدر، الجار ثم الدار، الرفيق قبل الطريق، لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة عند موته، إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل فكل وتصدق. (وأشهد) أي أعلم وأذعن (أن لا إله) أي لا معبود بحق في الوجود، (إلا الله). قال النسفي في تفسيره: وفي الخبران المؤمن إذا أدخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة، أي بستان، في كل حديقة سبعون ألف شجرة، على كل شجرة سبعون ألف ورقة، على كل ورقة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أمة مذنبه ورب غفور. كل ورقة عرضها من مشرق الأرض إلى مغربها. (وحده) أي منفرداً في ذاته (لا شريك له) أي في صفاته وأفعاله.

فائدة: قال الغزالي: روي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له، فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة، يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الذي بيده الملك، ثم يتشهد ويسلم. ثم يقوم فيصلّي ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة، ويسأل حاجته، كان حقاً على الله أن يقضي حاجته. وقال سيدي محمد ابن محمد أبو عبد الله القرشي شيخ البوني: دخلت على الشيخ أبي محمد المغاوري، فقال يا شريف أعلمك شيئاً تستعين به؟ فقلت: نعم. فقال: إذا احتجت إلى شيء فقل يا واحداً يا أحد يا واحد يا جواد^(١) انفضحنا منك بنفحة خير إنك على كل شيء قدير. قال: فأنا أنفق منها منذ سمعتها.

(المان) أي المتفضل على عبادة المؤمنين، (بالنعم الجسم) أي العظام. وأول نعمة أنعم الله بها على العبد من النعم الدنيوية الحياة، وأعظم النعم الدنيوية الإيمان، وأعظم النعم الأخروية مشاهدة الذات العلية. وغاية النعم سعادة الآخرة. وترجع إلى أمور أربعة بقاء لا فناء معه، وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر بعده. وفي الحديث: تمام النعمة دخول

(١) قوله انفضحنا الخ قال في المصباح: ونفضحه بالمال نفحاً أعطاه. والنفحة العطية اه مؤلف.

الجنة، وقال بعضهم: يقول الله تعالى إن عبداً أغنيته عن ثلاث فقد أتممت عليه نعمتي. عن سلطان يأتيه، وعن طبيب يداويه، وعماً في يد أخيه. (وأشهد أن سيدنا محمداً) صلى الله عليه وسلم (عبده ورسوله) إلى كافة الخلق من إنس وجن وملك وحجر ومدر بل وإلى نفسه، (امام كل امام) أي مقدم على كل مقدم، (صلى الله وسلم عليه وعلى آله) هم في مقام المدح، كل مؤمن تقي. وفي مقام الدعاء كما هنا، كل مؤمن ولو عاصياً لأنه أحوج إلى الدعاء. (وأصحابه) جمع صاحب بمعنى الصحابي، وهو من اجتمع مؤمناً بنبينا سيدنا محمد ﷺ بعد نبوته. (السادة) جمع سائد بمعنى السيد (الأعلام) أي الذين هم كالأعلام التي يهتدى بها، أو كالأعلام جمع علم بمعنى الجبل. والمراد الذين هم كالجبال في الثبات وعدم التزلزل. (الذين فازوا برؤيته وسماع أحاديثه عليه الصلاة والسلام. أما بعد) هذه كلمة يأت بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات اقتداء برسول الله ﷺ، لأنه كان يأتي بها في خطبه ومراسلاته. وأصلها مهما يكن من شيء بعد، فحذفت مهما ويكن وأقيمت أما مقامهما. أي بعدما تقدم من البسمة والحمدلة وغيرهما فأقول (قد أمرني شيخني وأستاذي العالم) أي المتقن لكل علم (العامل) بعلمه. (المحقق) بعلوم (الكامل) علماً وأدباً، (سيدي الشيخ عطية القماش حفظه الله تعالى) جملة دعائية؛ أي اللهم احفظه من كل سوء ومكروه. وقولي: (أن أجمع) معمول لأمرني (من كتاب الجامع الصغير) من حديث البشير النذير، (تأليف العلامة) أي الكثير العلم (الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى) جملة دعائية أي اللهم ارحمه. وقولي: (جملة) معمول لا جمع. (من الأحاديث المشتملة على الحث) على الشيء. (والترييب) فيه، (أو الزجر) عنه، (والترهيب) أي التخويف منه. (فامتثلت لما) أي للذي (به) متعلق بقولي (أمر ابتغاء) مفعول لأجله أي طلباً (لمرضاة الله تعالى) أي لرضاه، (ومحبة) بالنصب عطفاً على ابتغاء (في رسوله الكريم) أي الجامع لأنواع الشرف وأوصاف الكمال، (سيد البشر) أي وغيرهم (واقصرت فيه) أي في هذا المجموع، (على ذكر أسماء المخرجين لأحاديثه، ورتبته على حروف المعجم) أي حروف التهجي. (كأصله) أي الجامع الصغير، (وسميته نيل المرام من أحاديث خير الأنام) أي الخلق.

فهو ﷺ مختار الله من خلقه .

ذكر العلامة القليوبي في بعض مؤلفاته أن الله تعالى اختار من المخلوقات ذوات الأرواح، ثم اختار منها بني آدم، ثم اختار منهم العقلاء، ثم اختار منهم العلماء، ثم اختار منهم العمال، ثم اختار منهم الأولياء، ثم اختار منهم الأنبياء، ثم اختار منهم المرسلين، ثم اختار من المرسلين أولي العزم، ثم اختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

(وقد بلغت عدة أحاديثه سبعمائة وخمسة وعشرين حديثاً)، أولها حديث إنما الأعمال بالنيات، وآخرها حديث يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا . (والله أسأل) أي أطلب منه لا من غيره، (وبنيه الحبيب أتوسل أن يجعل جمعي له) أي لهذا المجموع (خالصاً لوجهه) أي ذاته سبحانه وتعالى . (وأن يبلغني كل مأمول بسببه انه) أي الله عز وجل، (على ما يشاء) أي يريد (قدير) أي عام القدرة، (وبالإجابة جدير) أي حقيق لسعة كرمه وفضله سبحانه وتعالى .

(قال رسول الله ﷺ إنما الأعمال) أي الشرعية البدنية، أقوالها وأفعالها، فرضها ونفلها، قليلها وكثيرها، الصادرة من المؤمنين صحيحة (بالنيات) أي بسببها . أي غالباً، فلا يرد نحو الصدقة والوقف وغسل الميت وإزالة النجاسة وترك الزنا، فإن ذلك يصح بدون نية . لكن لا يحصل الثواب إلا إذا نوى ذلك، فلا يحصل له ثواب إزالة النجاسة، إلا إذا قصد امتثال الشارع، ولا يحصل له ثواب ترك الزنا، إلا إذا قصد أنه تركه امتثالاً للشارع . وكذا نحو القراءة والآذان والذكر لا يحتاج إلى نية لصراحتها إلا لغرض الإثابة، أي الكاملة . والنيات جمع نية، وهي لغة القصد، وشرعاً قصد الشيء مقترناً بفعله؛ فإن تراخى عنه كان عزمًا . (وإنما لكل امرئ) أي إنسان ذكر أو أنثى، (ما نوى) أي جزاء . كالذي نواه في عمله من خير أو شر فحفظ العامل من عمله نيته . فإن كانت صالحة فعمله صالح، فله أجره . وإن كانت شرًا فعمله شر فعليه عقوبته .

وفي الحديث: نية المرء خير من عمله . وفي رواية القضاعي والعسكري مرفوعاً: نية المؤمن أبلغ من عمله، ونية الفاجر شر من عمله . وفي رواية

أخرى زيادة: وإن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله .
 أي لأن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء . ولأنها تحتمل التعدد والتكثُر
 في العمل الواحد فيضاعف أجر العمل بقدر النيات فيه، ولا يتأتى ذلك في
 العمل كما إذا جلس في المسجد بنية الاعتكاف، وانتظار الصلاة والخلوَّة عن
 شواغل القلب والذكر وقراءة القرآن، وحفظ السمع والبصر واللسان واليدين
 والرجلين عما لا يعنيه، وعمارة المسجد بالذكر، فإنه لا يكون كمن جلس
 لأحدها فقط ولأنه يحصل له بها ثواب لا يقدر على تحصيله بالعمل . كما قال
 ابن العربي : إذا كانت نية العبد في الدنيا وتمنيه أن الله يعطيه جميع الطاعات
 ويداوم عليها، وقصرت به العناية في دار التكليف، أعطاه الله تعالى نظير
 تمنيه في الجنة، فيكون له فيها ما تمناه . فلحق بأصحاب تلك الأعمال في
 الدرجات الأخروية مع راحته في الدنيا من التعب . ويؤتي بالعبد يوم القيامة،
 فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجاً وجهاً وصدقة وما فعلها .
 فيقول : هذا ليس بكتابي فإني ما فعلت شيئاً من ذلك . فيقول الله تعالى : هذا
 كتابك لأنك عشت عمراً طويلاً وأنت تقول لو كان لي مال حججت منه، لو
 كان لي مال تصدقت منه . فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيتك ثواب ذلك
 كله .

وروي أن أخوين كان أحدهما عابداً والآخر مسرفاً على نفسه، وكان
 العابد يتمنى أن يرى إبليس . فظهر له يوماً وقال : وأسفا عليك ضيعت من
 عمرك أربعين سنة في^(١) حصر نفسك وإتعب بدنك، وقد بقي من عمرك مثل
 ما مضى . فأطلق نفسك في شهواتها . فقال العابد في نفسه : لعلي أنزل إلى
 أخي في أسفل الدار، وأوافق على الأكل والشرب واللذات عشرين سنة . ثم
 أتوب وأعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري، فنزل على نية ذلك، وأما
 أخوه المسرف فإنه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة رديئة قد بال على
 ثيابه، وهو مطروح في التراب وفي الظلام . فقال في نفسه : قد أفنيت عمري
 في المعاصي وأخي يتلذذ بطاعة ربه، وأنا بالمعاصي أدخل النار ثم عقد
 التوبة ونوى الخير والعبادة، وطلع على نية الطاعة يوافق أخاه على عبادة الله

(١) قوله في حصر نفسك: الحصر التضييق والحبس اهد قاموس .

تعالى ونزل أخوه على نية المعصية^(١) فزلقت رجله فسقط على أخيه فوقعا
ميتين. فيحشر العابد على نية المعصية، ويحشر العاصي على نية التوبة
والطاعة.

وحُكي أن العبد يؤتى به يوم القيامة ومعه حسنات كأمثال الجبال،
فينادي مناد: من كان له عند فلان حق فليأت له وليأخذ حقه منه. فيأتي
الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة فيصير حيران. فيقول الله تعالى
له: عبدي إن لك عندي كنزاً لم يطلع عليه أحد من خلقي. فيقول: يا رب
وما هو؟ فيقول: نيتك التي كنت تنوي بها الخير كتبها لك عندي سبعين
ضعفاً. فينبغي للعبد أن يحسن نيته. وهان الجملتان قاعدتان عظيمتان من
جوامع كلمة ﷺ. فالجملة الأولى أفادت أن العمل الاختياري لا يحصل بغير
نية، بل لا بد للعامل ومن نية الفعل والتعيين فيما يلتبس، وانه لا يلزم من
الصحة حصول الثواب. كما إذا قارن إمامه في أفعال الصلاة، أو في قول
يطلب تأخيريه عنه كالفاتحة في الركعتين الأولتين والسلام، فيكره وتفوته فضيلة
الجماعة فيما قارن فيه فقط مع صحتها. والثانية أفادت أنه لا يحصل للإنسان
إلا جزاء الذي نواه من خير أو شر، فإن قصد بعمله الله وحده فله الثواب
الكامل، وإن قصده بعمله الدنيا فلا ثواب له. فالأعمال العادية تصير طاعة
يثاب عليها إذا نوى بها القربة: كالأكل والشرب إذا نوى بهما، التقوي على
الطاعة والنوم إذا قصد به الاستراحة لأجل فعل العباد، والوطء إذا أراد به
التعفف عن الزنا أو اللواط. والتطيب إذا قصد به إقامة السنة. والتنظيف إذا
قصد به دفع الروائح المؤذية عن عباد الله تعالى لا استيفاء اللذات. وان
العبادات تصير عادات فلا يترتب عليها ثواب، كمن قعد في المسجد للتفكه
بالمحادثة والتلذذ بالمجالسة. وقيل أن الجملة الثانية تدل على أن من نوى
شيئاً يحصل له، وان لم يعمل لمانع شرعي كمریض تخلف عن الجماعة.
وما لم ينوه لم يحصل له، أي ما لم ينوه مطلقاً لا خصوصاً ولا عموماً أما إذا
لم ينوه مخصوصاً وله نية عامة، كفاه أحياناً. كداخل مسجد أحرم بالفرض أو
غيره تحصل التحية، وإن لم تنو. ثم كشف ﷺ عما في نيتك القاعدتين لما

(١) قوله فزلقت بابه فرح ونصر كما في القاموس اهـ. مؤلف عفا الله عنه.

فيهما من نوع إجمال قد يخفى ، وما للإيضاح ونصاً على صورة السبب الباعث على الحديث . وهو كما في معجم الطبراني وغيره أن رجلاً خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت حتى تهاجر ، فهاجر لأجلها فعرض به تنفيراً من مثل قصده فقال : (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله) قصداً ونية وعزماً (فهجرته) بيدنه وجوارحه (إلى الله ورسوله) ثواباً وأجرأ ، فقد استحق الثواب العظيم المستقر للمهاجرين . أو تقديره فمن كانت نيته في الهجرة التقرب إلى الله تعالى ، والامتثال لرسوله فهجرته إلى طاعة الله وامتثال رسوله . أي مقبولة عندهما إذ الشرط والجزاء وكذا المبتدأ والخبر إذا اتحدا صورة يعلم منه تعظيم . كما في هذه الجملة أو تحقير كما في التي بعدها . فالجزاء هنا كناية عن قبول الهجرة عندهما ، والمذكور مستلزم له دال عليه . فأقيم السبب مقام المسبب . فلا يقال القاعدة تغاير الشرط ، والجزاء ، لأن الشرط سبب للجزاء والسبب غير المسبب ، فلا يقال مثلاً من أطاع أطاع ، ومن عصى عصى ، وإنما يقال من أطاع نجا ، ومن عصى عوقب . وقد اتحدا في هذا الحديث لأننا نقول التغاير يقع تارة باللفظ وهو الأكثر ، وتارة بالمعنى كما هنا . (ومن كانت هجرته إلى دنيا) وفي رواية لدنيا بضم أوله والقصر بلا تنوين واللام للتعليل ، أو بمعنى إلى وهي جميع المخلوقات أظهر من القول بأنها الأرض وما عليها ، أو الجو^(١) والهواء لخروج السماء وأهلها . وتطلق الدنيا على الذهب والفضة ، وعلى ما يتمتع به من ذهب أو فضة أو امرأة أو ملبوس . وهذا الأخير هو المراد هنا . (بصبيها) أي حصلها شبه تحصيل الدنيا بإصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود في كل .

فائدة : إنما سميت الدنيا بذلك لدناءتها ، وسبقها الآخرة . وهي دار الهوم والأحزان والأكدار والتعب والنصب . ترفع الجاهل وتضع العالم كما قال بعضهم :

عبت على الدنيا لرفعة جاهل وخفض لذي علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم وأهل التقى أبناء ضررتي الأخرى
أترك أولادي يموتون ضيعة وأرضع أولاداً لضررتي الأخرى

(١) قوله والجو قال في القاموس الجو الهواء وما انخفض من الأرض اهـ .

(أو امرأة) وفي رواية أو إلى امرأة (ينكحها) أي يتزوجها، جعلها قسيماً لدنيا مقابلاً لها تعظيماً لأمرها لكونها أشد فتنة. فأو للتقسيم وهو أولى من جعله عطف خاص على عام، لأن عطف الخاص على العام يختص بالواو. (فهجرته إلى ما هاجر إليه) من الدنيا والمرأة وإن كانت صورتها صورة الهجرة لله ورسوله. والمعنى من كانت نيته في الهجرة تحصيل الدنيا أو التزوج بالمرأة فهجرته إلى ما هاجر إليه من الدنيا، والمرأة، قبيحة غير صحيحة أو غير مقبولة ولا نصيب له في الآخر. وأورد الظاهر في الجملة الأولى تبركاً والتذاذاً بذكر الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ تعظيماً لهما بال تكرار. وتركه هنا حثاً على الاعراض عن الدنيا والنساء وعدم الاحتفال بشأنهما وتنبهاً على أن العدول عن ذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما. فكأنه قال إلى ما هاجر إليه وهو حقير^(١) لا يجدي، ولأن ذكرهما يحلو عند العامة. فلو كرر ربما علق بقلب بعضهم فرضي به، وظنه العيش الكامل. فضرب عنهما صفحاً لذلك وذم قاصد أحدهما، وإن قصد مباحاً لكونه خرج لطلب فضيلة الهجرة وأبطن غيره فالمراد بقريئة السياق ذم من هاجر لطلب المرأة بصورة الهجرة الخالصة. فمن طلب الدنيا أو التزوج مع الهجرة بدون ذلك^(٢) التمويه، أو طلبها لا على صورة الهجرة الخالصة. فمن طلب الهجرة فلا يذم بل قد يمدح إذا كان قصده بتحصيل النكاح الإعفاف مثلاً، وبتحصيل المال كفاية عياله. وقد نبه بالدنيا والمرأة على ذم الوقوف مع حظ النفس والعمل عليه. فمعنى هجرته إلى الله ورسوله الإرتحال من الأكوان إلى المكون، ومعنى هجرته إلى ما هاجر إليه البقاء مع الأكوان والشغل بها. ففيه تلويح بأنه ينبغي للسالك أن يكون عالي الهممة والنية، فلا يلتفت إلى غير المكون. كما أفصح عنه في الحكم حيث قال: العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء له معه. فإنها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور. لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير، والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه. ولكن أرحل من الأكوان إلى المكون وإن إلى ربك

(١) قوله يجدي أن يغني اه مختار.

(٢) قوله التمويه أي التلبس اه مختار اه مؤلف.

المتهى . وهذا الحديث أصل في الإخلاص . ومن جوامع الكلم التي لا يخرج عنها عمل أصلاً . ولهذا تواتر النقل عن الاعلام بعموم نفعه وعظم وقعه . وكان المتقدمون يستحبون تقديمه أمام كل شيء ينشأ ويتدا من أمور الدين لعموم الحاجة إليه . ولهذا صدرت به تبعاً لهم فينبغي لمن أراد أن يصنف كتاباً أن يبدأ به .

(رواه الشيخان) البخاري ومسلم في الصحيحين (و) رواه (غيرهما) كالأربعة، وأبي نعيم في الحلية، والدارقطني في غرائب مالك، وابن عساكر في أماليه، والرشيد العطار.

حرف الهمزة

أي هذا موضع ذكر الأحاديث المبدوأة بحرف الهمزة.

١ - (آية) أي علامة (العز) أي القوة والشدة والصلابة. يعني من العلامات الدالة على قوة إيمان الإنسان، وشدته في دين الله ملازمته لتلاوة هذه الآية مع الإذعان لمدلولها. روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية. (وقل الحمد) أي الوصف بالجميل ثابت، (لله الذي لم يتخذ ولداً) أي لم يسم أحداً له من الملائكة ولا من غيرهم ولداً. وأما التولّد فمعلوم نفيه لاستحالة. والمعنى أنه يستحق الحمد لاتصافه بهذه الصفات الكاملة.

(ولم يكن له شريك) أي مشارك (في الملك) في الألوهية. وهذا للرد على اليهود والمشركين (ولم يكن له ولي) ناصر يواليه (من) أجل (الذال) أي المذلة. ليدفعها بمناصرتة ومعاونته. فلم يحالف أحداً ولا ابتغى نصرة أحد. لأن من احتاج إلى نصرة غيره فقد ذل له، وهو الغالب القاهر فوق عباده. وهذا رد للنصارى والمجوس القائلين لولا أولياء الله لذل. فنفي عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختياراً أو اضطراراً، وما يعاونه ويقويه. ورتب الحمد عليه لدلالة على أنه الذي يستحق جنس الحمد، لأنه الكامل الذات، المنفرد بالإيجاد، المنعم على الإطلاق. وما عداه ناقص مملوك ولهذا عطف عليه قوله (وكبره) أي عظمه عن كل ما لا يليق به

(تكبيراً) تعظيماً تاماً. ولعظمة هذه الآية ختمت بها التوراة، كما رواه ابن جرير وغيره عن كعب. وإنما ذكرت الآية بكمالها. وإن كان في الأصل اقتصر على قوله وقل الحمد لله الآية لكونها ثابتة في لفظ الحديث، كما يدل عليه كلام المناوي رحمه الله تعالى، حيث قال: أتى بلفظ الآية اختصاراً واتكالاً على حفظ الناس لها. مع أن الآية بكمالها ثابتة في لفظ الحديث. ويدل على رعاية الاختصار أنه أتى بها في جامعه الكبير ولم يذكر لفظ الآية.

فائدة: يسن قراءة هذه الآية وتعليمها للأهل والعيال لأثر فيه؛ ومن لازم على قراءتها صباحاً ومساءً حصل له من القوة والشدة ما يصير به عزيزاً شديداً. (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (والطبراني) في الكبير. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٢ - (إيت) بكسر الهمزة وسكون الياء التحتية وكسر التاء أي افعل (المعروف) يا إنسان. فهو خطاب عام من باب قوله:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهذا وأمثاله خطاب لجميع الأمة بحيث لا يختص به أحد دون أحد وقس عليه نظائره (واجتنب المنكر) أي لا تقربه. والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن، والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه عنده. وقيل المعروف النصفة^(١) وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك. (وانظر) أي تأمل (ما يعجب أذنك) أي الذي يسرك سمعه (أن يقول لك القوم) أي فيك وهذا بيان لما أو بدل منه (إذا قمت من عندهم) أي فارقتهم أو فارقوك. يعني انظر ما يسرك أن يقال عنك وفيك من ثناء حسن وفعل جميل ذكروك به حال غيبتك (فأته) أي افعله وألزمه (وانظر) أي تأمل (الذي تكره) سماعه (أن يقول لك القوم) أي فيك (إذا قمت من عندهم) من وصف ذميم كظلم وشح وسوء خلق وغيبة ونميمة ونحو ذلك (فاجتنبه) لقبحه فإنه مهلك ونبه بذلك على ما يستلزمه من كف الأذى والمكروه عن الناس. وأنه كما يجب أن ينتصف^(٢) من حقه ومظلمته ينبغي له إذا كانت لأخيه عنده مظلمة أن يبادر

(١) قوله النصفة قال في القاموس: الإنصاف العدل. والإسم النصف والنصفة محركتين اهـ مؤلف.

(٢) قوله أن ينتصف من حقه أي يستوفاه كاملاً اهـ مؤلف.

لإنصافه^(١) من نفسه وإن كان عليه فيه صعوبة. ومن ثم قيل للأحنف رحمه الله تعالى: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من نفسي؛ كنت إذا كرهت شيئاً من غيري لا أفعل مثله بأحد. ومصدقه في كلام الله القديم. ففي الإنجيل: كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوه أنتم بهم. وهذا هو الناموس الذي أنزل على عيسى. وأخرج البيهقي عن الحسن أن موسى سأل ربه جماعاً من الخير فقال أصحاب الناس بما تحب أن تصحب به. وعن ابن مسعود: من أحب أن ينصف الناس من نفسه فليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه. وقال الأحنف: من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون. وقال الحكماء: من قل توقيه كثرت مساويه. والحاصل أن المنهج القويم الموصل إلى الصراط المستقيم، والثناء العظيم أن يستعمل الإنسان فكره وقرينته فيما ينتج عنه الأخلاق المحمودة منه ومن غيره، ويأخذ لنفسه بما حسن منها واستملح ويصرفها عما استهجن واستقبح. فقد قيل كفاك تهدياً وتأديباً لنفسك ترك ما كرهه الناس منك ومن غيرك. وقيل لروح الله عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فتجنبته. وقال الشاعر:

إذا أعجبتك خلال^(٢) امرىء فكنه تكن مثل من يعجبك
وليس على المجد والمكرمات إذا جثتها حاجب تحجبك

وقالوا: من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذاك الأحمق حقاً. وقال الشاعر:

لا تلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئاً وأتى مثله فإنما دل على جهله

خاتمة

نسأل الله حسنها؛ مر الشافعي رضي الله تعالى عنه على شخص يتهياً للصلاة على الشط، فقال له: يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في

(١) قوله لإنصافه من نفسه أي بأن يوفيه حقه. قال في القاموس: انتصف منه استوفى حقه منه كاملاً اهـ.

(٢) قوله خلال امرىء أي خصاله اهـ مؤلف.

الدنيا والآخرة. فأسرع في وضوئه وجعل يقفو أثره، فالتفت إليه وقال: هل لك حاجة؟ فقال: نعم، تعلمني مما علمك الله شيئاً. فقال له: اعلم أن من صدق نجا ومن أشفق^(١) على دينه سلم من الردى، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غداً. أفلا أزيدك؟ قال: نعم. فقال: من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان. من أمر بالمعروف واثمّر، ونهى عن المنكر وانتهى، وحافظ على حدود الله تعالى، ألا أزيدك؟ قال: بلى. قال: كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً وأصدق الله في جميع أمورك تنج مع الناجين. ثم مضى عنه. فسأل عنه فقيل له هو الشافعي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين. وسبب هذا الحديث أن حرمة رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله ما تأمرني به؟ فذكره. (رواه البخاري في الأدب و) رواه (غيره) كابن سعد في طبقاته، والبعوي في معجمه، والباوردي في المعرفة، والبيهقي في شعب الإيمان. وهو حديث حسن لغيره، كما في العريزي.

٣ - (أبلغوا) أي أوصلوا (حاجة من) أي شخص (لا يستطيع) أي لا يطيق (إبلاغ حاجته) بنفسه إلى أو إلى ذي سلطان. والأمر للوجوب لأنه من الأمر بالمعروف لكن محله أن أمن على نفسه وعرضه ومروأته. وإلا فالأولى عدم السعي إلا إن كانت نفسه مطهرة لا يتأثر بعدم قضاء الحاجة. وإلا فقد يحصل له إثم أكثر من ثواب السعي بأن يعتاب الأمير أو يسبه ويسخط عليه لعدم قضاء حاجته. (فمن أبلغ سلطاناً) أي إنساناً ذا قوة واقتدار على إنفاذ ما يبلغه ولو غير ملك وأمير (حاجة من لا يستطيع إبلاغها) دينية أو دنيوية، (ثبت الله تعالى قدميه) أي أقرهما وقواهما (على الصراط) الجسر المضروب على متن جهنم (يوم القيامة) لأنه لما حركهما في إبلاغ حاجة هذا العاجز جوزي بمثلها جزاء وفاقاً. (رواه الطبراني) في الكبير، وكذا أبو الشيخ. وهو حديث حسن كما في العريزي.

٤ - (ابنوا المساجد) التي هي بيوت الله تعالى، (وأخرجوا القمامة منها) بضم القاف الكناسة^(٢). (فمن بنى لله تعالى) أي لأجله ابتغاء لوجهه

(١) قوله أشفق أي خاف وحاذر اهـ من القاموس.

(٢) قوله الكناسة بضم الكاف كما في القاموس.

(بيتاً) مكاناً يصلي فيه سواء كان كبيراً أو صغيراً (بني الله تعالى) أي خلق وأوجد (له بيتاً في الجنة) سعته كسعة المسجد الذي بناه عشر مرات فأكثر. كما يفيد التذكير^(١) الدال على التعظيم والتكثير من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها. وهذا الفضل لا يحصل إلا بالبناء فلو جعل مسجداً بتحويط تراب ونحوه لم يحصل له هذا الفضل، ولا يتوقف حصوله على بنائه بنفسه، بل أمره كاف. وإلا وجه عدم دخول الباني لغيره بأجرة. وقضية إناطة الحكم بالبناء عدم حصوله لمن اشترى بناء ووقفه مسجداً. والظاهر خلافه اعتباراً بالمعنى. ثم لما ذكر المصطفى ﷺ جزاء البناء، عقبه بذكر جزاء إخراج القمامة على طريق اللف والنشر المرتب فقال (وإخراج القمامة) أي الزبالة (منها مهور الحور) جمع حوراء، وهي البيضاء من نساء أهل الجنة. (العين) جمع عيناء، وهي الوسطة العين. يعني يعطي لمن^(٢) يكنسها وينظفها بكل مرة من كنسها زوجة من حور الجنة. فمن كثر كثر له، ومن قل قل له. وهذا الفضل يحصل لمن يكنسها بغير أجرة مع قصد الامتثال. وأما الذي بأجرة فيحصل له ثواب غير هذا. وفي هذا الحديث ندب بناء المساجد. قال النووي: ويدخل فيه من عمره إذا انهدم فيأكد بناؤه وعمارته وإصلاح ما تشعب منه. وفيه ندب كنسه وتنظيفه وتحريم تقديره حتى بطاهر لأنه استهانة به.

تتمة

أخرج أبو الشيخ من مرسل عبدة بن مرزوق كانت امرأة بالمدينة تقم^(٣) المسجد فماتت. فلم يعلم بها المصطفى ﷺ فمر على قبرها فقال: ما هذا؟ قالوا: أم محجن. قال: التي كانت تقم المسجد؟ قالوا نعم. فصف الناس فضلي عليها. ثم قال: أي العمل وجدت أفضل؟ قالوا: يا رسول الله أسمع؟ قال: ما أتم بأسمع منها. ثم ذكر أنها أجابته: قم المسجد. (رواه

(١) قوله كما يفيد التذكير الخ كذا قاله المناوي في شرحه الكبير وتبعه العريزي. وفيه أن التذكير يصدق بما هو أقل من العشر. والأولى أن يقال كما يفيد قوله تعالى من جاء بالحسنة الخ فالتذكير في بيتاً للتعظيم، والتكثير أفاده بعض الأفاضل.
(٢) قوله يكنسها بكسر النون كما في القاموس.
(٣) قوله تقم أي تكنس اهـ مؤلف.

الطبراني) في الكبير وكذا ابن النجار. (والضياء) المقدسي في المختارة. وهو حديث صحيح كما في العزيزي.

٥ - (أتاني آت من عند ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة) أي طلب لك من الله تعالى دوام التشريف ومزيد التعظيم ونكرها ليفيد حصولها بأي لفظ كان لكن لفظ الوارد أفضل، وأفضل الوارد المذكور بعد التشهد. ولذا قال العلامة السحيمي: لو حلف أن يصلي على المصطفى ﷺ بأفضل الصلوات بر بالصلاة الإبراهيمية.. (كتب الله) أي قدر أو أوجب أو في اللوح أو في جبينه أو في صحيفته، وعلى ما عد الأولين إضافة الكتابة للذات المتعالية للتشريف إذ الكاتب الملائكة (له بها عشر حسنات) أي ثوابها مضاعفاً إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. لأن الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات متعددة، إذ بها تجديد الإيمان بالله أولاً ثم بالرسول ثم بتعظيمه، ثم بالعبادة بطلب الكرامة، ثم بتجديد الإيمان باليوم الآخر، ثم بذكر الله ثم بتعظيمه إليه، ثم بإظهار المودة ثم بالابتهاال^(١) والتضرع في الدعاء، ثم بالاعتراف بأن الأمر كله لله وأن النبي مع جلالة قدره مفتقر إلى رحمة ربه. فهذه عشر حسنات (ومحا) أي أزال (عنه عشر سيئات) جمع سيئة. وذلك بأن يمحوها من صحف الحفظة وأفكارهم. (ورفع) بالبناء للفاعل (له عشر درجات) أي رتباً عالية في الجنة (ورد عليه مثلها) أي يقول عليك صلاتي على وفق القاعدة أن الجزاء من جنس العمل.

فائدة: قال ابن عبد البر: لا يجوز لأحد إذا ذكر النبي ﷺ أن يقول رحمه الله، لأنه قال: من صلى عليّ ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي. وإن كان معنى الصلاة الرحمة. ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيماً له فلا يعدل عنه إلى غيره. ويؤيد قوله تعالى: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً. وقال أبو القاسم شارح الإرشاد الأنصاري: يجوز لك مضافاً للصلاة، ولا يجوز مفرداً. وفي الذخيرة من كتب الحنيفة عن محمد: يكره ذلك لإيهامه النقص لأن الرحمة غالباً إنما تكون لمن يفعل ما يلام عليه.

وسبب هذا الحديث عن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري البدري

(١) بالابتهاال أي الاجتهاد والتضرع أي التذلل كما في القاموس اهـ مؤلف عفى الله عنه.

قال: دخلت على النبي ﷺ وأسارير وجهه تبرق فقلت: ما رأيتك بأطيب نفساً ولا أظهر بشراً من يومك. قال: ومالي لا تطيب نفسي ويظهر بشري ثم ذكره. (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، وابن أبي شيبة. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وإسناده حسن.

٦ - (أتحب) استفهام بمعنى الشرط أي إن أحببت (أن يلين قلبك) أي يترطب ويتسهل وتزول قسوته (وتدرك حاجتك) أي تظفر بمطلوبك (ارحم اليتيم) الذي مات أبوه فانفرد عنه وذلك بأن تعطف عليه، وتحنو حنواً يقتضي التفضل عليه والإحسان إليه (وامسح رأسه) تلطفاً وإيناساً أو بالدهن إصلاحاً لشعره وعلى كل يسن أن يقول عند مسح رأسه جبر الله يتمك وجعلك خلفاً من أبيك سواء كان وليه أو غيره. وظاهره أنه لا فرق بين يتيم المسلمين وأهل الذمة فيكون فعل ذلك معه سبباً لما ذكر ويسن مسح رأس اليتيم من المؤخر إلى المقدم وغيره بعكسه.

فائدة: روى الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة مرفوعاً: من مسح رأس اليتيم لم يمسه إلا الله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة. (وأطعمه من طعامك) أي مما تملكه من الطعام ولا تؤثر نفسك عليه بنفيس الطعام وتطعمه دونه بل اطعمه مما تأكل منه. (يلين قلبك وتدرك حاجتك) برفع الفعلين على الاستئناف وجزمهما في جواب الأمر أي فإنك إن أحسنت إليه وفعلت به ما ذكر يحصل لك لين القلب والظفر بالبغية. وفي هذا الحديث حث على الإحسان إلى اليتيم ومعاملته بمزيد الرعاية والتعظيم وإكرامه لله تعالى خالصاً. وورد أن النبي ﷺ قال: والذي بعثني بالحق نبياً لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له الكلام ورحم يتمه وضعفه. وقال ﷺ: إن أحب البيوت إلى الله تعالى بيت فيه يتيم يكرم. وقال النبي ﷺ: خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه. وعن النبي ﷺ قال: إذا بكى اليتيم اهتز عرش الرحمن، فيقول الله: يا ملائكتي من ذا الذي أبكى هذا اليتيم الذي غيب أباه في التراب؟ فتقول الملائكة: ربنا أنت أعلم. فيقول الله تعالى: يا ملائكتي اشهدوا أن من أسكته وأرضاه ان أرضيه يوم القيامة.

وَحُكِي أَنْ رَجُلًا كَانَ كَثِيرَ الْمَعَاصِي فَوَجَدَ يَوْمًا يَتِيمًا فَكَسَاهُ ثَوْبًا. فَلَمَّا كَانَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ وَقَدْ أَمُرَ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَلَمَّا قَرِبَ مِنْهَا وَإِذَا بِالْيَتِيمِ يَقُولُ خَلُّوا عَنْهُ فَإِنَّهُ كَسَانِي ثَوْبًا. فَقَالُوا: لَمْ نَوْمِرْ بِهَذَا. فَخَرَجَ النَّدَاءُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى خَلُّوا عَنْهُ كَرَامَةً لِلْيَتِيمِ. وَفِيهِ أَنْ مَسَحَ رَأْسَهُ سَبَبَ مُخْلِصٍ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ الْمَبْعُدَةِ عَنِ الرَّبِّ. فَإِنْ أَبْعَدَ الْقُلُوبَ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي كَمَا وَرَدَ فِي عِدَّةِ أَخْبَارٍ. قَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ: لَكِنَّهُ قَيْدُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ الْمَارِ بِأَنْ لَا يَمْسَحَهُ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: وَلَا شَكَّ فِي تَقْيِيدِ إِطْلَاقِ الْمَسْحِ بِهِ لِأَنَّهُ قَدْ يَقَعُ مَسْحُهُ لِرَبِيَّةٍ كَأَمْرَدٍ جَمِيلٍ يَرِيدُ مَوَاسْتَهُ بِذَلِكَ لِرَبِيَّةٍ كَشْهُوتِهِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَسْحُ الشَّعْرِ مَفْضِيًّا إِلَى الشَّهْوَةِ، فَرُبَّمَا دَعَا إِلَى ذَلِكَ وَفِيهِ أَنْ مَنْ ابْتَلَى بَدَاءَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ يَكُونُ تَدَارِكُهُ بِمَا يَضَادُهُ مِنَ الدَّوَاءِ. فَالتَّكْبِيرُ يُدَاوِي بِالتَّوَاضُعِ، وَالبَخْلُ بِالسَّمَاحَةِ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ بِالتَّعَطْفِ وَالرَّقَّةِ.

فائدة: ينبغي لولي اليتيم أن لا يقتصر على الشفقة عليه والتلطف به بل يلزمه أن يربيه تربية ابنه ويؤدبه أحسن تأديب ويعلمه أحسن تعليم، ويراعي غبطته في ماله وتزويجه لأن ذلك من جملة الإحسان إليه. وسبب هذا الحديث أن رجلاً شكاً إليه ﷺ قسوة القلب فذكره. (رواه الطبراني) في الكبير، وهو حديث ضعيف كما في العزيزي.

٧ - (اتخذوا) ندباً (الديك) بكسر الدال ذكر الدجاج (الأبيض) أي لا غيره فهذه الفوائد الآتية خاصة بالأبيض. أي اقتنوه في بيوتكم بملك أو إعارة فإن له خواص كثيرة ذكر منها ابن البيطار في مفرداته جملة. ومن خواصه طرد الشيطان والسحر كما قال (فإن داراً فيها ديك أبيض لا يقربها شيطان ولا ساحر) على حذف مضاف أي ولا ساحر ساحر. أي لا يضرها سحره. وإلا فالساحر يدخلها لكن لا يضرها سحره. (ولا الدويرات) بالتصغير جمع دار أي ولا يقرب الدويرات، (حولها) أي المحيطة بها من الجهات الأربع وذلك لخواص علمها الشارع. وقد ورد في فضل الديك الأبيض أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: الديك الأبيض صديقي وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع أدور. رواه البغوي عن خالد بن معدان. ومنها قوله ﷺ: الديك الأبيض الأفرق حبيبي وحبيب جبريل، يحرس بيته وستة عشر بيتاً من جيرانه أربعة عن

اليمين وأربعة على الشمال وأربعة من قدام وأربعة من خلف. رواه العقيلي، وأبو الشيخ عن أنس. ومنها قوله ﷺ: الديك يؤذن^(١) بالصلاة. من اتخذ ديكاً أبيض حفظ من ثلاثة: من شر كل شيطان وساحر وكاهن. رواه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما. وروى الشيخ محب الدين الطبري أن النبي ﷺ كان له ديك أبيض وكان الصحابة رضي الله عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلاة.

فائدة: جرب ان ذبح الديك الأبيض الأفرق في البيت سبباً^(٢) لنكبة أهل ذلك البيت في أموالهم، وإن لم يكن وارد أو المراد بالأفرق الذي عرفه مشقوق من أمام من وسط اللحم.

ومن النكت الظريفة: ما حكي عن بعضهم أنه قال: كنا عند سهل بن هارون وكان بخيلاً فأطلقنا القعود عنده حتى كاد يموت جوعاً. ثم قال: ويحك يا غلام^(٣) غدنا. فأثابنا بقصعة فيها ديك مطبوخ فتأمله، ثم قال: أين الرأس يا غلام؟ قال: رميت به. فقال: إني والله^(٤) لأمقت من يرمي برجله، فكيف برأسه. ولو لم يكن فيما فعلت إلا الطيرة والفأل لكرهته، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصرخ الديك. ولو لا صوته ما أريد. وفيه عرفه الذي يتبرك به، وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء. فيقال شراب كعين الديك. ودماغه^(٥) عجب لوجع الكليتين. ولم ير عظم أهش تحت الأسنان منه. وهب^(٦) إنك ظننت أنني لا أكله أو ليس العيال كانوا يأكلونه. فإن كان قد بلغ من^(٧) نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله. أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح، ومن رأس العنق. انظر إلى أين هو. فقال: والله ما أدري أين هو، ولا أين رميت به. فقال: رميته في بطنك قاتلك الله.

(١) قوله يؤذن أي يعلم اه مؤلف.

(٢) قوله لنكبة: النكبة بالفتح المصيبة والعياذ بالله كما في القاموس اه مؤلف.

(٣) قوله غدنا كذا في حياة الحيوان والذي في المستطرف آتنا غداءنا اه مؤلف.

(٤) قوله لأمقت أي أبغض اه قاموس.

(٥) قوله عجب كذا في حياة الحيوان والذي في المستطرف عجب اه مؤلف.

(٦) قوله وهب أي أحسب واعدد اه قاموس.

(٧) قوله من نبلك، قال في القاموس: النبيل بالضم الذكاء والنجابة اه.

وروي أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال له: رأيت كأن ديكاً دخل منزلي فلقت حبات شعير كانت فيه. فقال له ابن سيرين: إن سرق لك شيء فاعلمني. فما كان إلا أيام إذ أتى الرجل إليه فقال: سرق لي بساط من سطح منزلي. فقال ابن سيرين: المؤذن أخذه. فكان كذلك.

فائدة: من خواص لحم الديك أنه ينفع أصحاب القولنج والاكتهال بدمه ينفع البياض في العين، وعرفه إذا أحرق وسُقي منه من يبول في فراشه أزال عنه ذلك وأبرأه، وخصيته إذا شويت وأكلتها المرأة التي لا تحبل في حيضها قبل الظهر بثلاثة أيام وجامعها زوجها حبلت. وعرف الديك الأبيض والأحمر إذا بخر به المجنون نفعه نفعاً عجباً. ثم إن هذا الحديث (رواه الطبراني) في الأوسط. وهو ضعيف. كما في العريزي.

٨ - (اتخذوا) ندباً أو إرشاداً (هذه الحمام) هو ما عب وهدر، أي شرب الماء بلا مص وصوت؛ فيشمل اليمام والقمري والفاخت. وهو يقع على الذكر والأنثى، ودخول الهاء لإفادة الوحدة لا للتأنيث كالتاء في الشاة فإنها للوحدة. (المقاصيص) جمع مقصوص أو مقصوصة، والمراد التي قصت أجنحتها حتى لا تطير. (في بيوتكم) أي أماكن سكنكم (فإنها تلهي) قال الحفني: من لها يلهو. كذا في الشارح أي المناوي. والظاهر أنه من ألهاه عنه شغله. قال تعالى: ألهاكم التكاثر. وقال تعالى: لا تلهكم أموالكم. فإن كانت الرواية بفتح أوله فمعناه تصرف (الجن عن صبيانكم) أي عن تعلقهم بهم، وأذاهم لهم. والأحمر من الحمام له مزيداً اختصاص عن غيره لأن الجن تحب اللون الأحمر أكثر من غيره. قال بعضهم: ومجاورته أمان من الخدر^(١) والفالج والسكتة. وقيل إن زبله إذا طبخ بالماء وجلس فيه من به عسر البول نفعه جداً، وإذا بخر به المطلقة أسرع بنزول الولد والمشيمة.

ومن فوائد اتخاذ الحمام أنه يطرد الوحشة. فقد أخرج الخطيب في التاريخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شكنا رجل إلى النبي ﷺ الوحشة. فقال: اتخذ زوج حمام يؤنسك بالليل. لكن فيه محمد بن زياد

(١) قوله الخدر هو استرخاء العضو حتى لا يطبق الحركة كما المصباح والعامية الآن يدلون الرء لأمأ اه مؤلف.

كذاب. وأخرج ابن السني عن معاذ أن علياً شكاً إلى المصطفى ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام ويذكر الله عند هديره. وذكر صاحب الزهدة أن تسبيح الحمام: سبحان ربي الأعلى عدد ما في سمواته وأرضه.

فائدة: يكره اللعب بالحمام لما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة فقال: شيطان يتبع شيطانة. قال ابن حبان: وإنما قال له شيطان لأن اللاعب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان، والعاصي يقال له شيطان. وفي الشعب للبيهقي عن سفيان الثوري أنه قال: كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط. وقال إبراهيم النخعي: من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر.

وذكر أن هارون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به، فأهدي له حمام وعنده أبو البختری وهب القاضي. فروى له بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح. فزاد أو جناح، وهي لفظة وضعها للرشيد. فأعطاه جائزة سنوية. فلما خرج قال الرشيد: تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله ﷺ وأمر بالحمام فذبح. فقيل له وما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كذب على رسول الله ﷺ. فترك العلماء حديث أبي البختری لذلك اه. وهذا الحديث (رواه الشيرازي) في كتاب الألقاب والكنى، (والخطيب) في ترجمة محمد بن زياد الشكري، (وغيرهما) كالديلمي في مسند الفردوس، وابن عدي في الكامل. وهو حديث ضعيف، كما في العزيمي.

٩ - (اتخذوا عند الفقراء أيادي) جمع يد. أي اصنعوا معهم معروفاً. واليد كما تطلق على الجارحة تطلق على نحو النعمة (فإن لهم دولة) بفتح الدال وضمها. أي انقلاباً من الشدة إلى الرخاء ومن العسر إلى اليسر. فلو عرف الغني ما للفقير عند الله لاتخذة صاحباً وترك الأغنياء جانباً. قال أبو عثمان المغربي: من أثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب. (يوم القيامة) نصب على الظرفية وقد تأدب السلف في هذا بأدب المصطفى ﷺ تأدباً حسناً حتى حُكي عن سفيان الثوري أن الفقراء في مجلسه كانوا أمراء.

فائدة: رؤي سيدنا علي في النوم فقيل له: أي الأعمال أحب؟ فقال: مواساة الفقراء، وأحب منه أن تتيه الفقراء على الأغنياء. أي تظهر العجب عليهم والغنى عنهم فلا يتدللون لهم لأجل طلب شيء منهم إلا إن خافوا ضرراً من التيه عليهم. وبقية هذا الحديث عند مخرجه، كما في المناوي فإذا كان يوم القيامة نادى مناد سيروا إلى الفقراء فيتعذر^(١) إليهم كما يتعذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا. (رواه أبو نعيم) في الحلية. قال العزيزي: وهو حديث ضعيف.

١٠ - (اتركوا الدنيا) أي صيروها من قبيل المتروك المطروح الذي لا يلتفت إلى اخطاره بالبال ولا تذهب النفس إليه لخسته. والمراد بها هنا الذهب والفضة والمطعم والمشرب والملبس ومتعلقات ذلك، والمعنى اتركوا التوسع في ذلك. (لأهلها) أي المنهمكين في نحصيلها المشغوفين بحبها، (فإنه) أي الشأن (من أخذ منها) مقداراً (فوق ما) أي القدر الذي (يكفيه) لنفسه ومومونه من نحو مأكول ومشرب وملبس ومسكن وخادم ومركب وأنية تليق به وبهم (أخذ من حتفه) من بمعنى في، والحتف الهلاك وهو على تقدير مضاف أي أخذ في أسباب هلاكه. (وهو لا يشعر) أي والحال أنه لا يدري ولا يحسن بذلك ولا يتوقعه لتمادي غفلته.

حكاية: قال وهب بن منبه: خرج عيسى ﷺ سائحاً وأخذ رغيماً، فتبعه يهودي معه رغيغان. فقال عيسى: تشاركني في طعامي؟ قال: نعم. فلما رأى معه رغيماً واحداً ندم فلما أراد الغداء جاء برغيغ. فقال: ما فعلت بالآخر؟ قال: ما كان معي إلا رغيغ واحد. فأكلا ثم سارا فوجد عيسى رجلاً أعمى فدعا له فرد الله عليه بصره، فقال: يا يهودي بحق الذي أراك الأعمى بصيراً ما فعلت برغيغك؟ قال: ما كان معي إلا واحداً. ثم مرا بمقعد أي مكسح فدعا له فإذا هو صحيح. فقال: بحق الذي أراك المقعد صحيحاً من أكل الرغيغ الثالث؟ قال: ما كان معي إلا واحد. ثم وجدا نهراً فأخذ عيسى يده ومر به على الماء فقال: وحق الذي أمشاك على الماء من أكل الرغيغ؟ فقال والله ما كان معي إلا واحد. ثم مر بظباء ترعى فدعا عيسى غزاة فأقبلت

(١) قوله فيتعذر إليهم، قال في المختار: تعذر أي اعتذر واحتج لنفسه اهـ.

فذبحها فأكلا منها، ثم دعا لها بالحياة فقامت. فقال: يا يهودي بحق الله أحيها من أكل الرغيف؟ قال: ما كان معي إلا واحداً. ثم مرا بصاحب بقر فقال عيسى: أعطنا عجباً فذبحه فأكلا منه، ثم دعا له بالحياة. فقال: بحق الذي أحياه من أكل الرغيف؟ قال: ما كان معي إلا واحد. ثم دخلا قرية فنزل عيسى في أعلاها واليهودي في أسفلها، فسرق اليهودي عصا عيسى، وقال: الآن أحيي الموتى بعصا عيسى. ونادى في أزقة المدينة الطيب الطيب؛ فأدخلوه على ملك المدينة وهو مريض فضربه بالعصا فقتله. فقال: الآن أحييه فضربه ثانياً وقال: قم بإذن الله. فلم يقم، فأخذوا اليهودي وصلبوه، فبلغ عيسى ذلك فأدركه فقال: أنا أحيي لكم صاحبكم واركبوا إلي صاحبي. فدعا للملك بالحياة فأحياه الله تعالى. فقال له: يا يهودي بحق من أحيي الملك من أكل الرغيف؟ فقال: والله ما كان معي إلا واحد. ثم دخلا قرية خربة فوجدا فيها ثلاث لبنات من ذهب. فقال عيسى: نقسمها على عدد الرغفان واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث. فقال: أنا أكلته وأنت تصلي. فصار اليهودي كلما أخذ لبنة ثقلت عليه. فقال عيسى: دعه. فسارا ونفس اليهودي تطالبه بالذهب. ثم مر باللبنات ثلاثة أنفس فذهب أحدهم ليأتي لهم بطعام فجعل فيه سماً ليأخذ اللبنات كلها. فلما جاء قتله الإثنان وأكلا الطعام فماتا. ثم مر عليهم عيسى واليهودي فقال عيسى: انظر يا يهودي هكذا الدنيا تصنع بأهلها. ثم دعا لهم فأحياهم الله تعالى وتابوا عن حب الدنيا. وأما اليهودي فقال: أعطني المال. قال: خذه فهو حظك من الدنيا والآخرة. فحسب الله به وبالذهب.

وقال إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه: طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد. وقال حمدون: كفايتك تساق إليك من غير نصب ولا تعب. وإنما التعب في الفضول. وبالجملة فينبغي للإنسان أن يقتصر على قدر الكفاية. قال: من توغل^(١) في طلب الدنيا، ثم قللت عنه لم يصبر على تركها بل يستجلبها ولو من حرام فيهلك. بخلاف من ترك ذلك وتعوّد على القلة فإنه يصبر على الضيق.

(١) قوله توغل في طلب الدنيا أي بالغ في ذلك أفاده القاموس اه مؤلف.

وقد ورد أن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مرَّ على نائم فقال له: قم يا عبدالله. فقال له: ما تريد مني وقد تركت الدنيا لأهلها. فقال له سيدنا عيسى: نم حبيبي. فأراد أن ينبهه لظنه أنه غافل فإذا هو متنبه غاية التنبه. وافهم قوله فوق ما يكفيه أن أخذ ما يكفيه لا يضر بل ربما كان واجباً. نعم إن أخذ زيادة على ما يكفيه وادخره بقصد أن ينفع به مستحقه وقت حاجته ووثق من نفسه بالوفاء فهو ممدوح. فمثال الدنيا كحية فيها ترياق نافع وسم نافع^(١)، فإن أصابها من يعرف وجه التحرز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت عليه نعمة. وإن أصابها من لم يعرف ذلك فهي عليه نقمة. وهي كبحر تحته صنوف الجواهر فمن كان عارفاً بالسباحة وطرق الغوص والتحذر عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمته، وإن غاصه جاهل بذلك تورط في المهالك. وقال عيسى عليه السلام: مثل الدنيا كمثل رجل يسير مفازة فإذا أسد هائج، فنظر وراءه فإذا الأسد يريده، ونظر أمامه فإذا المفازة ليس فيها ملجأ فلما أدركه الأسد رأى بئراً أي جباً، فطرح نفسه فيه فتعلق بشجرة فوقف الأسد فوق الجب. فنظر إلى أسفل الجب فرأى ثعباناً فيقول في نفسه: الأسد فوقني والثعبان تحتي، حتى أنظر إلى الشجرة هل لها أصل أمسك به. فإذا أصلها متعلق بغصنين، وإذا بفارة سوداء وفارة بيضاء يقطعان في العرقين. فلا يزال متفكراً فيما هو فيه إذ نظر إلى غصن من أغصان الشجرة عليه ثمرة فيتناول منها، فلا يشعر حتى يقطع الفأرتان عرق الشجرة فيهلك. فهذا مثل لطالب الدنيا. أما الأسد فملك الموت، وأما الشجرة فأجله. وأما الفأرتان فالليل والنهار يقطعان أجله، وأما الجب فهو القبر، وأما الثعبان فالنار، وأما الثمرة فحطام الدنيا.

وقال بعض الصالحين: رأيت في المنام رجلاً يطلب غزاة وخلفه أسد فقتله قبل أن يلحق بالغزاة فجاء آخر يطلبها فقتله، وهكذا إلى تمام المائة. وكلما قتل الأسد واحداً وقفت الغزاة عند رأسه فتعجب من ذلك. فقال الأسد: لا تعجب أنا ملك الموت، والغزاة هي الدنيا، وهؤلاء طلابها أقتلهم واحداً بعد واحد. ثم إن هذا الحديث (رواه الديلمي) في مسند الفردوس،

(١) قوله وسم نافع أي بالغ ثابت كما في القاموس.

وهو حديث ضعيف . كما في العريزي .

١١ - (اتق الله): أي خَفَهُ واخش عقابه بأن تمتثل لأمره وتجتنب نهيه (حيثما كنت) أي في أي مكان وأي زمان كنت فيه، سواء كنت مريضاً أو صحيحاً، مقيماً أو مسافراً مؤسراً أو معسراً، قال الغزالي: التقوى كنز عظيم، فإن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر ورزق كريم وملك عظيم. لأن خيرات الدنيا والآخرة جُمعت فيها. ومن علامات التحقق بالتقوى، كما قال بعض العارفين: أن يأتي المتقي رزقه من حيث لا يحتسب. أي من جهة لا تخطر بباله. لقوله تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً يرزقه من حيث لا يحتسب. أي من يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه، يجعل له مخرجاً بخروجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة. ويرزقه من حيث لا يرجو. وقال ابن عباس: يجعل له مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة. وأخرج الخطيب في تاريخه وابن البخاري في تاريخه عن ابن عباس مرفوعاً: من اتقى الله وقاه كل شيء. أي يحفظه مما يخافه. وقال داوود بن نصر الطائي: ما خرج عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأنسه بلا أنيس. وقال ابن الوردي:

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امريء الا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلاً إنما من يتقي الله البطل

فمن أراد الله أن يتخذه ولياً كره إليه الدنيا ووفقه للأعمال الصالحة وسهلها عليه. كما وقع لشاه بن إسحق الكرمانى: فإنه خرج يتصيد في بركة وإذا بشاب راكباً أسداً وحوله سباع. فلما رآته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب. ثم قال: يا شاه ما هذه الغفلة؟ اشتغلت بهواك عن أخراك، وبلذتك عن خدمة مولاك. أعطاك الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة^(١) للاشتغال عنه. ثم خرجت عجوز بيدها شربة ماء فشرب وناوله. فسأله عنها، فقال: هي الدنيا وكُلت بخدمتي. أما بلغك أن الله لما خلقها قال: من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه. فخرج عن الدنيا وسلك الطريق وصار من

(١) قوله ذريعة أي وسيلة اهـ مؤلف.

الأبدال . (وَأَتَعَ) بفتح الهمزة وسكون المثناة فوق وكسر الموحدة أي ألحق (السيئة) الصادرة منك (الحسنة) كصلاة وصدقة واستغفار وذكر، (تمحها) أي السيئة، من صحف الملائكة . أو المراد عدم المؤاخذه وإن كانت ثابتة في الصحف . وقال الغزالي رحمه الله تعالى : يُروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جانبها .

وفي الحديث : من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم وظاهر الحديث يعم الصغائر والكبائر . لكن الحسنة بالنسبة إليها التوبة منها فلا^(١) ملجأ لقصره على الصغيرة . وأياً ما كان فالحسنات تؤثر في السيئات بالتخفيف منها^(٢) . وجرى عليه بعضهم ، لكن خصه الجمهور بالصغائر . قال الجلال السيوطي في تفسير قوله تعالى (أن الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيئات) الذنوب الصغائر نزلت فيمن قَبِلَ أجنبية . فأخبره ﷺ فقال : ألي هذا؟ قال : لجميع أمتي كلهم . رواه الشيخان .

وحاصل القصة : أن رجلاً يسمى نبهان التمار وكنيته أبو مقبل كان له حانوت يبيع فيه تمرًا فجاءته امرأة أجنبية حسناء تشتري منه تمرًا ، فقال لها : إن داخل الحانوت ما هو خير من هذا . فلما دخلت أصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضم والتقبيل غير أنه لم يجامعها . ثم جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله إني أصبت حَدًّا فأقمه عليّ . فأعرض عنه . فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك . ثم كرر له ذلك نبهان مراراً وهو يعرض عنه حتى ذكر له القصة . فقال له ﷺ : توضأ وضواً حسناً . فتوضأ وصلّى مع النبي ﷺ فنزل قوله تعالى : ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ أي الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي ﴿وزلفاً من الليل﴾ أي ساعات منه قريبة من النهار أي المغرب والعشاء ﴿إن الحسنات﴾ أي كالصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾ . فقال الرجل : ألي هذا؟ قال : لجميع

(١) قوله فلا ملجأ أي فلا اضطرار اهـ مؤلف .

(٢) قوله وجرى عليه أي على أن ظاهر الحديث يعم الصغائر والكبائر اهـ مؤلف .

أمّتي . ورُوي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني ألممت أي أتيت بذنوب عظيم ، فماذا يكفره عني ؟ فقال : ذنبك أعظم أم السموات ؟ فقال : ذنبي أعظم . فقال : ذنبك أعظم أم الكرسي ؟ فقال : ذنبي أعظم . فقال : ذنبك أعظم أم العرش ؟ فقال : ذنبي أعظم . فقال : ذنبك أعظم أم الله أي عفوه ؟ قال : بل عفو الله أعظم . فقال عليه الصلاة والسلام : عليك بالجهاد في سبيل الله . فقال : يا رسول الله إني لمن أجبن الناس أي أضعفهم قلباً ، ولولا أن أهلي تؤنسني إذا خرجت ليلاً ما كنت أفعله قط . فقال : عليك بالصلاة في جوف الليل . فقال : يا رسول الله لولا أن أهلي يوقظوني لصلاة الصبح ما قمت لها . فتبسم ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان ، حبيبتين إلى الرحمن ، سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم . قال ابن العربي : والحسنة تمحو السيئة سواء كانت قبلها أو بعدها وكونها بعدها أولى .

وقال ابن العماد : اعلم أن من الأعمال ما يرفع الذنب السابق ولا يرفع الذنب اللاحق . ومنها ما يرفع الذنب السابق واللاحق ويسمى رافعاً ودافعاً فمن توضأ وضواً كاملاً ثم صلى ركعتين ، ولم يحدث فيهما نفسه بما يتعلق بأمور الدنيا كانتا رافعتين للذنوب المتقدمة . وصوم يوم عرفة يكون رافعاً للذنوب السنة المستقبلية أي والماضية ، حتى إذا فعل ذنباً لم تكتبه الملائكة عليه . قال الغزالي : والأولى اتباع السيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها . فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن ، والقعود في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه ، ومس المصحف بإكرامه وكثرة القراءة فيه ، وشرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال طيب ، وقس عليه . ثم إن ذا يخص من عمومه السيئة المتعلقة بآدمي فلا يمحوها إلا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة إن أمكن ولم يترتب عليه مفسدة وإلا فالمرجو كفاية الاستغفار والدعاء .

وقال القزويني : من صلى يوم الجمعة في رمضان أو في ليلة العيدين أربع ركعات بتسليمة واحدة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفي الثانية يفعل مثل ذلك ويزيد قل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، وفي الثالثة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ، وآية الكرسي ثلاث مرات ، وفي الرابعة مثل ذلك يسلم ويقول : اللهم بلغ ثواب الصلاة إلى

ديوان الخصماء. فإن الله يرضي خصمه يوم القيامة. (وخالق) بالقاف (الناس
بخلق) بضمين (حسن) بالتحريك. أي تكلف معاشرتهم بالمعروف من طلاقة
وجه وخفض جناح وتلطف وإناس وبذل^(١) ندى وتحمل أذى، فإن فاعل ذلك
يرجى له في الدنيا الفلاح وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح.

فائدة: قال الإمام أحمد بن حنبل لابن حاتم: ما السلامة من الناس؟
قال: بأربع: تغفر لهم جهلهم، وتمنع جهلك عنهم، وتبدي لهم شيئك
وتكون من شيئهم آيساً. والأمر بحسن الخلق عام خص بمستحقه، فخرج
الكفرة والظلمة فأغلظ عليهم. وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة منها ما أخرجه
القضاعي بسند حسن.

عن الحسن عن الحسن بن أبي الحسن عن الحسن عن الحسن عن
جد الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن. والحسن الأول هو ابن سهل،
والثاني ابن دينار، والثالث البصري، والرابع ابن علي. وأخرج محمد بن
سليم عن أبي سوسى الأشعري مرفوعاً أن الخلق الحسن زمام من رحمة الله
تعالى في أثب صاحبه، والزمام في يد ملك والملك يجره إلى الخير، والخير
يجره إلى الجنة. وأن الخلق السيء زمام من عذاب الله تعالى في أنف
صاحبه، والزمام بيد الشيطان والشیطان يجره إلى الشر والشر يجره إلى النار.
وقال بعضهم: ما ارتفع من ارتفع بكثرة صوم ولا صلاة ولا مجاهدة وإنما ارتفع
بالخلق الحسن.

حكى: أنه كان لشقيق البلخي امرأة سيئة الخلق فقبل له ألا تفارقها
وهي تؤذيك بسوء خلقها؟ فقال: إن كانت سيئة الخلق فأنا حسن الخلق لو
فارقتها صرت مثلها. ومع هذا أخاف أن لا يمسكها أحد غيري لسوء خلقها.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال موسى عليه الصلاة
والسلام: يا رب أمهلت فرعون أربعمئة سنة وهو يقول أنا ربكم الأعلى
ويكذب آياتك ورسلك. فقال الله: إنه كان حسن الخلق سهل الحجاب
فأحببت أن أكافئه.

(١) قوله ندى أي عطاء اهـ مؤلف.

وقال الفضيل بن عياض: لأن يصحبي فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبي عابد سيء الخلق.

قال أبو حاتم: من سوء الخلق في الرجل أن يدخل على أهله وهم في سرور يضحكون فيتفرقون خوفاً منه. وكذلك من سوء خلقه هروب القطة منه وصعود الكلبة الحائط خوفاً منه. وقد جعل ﷺ حسن الخلق أكمل خصال الإيمان. كما خرج الإمام أحمد وأبوداود من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

وقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق.

وحكى الياضي في روض الرياحين عن بعض الأولياء أنه قال: سألت الله أن يريني مقامات أهل المقابر. فرأيت في ليلة من الليالي القبور قد انشقت وإذا منهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الحرير والديباج، ومنهم النائم على الرياحين، ومنهم النائم على السرر، ومنهم الباكي، ومنهم الضاحك، فقلت يا رب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة. فنادى مناد من أهل القبور: يا فلان هذه منازل الأعمال. أما أصحاب السندس أي وهو الحرير فهم أهل الخلق الحسن؛ وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون، وأما أصحاب المراتب يعني السرر فهم المتحابون في الله؛ وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون؛ وأما أصحاب الضحك فهم أهل النبوة. ثم إن هذا الحديث من القواعد المهمة لإبانتته لخير الدارين وتضمنه لما يلزم المكلف من رعاية حق الحق والخلق.

وقال بعضهم: هو جامع لجميع أحكام الشريعة إذ لا يخرج عنه شيء (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده (والترمذي وغيرهما) كالحاكم في مستدركه، والبيهقي في شعب الإيمان. وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

١٢ - (اتق الله) أي اتق عقابه بفعل المأمورات وتجنب المنهيات. فالتقوى هي التي يحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار (ولا تحقرن) بفتح المثناة الفوقية وسكون الحاء المهملة وكسر القاف وفتح الراء وشد النون

أي لا تستصغرن. (من المعروف) ما عرفه الشرع والعقل بالحسن (شيئاً) وإن قل. كما أشار إلى ذلك بقوله (وإن لم تُفرغ) بضم الفوقية وكسر الراء أي تصب (من دلوك) أي انائك الذي تستقي به من البئر (في إناء) أي وعاء (المستسقي) أي طالب السقيا. يعني ولو أن تُعطي مريد الماء ما حزته أنت في إنائك رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف، ويقدم الأحوج فالأحوج (وأن تلقى) أي ولو أن تلقى (أخاك) في الإسلام أي تراه وتجتمع به. وفي رواية لأبي داود بدله وأن تكلم أخاك. (ووجهك) أي والحال أن وجهك (إليه متبسط) أي منطوق بالسرور والانشراح.

قال حبيب بن ثابت: من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو مقبل عليه بوجهه (وإياك واسبال) بالنصب أي ارخاء (الإزار) إلى أسفل الكعبين. أي احذر ذلك. (فإن اسبال الإزار من المخيلة) بوزن عظيمة الكبر. أي طريق إليها (ولا يحبها الله) أي لا يرضاها ويعذب عليها إن لم يعف. وكالإزار سائر ما يلبس فيحرم على الرجل إنزال نحو إزاره عن الكعبين بقصد الخيلاء، ويكره بدونه. ومحل كراهة ذلك ما لم يكن تركه مزرياً للابس، مخللاً بمرؤته لكونه من العلماء أو ذوي المرؤات وإلا فلا يكره. أما المرأة فالإسبال في حقها أولى محافظة على الستر (وإن امرؤاً) أي إنسان (شتمك) أي سبك (وعيرك) بالتشديد أي قال فيك ما يعيبك ويلحق بك عاراً (بأمر) أي بشيء (هو فيك) هذا ما في كثير من نسخ الأصل. وفي نسخة شرح عليها المناوي بأمر ليس فيك أي لست متصفاً به وهو أبلغ (فلا تعيره) أنت (بأمر هو فيه) لأن التنزه عن ذلك من مكارم الأخلاق. ومن ذم الناس ولو بحق ذموه ولو بباطل. (ودعه) أي اتركه (يكون وباله) أي سوء عاقبته وشؤم وزره (عليه) وحده. (وأجره) أي ثوابه (لك ولا تسبن) بفتح الفوقية وشد الموحدة ونون التوكيد، أي لا تشتم (أحدًا) من المعصومين وإن كان مهيناً أما غير المعصوم كحربي ومرتد فلا يحرم شتمه. وفي هذا الحديث تنبيه عظيم على كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترفع على من أدخل نفسه في^(١) غمار الأشرار وأهل

(١) قوله في غمار الأشرار بضم الغين المعجمة وفتحها أي في زحمتهم كما في المصباح اه مؤلف.

البغي . ولهذا قال البيهقي عن ذي النون: العز الذي لا ذل فيه سكوتك عن السفية .

وفيه أنشد الأصمعي :

وما شيء أحب إلى لئيم إذا شتم الكريم من الجواب
متاركة للئيم بلا جواب أشد على اللئيم من السباب

ومن ثم قال الأعمش: جواب الأحمق السكوت والتغافل يظفيء شراً كثيراً. وإرضاء المتجني غاية لا تدرك. والاستعطاف عون للظفر. ومن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه. وقال حكيم: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: حلیم من أحمق، وبر من فاجر، وشريف من دنيء. وفيه أنه لا ينبغي للعبد أن يحتقر شيئاً من المعروف في الإحسان إلى الناس بل إلى خلق الله ولا يحتقر ما يتصدق به وإن قل. وفيه ندب لقاء الأخ المؤمن بالبشر وطلاقة الوجه وأنه يقوم مقام فعل المعروف إذا لم يمكنه فعل المعروف معه وغير ذلك.

وسببه عن جابر بن سليم قال: قلت: يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئاً ينفعنا الله به فذكره. (رواه الطيالسي) أبو داود (وابن حبان) في صحيحه وهو حديث صحيح كما في العزيزي.

١٣ - (اتق المحارم) أي احذر الوقوع في جميع ما حرم الله عليك (تكن أعبد الناس) أي من أعبدهم إذ يلزم من ترك المحارم فعل الفرائض ومن فعل ذلك وأتى ببعض النوافل كان أكثر عبادة. (وارض) أي اقنع (بما قسم الله لك) أي أعطاك ولو يسيراً (تكن أغنى الناس) فإن قنع استغنى ليس الغنى بكثرة العرض ولكن الغنى عن النفس وإذا رضي الشخص بما قسمه الله له كان ذلك سبباً في الغنى.

قال المناوي: ففي الفتناعة العز والغنى والحرية. وفي فقدها الذل والتعبد للغير يعس عبد الدنيا يعس عبد الدينار. فيتعين على كل عاقل أن يعلم أن الرزق بالقسم والحظ لا بالعلم والعقل ولا فائدة للجد. حكمة بالغة دل بها على قدرته واجراء الأمور على مشيئته. قال الحكماء: لو جرت الأقسام على قدر المفعول لم تعض البهائم. (وأحسن إلى جارك) بالقول

والفعل فإن لم تقدر على الإحسان إليه فكف أذاك عنه. وإن كان مؤذياً لك فاصبر على أذاه حتى يجعل الله لك فرجاً (تكن مؤمناً) أي كامل الإيمان.

وقد ورد أن شخصاً جاء للنبي ﷺ وقال له إن جاري يؤذيني. فأمره ﷺ بإلقائه متاع نفسه في الطريق. ففعل، فكل من مرّ وسأل عن ذلك وأخبر بأن جاره قد أذاه لعن ذلك الجار المؤذي. فلما بلغه كثرة لعن الناس له أخبر النبي ﷺ بذلك، فقال له ﷺ: هذا أخف من لعن الله لك فإنه قد لعنك قبل ذلك، ثم أظهره بلعن الناس لك فانكف بسبب ذلك عن إضراره، فذلك من الحكم المتسبب عنها دفع الأذى.

تنبيه: كما يطلب منك إكرام الجار والإحسان إليه مع الحائل، يطلب منك إكرام الملكين الحافظين للذين ليس بينك وبينهما حائل بالأولى، فلا تؤذيهما بإيقاع المخالقات في مرور الساعات، فقد جاء أنهما ييران بوقوع الحسنات ويحزانان بوقوع السيئات. (وأحب للناس ما تحب لنفسك) من الخير الأخروي والديني (تكن مسلماً) أي كامل الإسلام.

لطيفة: حُكي أن شاباً وشيخاً اشتركا في زرع، فلما اقتسماه صار الشيخ يأخذ من نصيبه ويضعه على نصيب الشاب سراً ويقول لعل في أجله فسحة. والشاب يأخذ من نصيبه شيئاً ويضعه على نصيب الشيخ ويقول هذا الشيخ له عيال. وكلما فعلا ذلك ازدادت الحنطة كثرة وكبرا في حبها فلما أعياهما ذلك أخبر كل واحد صاحبه بما فعله فأخذ ملك زمانهما من الحنطة حبة وجعلها في خزانته فتكون تذكرة لمن بعدهم.

وقال السري: لي منذ ثلاثين سنة في الاستغفار عن قولِي الحمد لي وذلك أنه وقع بيغداد حريق فاستقبلني رجل فقال نجا حانوتك. قلت: الحمد لله. فمذ قلتها فأنا نادم حيث أردت لنفسي خيراً دون المسلمين.

وحُكي أن بعضهم شكوا كثرة الفأر في بيته فقيل له اقتن هرة. فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبه لنفسي. وعبر ﷺ في الأول بالإيمان وهنا بالإسلام تفنناً^(١) وإلا

(١) قوله وإلا فهما بمعنى واحد أي لأن المراد الإسلام الكامل والإيمان الكامل فهما متلازمان اهـ مؤلف.

فهما بمعنى واحد. (ولا تكثر الضحك) بفتح فكسر (فإن كثرة الضحك تमित القلب) أي تصيره مغموراً في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه. وأما يسيره فغير منهى عنه سيما إن كان لمصلحة. وقد وقع منه ﷺ نادراً بياناً للجواز.

فائدة: من كلام لقمان لابنه: يا بني لا تكثر الضحك من غير عجب، ولا تمش في غير^(١) أرب، ولا تسأل عما لا يغنيك، ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك، مالك ما قدمت ومال غيرك ما أخرت. وقال موسى للخضر عليهما السلام: أوصني فقال: كن بساماً ولا تكن غضاباً، وكن نفاعاً ولا تكن ضراراً، وانزع عن^(٢) اللجاجة ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخطأين بخطاياهم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران.

وفي صحف موسى علي نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجباً لمن أيقن بالقدر كيف^(٣) ينصب، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها.

تنبيه: الضحك المميت للقلب ينشأ من البطر، والفرح بالدنيا. وللقلب حياة وموت. فحياته بدوام الطاعة وموته بإجابة غير الله من النفس والهوى، والشيطان. والمأمور بالكف عن كثرة الضحك إنما هو أمثالنا أما من ذاق مشرب القوم من الأحباب، فليس مراداً بهذا الحديث. ومن ثم قال الحفني: هناك طائفة انسها الله فتضحك كثيراً لما شاهده من الأنوار فلم يضرهم. ولذا وجد في مجلس بعض أهل الله شاب يضحك مع أن الناس يبكون من الوعظ. فقيل له: ما هذا؟ فقال: ان أنسي بربي فلم أفكر في جنة ولا نار لأنه سيدي يفعل بي ما يشاء. بل اشتغالي بربي فلما أفاض الأنوار على قلبي، صرت أضحك فرحاً بذلك وأسلم له كل ما فعل بي. وهذا الحديث من جوامع كلامه ﷺ.

وسببه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من

(١) قوله أرب أي حاجة اهـ مؤلف.

(٢) اللجاجة بفتح اللام كما في المختار ومعناها الخصومة كما في القاموس اهـ مؤلف.

(٣) قوله ينصب أي يتعب اهـ مؤلف.

يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ . قلت: أنا. فأخذ بيدي فعد خمساً فقال: اتق المحارم الخ (رواه الإمام (أحمد) في مسنده (الترمذي والبيهقي) في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية. وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

١٤ - (اتقوا الله في الصلاة) أي احذروا غضبه تعالى بسبب الصلاة أي اضاءة شيء منها وحافظوا على تعلم كيفيةها والمداومة على فعلها في أوقاتها بشروطها وأركانها وأبعاضها وهيئاتها والسعي إليها جمعة وجماعة وغير ذلك، واتركوا مكروهاتها فإنها أول ما يحاسب عليه الشخص. (اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في الصلاة) كرره تأكيداً واهتماماً بشأنها لأنها علم الإيمان وعماد الدين.

ولما ذكر واصله الخلق بالخالق وكان اهتمام الناس بمن يموتون من أعظم دعائم الدين، كما يشير إليه خبر: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يموت أو يعول. أتبعها به إشارة إلى أن القيام بذلك واجب على المالك وجوب الصلاة التي لا عذر فيها ما دام مناط التكليف. فقال: (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) من الأرقاء والدواب فما مستعمله في العاقل وغيره. أي اتقوا الله^(١) بحسن الملكة والقيام بما يحتاجونه، وخافوا ما يترتب على إهمالهم والتفريط في حقهم من العذاب ولا تكلفوهم على الدوام ما لا يطيقونه على الدوام فإنه حرام، وعلموهم ما لا بد منه من طهر وصلاة ككل واجب ومنسوب. وأدبوهم على ترك المأمور وفعل المنهي. وعاملوهم بالرعاية وتجاوزوا عما يصدر منهم من الجنابة. فقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه صاح بغلام له فلم يجبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له: لم لم تجب؟ قال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك. فأعتقه وقال: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) كرره مرتين وما قبله ثلاثاً^(٢) إيحاءً إلى أن رعاية حق الحق أكد من رعاية حق الخلق. (اتقوا الله في الضعيفين) أي اجعلوا بينكم وبين سخط الملك الأعظم وقاية بالمواظبة على إيفاء حق الضعيفين، قيل: من هما يا

(١) قوله بحسن الملكة قال في المختار وفلان حسن الملكة أي حسن الصنع إلى ممالিকে اهـ.

(٢) قوله إيحاءً أي إشارة اهـ مؤلف.

رسول الله؟ قال: (المرأة الأرملة) أي المحتاجة المسكينة، التي لا كافل لها. وتقييده بالأرملة ليس لإخراج غيرها بدليل اطلاقها في حديث آخر بل لأن رعاية حقها أكد. (والصبي اليتيم) أي الصغير الذي لا أب له ذكراً كان أو أنثى. حث على الوصية بهذين لأن ما تضره النفس من التكبر تظهره فيهما لكونهما تحت قهره فترى الإنسان يعمل الفكرة في وجوه العظمة عليهما، ويتفكر في كيفية زجرهما وكيفية قهرهما.

وسبب هذا الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة فقال لنا: اتقوا الله الخ. فجعل يردددها، ويقول الصلاة^(١) وهو يغرغر حتى فاضت نفسه.

خاتمة

إعلم أنه قد ورد الزجر عن ترك الصلاة في أحاديث كثيرة منها ما في الحديث القدسي تارك الصلاة ملعون وجاره إن رضي به ملعون. ولولا أنني حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون إلى يوم القيامة.

وفي الحديث أن جبريل وميكائيل قالوا: إن الله تعالى قال: من ترك الصلاة فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؛ وذكر النبي ﷺ الصلاة يوماً فقال: من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة. ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف في أسفل^(٢) الدركات. وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم رؤوس الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع أبي ابن خلف، ومن تركها لملكه فهو مع فرعون، ومن تركها لماله فهو مع قارون، ومن شغلته عنها رياسة فهو مع هامان.

وحكي أن رجلاً قال لإبليس: أحب أن أكون مثلك. قال: اترك الصلاة ولا تحلف صادقاً. وفي الحديث تقول الملائكة لتارك صلاة الفجر: يا فاجر.

(١) قوله وهو يغرغر أي يجود بنفسه عند الموت وقوله حتى فاضت نفسه أي خرجت روحه اهـ قاموس.

(٢) قوله الدركات أي المنازل قال في القاموس دركات النار محرقة منازل أهلها اهـ مؤلف.

ولتارك صلاة الظهر، يا خاسر. ولتارك صلاة العصر، يا عاصي. ولتارك صلاة المغرب: يا كافر. ولتارك صلاة العشاء، يا مضيع ضيعك الله .

وحكي أن عيسى عليه السلام مر على قرية كثيرة الأشجار والأنهار، فأكرمه أهلها فتعجب من حسن طاعتهم . ثم مر عليها بعد ثلاث سنين فرأى، الأشجار يابسة والأنهار ناشفة وهي خاوية على عروشها. فتعجب من ذلك فأوحى الله إليه قد مر على القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه من عينها فنشفت العين وبيست الأشجار وخربت القرية . يا عيسى لما كان ترك الصلاة سبباً لهدم الدين كان سبباً لخراب الدنيا. (رواه البيهقي) في شعب الإيمان وهو حديث حسن، كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

١٥ - (اتقوا الله) أي خافوا عقابه واصبروا عن المعاصي وعلى الطاعة، (وَصَلُّوا) بالتشديد (خمسكم) أي صلواتكم الخمس وأضافها إليهم لأنها لم تجتمع لغيرهم . وورد أن الصبح لأدم، والظهر لداوود، والعصر لسليمان، والمغرب ليعقوب، والعشاء ليونس، ولا يناقضه قول جبريل لما صلى به الخمس في أوقاتها مرتين هذا وقت الأنبياء قبلك . لاحتمال أنه وقتهم إجمالاً وإن اختص كل منهم بوقت . (وصوموا شهركم) رمضان . أضافه لنا مع أن الراجح أنه ما من أمة إلا وفرض عليها رمضان لأنه لم يغير ولم يضل عندنا بخلاف الأمم السابقة فإنهم غيروه وأصلوه في أيام السنة .

فائدة: ورد في الحديث من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . واعلم أن الصوم أقسام : صوم العوام عن مفسدات الصيام، وصوم الخواص عنها وعن إطلاق الجوارح في غير طاعة، وصوم خواص الخواص حفظ قلوبهم عما سوى الله تعالى . (وأدوا) أي أعطوا (زكاة أموالكم) إلى مستحقيها أو إلى الإمام . وصرح بالمضاف في قوله زكاة أموالكم وأضمراه. في قوله خمسكم أي صلواتكم الخمس وأيهم في قوله شهركم أي رمضان للدلالة على أن الإنفاق من المال أشق وأصعب على النفس . أي انفقوا مما تحبونه وما هو شقيق أنفسكم .

رُوي أن ثعلبة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ادع الله أن يرزقني مالاً . فقال: ويحك يا ثعلبة أما تحب أن تكون مثلي؟ فلو شئت أن تسير مع

الجبال ذهباً لسارت. فقال: ادع الله أن يرزقني مالاً. فقال: اللهم ارزقه مالاً. فاتخذ غنماً فبورك له ونمت حتى ضاقت به المدينة ففتح بها فكان يشهد مع المصطفى ﷺ بالنهار ولا يشهد صلاة الليل. ثم نمت فكان لا يشهد إلا من الجمعة إلى الجمعة. ثم كان لا يشهد جمعة ولا جماعة. فقال المصطفى ﷺ: ويح ثعلبة. ثم أمر المصطفى ﷺ بأخذ الصدقة، فبعث رجلين فمرا على ثعلبة وقالوا: الصدقة. فقال: ما هي إلا أخت الجزية. فأنزل الله فيه: ومنهم من عاهد الله. الآية. وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معاشهم. ولما كان السخط والرضا من أعمال القلوب زاد في رواية قوله (طيبة) بالتحديد، أي منبسطة منسرحة (بها أنفسكم) ولم يذكر الحج في هذه الرواية لكون الخطاب وقع لمن يعرفه وغالب أهل الحجاز يحجون كل عام. أو لأنه لم يكن فرض إذ ذاك وقد ذكره في رواية أخرى. (وأطيعوا إذا) أي صاحب (أمركم) أي من ولي عليكم أي إن لم يأمركم بما يخالف الشرع (تدخلوا) بالجزم جواب الأمر (جنة ربكم) الذي رباكم في نعمه وصانكم من بأسه ونقمه، أي تدخلوها مع السابقين. أو المراد تدخلوها حال كونكم مرفوعاً لكم درجات أكثر ممن لا يأتي بذلك. وإلا فمجرد الإيمان كاف لمطلق دخولها. وهذا الحديث (رواه الترمذي وابن حبان) في صحيحه، (والحاكم) في مستدركه، وكذا البيهقي، وهو حديث حسن صحيح، كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

١٦ - (اتقوا البول) أي احترزوا أن يصيبكم منه شيء فاستبرئوا منه لأن التهاون به تهاون بالصلاة التي هي أفضل الأعمال. فلذا كان أول ما يسئل عنه. كما قال (فيإنه) أي عدم التحرز (أول ما يحاسب به العبد) أي الإنسان المكلف (في القبر) أي أول ما يحاسب فيه على ترك التنزه منه فأما أن يعاتب ولا يعاقب، وأما أن يناقش فيعذب. ولا ينافيه أنه لا يسئل في القبر إلا عن التوحيد. لأن هذا في سؤال منكر ونكير أما غير التوحيد فيسأله عنه غيرهما. ولا ينافيه أيضاً ما ورد أن أول ما يحاسب به الصلاة يوم القيامة لأنه يحاسب على أول مقدماتها في أول مقدمات الآخرة، ثم يحاسب يوم القيامة على جميع الشروط والأركان.

وقد أجمع أهل السنة على وجوب الإيمان بسؤال القبر وعذابه الآيات

وأخبار متواترة. روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أقبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً ثم ينور له فيه. ثم يقف. ثم يقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله ما أدري. فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه.

ورود عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أدخل المؤمن في قبره أتاه فتانا القبر فأجلساه في قبره وأنه يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين فيقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ومحمد نبيي. فيقولان له: ثبتك الله نم قرير العين. وإذا أدخل الكافر أو المنافق قبره قالوا له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان: لا دريت ولا تليت. فيضرب بمرزبة يسمعها ما بين الخافقين، إلا الإنس والجن.

حكايات لطيفة: الأولى: روي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: جاءك منكر ونكير؟ قال: نعم. قالوا لي من ربك؟ قلت: سبحان الله أما تستحيان مني، ولمثلي يقال من ربك؟ فقالوا لي: صدقت يا أبا عبدالله أعذرنا فإننا بهذا أمرنا وتركاني ومضيا.

الثانية: عن سهل بن عمار قال: رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالوا لي: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي وقلت: لمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكم ثمانين سنة. فذهبا. قيل له وما كان بعد ذلك؟ قال: وهل يكون من الكريم إلا الكرم غفر لي ذنوبي وأدخلني الجنة.

الثالثة: قال الشيخ عبد الغفار بن نوح: كان خادم أبي يزيد البسطامي يحمل فروته وكان رجلاً صالحاً مغربياً فجرى الحديث في سؤال الملكين في القبر. فقال: والله إن سألاني لأقولن لهما، فقالوا له: ومن يعلم ذلك؟ فقال: اقعدا على قبري حتى تسمعوا. فلما مات جلسوا على قبره فسمعوا السؤال وسمعوه يقول: أتسألوني وقد حملت فروة أبي يزيد على عنقي؟ فمضوا وتركوه.

الرابعة: يروى عن أبي المعالي إمام الحرمين أنهما وقفا عليه وهابا ان يكلماه. فقال لهما: ما شأنكما! أتتما ملكا ربي أفيت في ذكره عمري. فما عسى أن تقولوا وقد امتلأت الدنيا بأقوالي وسميت أبا المعالي. فقالا: قد علمنا أنك أبو المعالي نم هنيئاً ولا تبال.

فائدة: ممن حفظ من سؤال القبر من الأمة عمر بن الخطاب، وإمام الحرمين، وهارون الرشيد، وشهداء المعركة، والمرابط والميت بداء البطن، والميت ليلة الجمعة أو يومها، والمطعون، ومن يقرأ تبارك الملك كل ليلة في الغالب فلا يضر الترك مرة لعذر سواء قرأها عند النوم أو قبل ذلك. ولعل المراد أنهم حفظوا من مشقته وفتنته لما حُكي أن الملكين دخلا على سيدنا عمر فارتعد منهما. ثم أجاب فقالا له نم. فقال: وكيف أنام وقد أصابني منكما هذه الرعدة؟ قد صحبت النبي ﷺ ولكن أشهد عليكم الله وملائكته أن لا تدخلوا على مؤمن إلا في أحسن صورة ففعلا.

وفي هذا الحديث أن ترك التنزه من البول كبيرة لاستلزامه بطلان الصلاة وحرمة التضميخ به بلا حاجة وجوب الاستبراء. أي إن ظن عود شيء لولاه، ولا ينافي كونه كبيرة قوله في قصة القبرين أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، لأن المعنى لا يعذبان في كبير إزالته أو دفعه أو التحرز عنه فإنه سهل على من يريد التوقي عنه فليس بكبير عليهم تركه وإن كان كبيراً عند الله وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. (رواه الطبراني) في الكبير وكذا الحكيم وهو حديث حسن كما هو في العزيزي.

١٧ - (اتقوا الدنيا) أي احذر والاعتذار بما فيها فإنها^(١) في وشك

(١) قوله وشك بفتح الواو وسكون الشين المعجمة أي سرعة اهـ مؤلف.

الزوال ومظنة الترحال فلا تقربوا الأسباب المؤدية للانهماك فيها أو الزيادة على الحاجة فإنها مؤدية إلى الهلاك. فالسعيد من إذا مدت إليه باعها باعها والشقي من إذا مدت إليه باعها أطاعها.

وحكي أن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام رأى الدنيا في صورة عجوز عليها من كل زينة. فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم قال: فكلهم مات عنك أو طلقك؟ قالت: بل قتلهم كلهم. فقال^(١): تبا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف أهلكتهم واحداً بعد واحد ولا يكونون منك على حذر.

وحكي أن الدنيا تمثلت لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في صورة امرأة قد تزينت له بكل زينة وهي تظن أنه لا يعرفها. قال: ألسنت الدنيا؟ قالت: نعم كيف عرفتنني؟ قال: كشف لي الغطاء. قالت: كلمني. قال: أنت مطلقتي، وكلام المطلقة حرام. اخرجني من داري. قالت: الدار داري. قال: صدقت. فخرج وتركها فخرجت خلفه لتقد قميصه كزليخا مع يوسف عليه السلام فلم تجد له إلا درعاً. فقالت: سلمت مني يا علي. قال: اخدعي غيري. وأنشد شعراً:

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى أكابد داراً همها ليس ينجلي
فقلت نعم يا ابن الكرام لأنني غضبت عليكم منذ طلقني علي

والمراد بها كل ما يشغل عن الله تعالى من ذهب وفضة وغيرهما. ومنه^(٢) تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، بخلاف ما لا يشغل عن الله تعالى بل يستعين بها على مصالحه فهي ممدوحة.

ومنه: نعم الدنيا مطية المؤمن فهي من حيث ذاتها لا تدم ولا تمدح. وإنما هما من حيث ما يعرض لما. فهي كحبة فيها ترياق وسم فلا يسلم من سمها ويأخذ ترياقها إلا الحكم الماهر. (واتقوا النساء) أي احذروا الافتتان بهن، وصونوا أنفسكم عن التطلع إليهن والتقرب منهم فإنه مهلك. (فإن إبليس طلاع) بفتح الطاء وشد اللام صيغة مبالغة من قولهم رجل طلاع

(١) قوله تبا لأزواجك أي هلاكاً لهم اهـ مؤلف.

(٢) قوله تعس أي هلك اهـ مؤلف.

الثايا. يعني أن إبليس مجرب للأمر ركاب لها، يعلوها ويقهرها ويهجم عليها بشدة وغلبة. (رصاد) بفتح الراء والصاد المهملة المشددة أي رقاب وثأب والمعنى لا تظنوا أنه لا يصل إليكم لكونكم متباعدين عن المعاصي لأنه طلاع رصاد (وما هو بشيء من فخوخه) جمع فخ وهو آلة الصيد (بأوثق) أي أحكم (لصيده) أي مصيده (في الاتقياء) بالمشناة جمع تقي. وخصهم لما لهم من القدرة على قهر الشيطان ورد كيده، (من النساء) فهن أعظم مصائده يزينهن في قلوب الرجال ويغويهم بهن فيقعون في المحذور. ومن ثم قال بعض الحكماء لما رأى صيادا يكلم امرأة: يا صياد احذر أن تُصاد. وقال سليمان عليه الصلاة والسلام: امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة. وسمع عمر رضي الله تعالى عنه امرأة تقول:

إن النساء رياحين خلِقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين
فقال:

إن النساء شياطين خلِقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
وقال بعض الحكماء: إياك ومخالطة النساء فإن لحظات المرأة سهم
ولفظها سم.

وذكر الغزالي رحمه الله تعالى أن راهباً من بني إسرائيل أتاه أناس بجارية بها علة ليداويها فأبى قبولها فما زالوا حتى قبلها ليعالجها. فأتاه الشيطان فوسوس له مقاربتها فوق عليها فحملت، فوسوس له أن اقتلها لئلا تفتضح، وقل لأهلها ماتت. فقتلها وألقى الشيطان في قلب أهلها أنه قتلها. فأخذه وصلبوه. فقال له الشيطان: اسجد لي تنج، فسجد له. فانظر إلى حيله، كيف^(١) اضطره إلى الكفر بطاعته له في قبوله للجارية وقتلها عنده.

وذكر الغزالي أيضاً أن إبليس قال لموسى عليه السلام: أريد أن أتوب اشفع لي إلى ربك، فأوحى الله إليه مرة أن يسجد لقبر آدم عليه السلام ليتاب عليك. فاستكبر وقال: لم أسجد له حياً أسجد له ميتاً. ثم قال إبليس: يا موسى لك علي حق بما شفعت لي فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن حين

(١) قوله اضطره أي أحوجه وألجأه اهـ قاموس.

تغضب، فإن وجهي في قلبك وعيني في عينك، وفي الزحف، فإنني أذكر
المجاهد ولده وزوجته وماله حتى يجبن. وإياك أن تجالس امرأة ليست ذات
محرم فإنني رسولها إليك ورسولك إليها.

وفي الحديث إياكم ومحادثة النساء، فإنه لا يخلو رجل بامرأة ليس لها
محرم إلا هم بها. أي خصوصاً إذا كانت حسناء. فقد قال بعضهم إياك
والمرأة الحسنة فإن ضررها أعظم من ضرر الشوهاء لأنه لا يدخل حبها قلبك
والحسنة تسكن محبتها بالقلب فيبيض الشيطان فيه ويفرخ. وقال بعضهم:
سأل آدم حواء لم سميت حواء؟ فقالت: لأنني أحتوي على قلبك وأنسيك ذكر
ربك. فقال: غيري هذا الاسم. فسمت نفسها امرأة. فقال لها: ما معناه؟
قالت: أذيقك طعم المرارة. فقال لها: غيريه فأبت.

وقال بعض العارفين: ما أيسر الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل
النساء. لأن حبس النفس ممكن لأهل الكمال إلا عنهن لأنهن من ذوات
الرجال وشقائهم ولسن غيراً حتى يمكن التباعد عنه والتحرز منه. هو الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها. فعلى من ابتلي بالميل إليهن
مصارعة الشيطان فإذا غلب باعث شهوة الوقاع المحرم بحيث لا يملك معها
فرجه، أو ملكه ولم يملك طرفه، أو ملكه ولم يملك قلبه. فعليه أن ينظر إلى مادة
قوة الشهوة من الأطعمة فينالها كما وكيفاً^(١)، ويحسم محرك الغضب وهو
النظر. ففي خبر أحمد النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس. وهذا
السهم^(٢) يسده إبليس نحو القلب ولا طريق إلى رده إلا بالغض والانحراف
عن جهة المرمى. فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصور. فإذا لم تقف
في طريقها أخطأك السهم وإن نصبت قلبك غرضاً أصابك. وأن يسلي النفس
بالمباح المعوض عن الحرام وأن يتفكر في مفسد قضاء هذا^(٣) الوطر. فإنه لو
لم يكن جنة ولا نار ففي مفسده الدنيوية ما يصدق إجابة ذلك الداعي. لكن
عين الهوى عمياء. وهذا الحديث (رواه الديلمي) في مسند الفردوس. قال

(١) قوله ويحسم بكسر السين معناه يمنع كما في القاموس.

(٢) قوله يسده أي يقومه كما في القاموس.

(٣) قوله الوطر أي الحاجة اهـ قاموس.

العزيزي رحمه الله تعالى بإسناده: ضعيف.

١٨ - (اتقوا الظلم) الذي هو مجاوزة الحد والتعدي على الخلق بأخذ مالهم بغير حق أو التناول من عرضهم ونحو ذلك. قال بعضهم: ليس شيء أقرب إلى تغيير النعم من الإقامة على الظلم وذلك لأن الشرائع تطابقت على قبحه. وما أحسن ما قيل:

إذا ظالم استحسن الظلم^(١) مذهباً
فكله إلى ريب الزمان فإنه
فكم قد رأينا ظالماً متجبراً
فلما تمادى واستطال بظلمه
فأصبح لا مالاً ولا جاه يرتجى
وعوقب بالظلم الذي كان يقتفي
ولجّ عتواً في قبيح اكتسابه
سيدي له ما لم يكن في حسابه
يرى النجم تيهها تحت ظل ركابه
أناخت صروف الحادثات ببابه
ولا حسنات سطرت في كتابه
وصب عليه الله سوط عذابه

ويكفي في ذمه وقد خاب من حمل ظملاً. ويدخل فيه ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب المعاصي إذ العصاة ظالمون لأنفسهم. وأقبح أنواعه ظلم من ليس له ناصر إلا الله تعالى.

قال ابن عبد العزيز: إياك إياك أن تظلم من لا يتنصر عليك إلا بالله فإنه تعالى إذا علم التجاء عبد إليه بصدق واضطرار انتصر له فوراً أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء (فإن الظلم) في الدنيا (ظلمات) على صاحبه، بمعنى أنه يورث ظلمة في القلب فإذا أظلم القلب تاه وتحير وتجبر فذهبت الهداية والبصيرة فخرّب القلب فصار صاحبه في ظلمة (يوم القيامة) فلا يهتدي بسببه يوم يسعى نور المؤمنين بين أيديهم، فالظلمة حسية وقيل معنوية. وفي خبر ابن مسعود يؤتى بالظلمة فيوضعون في تابوت من نار ثم يقذفون فيها. وفي خبر مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: المفلس من أمتي من يأتي

(١) قوله مذهباً أي طريقاً وقوله ولج أي لازم وواظب وتمادى، وقوله عتواً أي استكباراً وقوله فكله إلى ريب الزمان أي اتركه إلى نوائبه. وقوله تيهاً أي كبراً وقوله تمادى أي دام، وقوله أناخت أي بركت وقوله صروف أي نوائب وقوله يقتفي أي يتبع. وقوله سوط عذابه أي نصيب عذابه ويقال شدته اهـ مؤلف عفا الله عنه.

يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيُعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فئيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحته عليه، ثم طرح في النار.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه. قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها. ثم قرأ: فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. قال: فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء، ولا يغفر من حقوق الخلق شيئاً فينصب العبد للناس، ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق اتنوا إلى حقوقكم. قال: فيقول العبد يا رب فئيت الدنيا فمن أين أوفيتهم حقوقهم؟ فيقول الله للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته. فإن كان ولياً لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى له حتى يدخله الجنة به. وإن كان عبداً شقيماً ولم يفضل له شيء، فتقول الملائكة ربنا فئيت حسناته وبقي طالبوه. فيقول الله تعالى خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلى سيئاته. ثم (١) صكوا له صكاً إلى النار.

وكان شريح القاضي يقول: سيعلم الظالمون حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر الثواب.

وروي إذا أراد الله بعبد خيراً سلط عليه من ظلمه. فاحذروا يا أخواني الظلم وأنواع الضرر وكونوا من دعوة المظلوم على حذر (واتقوا الشح) وهو البخل مع الحرص، أي سواء كان بما في يده أو بما في يد غيره كأن رأى إنساناً يتصدق فقال له لا تفعل ذلك فإنه يذهب مالك فتصير فقيراً احرص على حفظ مالك ينفعك، وعطف الشح الذي هو نوع من أنواع الظلم على الظلم إشعاراً بأن الشح أعظم أنواعه لأنه من نتائج حب الدنيا ولذاتها. ومن ثم وجهه بقوله (فإن الشح) بتثليث الشين (أهلك من كان قبلكم) من الأمم (وحملهم على أن سفكوا دماءهم) أي أسالوها بقتل بعضهم بعضاً بالقوة

(١) قوله صكوا له صكاً أي اكتبوا له كتاباً اهـ مؤلف.

الغضبية بخلا بالمال وحرصاً على الاستئثار به، (واستحلوا محارمهم) أي استباحوا نساءهم أو ما حرم الله من أموالهم وغيرها، والخطاب للمؤمنين^(١) ردعاً لهم عن الوقوع فيما يؤديهم إلى منازل الهالكين من الكافرين الماضين وتحريضاً لهم على التوبة والمسارة إلى نيل الدرجات مع الفائزين . .

تنبيه: قال بعض العارفين: الشح مسابقة قدر الله ومن سبق القدر سبق ومغالبة لله ومن غالب الحق غلب. وذلك لأن الحريص يريد أن ينال ما لم يقدر له فعقوبته في الدنيا الحرمان وفي الآخرة الخسران. وهذا الحديث (رواه مسلم وغيره) كالإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب.

١٩ - (اتقوا صاحب الجذام) هو داء رديء جداً معروف (كما يتقى) بضم الياء التحتية وشدة المثناة الفوقية المفتوحة (السبع) وفي رواية الأسد وخصه، مع أن الحية أقوى من حيث أن سمها يضر في الحال. إشارة إلى أن هذا المرض يسمى مرض الأسد، والمعنى احذروا مخالطة الشخص الذي به جذام وتجنبوا قربه وفروا منه، كفراركم من الأسد الضارية والسبع العادية. حتى انه (إذا هبط) أي نزل (واديًا فاهبطوا غيره) مبالغة في التباعد عنه. وهذا أمر ارشاد لضعيف اليقين فإن شم رائحة المجذوم ربما يكون سبباً في العدوى. وكذا توهم العدوى ربما يكون سبباً في العدوى وإن لم يشم رائحته وقد وقع أنه ﷺ أكل مع المجذوم تارة وترك مصافحته تارة أخرى ليعلم أمته التباعد عنه ما لم يقويقين الشخص. ومثل الجذام مرض السل وهو شعر القلب وشقه المسمى بمرض القصبة. فقد أخبرت الأطباء أنه جرت العادة أن كلاً يعدي. وحديث لا عدوى أي بطبع المرض فإذا اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى وتباعد فقد عمل بحديث لا عدوى. والحاصل أن الأمور التي يتوقع منها الضرر قد أباحت الحكم الربانية التحرز عنها فلا ينبغي للضعفاء أن يقربوها. وأما أهل الصدق واليقين فبالخيار وعلى ذلك ينزل ما تعارض من الأخبار. وهذا الحديث (رواه ابن سعد) في الطبقات وهو حديث صحيح. كما في شرح العزيمي رحمه الله تعالى.

٢٠ - (اتقوا النار) أي نار جهنم أي اجعلوا بينكم وبينها وقاية أي

(١) قوله ردعاً لهم قال في القاموس ردعه عنه كمنعه كفه وردده اهـ.

حجاباً من الصدقات وأعمال البر (ولو) كان الالتقاء المذكور (بشق ثمرة) بكسر الشين المعجمة أي جانبها أو نصفها فإنه قد يسد^(١) الرمق سيما للطفل فلا يحتقر المتصدق ذلك وقد ذكر الثمرة دون غيرها كلقمة، لأن التمر غالب قوت الحجاز. والالتقاء من النار كناية عن محو الذانوب ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ اتبع السيئة الحسنة تمحها (فإن لم تجدوا) ما تتصدقون به حتى^(٢) التافه لفقده حساً أو شرعاً كأن احتجتموه لمن تلزمكم نفقته (فبكلمة) أي فاتقوا النار بكلمة (طيبة) تطيب قلب السائل بأن يتلطف به القول أو الفعل فإنها سبب للنجاة من النار.

تمة: قال ابن العربي^(٣) وشي ببعض شيوخنا بالمغرب عند السلطان في أمر فيه هلاكه، فأمر بعقد مجلس، وأن الناس إن أجمعوا على حل قتله قتل. فجمعهم فاجتمعوا فأحضره ليشهدوا في وجهه فلم يستطع أحد منهم أن يشهد. فسئل الشيخ بعد فقال: تذكرت الناس فرأيتها أقوى من الناس غضباً وتذكرت نصف رغيف فرأيته أكبر من نصف ثمرة. فاسكنت غضبهم بالتصدق بنصف رغيف في طريقي فدفعت الأقل من النار بالأكثر من شق ثمرة.

وروي أن عائشة رضي الله تعالى عنها اشترت جارية فنزل جبريل وقال: يا محمد اخرج هذه الجارية من بيتك فإنها من أهل النار فأخرجتها عائشة رضي الله تعالى عنها ودفعت لها شيئاً من التمر فأكلت الجارية نصف ثمرة ودفعت النصف لفقيير رأته في الطريق فجاء جبريل وقال: يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن ترد الجارية فإن الله تعالى قد أعتقها من النار لأنها تصدقت بنصف ثمرة. وفي هذا الحديث حث على التصديق ولو بما قل. وإن اليسير من الصدقة يستر المتصدق من النار.

وسببه عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاثاً ثم ذكره. (رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين، (و) الإمام (أحمد) في مسنده.

(١) قوله الرمق بالتحريك بقية الحياة كما في القاموس.

(٢) قوله التافه أي القليل اهـ مؤلف.

(٣) قوله وشي الخ في القاموس وشي الثوب كوعى نقشه وحسنه. وبه إلى السلطان تمّ وسعى اهـ باختصار اهـ مؤلف.

٢١ - (اتقوا بيتاً يقال له الحمام) أي احذروا دخوله ندباً. قالوا: يا رسول الله انه يذهب الوسخ ويذكر النار قال: إن كنتم لا بد فاعلين (فمن دخله) منكم (فليستر) أي فليستر عورته عن من نظره إليها وجوباً وعن غيره ندباً.

تنبیه: إنما قال ﷺ يقال له لأن العرب بالحجاز لم تكن تعرف الحمام ولأنه ﷺ لم يره بل سمع به، فإنه كان في زمانه ﷺ، إذ أول من وضعه سيدنا سليمان عليه السلام وأول من اتخذه بالقاهرة العزيز بن المعز العبيدي. وقد اختلف السلف والخلف في حكم دخوله على أقوال كثيرة والأصح أنه مباح للرجال بشرط الستر، والغض، مكروه للنساء إلا لحاجة حيث لم يشتمل على حرمة.

واعلم أن لداخله آداباً منها أن يتذكر بحره حر النار، ويستعيذ بالله تعالى من حرها، ويسأله الجنة. وأن يكون قصده التنظيف والتطهير دون التمتع والترفيه. وأن لا يدخله إذا رأى فيه عارياً. ولا يقرأ القرآن ولا يسلم ويستغفر الله تعالى إذا خرج، ويصلي ركعتين وأن يعطي قيم الحمام الأجرة قبل دخوله، ويقدم رجله اليسرى عند دخوله آتياً بالبسملة والاستعاذة. وأن يدخله وقت الخلوة أو يتكلف إخلاءه وأن لا يعجل بدخوله البيت الحار حتى يعرق في الأول وألا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة. وأن لا يكثر الكلام وأن يشكر الله تعالى إذا فرغ على هذه النعمة وهي النظافة. ويكره دخوله بين المغرب والعشاء وقريباً من المغرب هذا من جهة الشرع.

وأما من جهة الطب فقد قيل بولة في الشتاء في الحمام قائماً خيراً من شربة دواء. وغسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من الصداع. ويكره من جهة الطب صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وشربه ولا بأس بقوله لغيره عافاك الله. وورد أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني وجعلتني رجيماً طريداً فاجعل لي بيتاً. قال: الحمام. ولهذا قال الفقهاء تكره الصلاة فيه لأنه مأوى الشياطين. وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير (والحاكم) في مستدرکه (والبيهقي) في شعب الإيمان. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٢ - (اتقوا دعوة المظلوم) أي احذروا أن تظلموا أحداً فيدعو عليكم فالأمر باتقاء دعوته يلزمه الأمر باتقاء الظلم ففيه نوع من البديع يسمى بال تعليق ثم بين وجه النهي بقوله (فإنها تحمل على الغمام). والمراد به هنا سحب أبيض فوق السموات السبع لو نزل على السماء لتشقت من ثقله. قال تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ وهذا كناية عن وصولها إلى حضرة القدس وقبولها، أو تجسم وتحمل فوق ذلك السحاب حقيقة (يقول الله) سبحانه وتعالى: ﴿وعزتي وجلالي لأنصرنك﴾ أشار بالقسم واللام والنون إلى أنه لا بد من النصر والكاف فيه مفتوحة. وفي رواية بكسرهما أي أيها الدعوة، أي انصر صاحبك واستخلص له الحق ممن ظلمه، (ولو بعد حين) أي زمان طويل وذا مسوق إلى بيان أنه تعالى يمهل الظالم ولا يهمله. ولذا أجاب دعوة سيدنا موسى عليه السلام على فرعون بعد أربعين سنة وفيه تحذير شديد من الظلم وأن طرائقه^(١) وخيمة ومصائبه عظيمة. قال بعضهم:

نامت جفونك والمظلوم متبته يدعو عليك وعين الله لم تنم

واعلم أنه يجوز للمظلوم وغيره الدعاء على الظالم لكن الصبر أفضل لقوله تعالى: ولمن صبر، أي حبس نفسه عن الانتصار، وغفر، أي تجاوز عن الذنب، إن ذلك، أي الصبر والتجاوز، لمن عزم الأمور. أي مطلوباتها الشرعية وينبغي كما قال المناوي رحمه الله تعالى: أن يعتقد إن دعوة المظلوم مستجابة ولا ينافيه عدم ظهور أثرها حالاً لأنه تعالى ضمن الإجابة لدعائه في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد. وله في ذلك حكم فتخلفها عن الوصول عقب الدعاء إنما هو لسبب فاحذر أن تقول قد دعا فلان على فلان الظالم فلم يستجب له ولو كان فلان صالحاً كان دعاؤه على من ظلمه مفيداً ونحو ذلك من كلمات الجهالات الدائرة على السنة العامة.

وحكى الياضي أن امرأة من بني إسرائيل كان لها دار بجوار الملك وقصره. وكانت^(٢) تشين القصر. وكلما رام الملك منها أن تبيع الدار أبت أن تبيع منه فخرجت المرأة في سفر فأمر الملك بهدمها فلما جاءت المرأة من

(١) قوله وخيمة أي ثقيلة اهـ.

(٢) قوله تشين أي تعيب قال في القاموس شأنه يشينه ضد زانه اهـ.

السفر قالت: من هدم داري؟ قيل لها الملك. فرفعت طرفها إلى السماء،
وقالت: إلهي وسيدي ومولاي غبت أنا وأنت حاضر للضعيف معين
وللمظلوم ناصر. ثم جلست فخرج الملك في موكبه. فلما نظر إليها قال
لها: ما تنتظرين؟ قالت: أنتظر خراب قصرك^(١) فهزأ بقولها وضحك منها.
فلما جن عليه الليل خسف به وبقصره ووجد على بعض حيطان القصر هذه
الآيات:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطيء ولكن لها أمد ولأمد انقضاء
وقد شاء الإله بما تراه فما للملك عندكم بقاء

وقيل أن سيدنا داوود عليه السلام دعا بهلاك جبار كان يظلم الناس في عصره،
فأوحى الله تعالى إليه ياداوود إني قد قضيت عليه في سابق علمي بوقوع أمور
على يديه ثم تؤاخذ به يوم القيامة فاصبر حتى تمضي تلك الأمور. فسكت
داوود عن الدعاء عليه. ثم إن هذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير
(والضياء) في المختارة وابن أبي عاصم والخرائطي في مساويء الأخلاق
وإسناده صحيح كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٣ - (أثبتكم) أي أقواكم وأسرعكم مشياً (على الصراط) الجسر
المضروب على متن جهنم (أشدكم حُباً لأهل بيتي) علي وفاطمة وابناهما
وذريتهما (ولأصحابي) من اجتمع به مؤمناً ومات كذلك. لأن شدة حبه لهم
تنشأ عن شدة حبه متبوعهم. وهو الرسول عليه السلام ومن أحب رسول الله أحبه الله
وآمنه عند المخاوف. ويحتمل أن المراد من كان أشد حُباً لهم كان أثبت
الناس على الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم. فنتج من هذا أن
محبة الآل والأصحاب دليل على كمال الإيمان والمعرفة والمراد حب لا يؤدي
لمحذوراً ومنهي عنه شرعاً (رواه ابن عدي) في الكامل (والدليمي) في مسند
الفرديوس، وكذا أبو نعيم. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وإسناده
ضعيف.

(١) قوله فهزأ بقولها في القاموس هزأ منه وبه كمنع وسمع سخر اهـ.

(٢) قوله أتهزأ أي أتسخر وقوله وتزدريه أي تحتقره اهـ مؤلف.

٢٤ - (إثنان لا ينظر الله) تعالى (إليهما) أي نظر رحمة يعني لا يرضى عليهما بل يغضب عليهما وينتقم منهما، فعدم النظر كناية عن الغضب فإن الشخص إذا أراد أن ينتقم من شخص أعرض عنه، وقوله (يوم القيامة) بالنصب على الظرفية وخصه لأنه يوم الجزاء. قالوا: يا رسول الله ومن هما؟ قال: (كقاطع الرحم) أي القرابة بنحو إساءة أو هجراً ما قطعها بترك الإحسان. فقد قال المحقق أبو زرعة: أنه ليس بكبيرة بل ولا صغيرة وإن ترك ذلك مع القدرة، لكن الأقرب إلى ظاهر الخبر أنه صغيرة (وجار السوء) الذي إن رأى حسنة كتّمها أو سيئة أفشاها. كما فسر به في خبر. وهذا الحديث فيه زجر عظيم لقاطع الرحم وجار السوء (رواه الديلمي) في مسند الفردوس. وهو حديث ضعيف كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٥ - (إثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما) أي لا تُرفع إلى الله تعالى رفع قبول. أي لا ثواب لهما فيها. وإن كانت صحيحة. لأنه لا يلزم من عدم القبول عدم الصحة. أحدهما (عبد) أي رقيق ذكر أو أنثى (أبق) بصيغة الماضي، أي هرب ويجوز كونه بصيغة اسم الفاعل أي هارب (من مواليه) أي مالكيه، إن كان مشتركاً. ومثله ما لو هرب من مولاه إذا لم يكن له إلا سيد بغير عذر فلا ثواب له في صلاته (حتى يرجع) إلى الطاعة. (و) الثاني (امرأة عصت زوجها) بنشوز أو غيره مما يجب عليها أن تطيعه فيه فلا ثواب لها في صلاتها (حتى ترجع) إلى طاعته. وإياقه، ونشوزها بلا عذر كبيرة أما لو أبق لعذر كخوف قتل أو فعل فاحشة أو تكليفه على الدوام ما لا يطيقه على الدوام أو عصت أمره بمعصية كالوطء في دبرها أو حيضها، فثواب صلاتهما بحاله. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وفيه ان منع الحقوق في الأبدان كانت أو في الأموال يوجب سخط الله سبحانه وتعالى.

حكاية: قال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه: مرض شاب من بني إسرائيل فنذرت أمه ان شفني الله ولدها لتخرجن من الدنيا سبعة أيام فشفاه الله فحفرت قبراً وقالت لولدها أحث عليّ التراب ثم بعد سبعة أيام أخرجني منه. فلما حثا عليها التراب وجدت فيه باباً إلى بستان فدخلت فرأت فيه امرأتين على رأس إحداهما طير يروح بجناحه عليه والأخرى على رأسها طير ينقرها. فقالت للأولى: بم نلت هذا؟ قالت: خرجت من الدنيا وزوجي راض عني.

وقالت للأخرى: بم نلت هذا؟ قالت: خرجت من الدنيا وزوجي ساخط علي فإذا رجعت إلى الدنيا فأسأليه العفو عني فبعد سبعة أيام أخرجها ولدها فأخبرت زوج المرأة فعفا عنها. ثم رأتها بعد لك في المنام فقالت لها: جزاك الله خيراً قد نجوت من العذاب.

وهذا الحديث (رواه الحاكم) في مستدركه، وهو حديث صحيح، كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٦ - (اجتنبوا) أي أبعثوا فهو أبلغ من لا تفعلوا لأنه لا يدل على طلب البعد (السبع) أي الكبائر السبع المذكورة في هذا الخبر وخصها لاقتضاء المقام ذكرها فقط، وإلا فهي إلى السبعين. بل قيل إلى السبعمئة أقرب. وللحافظ الذهبي جزء جمع فيه نحو أربعمئة (الموبقات)، بضم الميم وكسر الموحدة التحتية أي المهلكات جمع موبقة وهي الخصلة المهلكة. سميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب (الشرك) بنصبه على البدل ورفعها وكذا ما بعده على حذف المبتدأ أو الخبر والتقدير هي أو منها الشرك (بالله) أي جعل أحد شريكاً لله سبحانه وتعالى والمراد الكفر به بأي نوع وهو أعظم الكبائر. (والسحر) وهو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في صحتها من سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه، وقيل هو^(١) مزاوله النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة. قال التاج السبكي: والسحر والكهانة والتنجيم والسيما من واد واحد. وأجاز بعض العلماء تعلم السحر لأمرين: أما التمييز ما فيه كفر عن غيره، وأما لإزالته عن وقوع فيه. (وقتل النفس التي حرم الله) قتلها (إلا بالحق) أي بفعل موجب للقتل شرعاً (وأكل الربا) أي تناوله بأي وجه كان. (وأكل مال اليتيم) يعني التعدي فيه ويورث سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى كالذي قبله (والتولي) أي الإدبار من وجوه الكفار، (يوم الزحف) أي وقت ازدحام الطائفتين. أي وإن كان لو ثبت قتل فيحرم التولي حيث كان في قتله نكاية في العدو بأن يقتل كثيراً قبيل أن يقتل وإلا بأن علم أنه إن ثبت قتل من غير نكاية لهم فلا يحرم بل يباح بل

(١) قوله مزاوله في القاموس زاوله مزاوله عالجه وحاوله وطالبه اهـ.

يجب . (وقذف المحصنات) بفتح الصاد المحفوظات من الزنا وبكسرهما الحافظات فروجهن منه والمراد فيهن بزنا أو لواط (المؤمنات) بالله تعالى احتراز عن قذف الكافرات فإنه من الصغائر (الغافلات) عن الفواحش وما قذفن به فهو كناية عن البريئات، أما غير الغافلات فلا يحرم قذفهن إن كن معلنات .

تنبيه : قال المناوي : أعظم الكبائر الشرك ثم القتل ظلماً وما عدا ذلك يحتمل كونه في مرتبة واحدة . وهذا الحديث (رواه الشيخان) البخاري ومسلم في الصحيحين (و) رواه (غيرهما) كأبي داود والنسائي .

٢٧ - (اجتنبوا التكبر) بمثناة فوقية قبل الكاف . وهو تعظيم المرء نفسه واحتقاره غيره، والأنفة^(١) من مساواته . والكبر ظن المرء أنه أكبر من غيره وهو يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل . وآفاته كبيرة وغوائله^(٢) كثيرة . وما من خلق ذميم إلا والكبر محتاج إليه مصاحب له ولو لم يكن من الوعيد للتكبر إلا نفي محبة الله تعالى له في النصوص القرآنية وخبر لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر لكفى . (فإن العبد) أي الإنسان (لا يزال يتكبر حتى يقول الله تعالى) لملائكته (اكتبوا عبدي) الإضافة للملك لا للتشريف (هذا) المتعدي طوره^(٣) الذي نازع ربه وتعرض للمقت والهلاك (في الجبارين) جمع جبار وهو المتكبر العاتي . وكفى بذلك علماً باستقبح الاستكبار كيف وهو يقضي بصاحبه إلى بشس القرار النار وقد أفلح من هدي إلى تجنبه وفاز بخيري الدنيا والآخرة، فترك الكبر داع إلى السلامة . قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من أخلاق اللئام، وارفع الناس قدراً من لا يرى قدره . وأكبرهم فضلاً من لا يرى فضله . وفي الحديث : من تواضع لله رفعه الله، فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم . ومن تكبر وضعه الله فهو في أعين الناس صغير، وفي نفسه كبير وحتى لهو أهون عليك من كلب أو خنزير . وقال سيدي أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه : من ذل

(١) قوله والأنفة في القاموس أنف منه كفرح أنفاً وأنفة محركتين استنكف اهـ .

(٢) قوله وغوائله أي شره اهـ مؤلف .

(٣) طوره أي حده وقوله العاتي أي المجاوز الحد اهـ مؤلف .

في نفسه رفع الله قدره ومن عز فيها أذله الله في أعين عباده وما استصغرت
أحدًا إلا وجدت نقصاً في ديني ومعرفتي . وقال أبو يوسف صاحب أبي
حنيفة : ما جلست مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلمهم ،
وما جلست مجلساً قط أنوي فيه أن أعلمهم إلا لم أقم حتى أفتضح . وما
أحسن ما قيل :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر	على طبقات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه	على طبقات الجو وهو وضيع
وأكرم أخلاق الفتى وأجلها	تواضعه للناس وهو رفيع
وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه	رفيعاً وعند العالمين وضيع

ومن النكت اللطيفة: ما حُكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه
وافق مجلساً في^(١) الري وإذا فيه عالم جالس على سرير مرتفع الخيلاء والتكبر
فلما فرغ من وعظه تعوذ إبراهيم وقرأ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل
شيء قدير الذي خلق السرير . فقال الفقيه : أخطأت يا خراساني . فقرأ :
الذي خلق الفرس واللجام . وكانت دابة الفقيه على باب المسجد . فقال :
أخطأت . فقال : الذي خلق القصر . فقال : أخطأت . فقال : علمني كيف هو ؟
قال : قل الذي خلق الموت والحياة . فقال إبراهيم : إذا علمت أنك خلقت
للموت فما هذه الخيلاء والتكبر؟ فقال : رميت سهماً معترضاً ونفذ سهمك في
الغرض . فنزل عن السرير وتاب إلى الله تعالى ، وخرج مع إبراهيم سياحاً وترك
داره وماله لأهله حتى مات رحمة الله تعالى عليهما . وهذا الحديث (رواه أبو
بكر بن لال) في كتاب مكارم الأخلاق (وعبد الغني بن سعيد) في كتاب إيضاح
الأشكال (وابن عدي) في الكامل وهو حديث ضعيف . كما في شرح العلامة
العريزي .

٢٨ - (اجعلوا من صلاتكم) أي بعضها: فمن تبعيضية وهو مفعول
أول لاجعلوا والثاني قوله (في بيوتكم) أي اجعلوا بعض صلاتكم التي هي
النفل مؤداة في بيوتكم لتعود بركتها على البيت وأهله، ولتنزل الرحمة
والملائكة فيها، ويكثر خيرها ويفر منها الشيطان . فالنفل في البيت أفضل منه

(١) قوله الري اسم بلد اهـ مؤلف .

في المسجد ولو المسجد الحرام . إلا ما يسن جماعة ومثله ركعتا الإحرام والطواف وسنة الجمعة القبلية . (ولا تتخذوها قبوراً) أي كالقبور مهجورة من الصلاة . (رواه الشيخان) البخاري ومسلم في الصحيحين (و) رواه (غيرهما) كالإمام أحمد في مسنده وأبي داود وأبي يعلى ، والرويانى ، والضياء ، ومحمد بن نصر رحمهم الله تعالى .

٢٩ - (اجعلوا بينكم وبين الحرام سترًا) أي حاجزاً . (من الحلال) أي اتركوا شيئاً من الحلال خوفاً من الحرام . فهو نهى عن تعاطي الشبهات (من فعل ذلك) أي جعل بينه وبين الحرام سترًا ، فقد (استبرأ) بالهمز ، وقد يخفف أي طلب البراءة . (لعرضه ودينه) بصونهما عما يشينهما^(١) ويعيبهما . والعرض بكسر العين محل المدح والذم من الإنسان فقول العامة في عرض الله تعالى يحرم . ومقصود الحديث أن الحلال إذا خيف أن يتولد من فعله محذور شرعي في نفسه أو أهله تعين تجنبه ليسلم من الذم والعيب والعذاب ويدخل في زمرة المتقين ، (ومن أرتع) أي أطلق نفسه (فيه) أي الحلال بأن أكل ما شاء وتبسط في المطاعم والملابس كيفما أحب (كان كالمرتع) بضم الميم وكسر التاء (إلى جنب) أي جهة وقرب (الحمى) أي الشيء المحمي الذي لا يقربه أحد احتراماً لمالكة (يوشك) بضم المثناة تحت وكسر المعجمة أي يقرب (أن يقع فيه) أي الشيء المحمي فيعاقب . فكما أن الراعي الخائف من عقوبة السلطان يبعد لاستلزام القرب الوقوف المترتب عليه العقاب فكذا حمى الله أي محارمه التي^(٢) حظرها لا ينبغي قرب حماها ليسلم من ورطتها . ومن ثم قال تعالى : تلك حدود الله فلا تقربوها . فنهى عن المقاربة حذاراً من المواقعة . (وان) وفي رواية ألا وان (لكل ملك) من ملوك العرب (حمى) يحميه عن الناس فلا يقربه أحد خوفاً من سطوته (وان حمى الله) تعالى (في الأرض) وفي رواية في أرضه (محارمه) أي معاصيه فمن دخل حماه بارتكاب شيء منها استحق العقوبة ومن قاربه يوشك أن يقع فيه . فالمحتاط لنفسه ولدينه لا يقربه ولا يفعل ما يقربه منه وهذا السياق من المصطفى ﷺ إقامة

(١) يعيبهما عطف تفسير اهـ مؤلف .

(٢) قوله حظرها أي حرّمها اهـ مؤلف .

برهان عظيم على تجنب الشبهات . (رواه ابن حبان) في صحيحه (والطبراني) في الكبير . قال العزيزي رحمه الله تعالى : وهو حديث صحيح .

٣٠ - (أجملوا) بهمزة قطع مفتوحة فجيم ساكنة فميم مكسورة أي ترفعوا (في طلب الدنيا) بأن تطلبوا الرزق طلباً جميلاً وتحسنوا السعي بلا كد^(١) وتعقب وتكالب، أي ترفع . ومن إجماله اعتماد الجهة التي היאها الله ويسرها له ويسره لها فيقنع بها ولا يتعدها . ومنه أن لا يطلب بحرص وقلق وشرة ووله حتى لا ينسى ذكر ربه ولا يتورط في شبهة فيدخل فيمن أثنى الله عليهم بقوله : رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع الآية . ثم بين وجه الأمر بذلك بقوله : (فإن كلا) أي كل واحد من الخلق (ميسر) أي مُهيأً مصروف مسهل (لما كتب) أي قدر (له منها) يعني الرزق المقدر له سيأتيه ولا بد فإن الله قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب إرادته لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه الأزلي . وإن كان يقع ذلك يتبدل في اللوح أو الصحف بحسب تعليق بشرك . وقال : أجملوا . وما قال اتركوا إشارة إلى أن الإنسان وإن علم أن رزقه المقدر له لا بد له منه لا تترك السعي رأساً . فإن من عوائد الله تعالى في خلقه تعليقه الأحكام بالأسباب وترتيب الحوادث على العلل وهذه سنة في خلقه مطردة وحكمته في ملكه مستمرة . وهو وإن كان قادراً على إيجاد الأشياء اختراعاً وابتداعاً بتقديم سبب وسبق علة بأن يشبع الإنسان بلا أكل ويرويه بغير شرب وينشيء الخلق بدون جماع . لكنه أجرى عادته بأن الشبع والري والولد يحصل عقب الطعم والشرب والجماع .

تنبه : عرف مما سبق أن من اجتهد في طلب الدنيا^(٢) وتهافت عليها شغل نفسه بما لا يجدي وأتعبها فيما لا يغني ولا يأتيه إلا المقدر فهو فقير وإن ملك الدنيا بأسرها وما أحسن قول بعضهم :
يا طالب الرزق في^(٣) الآفاق مجتهداً اقصر عنك فإن الرزق مقسوم
الرزق يسعى إلى من ليس يطلبه وطالب الرزق يسعى وهو محروم

(١) قوله بلا كد الكد الشدة والإلحاح كما في القاموس اهـ .

(٢) قوله وتهافت في القاموس التهافت التساقط والتتابع اهـ .

(٣) قوله الآفاق أي النواحي اهـ مؤلف .

وقال بعضهم :

الرزق يأتي وإن لم يسع صاحبه حتماً ولكن شقاء المرء مكتوب
وفي القناعة كنز لا نفاذ له وكل ما يملك الإنسان مسلوب

وسأل رجل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه أن يعظه . فقال الإمام : إن كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا؟ وإن كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا؟ وإن كان الخلف على الله فالبخل لماذا؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا؟ وإن كانت النار حقاً فالمعصية لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضائه وقدره فالحزن لماذا؟ وبالجمله فالواجب على المتأدب بأداب الله أن يكل امره إلى الله ويسلم ولا يتعدى طوره ، ولا يتجرأ على ربه ، ويترك التكلف ، فإنه ربما كان خذلاناً ويترك التدبير فإنه قد يكون هواناً .
والمرء يرزق لا من حيث حيلته ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي

قال بعضهم : وكل الله الحرمان بالعقل والرزق بالجهل ليعلم أنه لو كان الرزق بالحيل لكان العاقل أعلم بوجوه طلبه والاحتيال لكسبه .

خاتمة

نقل أبو الليث السمرقندي رضي الله تعالى عنه : أن ملكين التقيا في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر إلى أين تريد؟ قال : أمرت بشيء عجيب . قال : ما هو؟ قال : في البلد الفلاني رجل يهودي قد دنت وفاته وقد اشتهى سمكة ولم توجد في بحرهم . فأمرني ربي أن أسوق إليه الحيتان ليصطاد له سمكة . وذلك لأنه لم يعمل حسنة إلا كافأه الله بها في الدنيا . وقد بقيت له حسنة واحدة فأراد أن يبلغه شهوته ليخرج من الدنيا وما له عند الله حسنة . وقال الملك الآخر : وأنا بعثني ربي بأمر عجيب في البلد الفلاني رجل صالح ما عمل سيئة إلا كافأه الله عليه وقد دنت وفاته فاشتهى زيتاً ، وقد بقي عليه ذنب واحد فأمرني ربي أن أريق الزيت ليحزن على ذلك فيكفر الله عنه ذنبه فيلقاه ولا ذنب عليه . ثم إن هذا الحديث . (رواه ابن ماجه والحاكم) في مستدركه (وغيرهما) كالطبراني في الكبير والبيهقي في السنن . قال العريزي رحمه الله : وهو حديث صحيح .

٣١ - (وأجيفوا) بفتح الهمزة وكسر الجيم وسكون المشاة التحتية وضم الفاء أي أغلقوا (أبوابكم) مع ذكر اسم الله تعالى. (واكفثوا) رُوي بقطع الألف المفتوحة وكسر الفاء رباعي وبوصلها وفتح الفاء أي وبعدها همزة وهما صحيحان. ومعناه اقبلوا (آيتكم) ولا تتركوها للعق الشيطان ولحس الهوام (وأوكثوا) بكسر الكاف بعدها همزة. قال الحفني: وهذا على قطع الهمزة أما على أنها همزة وصل فيقرأوا وكوا بضم الكاف بلا همز وبلا رسم ياء اهـ. ومعناه اربطوا (أسقيتكم) جمع سقاء ككساء ظرف الماء من جلد يعني شدوا واربطوا فم القرية بنحو خيط واذكروا اسم الله تعالى (وأطفئوا) بهمزة قطع أمر من الإطفاء قال الله تعالى: كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله. أي اذهبوا نور (سرجكم) جمع سراج ككتاب يعني أطفئوا النار من بيوتكم عند النوم. وهذا وإن كان مطلوباً في الأوقات كلها. لكنه في الليل أكد لأن النهار عليه حافظ من العيون بخلاف الليل. قال العريزي: وإنما أمر بذلك لخبر البخاري أن الفويسقة جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت اهـ. قال الحفني: فإن احتيج إلى بقاء المصباح لخوف أو معالجة صغير أو مريض مثلاً فلا بأس بإبقائه والله يحفظ من الحرق (فإنهم) يعني الشياطين ولم يذكروا استهجاناً لذكرهم ومبالغة في تحقيرهم وذمهم (لم يؤذن لهم) بالبناء للمفعول، والفاعل الله أي لم يأذن الله لهم (بالتسور) أي التسلق والنط (عليكم) أي لم يجعل لهم قدرة على ذلك. قال الحفني: وهذا التعليل راجع للاول فقط خلافاً لقول المناوي أنه راجع للكل اهـ. وكون الشيطان يعجز عن ذلك مع أنه يتصرف في الأمور الغريبة ويتولج في المسام الضيقة من القدرة التي لا يؤمن بها إلا الموحد. وهذا الحديث يقتضي أن ذلك يمنع الشيطان الخارج من البيت دون الداخل فيه واستنبط بعضهم منه مشروعية غلق القم عند الثأوب لدخوله في عموم الأبواب مجازاً. (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، وكذا أبو يعلى، قال العريزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

٣٢ - (أحب الأعمال إلى الله) تعالى أي أكثرها ثواباً عند الله تعالى (الصلاة لوقتها) اللام بمعنى في، أي في وقتها. فالصلاة خارج الوقت محبوبة لله تعالى فصح التفضيل. وإنما المبعوض التأخير فلا اعتراض حينئذ أو يقال هو على حذف مضاف أي لأول وقتها. ويكون فيه حث على المسارعة

للصلاة أول الوقت. روي أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة قام كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه.

لطيفة: خرج بعض العباد بالبصرة يشتري حطباً فوجد صرة مكتوباً عليها فيها مائة دينار فسمع إقامة الصلاة. فبادر إلى الجامع وترك الصرة فخرج إلى السوق فاشترى حزمة حطب فلما نقضها في داره وجد الصرة فيها. فقال: اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك فلا تجعله ينساك في أوقات الصلاة.

ويقرب من هذه ما حُكي أن حامد اللفاف رضي الله عنه أراد الذهاب إلى الجمعة وقد ضل حماره ودقيقه في الطاحون ودخل نوبة سقي أرضه فتفكر في نفسه وقال: إن ذهبت إلى الجمعة فاتتني هذه الأعمال. ثم قال عمل الآخرة أولى. فذهب إلى الجمعة فلما رجع وجد أرضه قد سقيت وحماره في الاضطراب وامراته تخبز فسأل امرأته فقالت له: أما الحمار فقد سمعت قرع الباب فخرجت فإذا الحمار يعدو والأسد حوله فلما فتحت الباب دخل الحمار الدار، وأما الأرض فإن الملاصق لأرضنا أراد سقي أرضه فنام فانفجر الماء فسقى أرضنا. وأما الدقيق فإنه كان لجارنا دقيق في الطاحون فذهب ليأتي به فغلط فحمل^(١) جوالقنا فلما جاء إلى بيته عرفه فدفعه لنا. فرفع حامد رأسه إلى السماء، وقال: يا رب قضيت لك حاجة فقضيت لي ثلاث حاجات فلك الحمد. (ثم بر الوالدين) أي الإحسان إليهما وامثال أمرهما الذي لا يخالف الشرع. وقال بعضهم: صفة البر أن تكفيهما ما يحتاجان إليه، وتكف عنهما الأذى، وتداريها مداراة الطفل الصغير، ولا تضجر من حوائجها، وتستغفر لهما عقب صلواتك، وتتحمل أذاهما، ولا تعمل صوتك على صوتهما، ولا تحوجهما إلى التعب. قيل إنما صرف الله تعالى سليمان عن ذبح الهدهد لأنه كان باراً بوالديه ينقل الطعام إليهما فيزقهما.

وحُكي أنه لما خرج موسى عليه السلام من أنطاكية يريد الشام تعب

(١) قوله جوالقنا أي وعاءنا قال في المختار: والجوالق وعاء، والجمع الجوالق بالفتح والجوالق أيضاً وربما قالوا الجوالقات اهـ ومثله القاموس وضبط الجوالق بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها والجمع كصحائف اهـ.

فأوحى الله تعالى إليه أن أوي إلى سفح جبل فيه عبد لي ، فأسأله شيئاً تركبه . فوجده يصلي فلما فرغ . قال : يا عبدالله أريد شيئاً أركبه . فنظر إلى السماء وإذا بسحابة سائرة . فقال : أيتها السحابة أنزلي واحملي هذا العبد حيث يريد . فنزلت حتى لصقت بالأرض فركبها موسى عليه السلام . فقال الله تعالى : يا موسى أتدري بأي شيء أعطيته هذه المنزلة؟ قال : لا يا رب . قال : سألته أمه حاجة عند وفاتها فبادر إلى قضائها . فقالت : إلهي كما قضى حاجتي فاقض حاجته . ولو سألتني أن أقلب الخضراء على الغبراء لفعلت .

وَحُكِي أَنَّهُ كَانَ لِرَجُلٍ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فَمَرَضَ فَقَالَ كَبِيرُهُمْ لِأَخَوْتِهِ : اعْطُونِي خِدْمَتَهُ وَلَكُمْ مِيرَاثُهُ ففعلوا فخدمه حتى مات . فرأى في منامه قائلاً يقول : اذهب إلى موضع كذا وخذ منه ديناراً ولك فيه البركة قال : لا ، فتركه . ثم رأى في الليلة الثانية كذلك . وفي الثالثة مثلها . فلما أصبح أخذه واشترى به سمكة فوجد فيها جوهرتين فباعهما للسلطان بستين ألف دينار . ثم رأى في منامه قائلاً يقول له : هذا بخدمتك لأبيك .

وذكر ابن الجوزي ، أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه رفيقه في الجنة . فقال الله تعالى له : اذهب إلى بلد كذا تجد رجلاً^(١) قصاباً فهو رفيقك في الجنة . فلما رآه موسى في حانوته وعنده زنبيل . فقال الشاب : يا جميل الوجه هل لك أن تكون في ضيافتي . قال موسى : نعم . فانطلق معه إلى منزله فوضع الطعام بين يديه فكلما أكل لقمة وضع في الزنبيل لقمتين . فبينما هو كذلك إذا بالباب يطرق ، فوثب الشاب وترك الزنبيل . فنظر موسى فيه وإذا بشيخ وعجوز قد كبرا حتى صارا كالفرخ الذي لا ريش له . فلما نظرا إلى موسى تبسما وشهدا له بالرسالة ، ثم ماتا . فلما دخل الشاب ونظر إلى الزنبيل قبل يد موسى ، وقال : أنت موسى رسول الله . قال : ومن أعلمك بذلك؟ قال هذان اللذان كانا في الزنبيل أبوي قد كبرا فحملتهما في الزنبيل خوفاً عليهما وكنت لا أكل ولا أشرب إلا بعدهما . وكانا يسألان الله كل يوم أن لا يقبضهما حتى ينظرا إلى موسى . فلما رأتهما ماتا علمت أنك موسى رسول الله . فقال له : أبشر فإنك رفيقي في الجنة .

(١) قوله قصاباً أي جزاراً اهـ .

ومثل بر الوالدين بر صاحبهما ولو بعد موتهما . فإنك إذا أحسنت إلى صاحبهما حصل لهما سرور بذلك . والمراد بهما هنا من له ولادة وان كان بر الأقرب أكثر ثواباً من الأبعد فيقدم الأقرب فالأقرب ، والأحوج فالأحوج ، وقرن بر الوالدين بالصلاة . لأن الله تعالى قرنه بالإخلاص له تعالى في قوله تعالى : أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً . ولأن الصلاة أعظم الوصل بين العبد وربهِ وبر الوالدين أعظم الوصل بين العبد والخلق فأولى الأعظم الأعظم . (ثم الجهاد في سبيل الله) أي قتال الكفار لإعلاء كلمة الجبار وإظهار شعار دينه . وإنما أخره مع أن فيه بذل النفس لأن الصبر على أداء الصلاة أول وقتها وعلى ملازمة بر الوالدين أمر متكرر دائم بدوام الأنفاس لا يصبر على مراقبة أمر الله فيه إلا الصديقون .

تنبيه : قال العريزي : قال العلقمي : ومن محصل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأجوب بأنه أفضل الأعمال ، أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه أو بما هو اللائق بهم . أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره . وقد تظاهرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة ومع ذلك قد يعرض حال يقتضي مواساة المضطر ، فتكون الصدقة حينئذ أفضل أو أن أفضل ليست على بابها . بل المراد بها الفضل المطلق أو المراد من أفضل الأعمال فحذفت من كما يقال فلان أفضل الناس ويراد من أفضلهم . فعلى هذا يكون الإيمان أفضلها والباقيات متساوية في كونها من أفضل الأعمال والأحوال . ثم يعرف فضل بعضها على بعض بدلائل تدل عليها . (رواه الشيخان) البخاري ومسلم في الصحيحين ، (و) رواه (غيرهما) كالإمام أحمد في مسنده ، وأبي داود والنسائي .

٣٣ - (أحب الأعمال إلى الله) أي أكثرها ثواباً عند الله تعالى (أدومها) أي أكثرها تتابعاً ومواظبة (وإن قل) ذلك العمل المداوم عليه جداً لأن النفس تألفه فيدوم بسببه الإقبال على الحق ولأن تارك العمل بعد الشروع فيه كالمرعوض لبعث الوصل ، ولأن المواظب ملازم للخدمة وليس من لازم الباب كمن جد ثم انقطع عن الاعتاب . ولهذا قال بعض الأنجاء : لا تقطع الخدمة وإن ظهر لك عدم القبول وكفى بك شرفاً أن يقيمك في خدمته . ولأن المداوم

يدوم له الإمداد من حضرة رب العباد. ولذلك شدد الصوفية النكير على ترك الأوراد. والمراد بالدوام العرفي وهو قابل للكثرة والقلّة، وإلا فحقيقة الدوام شمول جميع الأزمنة وهو غير مقدور. ومن ثم قال الحفني، رحمه الله: أفعال التفضيل بالنظر للمداومة العرفية أي إذا حصل فترة سيرة في العمل فهو أحب مما حصل فيه فترة كثيرة. وإلا لو كان المراد المداومة كل زمان لم يتأت تفضيل إذ لا أدم حينئذ بل كلها دائمة اهـ. قال المناوي: وأقول يحتمل أن المراد بالدوام الترفق بالنفس وتدريبها في التعبد لئلا تضجر فيكون من قبيل أن لجسدك عليك حقاً. يقال استدمت الأمر ترفقت به وتمهلت واستدمت غريمي رفقت به. (رواه الشيخان) البخاري ومسلم في الصحيحين.

٣٤ - (أحب الأعمال إلى الله) أي أكثرها ثواباً عند الله تعالى. (أن تموت ولسانك) أي والحال أن لسانك (رطب من ذكر الله) تعالى أي شديد الحركة. فإن رطوبة اللسان ناشئة عن شدة حركته وجفافه ناشيء عن عدم حركته. فهو من باب الكناية والمعنى أن تلازم الذكر حتى يحضرك الموت وأنت ذاكر. فإن للذكر فوائد جليّة لا تحصى، وتأثيراً عجبياً في انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب في ضد ذلك.

وفي الحديث حث على الذكر حيث علق به حكم الأحبية وكل مؤمن يرغب في ذلك كمال الرغبة ليفوز بهذه المحبة.

ومما جاء في فضله ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: من أكثر ذكر الله أحبه الله. وعنه ﷺ: مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش قلت: من هذا؟ أهذا ملك؟ قيل: لا. قلت: نبي؟ قيل: لا. قلت: من هذا؟ قيل: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب بذكر الله وقلبه معلق بالمساجد. وفي الخبر إن العبد يأتي إلى مجلس الذكر بذنوب كالجبال فيقوم من المجلس وليس عليه شيء منها. وقال عطاء رضي الله عنه: من جلس مجلساً يذكر الله فيه كفر الله عنه عشر مجالس من مجالس السوء. وقال علي رضي الله عنه أن الله تعالى يتجلى للذاكرين عند الذكر وقراءة القرآن. وعن النبي ﷺ: ما من قوم اجتمعوا يذكر الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم فقد بدلت سيئاتكم حسنات. ومن خصائص

الذكر أنه جعل في مقابلته ذكر الله . قال تعالى : فاذكروني أذكركم . فتأكد مداومة ذكر الله في جميع الأحوال لكن يستثنى من الذكر القرآن حال الجنابة، بقصده، فإنه حرام ويستثنى من عمومه أيضاً المجامع، وقاضي الحاجة . فيكره لهما الذكر اللساني أما القلبي فمستحب في كل حال مطلقاً .

فائدة: قال بعض المفسرين في قوله تعالى : فمنهم ظالم لنفسه، هو الذائر بلسانه . ومنهم مقتصد هو الذائر بقلبه، ومنهم سابق هو الذي لا ينسى ربه .

وسئل السبكي رضي الله عنه عن قول النبي ﷺ : إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية . فقال: أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى .
وحكي عن بعضهم أنه دخل غيضة^(١) فوجد رجلاً يذكر الله تعالى وعنده سبع عظيم . فقال: ما هذا؟ قال: سألت الله أن يسلط عليّ كلباً من كلابه إذا غفلت عن ذكره .

وقال بعض الصالحين رأيت صياداً بالهند كلما اصطاد سمكة دفعها إلى ابنة له فترسلها في الماء وهو لا يعلم . فلما فرغ جاء فلم يجد شيئاً . فسألها عن ذلك فقال: سمعتك تقول عن النبي ﷺ لا تقع سمكة في شبكة إلا غفلت عن ذكر الله، فكرهت أن تأكل شيئاً غفل عن ذكر الله . وقيل أن السمكة كانت تسبح في يدها، فقالت البنت: ما دفعت إليّ سمكة إلا وسمعتها تقول سبحان الله، فقطع الشبكة وتاب عن الصيد .

وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه: خرجت أطلب الحلال فأخذت شبكة وألقيتها في البحر فأخذت سمكة ثم ثانية، ثم ثالثة، فهتف بي هاتف: يا إبراهيم لم تجد معاشاً إلا فيما يذكرنا فقطعت الشبكة .

لطيفتان، الأولى: أهدي للجنيد رضي الله عنه طائر فقبله مرة، ثم أرسله، فقيل له في ذلك، فقال: يا جنيد تتلذذ بمناجاة الأجياب وتسد في وجوههم الباب، فلما أرسله قال: إن الطيور ما دامت ذاكرة لا تقع في شدة . فإذا غفلت عن ذكر الله وقعت . وأنا غفلت عن ذكر الله مرة فعذبني بالسجن

(١) الغيضة الشجر الكبير الملتف أو مجتمع الشجر في مغيض الماء اه قاموس .

فكيف بمن يغفل عن ذكر الله كثيراً. يا جنيد خذ علي العهد أن لا أعود أبداً ثم صار يتردد إلى زيارة الجنيد ويأكل من المائدة معه. فلما مات الجنيد رمى بنفسه على الأرض فمات فدفنوه فرأى بعضهم الجنيد في النوم، فسأله عن حاله فقال: رحمني برحمتي للطائر.

الثانية: قال داوود عليه السلام: لأسبحن الله تسيحاً ما سبحه أحد من خلقه فناداه ضفدع أتفخر على الله بتسيحك، وأنا منذ سبعين سنة ما جف لساني عن ذكره. ولي عشر ليال لم أكل شيئاً اشتغلاً بكلمتين. قال: ما هما؟ قال: يا مسيحاً بكل لسان ومذكوراً بكل مكان.

وسبب هذا الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ إن قلت أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت إلى آخره. (رواه ابن حبان) في صحيحه. (والطبراني) في الكبير (وغيرهما): كابن السني في عمل يوم وليلة، والبيهقي في شعب الإيمان. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

٣٥ - (أحب الأعمال) التي يفعلها أحدكم مع غيره (إلى الله من) أي عمل إنسان (أطعم مسكيناً) محترماً مضطراً إلى الإطعام (من جوع) وقدمه على ما بعده لأنه سبب لحفظ حرمة الروح (أو دفع عنه مغرمًا) أي ديناً أو غيره مما توجه عليه من الحقوق. وسواء كان الدفع بأداء أو إبراء أو انظار إلى مسرة أو شفاة في ذلك، أو إخلاص من الحبس الذي توجه عليه أي ما لم يكن عصي بالدين وإلا فلا يطلب دفعه عنه (أو كشف عنه كرباً) غماً أو شدة أي إزاله عنه ولكون هذا أعم مما قبله ختم به قصداً للتعميم.

فائدة: قال الفخر الرازي رضي الله عنه: جاءت امرأة إلى بعض أكابر الصوفية بزيت وقالت: أسرجه بالمسجد. فقال: أيما أحب إليك نور يصعد إلى السقف أو نور يصعد إلى العرش؟ قالت: بل إلى العرش. قال: إذا صب في القنديل صعد نوره إلى السقف. وإذا صب في طعام فقير جاع صعد النور إلى العرش. ثم أطعمه الفقراء.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، سمعت النبي ﷺ يقول: من أغاث مكروباً أعتقه الله من النار يوم الفرع الأكبر.

وحكى أن النبي ﷺ خرج إلى السوق بثمانية دراهم يشتري قميصاً فرأى جارية تبكي فسألها فقالت: خرجت أشتري حاجة لأهلي بدرهمين فذهبا مني . فدفعهما لها ومضى إلى السوق فاشتري قميصاً بأربعة دراهم . فلما رجع رأى شيخاً يقول: من كساني ثوباً كساه الله من حلال الجنة . فدفع إليه القميص . ثم رجع إلى السوق، واشتري قميصاً بدرهمين، ثم رجع فوجد جارية تبكي . فسألها فقالت: أخاف العقوبة من أهلي لطول غيبيتي فقال: الحقي بأهلك . فتبعها حتى وصل إلى دار أهلها . فطرق بابهم وقال: السلام عليكم . فلم يجبه أحد فقال ثانياً وثالثاً فأجابوه . فقال النبي ﷺ: لم لا أجتُموني من أول مرة؟ فقالوا: أردنا أن نتبرك بصوتك . فسألهم العفو عن الجارية فقالوا: هي حرة لأجلك يا رسول الله . فرجع النبي ﷺ وهو يقول: ما رأيت ثمانية أعظم من هذه أمناً جارية بها واعتقنا بها جارية، وكسونا بها عرباناً . ثم إن هذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير . قال المناوي: وهو ضعيف لكن له شواهد .

٣٦ - (أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض) أي بعد أداء الفرائض العينية من صلاة وزكاة وصوم وحج (إدخال السرور) أي الفرح (على المسلم) أي المعصوم . بأن تفعل معه ما يسر به من تبشيره بحدوث نعمة أو اندفاع نقمة أو كشف غمة أو إغاثة لهفة أو نحو ذلك من أنواع المسرة . أما الفرائض فليس شيء أحب إلى الله تعالى من أدائها مع أنها لا تنفعه ولا تضره وإنما أوجبها عليها لمصلحتنا . ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى أنه يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده بل إن هذا عادة الحق وشرعته .

فائدة: أخرج أبو الشيخ وابن أبي الدنيا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ما أدخل رجل على مؤمن سرور إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله ويوحده . فإذا صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور فيقول: أتعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان . أنا اليوم أؤنس وحشتك وألقتك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهدك مشاهد يوم القيامة وأشفع لك وأريك منزلك في الجنة . (رواه

الطبراني) في الكبير والأوسط . قال العريزي رحمه الله تعالى : وهو حديث ضعيف .

٣٧ - (أحب الأعمال إلى الله) تعالى (حفظ اللسان) أي صيانتَه عن النطق بما نهى عنه من نحو كذب وغيبة ونميمة . واللسان إذا لم يحفظ أفسد القلب وبفساده يفسد البدن كله . ولهذا قيل في صحف إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه^(١) . ومن حسب كلامه من عمله قل نطقه إلا بما يعنيه . وأخرج القضاعي والطبراني في الأوسط عن ابن عمر مرفوعاً : من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به . ألا فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . وأخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر مرفوعاً : من صمت نجاً . وفي الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعاً : لا تُكثِر الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب وأن أبعد الناس عن الله القلب القاسي .

وقال ذو النون المصري : بينا أنا أسير في نواحي الشام إذ رفعت لي روضة خضراء وفي وسطها شاب قائم يصلي تحت شجرة تفاح . فتقدمت إليه وسلمت عليه فلم يرد عليّ السلام . فسلمت عليه ثانياً فأوجز في صلاته . ثم كتب في الأرض بأصبعه .

منع اللسان من الكلام لأنه هدف^(٢) البلاء وجالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكراً لا تنسه وأحمده في الحالات

قال ذو النون : فبكِيت طويلاً وكتبت بأصبعي في الأرض :

وما من كانت إلا سبيلي ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

قال : فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها . فقامت لأخذ في غسله وكفنه . وإذا بقائل يقول : خلّ عنه فإن الله عز وجل وعده أن لا يتولى أمره إلا الملائكة . قال ذو النون : فملت إلى شجرة فركعت عندها ركعتين . ثم أتيت

(١) قوله ومن حسب أي عداه مؤلف .

(٢) قوله هدف أي عظيم اهـ مؤلف .

إلى الموضوع الذي مات فيه فلم أجد له أثراً ولا عرفت له خبراً.

وسئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب. فقال: معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة لكان السكوت عن معصية الله من ذهب. وما أحسن قول بعضهم:

إذا ما اضطررت إلى كلمة فدعها وباب السكوت اقصد
فلو كان نطقك من فضة لكان سكوتك من عسجد^(١)

وقال بعضهم: أدنى نفع الصمت السلامة وأدنى ضرر النطق الندامة. وقال لقمان: يا بني إذا افتخر الناس عليك بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك. وقيل إنما جعل لك لسان واحد وأذنان ليكون ما تسمع أكثر مما تقول. وقال الأصمعي: بلغني أن رجلاً قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً. فقال: لكنك لو قلت عشراً لم تسمع واحدة. وقال مالك بن دينار: أشد ما على السفية الإعراض عن جوابه وإظهار عدم التأثير له. وقال بعضهم:

إذا سب عرضي ناقص القدر جاهل فليس له إلا السكوت جواب
ألم تر أن الليث ليس يضره إذا نبحت يوماً عليه كلاب

وحكي أن زين العابدين رضي الله تعالى عنه خرج يوماً من المسجد فلقية رجل فسبه فتبادر إليه العبيد والموالي، فقال لهم زين العابدين: مهلاً عن الرجل. ثم أقبل عليه وقال له: ما ستر عليك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة^(٢) كانت عليه وأمر له بألف درهم. فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسل.

وأوحى الله إلى سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إذا كنت وحدك فاحفظ قلبك وإذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك وإن كنت على المائدة فاحفظ بطنك وإن كنت على الطريق فاحفظ عينك فهذه تورث السلامة والصحة، وأنشد بعضهم:

اغتمت ركعتين في ظلمة الليل إذا كنت فارغاً تستريحاً

(١) قوله عسجد أي ذهب اه مؤلف.

(٢) هي كما في القاموس كساء أسود مربع له علمان اه.

وإذا ما هممت بالخوض في الباطن
واغتنام السكوت أفضل من الخوض وإن كنت بالحديث فصيحاً
طل فاجعل مكانه تسيحاً

فينبغي للإنسان أن يقلل كلامه ما استطاع خصوصاً فيما نُهي عن الكلام فيه، كبعد فعل صلاة العشاء لغير مسافر فيكره دون غيرها من الصلوات. وأما قبل الفعل فلا يكره. ومحل الكراهة إذا لم يتلق به مصلحة دينية كالتبليغ عن الله تعالى وعن نبيه ﷺ، وتعليم العلوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلمة الحق عند من له شوكة، والكلام مع حليلته أو ضيفه. أو مصلحة دنيوية مما يتعلق بضرورة الإنسان أو مصالحه كخذ وكل. وهذا الحديث (رواه البيهقي) في شعب الإيمان، وهو حديث ضعيف، كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

٣٨ - (أحب الجهاد إلى الله) تعالى (كلمة حق) بالإضافة وعدمها (تقال لإمام) أي سلطان (جائر) أي ظالم لأن من جاهد العدو فقد تردد بين رجاء وخوف. وصاحب السلطان إذا قال الحق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر يعرض نفسه للهلاك قطعاً فهو أفضل. قال المناوي رحمه الله تعالى: والمراد أن أفضل أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا فلا حاجة لتقدير من اهـ.

تنبيه: قال في الإحياء: وأمر الولاية بالمعروف هو تعريفهم ووعظهم. وأما منعهم بالقهر فليس للأحاد لأنه يحرك فتنة ويهيج شراً. وفحش القول لهم كيا ظالم يا من لا يخاف الله حرام أن تعدى شره للغير، وإن لم يخف إلا على نفسه جاز بل ندب. فقد كانت عادة السلف التصريح بالإنكار والتعرض للأخطار. كما روي أن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه كان بينه وبين هارون الرشيد صحبة، فلما ولي الخلافة زاره العلماء إلا سفيان فشق ذلك عليه. فأرسل إليه كتاباً فيه: يا أخي قد علمت أن الله آخى بين المؤمنين وأخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم^(١) منها حبلك ولا أقطع منها ودك وإني منك على أفضل المحبة وأتم الإرادة ولولا الخلافة لأتيتك، ولو حبواً، لمحبتي

(١) أي اقطع اهـ قاموس.

لك . ولم يبق أحد من أخواني وأخوانك إلا زارني وأعطيتهم من بيت المال . وقد علمت ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته فالعجل العجل . فجاء به عباد الطالقاني إلى الكوفة فوجد سفيان في المسجد فلما رآه ، قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بالله من طارق يطرق إلا بخير . وقام يصلي ، ولم يقل أحد من جلسائه لعباد اجلس . فوقف مرتعداً من الهيبة ورمى الكتاب إليه فتباعد عنه فكأنه حية . ولما سلم أخذه بكمه ورماه لمن خلفه . وقال : ليقرأه بعضكم ، فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده . فأخذه بعضهم كأنه حية تنهشه وقرأه فصار سفيان يتبسم عجباً وقال : اكتبوا للظالم في ظهر مكتوبه . فقيل أنه خليفة والأحسن الكتابة له في ورقة بيضاء ، فقال : اكتبوا في ظهر كتابه فإن اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، أو من حرام فسوف يدخل جهنم به . ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا . فقيل : ما نكتب إليه؟ فقال : اكتبوا من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الإيمان ولذاذة القرآن ، أما بعد فإني صرمت^(١) حبلك وقطعت ودك وجعلتني شاهداً عليك بإنفاقك مال المسلمين في غير حقه بغير رضاهم ، هل يرضى بفعلك المؤلفة قلوبهم ، والعاملون ، والمجاهدون ، وحملة القرآن ، وأهل العلم ، والأيتام ، والأرامل ، فحضر للسؤال جواباً وللبلاء جلباباً^(٢) فستقف بين يدي الحكم العدل . فاتق الله في رعبتك واحفظ محمداً في أمته إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً . فكيف بك إذا نادى المنادي من قبل الله احشروا الظلمة وأعوانهم فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك ، والظالمون حولك وأنت لهم إمام وسائق إلى النار وترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك . والخلافة لم تصر إليك إلا وهي صائرة إلى غيرك . وكذا الدنيا فمنهم من يزداد نفعه ومنهم من خسر ديناه وآخرته . وإياك أن ترسل إلي كتاباً غير هذا فلا أجيبك وألقاه منشوراً . فأخذه عباد وقد اتعظ فنزع ما عليه من الشاب التي يجالس بها السلطان ولبس جبة صوف وعباءة ، وأتى إلى الرشيد

(١) أي قطعت أه قاموس .

(٢) الجلباب كسرداب وسنمار القميص وثوب واسع أه قاموس .

حافياً. فلما رآه قام وقعد وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والثبور^(١) ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا والمملك يزول عني سريعاً. فألقى إليه الكتاب فقرأه ودموعه تنحدر على وجهه. فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان فأت به في الحديد واسجنه ليعتبر غيره. فقال: اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا، المغرور من غرتموه والشقي والله من جالستموه. إن سفيان أمة وحده. ولم يزل كتاب سفيان عنده يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي.

وحكي عن أبي عتاب الزاهد أنه كان يسكن مقابر بخارى فدخل المدينة ليزور أخاً له في الله تعالى، فوجد غلمان أميرها نصر بن أحمد خارجين من داره بالملاهي. فرفع رأسه إلى السماء واستعان بالله وحمل عليهم بعصاه فولوا منهزمين إلى دار الأمير وأخبروه فدعاه الأمير وقال له: أما علمت أن من يخرج على السلطان يتغدى في السجن؟ فقال له أبو عتاب: أما علمت أنه من يخرج عن^(٢) الرحمن يتعشى في النيران. فقال له الأمير: من ولاك الحسبة؟ فقال: من ولاك الإمارة؟ فقال: ولاني الخليفة. فقال: ولاني الحسبة رب الخليفة. فقال الأمير: وليتك الحسبة بسمرقند. قال: عزلت نفسي عنها. قال: العجب من أمرك تحتسب حين لم تؤمر وتمتنع حين تؤمر. قتال: لأنك إذا وليتني عزلتني وإذا ولاني ربك لم يعزلني أحد. فقال الأمير: سل حاجتك. قال: حاجتي أن ترد علي شبابي. فقال: ليس ذلك إلي. قال: حاجتي أن تكتب إلى مالك خازن جهنم أن لا يعذبني قال: ليس ذلك إلي. قال: حاجتي أن تكتب إلى رضوان خازن الجنة أن يدخلني الجنة. قال: ليس ذلك إلي. قال: فأنا مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها لا أسأله حاجة إلا أجابني إليها. فخلى الأمير سبيله فذهب.

وسبب هذا الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: عرض للنبي ﷺ رجل عند الجمرة فقال: أي الجهاد أفضل؟ فسكت ثم ذكره (رواه الإمام

(١) قوله بالويل والثبور قال في القاموس الويل حلول الشر وقال أيضاً الثبور الهلاك والويل والإهلاك اهـ وضبط الثبور بالقلم في القاموس بضم المثلثة اهـ.
(٢) لعله على.

(أحمد) في مسنده (والطبراني) في الكبير. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن.

٣٩ - (أحب الصيام) المتطوع به (إلى الله) تعالى أي أكثر ما يكون محبوباً إليه والمراد إرادة الخير بفاعله (صيام) نبي الله (داوود) عليه السلام وبين وجه الاحبية بقوله (كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) فهو أفضل من صوم يومين وفطر يومين ومن صوم الدهر لأنه أشق على النفس. قال الغزالي: وسره ان من صام الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس بوقعه في نفسه بالإنكسار وفي قلبه بالصفاء وفي شهوته بالضعف. فإن النفس إنما تتأثر بما يرد عليها لا بما تمرنت عليه؛ ألا ترى أن الأطباء نهوا عن اعتياد شرب الدواء. وقالوا: من تعود له لم ينتفع به إذا مرض لألف مزاجه له فلا يتأثر به وطب العلوم قريب من طب الأبدان.

فائدة: روي أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الصيام، فقال: ألا أحدثك بحديث كان عندي من التحف المخزونة إن كنت تريد صيام داوود فإنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً. وإن كنت تريد صيام ولده سليمان فإنه كان يصوم ثلاثة أيام أول الشهر وثلاثة أيام من وسطه وثلاثة أيام من آخره. وإن كنت تريد صيام عيسى فإنه كان يصوم الدهر ويلبس الشعر وحيثما أدركه الليل صف قدميه وصلى حتى تطلع الشمس. وإن كنت تريد صيام أمه فإنها كانت تصوم يومين وتفطر يوماً. وإن كنت تريد صيام خير البرية فإنه كان يصوم أيام البيض من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره حضراً وسفراً.

٤٠ - (وأحب الصلاة) من النفل المطلق (إلى الله تعالى صلاة داوود) كان ينام نصف الليل) إعانة على قيام البنية المشار إليه بآية جعل لكم الليل لتسكنوا فيه. (ويقوم ثلثه) من أول النصف الثاني لكونه وقت التجلي الذي ينادي فيه الرب: هل من سائل هل من مستغفر. وورد أنه ينادي إلى أن ينفجر الفجر. وهو أعظم أوقات العبادة وأفضل ساعات الليل والنهار (وينام سدسه) الأخير ليسترى من تعب القيام ويستقبل الصبح وإذكار النهار بنشاط. وإنما كان ما ذكر أحب إلى الله تعالى لأنه أخذ بالأرفق على النفس التي يخشى سأمها المؤدية لترك العبادة. والله تعالى يحب أن يوالي فضله ويديم إحسانه

ولا يعارض هذه الأحبية قاعدة إن زيادة العمل تقتضي زيادة الفضيلة، لأن القاعدة أغلبية كما بينه الشافعية. ولا يكره على الأصح عندهم صوم الدهر لمن لا يضره ويكره قيام كل الليل ولو لمن لا يضره. والفرق بين الصوم والصلاة أن الصائم يستوفي ما فاته والمصلي إن نام نهاراً تعطلت مصالحه، ولا يرد قيامه ﷺ جميع الليالي لأنه مشرع يبين جوازه.

وسبب هذا الحديث أن سيدنا عبدالله بن عمرو بن العاص كان يسرد الصيام والقيام فقال له المصطفى ﷺ: إن لجسدك عليك حقاً ثم ذكره (رواه الشيخان) البخاري ومسلم في الصحيحين (و) رواه (غيرهما) كالإمام أحمد في مسنده، وأبي داود والنسائي، وابن ماجه.

٤١ - (أحب الطعام إلى الله) تعالى أي أكثره بركة ونفعاً في بدن الأكل (ما كثرت عليه الأيدي) أي أيدي الأكلين لأن اجتماع الأنفاس وعظم الجمع أسباب نصبها الله تعالى مقتضية لفيض الرحمة وتنزلات غيث النعمة (رواه أبو يعلى) في مسنده (وابن حبان) في صحيحه، (و) رواه (غيرهما) كالبيهقي في شعب الإيمان، والضياء المقدسي. وهو حديث صحيح، كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٤٢ - (أحب الكلام) أل فيه بدل من المضاف إليه أي أحب كلام الخلق فلا يرد أن القرآن أحب (إلى الله تعالى أن يقول العبد) أي الإنسان ذكراً كان أو أنثى حراً كان أو قنأ، (سبحان الله) أي أنزهه عن النقائص (وبحمده) الواو للحال^(١) أي أصبح الله ملتبساً بحمده أو عاطفة أي أسبح الله وأتلبس بحمده يعني أنزهه عن جميع النقائص وأحمده بأنواع الكمالات.

فائدة: أفضل المحامد على الإطلاق الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده. لما في بعض الأخبار ان الله تعالى لما أهبط آدم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض قال: يا رب علمني المكاسب، وعلمني كلمة تجمع لي فيها المحامد. فأوحى الله تعالى إليه أن قل ثلاث مرات عند كل صباح ومساء الحمد لله حمداً يوافي نعمك ويكافيء مزيديك. فقد جمعت لك

(١) قوله الواو للحال الخ كذا في المناوي وتبعه العزيزي اهـ.

فيها جميع المحامد. وذكر السبكي في تفسيره أن مثل هذه الصيغة الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه. وإذا حلف أنه يحمده الله بأفضل الحمد لا يبر إلا بإحدى الصيغتين. وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل فقال: يا محمد إن ربك عز وجل يقرئك السلام ويقول إذا أردت أن تعبد في يوم وليلة حق عبادته فقل: اللهم ربنا لك الحمد حمداً مع خلودك، ولك الحمد حمداً لا ينتهي له دون علمك، ولك الحمد حمداً لا ينتهي له دون مشيئتك، ولك الحمد حمداً لا جزاء لقائه إلا رضاك عنه اهـ. وهذا الحديث (رواه مسلم وغيره) كالإمام أحمد في مسنده والترمذي.

٤٣ - (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) لتضمنها تنزيهه تعالى عن كل ما يستحيل عليه، ووصفه بكل ما يجب له من أوصاف كماله وانفراده بوحدانيته واختصاصه بعظمته وقدمه المفهومين من أكبريته. وهي الباقيات الصالحات (لا يضررك) أيها المتكلم بهن في حصول الثواب على الإتيان بهن (بأيهن بدأت) لكن الأفضل ترتيبها، كما ذكر قال بعضهم. وهذه الكلمات الأربع وصية نوح لابنه. كما أخرج الحكيم عن معاذ مرفوعاً ألا أخبركم عن وصية نوح لابنه حين حضره الموت؟ قال: إني واهب لك أربع كلمات هن قيام السموات والأرض، وهن أول كلمات دخولاً على الله وآخر كلمات خروجاً من عنده فاعمل بهن واستمر حتى يلقاك. وهوان تقول^(١): سبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله والله أكبر والذي نفس نوح بيده لو أن السموات والأرض، وما فيهن وزن بها لوزنتهن. قال الحكيم: فنعمة الواهب ونعم الموهوب ونعمت المواهب فمن قام بها كان من الأولياء.

واعلم أن للتسبيح فضائل كثيرة منها من قال: سبحان الله ألف مرة في يوم غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر. ومنها من سبح الله مائة مرة بالغداة ومائة مرة بالعشي كان كمن حج مائة حجة. ومن حمد الله كذلك كان كمن غزا مائة غزوة. ومن هلل الله كذلك كان كمن أعتق مائة رقبة. ومن

(١) قوله وهوان تقول الخ كذا وجدته في السحيمي وفيه أن هذه ثلاث كلمات لا أربعة فلعله والحمد لله بدل قوله وبحمده إلا أن يقال أن وبحمده هي الكلمة الثانية تأمل وحرراه.

كبر الله كذلك لم يأت أحد يوم القيامة بمثل ما أتى به إلا من قال مثله أو زاد عليه. ونقل عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال: رأيت رب العزة في المنام تسعاً وتسعين مرة فقلت في نفسي إن رأيتَه تمام المائة لأسألنه بم ينجو الخلائق من عذابك يوم القيامة؟ قال: فرأيتَه، فقلت يا رب عز جاهك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك؟ فقال سبحانه وتعالى: من قال بالغداة والعشي سبحان الله الأبدي الأبد، سبحان الله الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان الله رافع السماء بغير عمد، سبحان من بسط الأرض على الماء فجمد، سبحان من خلق الخلق وأحصاهم عدد، سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحد. سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، سبحان الله الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. نجا من عذابي. وذكر القرطبي رحمه الله تعالى: أن تسبيح ملائكة السماء الخامسة سبحان من جمع بين الثلج والنار. وان من قالها مرة واحدة كان له مثل ثوابهم.

وحُكي عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الإبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم ير أحداً فقال: من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال: أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلق. فسأله عن ثواب من قال هذا التسبيح. فقال: من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له وهو هذا: سبحان الله العلي الديان، سبحان الله الشديد الأركان، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن، سبحان الله الحنان المنان، سبحان الله المسيح في كل مكان.

خاتمة

قيل مر سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام في مركبه على راعي غنم. قال: قد أوتي سليمان بن داوود ملكاً عظيماً. فألقت الريح تلك الكلمة في أذن سليمان فنزل عن كرسيه وجاء إلى الراعي وقال له: أيها الراعي أن تسبيحة واحدة في صحيفة عبد أفضل عند الله من ملك سليمان لأن ملكه يفنى والتسبيحة تبقى لصاحبها ينتفع بها يوم القيامة والله أعلم. وهذا الحديث (رواه أحمد ومسلم) رحمهما الله تعالى.

٤٤ - (أحب الله تعالى عبداً) قال الحفني رحمه الله تعالى: دعاء أي اللهم أحبه، أو خبر بأن أوحى إليه ﷺ بأن الله أحبه. والمراد بالعبد، الإنسان (سمحاً) بفتح فسكون أي سهلاً، (إذا باع وسمحاً إذا اشترى وسمحاً إذا قضى). أي أدى ما عليه من الحق ونفسه بذلك طيبة. (وسمحاً إذا اقتضى)، أي طلب ماله برفق من غير عنف ولا تشديد بين بما ذكر أن السهولة والتسامح في التعامل سبب لاستحقاق المحبة وإفاضة الرحمة والإحسان بالنعمة، وفي إفهامه سلب المحبة عن من اتصف بضد ذلك وتوجه الذم إليه ومن ثم ردت الشهادة بالمضايقة في التافه. (رواه البيهقي) في شعب الإيمان. وهو حديث حسن، كما في شرح العلامة العزيري رحمه الله تعالى.

٤٥ - (أحب) بفتح الهمزة وكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة مشددة فعل أمر، (للناس ما تحب لنفسك) من الخير. وذلك بأن تفعل لهم ما تحب أن يفعلوه معك وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به وتنصحهم بما تنصح به نفسك وتحكم لهم بما تحب أن يحكم لك به وتتحمل أذاهم وتكف عن أعراضهم. وإن رأيت لهم حسنة أذعتها، أو سيئة كتبتها. وقول ابن الصلاح هذا من الصعب الممتنع، لأن المرء مطبوع على حب الإيثار، فالتكليف بذلك مفض إلى أن لا يكمل إيمان أحد، إلا نادراً في حيز المنع إذ القيام بذلك يحصل بأن يحب لغيره ما يحب حصول مثله له من جهة لا يزاومه فيها ولا ينقص شيئاً من نعمته، وذلك سهل على القلب السليم.

لطيفة: رُوي أن فتى جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فزجره أصحابه وهموا أن يبطشوا به فكفهم وقال: ادن، فدنا منه، فقال: اجلس، فجلس فقال: يا هذا، أتحب أن يزني أحد بأمك؟ قال: لا. قال: فالناس لا يحبون أن تزني بأمهاتهم، قال: أتحب الزنا لابنتك؟ قال: لا، قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. ثم ذكر الأخت والخالة والعمة ويقول: كذلك الناس لا يحبونه، قال: أتحب أن يزني أحد بامرأتك؟ قال: لا. قال: فالناس لا يحبون أن تزني بزوجاتهم. ثم وضع يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه. فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا، ولفظ الناس يشمل الكفار، فينبغي لكل مسلم أن يحب للكفار الإسلام وما يتفرع عليه من الكمالات، (رواه البخاري في تاريخه وأبو

يعلى) في مسنده (وغيرهما)، كالطبراني في الكبير، والحاكم في مستدرکه والبيهقي في شعب الإيمان. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيري.

٤٦ - (أحب) بفتح فسكون، (حبيبك هوناً ما) يصح أن يكون هوناً، منصوباً على المصدر، صفة لما اشتق منه أحب، وما إبهامية تزيد النكرة إبهاماً وشياعاً، أي احببه حباً قليلاً ويصح نصبه على الظرفية، لأنه من صفات الأحيان أي احببه في حين قليل ولا تسرف في حبه، فإنه (عسى أن يكون بغيضك يوماً ما) أي يوم من الأيام. (وأبغض بغيضك هوناً ما)، فإنه (عسى أن يكون حبيبك يوماً ما). يعني لا تسرف وتبالغ في الحب والبغض، فعسى أن يصير الحبيب بغيضاً والبغض حبيباً فلا تكون قد أسرفت في الحب فتندم، ولا في البغض فتستحي.

فائدة: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يذكر أصحابه وجلسه استعمال حسن الأدب بقوله:

وكن معدناً للخير واصفح عن الأذى
وأحب إذا أحببت حباً مقارباً
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً
فإنك راء ما عملت وسامع
فإنك لا تدري متى أنت نازع
فإنك لا تدري متى الحب راجع

وقال الحسن البصري رضي الله تعالى عنه: أحبوا هوناً وأبغضوا هوناً فقد أفرط قوم في حب قوم فهلكوا. وأفرط قوم في بغض قوم فهلكوا. (رواه الترمذي والبيهقي) في شعب الإيمان (والطبراني) في الكبير (وغيرهم) كالدراقطني في الأفراد وابن عدي في الكامل، والبخاري في الأدب. وهو حديث حسن، كما في شرح العزيري.

٤٧ - (احبسوا)، بكسر الهمزة والموحدة التحتية، (صبيانكم)، جمع صبي وهو الذكر الصغير من بني آدم والأنثى صبية وجمعها صبايا والمراد مطلق الصغير ذكراً كان أو أنثى، أي امنعوهم عن الخروج من البيوت من الغروب، (حتى تذهب) أي إلى أن تنقضي (فوعة) بفتح الفاء، كما استصوبه الحفني (العشاء)، أي شدة سوادها وظلمتها. وفي رواية بدل فوعة فحمة وهي السواد الشديد والمراد هنا أول ساعة من الليل، (فإنها ساعة تخترق) بمشنتين فوقيتين مفتوحتين بينهما خاء معجمة ساكنة وراء وقاف أي تتشر مع

إفساد، (فيها الشياطين)، أي مردة الجن فإن الليل محل تصرفهم. وذلك لأن الكفار منهم وإن خلقوا من النار قلوبهم مملوءة ظلمة فيألفونها ويتشرون فيها ويكروهون النور على عكس المؤمنين. وإنما خص أول الليل لأنه أول خروجهم من الحبس فاضطرابهم فيه أشد. وخص الصبيان لأنهم لا يحترزون عن النجاسة ويغفلون عن ذكر الله كثيراً والشياطين يألفون النجاسة، خصوصاً إذا لم يكن ذكره (رواه الحاكم)، قال العلامة العزيزي رحمه الله: وهو حديث صحيح.

٤٨ - (احذروا البغي) أي التعدي على خلق الله بالظلم (فإنه) أي الشأن، (ليس من عقوبة هي أحضر) أي أعجل وأسرع وقوعاً (من عقوبة البغي)، والمعنى احترزوا من فعله فإن فاعله يعود عليه جزاء فعله في الدنيا سريعاً. قال مجاهد رضي الله تعالى عنه: مرَّ نوحٌ ﷺ بأسد رابض فضربه برجله فرفع الأسد رأسه إليه فخمش ساقه فجعل يضرب ساقه عليه من الوجع فلم ينم ليلته وهو يقول: يا رب كلبك عقربي، فأوحى الله إليه أن الله لا يرضى الظلم أنت بدأتَه.

حكاية نفيسة: كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا يولد له. وكان كلما خرج ورأى ولداً خدعه ودخل به إلى بيته وقتله وألقاه في مطمورة^(١) عنده. وكانت له امرأة تنهأ عن ذلك فيأبى ويقول: لو أن الله يؤخذني على شيء لكان آخذني في يوم فعلت كذا وكذا. فتقول له: إن الله ليس بتارك ذلك لك وإن صاعك الآن لم يمتليء ولو امتلاً صاعك لآخذك. فخرج يوماً فرأى غلامين أخوين عليهما الحللي والحلل فخدعهما وذهب بهما إلى بيته وقتلهما وألقاهما في مطمورته. فخرج أبوهما في طلبهما فلم يجدهما، فذهب إلى نبي من بني إسرائيل، وذكر له ذلك فقال له النبي: هل كان لهما لعبة يلعبان بها؟ قال: نعم، إن لهما جرواً صغيراً يلعبان به. قال: أثنتي به. فأتاه به، فوضع النبي خاتمه بين عينيه وأرسله وقال للرجل: اذهب خلفه وانظر في أي دار دخلها من دور بني إسرائيل ففيها البيان. فأقبل الجرو ويتخلل الدور حتى

(١) أي حفرة أهـ جامعه.

دخل^(١) داره، فدخلوا خلفه فوصل إلى محل في الدار وحرك ذنبه وحفر برجليه فحفروا ذلك المحل فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان كثيرة، فأعلموا ذلك النبي بهذا الأمر، وأتوا بالرجل إليه فأمر به أن يصلب فلما صلب جاءت امرأته إليه وقالت: ألم أحذرك من هذا وأقل لك أن الله ليس بتاركك إن صاعك الآن قد امتلاً والله على كل شيء قدير.

وينبغي لمن بُغي عليه أن يصبر ولا ينتصر لنفسه بل يفوض أمره إلى الله تعالى . ففي زبور السيد داوود عليه السلام: يا داوود لا تبغ على من بغى عليك تتخلف عنك نصرتي، فإني لا أنتصر إلا لمن رضي بعلمي ولم يقابل من أذاه بالأذى . وأخرج الترمذي عن عائشة مرفوعاً: من دعا على من ظلمه فقد انتصر . ومن لطيف ما اتفق ما حُكي عن الشيخ عبدالله المنوفي أنه قال: كانت امرأة صالحة في بني إسرائيل لها دجاجة . فسرقها لص فلما تنف ريشها نبت كله في وجهه فعجز الناس عن نتفه . فأشار عليه بعض الأخيار بأنه يغضب المرأة ولا يتركها حتى تدعو عليه وتنتصر لنفسها . ففعل فلما دعت عليه وقع الريش بنفسه . وهذا الحديث . (رواه ابن عدي) في الكامل (وابن النجار) في تاريخه . وهو حديث ضعيف كما في شرح العلامة العزيمي رحمه الله تعالى .

٤٩ - (أحسن الناس قراءة) للقرآن القاريء (الذي إذا قرأ رأيت) أي علمت (أنه يخشى الله) تعالى أي يخافه . والمعنى أنه إذا قرأ حصل له الخوف لما يتدبره من المواعظ، ولما فيه من الوعيد . فينبغي له أن يقرأ بتخشع فإن لم يحصل له خشوعاً فليتخاشع . كما أنه يطلب لمن لم يحصل له بكاء على تقصيره أن يتباكى أي يظهر صورة البكاء .

حكاية لطيفة: قال بعض الكاملين: كان طفل يقرأ على بعض الصالحين القرآن فرآه مصفر اللون فسأل عنه، فقالوا: يقوم الليل بالقرآن كله . فقال له: في هذه الليلة أحضرنني في قبلك وقرأ عليّ القرآن في صلاتك ولا تغفل عني . فلما أصبح قال له: ختمت القرآن كالعادة، قال:

(١) قوله داره أي الرجل القاتل اهـ مؤلف .

لم أقدر على أكثر من نصفه. فقال له: في هذه الليلة اجعل من شئت من الصحب الذين سمعوه من الرسول ﷺ في قبلك وقرأ عليه ففعل فلم يمكنه إلا قراءة نحو ربعه. فقال له: الليلة اقرأه على من نزل عليه ففعل. فلم يقدر على أكثر من جزء. فقال: الليلة استحضر أنك تقرؤه على جبريل الذي أنزله، واعرف قدر من تقرأ عليه ففعل فلم يقدر إلا على سورة. فقال: الليلة تب إلى الله تعالى وتأهب، واعلم أن المصلي يناجي ربه وهو واقف بن يديه، فانظر حظك من القرآن وحظه، وتدبر ما تقرأ. فليس المراد جمع الحروف بل تدبر المعاني. ففعل فأصبح مريضاً. فعاده استأذنه، فلما أبصره الشاب بكى وقال: جزاك الله عني خيراً ما عرفت أنني كاذب إلا البارحة لما استحضرت الحق وأنا بين يديه أتلو عليه كلامه ووصلت إلى إياك نعبد، لم أر نفسي تصدق في قوله. فاستحيت أن أقول إياك نعبد وهو يعلم كذبي، وصرت أردد القراءة إلى مالك يوم الدين، حتى طلع الفجر، وقد احترق كبدي وما أنا إلا راحل له على حالة لا أرضاها. فمات فدفن فأتاه أستاذه فأجابه من القبر: يا أستاذ أنا حي قدمت على حي فلم يحاسبني شيئاً، فقام مريضاً. فلحق به رحمة الله تعالى عليهما.

وسبب هذا الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن فذكره. (رواه محمد بن نصر) في كتاب الصلاة (والبيهقي) في شعب الإيمان. (وغيرهما) كالخطيب والسجزي في كتاب الإيابة، والديلملي في مسند الفردوس. وهو حديث ضعيف كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

٥٠ - (أحسنوا جوار) بكسر الجيم وضمها (نعم الله) تعالى أي النعم المجاورة لكم أي الحاصلة وإحسان جوارها استعمالها فيما خلقت له، سواء المال وغيره. (لا تنفروها) أي لا تبعدوها عنكم بفعل المعاصي فإنها تزيل النعم ولا تطردوها بترك الشكر. قال بعضهم:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

(فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم)، قال العلامة الحفني: التقليل

منصب على قوله فعادت، أي فعودها مع المعاصي أي أو مع عدم الشكر قليل. فالغالب عدم العود وقد تعود استدارجاً اهـ. فعلى العاقل أن يحسن جوار نعم الله تعالى. لأن حسن الجوار لنعم الله من تعظيمها، وتعظيمها من شكرها والرمي بها من الاستخفاف بها، وذلك من الكفران والكفور ممقوت مسلوب. ولهذا قالوا الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة. قال الغزالي: فحافظ على إحسان الجواد عسى أن يتم نعمته عليك ولا يتليك بمرارة الزوال. فإن أمر الأمور وأصعبها الإهانة بعد الإكرام والطرده بعد التقريب والفراق بعد الوصال. وقال بعضهم: إن حقاً على من لعب بنعم الله أن يسلبه إياها. فارتباط النعم بشكرها وزوالها في كفرها. فمن عظمها فقد شكرها ومن استخف بها فقد حقرها وعرضها للزوال. ولهذا قالوا: لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، فالعاقل من حصن نعمته من الزوال بكثرة العطايا والاتصال.

حكى أنه كان رجل يأكل وبين يديه دجاجة مشوية. فوقف عليه سائل فرده خائباً وكان ذا ثروة ومال كثير. فوقع بينه وبين زوجته فرقة وتزوجت بغيره. فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية وإذا بسائل واقف، فقال لزوجته: ناوليه الدجاجة. فدفعتها إليه، وتأملته فإذا هو زوجها الأول. فذكرت ذلك لزوجها الثاني. فقال لها: والله أنا كنت ذلك المسكين قد حوّلي الله نعمه وأهلكه لقلة شكره لله تعالى.

وقال ابن الحاج: كان العارف المرجاني إذا جاءه القمح لم يترك أحداً من فقراء الزاوية ذلك اليوم يعمل عملاً حتى يلتقطوا جميع ما سقط من الحب على الباب وبالطريق. قال: فينبغي للإنسان إذا وجد خبزاً أو غيره مما له حرمة مما يؤكل أن يرفعه عن موضع المهنة إلى محل ظاهر يصونه فيه لكن لا يقبله ولا يضعه على رأسه كما تفعله العامة فإنه بدعة. قال: وهذا الباب. مجرب فمن عظم الله بتعظيم نعمه لطف به وأكرمه وإن وقع بالناس شدة جعل له فرجاً ومخرجاً.

وسبب هذا الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فرأى كسرة ملقاة فأخذها فمسحها وأكلها. ثم ذكره. (رواه أبو

يُعلَى) في مسنده، (وابن عدي) في الكامل، (والبيهقي) في شعب الإيمان .
وهو حديث ضعيف، كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

٥١ - (احفظ) أيها الإنسان (ما بين لحيك) بفتح اللام على الأشهر
بأن لا تنطق إلا بخير ولا تأكل إلا حلالاً (وما بين رجليك) بأن تصون فرجك
عن الفواحش وتستر عورتك عن العيون، فإنك إن فعلت ذلك ضمن لك
المصطفى ﷺ دخول الجنة . كما ذكره في خير وإنما نص على الأمر بذلك
ولم يكتب بدخوله في العموميات التي لا تحصى، لأن كفا داعية اللسان
والفرج من أشق الأمور، ومن ثم عد من أصعب أنواع الصبر وأفضله لشدة
الدواعي . فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان، كنميمة وغيبة وكذب ومرء وثناء
وحكاية كلام الناس وأحوالهم والطعن في عدو ومدح صديق ونحو ذلك .
ومقاساة كفا الفرغ أشد من ذلك ومن غيره إذ هو أعظم فخوخ الشيطان
لأتقياء الرحمن فما بالك بأحد الشبان .

حكايات نفيسة، الأولى : حكي أن بعض الصالحين حدثه نفسه بالزنا
وعنده فتيلة، فقال لنفسه : يا نفس إني أدخل أصبعي في هذه الفتيلة، فإن
صبرت على حرها مكنتك مما تريد، ثم أدخل أصبعه في الفتيلة حتى
حست نفسه أن الروح كادت تزهق منه من شدة حرها وهو يتجلد ويقول
لنفسه : هل تصبرين على حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه بسبعين
ضعفاً؟ فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر .

الثانية : قال بعض الصالحين : رأيت حداداً يأخذ الحديد من النار بيده
فلا تضره النار، فسألته عن ذلك فقال : كان بجواري امرأة جميلة فتعلق قلبي
بها ولم أتمكن عنها لورعها، فحصل قحط عظيم، فقالت : أطعمني شيئاً لله،
فقلت : حتى تمكيني من نفسك، فقالت : لا سبيل إلى معصية الله . فقالت في
اليوم الثالث : أطعمني لله فقد أضرتني الجوع، فقلت لها مثل ذلك فدخلت
منزلي فلما جعلت الطعام بين يديها بكيت، وقالت : تطعمني لله؟ فقلت : لا،
فلما كان اليوم الرابع، قالت : أطعمني لله، فقلت : لا، فدخلت منزلي
فقدمت لها الطعام، فقلت هذه امرأة تمتنع من المعصية، وأنا لا أنتهي،
اللهم إني أتوب إليك . وقلت لها : كلي لله ولا تخافي . فقالت : اللهم إن كان

صادقاً فحرمه على النار في الدنيا والآخرة. فأجاب الله دعائها.

الثالثة: حكى أن بعض قضاة بني إسرائيل سافر حاجاً واستخلف أخاه فدخل يوماً على زوجة أخيه وراودها عن نفسها فقالت: اتق الله ولا تخن أخاك. فجاءه إبليس في صورة رجل وقال: أقم عليها البينة بالزنا وارجمها إن لم تطاوعك، فأخبرها بذلك. فقالت: افعل ما تريد، فأقام عليها البينة بالزنا ورجمها. فمر بها رجل جمال ليلاً، فسمع أنينها، فأخذها إلى منزله، فدخل بعض أصحابه فرآها جميلة فراودها عن نفسها فامتنعت، فدخل ليلاً ليذبحها فذبح ولد الجمال، وكان الولد قد ألفها فأعطاهما الجمال دراهم وقال: أخرجني من منزلي. فخرجت، فرأت شخصاً مصلوباً على دين فخلصته بتلك الدراهم، فقال: لأكونن عبداً لك فسار معها إلى ساحل البحر فراودها فقال: هذا جزائي منك؟ فلما أيس منها قال لتاجر في مركب: عندي جارية جميلة أريد بيعها، فلما رآها التاجر دفع ثمنها ثلاثمائة دينار، فقالت: أنا حرة. فأخذها كرهاً، فلما كان الليل مديده إليها، فقالت: اتق الله، فضرب وجهها فعصفت الرياح على سفينته فغرقت. وحفظ الله المرأة حتى وصلت إلى ملك عادل. فأخبرته بخبرها فبنى لها خلوة تتعبد فيها، فشاع خبرها بالصلاح فقصدها أصحاب العاهات. فدعت لهم فبرئوا، فلما جاء زوجها من الحج سأل عنها فقيل له أنها زنت فرجمت. فدخل على أخيه فوجده أعمى ووقعت الأكلة في أفواه الشهود، فقيل لزوجها: خذ أخاك واذهب به إلى امرأة صالحة بمكان كذا لتدعوله. فلما سار به سار معه الشهود فرأوا في طريقهم الجمال ومعه صاحبه الذي ذبح ولده وقد أصابته عاهة، ثم وجدوا شاباً أعمى وهو الذي خلصته من الصلب، ثم وجدوا التاجر الذي اشتراها قد قذفه الموج وهو في بلاء عظيم. فلما وصلوا إليها وطلبوا منها الدعاء عرفتهم وقالت: من اعترف بذنبه دعوت له. فقال أخو زوجها: أنا أستحي من أخي أن أذكر ذنبي بحضوره. فقال أخوه: لا بأس عليك. فقال: راودت امرأتك عن نفسها فأبت فأقمت عليها هؤلاء الشهود بالزنا زوراً فرجمت. وقال صاحب الجمال: أنا وجدت امرأة عند هذا الجمال فراودتها فأبت فأردت ذبحها فأصابت السكين ولده فانذبح. وقال الشاب الذي خلصته: خلصتني امرأة من الصلب فراودتها فأبت فبعتها لتاجر في مركب بثلاثمائة دينار. وقال التاجر الذي اشتراها: أنا

راودتها فأبت، وقالت اتق الله فضربت وجهها فعصفت الرياح فانكسرت المركب. فقالت لزوجها: ادن مني. فكشفت عن وجهها فلما رآها قال: إنك زوجتي وإنك بريئة مما ذكر. فقالت له: قد سمعت قوله فإن شئت القصاص أو العفو وأما أنا فقد عفوت عنهم، وقالت: اللهم اكشف عنهم ضرهم فبرئوا وبقيت مع زوجها رحمة الله تعالى عليها.

الرابعة: حُكي أنه كان في بني إسرائيل عابد انفراد بعبادة الله تعالى في دير خرب، وكان يأتيه أمير القرية كل يوم غدواً وعشياً فحسده على ذلك كثير من الناس فرموه بامرأة جميلة ليس في زمانها أجمل منها فجاءت إليه ليلاً ونادت بأعلى صوتها: يا من انفراد بعبادة الديان عن الإنس والجان سألتك بالواحد المنان، وموسى بن عمران، ومحمد المبعوث في آخر الزمان إلا ما أنقذتني هذه الليلة من كل شيطان، فالليل أظلم والقرية بعيدة وأخاف من طوارق الحدشان. ففتح لها فلما صارت في صومعته رمت ثوبها بين يديه ووقفت عريانة تجلو نفسها عليه، فغض بصره عنها وحرس نفسه منها. وقال لها: ألا تستحين ممن براك ويعلم سرّك ونجواك. فقالت: لا تطل علي المقال فلا بد أن تتمتع بحسني والجمال. فقال لها: ويحك أتصبرين على سراويل من قطران ونار تشتعل بالأبدان وتذهبن عبادتي فيما مضى من الزمان. أما تخافين من نار لا تطفأ وعذاب لا يفنى. فأعادت عليه المرادة، فقال لها: أعرض عليك ناراً صغيرة فملاً السراج دهناً وخلط الفتيلة فيه، وهي تنظر فوضع إبهامه فيه فأكلته النار ثم مشت إلى السبابة ولم تزل حتى أكلت كفه وهو يقول: هذه نار الدنيا فكيف نار الآخرة؟ فصاحت المرأة صيحة عظيمة خرت منها ميتة فتحير في أمرها فسترها بثوبها، وقام إلى صلاته، فصاح إبليس في المدينة ينادي أن فلاناً العابد قد زنى بفلانة ثم قتلها في صومعته. فسمع أمير البلد ذلك فما أسفر الصبح إلا وهو عنده فناداه فأجابه فقال: أين فلانة؟ فقال: ها هي عندي. فقال له: قل لها تنزل إلينا. فقال له: إنها ميتة فظن الأمير صدق ما سمع. فقال: أيها الزاهد نقضت ما كنت عليه من العبادة وما خفت من عالم الغيب والشهادة، كيف تجرأت عليه بقتل أمته وما خفت من هذا الأمر وعاقبته؟^(١) فهت العابد من هيبة الخطاب ولم يدر بماذا يرد

(١) قوله فهت بوزن علم أي دهش وتحير وبهت بوزن ظرف مثله وأفصح منهما بهت كما قال

الجواب. فأمر الأمير بهدم صومعته وان تجعل سلسلة في رقبتة وأن يجروه إلى موضع العذاب والمرأة معهم على ألواح الأخشاب. وأمر بنشره بالمنشار على عادة الزناة في تلك الأقطار، وان لا أحد يشفع فيه ولا يمنعه ولا يحميه. فلما وضع المنشار على رأسه تأوه من النار ونادى بلسانه وقلبه يا عالم الأسرار، فإذا هو يسمع نداء أن أقلل من دعائي فقد بكى عليك أهل سمائي، وإني إليك ناظر في جميع الحالات، وان تأوهت ثانياً اهتزت السموات. فرد الله روح المرأة عليها وقامت حية والناس ينظرون إليها. فنادت والله إنه مظلوم وما زنى بي وإني الآن بكر وحق الحي القيوم. ثم قصت عليهم ما فعله بيده فأخرجوا يده فأروها، كما ذكرت. فندم الأمير على ما فعل بالعابد. وقال: إن هذه من أعظم المكائد. ثم شهق العابد شهقة فمات فدفنوه مع المرأة بعد عودها إلى الممات. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحان العالم الأزلي القديم. وهذا الحديث (رواه أبو يعلى) في مسنده (وابن قانع) في معجمه (و) رواه (غيرهما) كاند منه والضياء المقدسي. وهو حديث صحيح كما في شرح العريزي.

٥٢ - (احفظ ود أبيك) بضم الواو محبته وبكسرهما صديقه فعلى الكسر لا يحتاج لتقدير وأما على الضم فيقدر مضاف أي حب صديقي أبيك، (لا تقطعه) بنحو صد وهجر (فيطفىء الله نورك) بالنصب جواب النهي أي يخمد ضياءك. والمعنى كل من يحبه أبوك ويوده فوده أنت بالإحسان والمحبة سيما بعد موته ولا تهجره فيذهب الله نور إيمانك. أي لا يكون لإيمانك نور يوم القيامة تمشي فيه كغيرك والظاهر أن هذا مخصوص بما إذا كان صديق الأب ممن يحبه في الله وكالأب أبو الأب والأم ويظهر أن يلحق به جميع الأصول من الجهتين. ومن البين أن الكلام في أب محترم يحرم عقوقه ويطلب بره. وفي هذا الحديث وعيد مهول وتقريع يذهب عقول الفحول عن قطع ود الأصول حيث أذن عليه بذهاب نور الإيمان وسخط الرحمن وما يذكر إلا أولوا الألباب.

تنبيه: يؤخذ من قصة ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه يطلب إكرام

تعالى: فهت الذي كفر اه مصباح.

ابن صديق الأب كصديق الأب خصوصاً بعد موت الأب: فإنه مر في سفر إعرابي. فقال: أأست ابن فلان؟ فقال: نعم. فأعطاه حماراً كان يستعقبه ونزع عمامته فأعطاه إياها. فقال من معه: أما يكفيه درهمان؟ فقال: كان أبوه صديقاً لعمر رضي الله عنه. وقد قال المصطفى ﷺ فذكر الحديث. (رواه البخاري في الأدب، والطبراني) في الأوسط (والبيهقي) في شعب الإيمان. قال العزيزي رحمه الله: وهو حديث حسن.

٥٣ - (اختضبوا) بكسر الهمزة أي اصبغوا شعركم (بالحناء) بكسر الحاء وشد النون والمد وهو سنة وأما بالسواد فحرام لغير الجهاد. والمراد خضب شعر اللحية أما خضب اليدين والرجلين فمندوب للأنتى حرام على الذكر على الأصح عند الشافعية إلا لعذر (فإنه يزيد في شبابكم) أي في حسن هيئة شبابكم إذ زمن الشباب مقدر لا يزيد أصلاً (وجمالكم) أي جمال شعركم. لأن المطلوب خضب الشعر لا البشرة. ولونه أي الحناء ناري محبوب (ونكاحكم) أي جماعكم، لأنه يشد الأعضاء والأعصاب فيقوي على النكاح. ومن فوائده أنه يسكن الروع أي الفزع، كما ورد في حديث، وذلك لخاصة فيه علمها الشارع. وما ينطق عن الهوى. ومنها ما ورد عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الحناء بعد النورة أمان من الجذام. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: اختضبوا بالحناء فإنه يطيب الريح ويسكن الدوخة.

وقال بعضهم: إذا بدا الجدرى بصغير فاخضب أسافل رجليه بالحناء، فإنه أمان لعينه من الجدرى وهو مجرب. قال المناوي رحمه الله تعالى: ومما ورد في الترغيب في الخضاب ما رواه الخطيب في ترجمة محمد الفهري من حديث عمار بن بسيت يرفعه: اختضبوا فإن الله وملائكته وأنبياءه ورسله وكلما ذرأ وبرأ حتى الحيتان في بحارها والطير في أوكارها يصلون على صاحب الخضاب حتى ينصل^(١) خضابه اهـ.

وفي الحديث: إذا دخل المؤمن قبره وهو مختضب بالحناء أتاه منكر ونكير فقالا له: من ربك ومن نبيك؟ فيقول منكر لنكير: ارفق بالمؤمن أما ترى

(١) قوله حتى ينصل في المختار نصل الشعر زال عنه الخضاب اهـ.

نور الإيمان. وقال النبي ﷺ: اختضبوا فإن الملائكة يستبشرون بخضاب المؤمن. وقال أبو طيبة رضي الله عنه: نفقة درهم في سبيل الله بسبعمائة ونفقة درهم في خضاب اللحية بسبعة آلاف.

تنبيه: تقدم أن الخضاب مندوب للأثني وقد يجب بأن هيا الزوج أسبابه للزوجة وقد يحرم في عدة وفاة بأن مات زوجها فيما يظهر من بدنها. أما التطريف وهو خضاب بعض الأصابع والنقش فحرام إلا بإذن زوجها أو سيدها. (رواه البزار وأبو نعيم) وهو حديث ضعيف كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٥٤ - (اخفضي) بكسر الهمزة والفاء والضاد المعجمة وسكون الخاء المعجمة بعد الهمزة خطاب لأم عطية التي كانت تختن الإناث بالمدينة. أي اختني النساء بقطع البظر لأن ترك قطعه يُكثِر الشهوة فقد لا تكتفي بجماع حليلها فتقع في الزنا. (ولا تنهكي) بفتح المثناة الفوقية وسكون النون وكسر الهاء. أي لا تبالغي في استقصاء محل الختان بالقطع لأن ذلك يزيل الشهوة فتكره الجماع حينئذ فيفوت حظ الزوج منها بل أبقى بعض ذلك الموضوع. (فإنه) أي عدم المبالغة (أنضر) بفتح الهمزة والمعجمة (للولج) أي أبهج لبريقه ولمعته (وأحظى عند الزوج) المراد به المجامع فشمّل السيد. يعني أحسن جماعاً عنده وأحب إليه وأشهى فإبقاء بعض البظر يبقى بعض الشهوة ويحسن جمال الوجه وهذا إرشاد منه ﷺ لأمته فيما ينفعهم في دنياهم، فإنه ساع في كل ما ينفعهم دنيا وأخرى.

تنبيه: أول من أختن من النساء هاجر. وأول من أختن من الرجال سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ختن نفسه بالقدوم وعمره ثمانون سنة وقيل مائة وعشرون سنة فتألم ألماً شديداً فقال له جبريل: قد استعجلت يا إبراهيم قبل أن آتيك بآلة الختان. فقال: امتثلت أمر ربي فرفع الله عنه الألم في الحال.

وقد ولد جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مختونين آدم وشيث وإدريس ونوح ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير (والحاكم) في مستدرکه

وهو حديث صحيح كما في شرح العريزي .

٥٥ - (اخلعوا) بكسر الهمزة وباللام أي انزعوا (نعالكم) وإن كانت طاهرة (عند الطعام) أي عند إرادة أكله (فإنها) أي هذه الخصلة التي هي النزع (سنة) أي طريقة وسيرة . فالمراد المعنى اللغوي . ولما كانت السنة تطلق على السيرة حميدة، كانت أو ذميمة، بين أنها هنا حميدة بقوله (جميلة) أي حسنة مرضية محبوبة لما فيه من راحة القدم وحسن الهيئة والأدب مع المجلس، وغير ذلك . فالأمر للإرشاد لا للندب . والمراد بالنعل هنا كل ما يلبس في الرجل ما عدا الخف لمشقة نزعها عند إرادة كل أكل ولأنه يجوز المسح عليه يوماً وليلة للمقيم وإذا طلب قلعه عند كل أكل لم يتأت المسح يوماً وليلة . وخرج بحالة الأكل حالة الشرب فلا يطلب فيها نزع النعل كما هو ظاهر .

وسببه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : دعا أبو عبيس رسول الله ﷺ لطعام صنعه لهم، فقال رسول الله ﷺ : اخلعوا الخ . (رواه الحاكم) في مستدركه، وهو حديث ضعيف كما في شرح العريزي .

٥٦ - (أدبوا أولادكم) أي علموهم كل جميل ومروهم المداومة (على ثلاث خصال) خصها لشرفها ولأنها أهم ما يطلب تعليمه للطفل . قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : (حب نبيكم) أي اذكروا لهم أسباب زيادة محبته ﷺ ككونه الذي أنقذنا من الضلال إلى الهدى والمراد المحبة الإيمانية التي هي اتباع المحبوب وامثال أمره .

فائدة : يجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبي ﷺ بعث بمكة إلى كافة الثقليين ودفن بالمدينة وأنه واجب الطاعة والمحبة فإن لم يكن آباء فعلى الأمهات فإن لم يكن فعلى الأولياء الأقرب فالأقرب فإن لم يكن فالإمام إن كان فإن لم يكن فعلى جميع المسلمين .

حكاية : جاءت امرأة إلى مسجد رسول الله ﷺ لسماع كلامه فلقبها شاب فتكلم معها، ثم قال : أين أنت ذاهبة؟ فقالت : إلى رسول الله ﷺ . فقال لها : أنت تحبينه؟ فقالت : نعم . فقال لها : بحقك عليك أن ترفعي نقابك . فرفعت حرمته له ﷺ فأخذ الشاب بطرف ذقنها . وقال لها : صدقت .

فندمت المرأة على ذلك . وأخبرت زوجها بذلك فدخل زوجها على النبي ﷺ وأخبره بالقصة . فقال له النبي ﷺ : أوقدا النار في التنور ثم مرها بحق النبي أن تدخل في النار . ففعل ثم أمرها بالدخول فكرهته . فقال لها : بحق النبي ﷺ فقالت : مرحباً وكرامة ، فدخلتها . فغطى رأس التنور عليها بغطاء . ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك . فقال له النبي ﷺ : ارجع وانظر إلى حالها . فرجع إليها فوجدها جالسة في وسط التنور وقد عرقت فأخرجها سالمة لم يصبها ألم النار بإذن الله تعالى . (وحب أهل بيته) قال الحفني : يحتمل أن المراد علي وفاطمة وابناهما^(١) ، وأن المراد جميع أقاربه أعني قريشاً ، وإن طلب محبة الأولين أكثر من غيرهم . وقال العلقمي : المراد بهم هنا جميع أهل بيته من زوجاته وجميع أصحابه المهاجرين والأنصار ، (وقراءة القرآن) أي تلاوته ومدارسته وحفظه عن ظهر قلب . ولما كان كثيراً ما يقع التقصير من الآباء في تعليم الأولاد القرآن لطول زمنه واحتياجه لمؤنة بخلاف ما قبله حث عليه ورغب فيه بقوله (فإن حملة القرآن) أي حفظته عن ظهر قلب المداومين لتلاوته العاملين بأحكامه يكونون (في ظل الله) أي في ظل عرشه تعالى (يوم لا ظل إلا ظله) أي يوم القيامة حين تدنو الشمس من الرؤوس أو في ظل شجرة جنة الله تعالى بعد دخولها . أو المراد الظل المعنوي أي في كنفه وحفظه ورضاه بأن يفرغ عليهم الرحمة والكمال ويؤمنهم من المكاره في ذلك الموقف (مع أنبيائه وأصفياؤه) الذين اختارهم من خلقه وارتضاهم لجواره وقربه . ولا يلزم من كونهم معهم في محل مراتبهم أن تكون رتبتهم مثلهم . وفي هذا الحديث وجوب تأديب الأولاد وأنه حق لازم فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه فقد أساء إليه . وأكثر عقوق الأولاد آخرأ بسبب الإهمال أولاً . ومن ثم قال بعضهم : لأبيه أضعتي وليداً فأضعتك شيخاً . (رواه أبو نصر عيد الكريم الشيرازي) في فوائده ، (والديلمي) في مسند الفردوس ، (وابن النجار) في تاريخه . وهو حديث ضعيف ، كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

٥٧ - (إذا أتى أحدكم أهله) أي جامع حليلته زوجة أو أمة (ثم أراد أن

(١) روي انه ﷺ قال : من أحبني وأحب هذين أي الحسن والحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة اهـ .

يعود) أي إلى الجماع . وفي رواية ثم بدا له أن يعود (فليتوضأ) بينهما أي الجماعين . قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى : المراد بالوضوء هنا وضوء الصلاة الكامل لما في رواية فليتوضأ وضوؤه للصلاة ولو عاد إلى الجماع من غير وضوء جاز مع الكراهة . ولا خلاف عندنا أن هذا الوضوء ليس بواجب . وبهذا قال مالك والجمهور . وذهب ابن حبيب من أصحاب مالك إلى وجوبه وهو مذهب داوود الظاهري . وقال العلامة الحفني : أصل السنة يحصل بالاستنجاء وأكمل منه الوضوء وأكمل منه الغسل . (رواه مسلم وغيره) كالإمام أحمد في مسنده ، والأربعة . (زاد ابن حبان وغيره) كالحاكم والبيهقي (فإنه أنشط للعود) أي أكثر نشاطه له وأعون عليه مع ما فيه من تخفيف الحدث لأنه يرفعه عن أعضاء الوضوء والمبيت على إحدى الطهارتين خوفاً من أن يموت في نومه . وأخذ منه أنه يسن للمرأة أيضاً والله أعلم .

٥٨ - (إذا أتى أحدكم أهله) أي أراد جماع حليلته (فليستتر) أي فليتغطى هو وإياها بثوب يسترهما . وخاطبه بالستر دونها لأنها يعلوها حال الجماع وإذا استتر الأعلى استتر الأسفل . (ولا يتجردان) خبر بمعنى النهي ، أي ينزعان الثياب عن عورتهم فيصيران متجردين عن يسترهما (تجرد العيرين) أي الحمارين . فالعيرين تثنية غير بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية الحمار الوحشي والأهلي . وذلك حياء من الله وأدباً مع الملائكة وحذراً من حضور الشيطان . وخص ضرب المثل بالحمار زيادة في التنفير واستهجاناً لذلك الأمر الشنيع لأنه أبلد الحيوانات وأعدمها فهماً وأقبحها فعلاً . والأمر للندب إن لم يكن ثم من ينظر للعورة فإنه مع الكشف مخل للمرأة ، ولو حبلت حينئذ فالولد غير مبارك فيه . وفي حديث الطبراني والبخاري تعليلاً للأمر بالستر بأنه إذا لم يستتر استحيت الملائكة فخرجت فإذا كان بينهما ولد كان للشيطان فيه نصيب . فإن كان ثم من يحرم نظره وجب الاستتار . وجزم الشافعية بحل نظر الزوج إلى جميع عورة زوجته حتى الفرج بل حتى ما لا يحل له التمتع به كحلقة دبرها ، وكما يندب الستر يندب تغطية الرأس وخفض الصوت ، لما روى الخطيب بسند ضعيف عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يغطي رأسه ويخفض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة . قال الغزالي رحمه الله تعالى : وينبغي أن يكون بينهما

التلطف بالكلام والتقبيل لما رُوي أن النبي ﷺ قال: لا يقعن أحدكم على أهله كما يقع الحمار ليكن بينهما رسول. قيل: وما الرسول؟ قال: القبلة والكلام اللين.

فائدة: يكره الجماع في أول ليلة من الشهر وليلة النصف واللييلة الأخيرة. يقال ان الشيطان يحضر فيها ويجامع أهله فيها. ويسن للمجامع إذا قضى وطره أن يستمهل على أهله حتى تقضي أيضاً نهمتها فلربما تأخر إنزالها عن إنزاله. وهذا الحديث (رواه ابن أبي شيبة والطبراني) في الكبير، (وابن ماجه وغيرهم) كالبيهقي في سننه، والنسائي. وهو حديث صحيح، كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

٥٩ - (إذا أتى أحدكم) أي أيها المخدومون (خادمه) بالرفع فاعل أجيراً كان أو مملوكاً أو متبرعاً ذكراً كان أو أنثى (بطعامه) ليأكله (قد كفاه علاجه) أي تحمل مشقة تحصيل الأنية ومزاولة عمله (ودخانته) بالتخفيف أي مقاساة شم لهب النار حال الطبخ. ونصّ عليه مع شمول ما قبله له لعظم مشقته (فليجلسه) ندباً ليأكل (معه) كفايته جبراً لخاطره، ومكافأة له على مقاساته حره وعلوجه وسلوكاً لسبيل التواضع المأمور به في الكتاب والسنة. وهذا هو الأفضل (فإن لم يجلسه) للأكل (معه) لعذر كقلة طعام أو لكون نفسه تعاف ذلك قهراً عليه ويخشى من إكراهها محذوراً أو لغير ذلك كمحبته للاختصاص بالنفيس أو لكون الخادم يكره ذلك حياءً منه أو تأدباً أو لكونه أمراً جميلاً أو امرأة أجنبية أو نحو ذلك. (فليناوله) ندباً مؤكداً من الطعام (أكلة أو أكلتين) بضم الهمزة، أي لقمة أو لقتمتين بحسب حال الطعام وحال الخادم ليرد ما في نفسه من شهوة الطعام. ومثل الخادم غيره ممن عالج في الطعام ومثل من عالج وطبخ غيره ممن أتى بالطعام أو وضعه من فوق رأس حامله أو كان حاضراً عند الأكل وإن لم يصنع شيئاً لوجود المعنى فيه. وهو تعلق نفسه به وشم ريحه. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: والحاصل أنه لا يستأثر على خادمه بشيء بل يشركه في كل شيء لكن بحسب ما يدفع به شرعيته. وقد نقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الخادم من غالب القوت الذي يأكل منه مثله في تلك البلدة. وكذلك القول في الأدم والكسوة. وأن للسيد أن يستأثر بالنفيس من ذلك وإن كان الأفضل أن يشرك معه الخادم في ذلك.

وهذا الحديث (رواه الشيخان) البخاري ومسلم في الصحيحين (و) رواه (غيرهما) كأبي داود الترمذي وابن ماجه .

٦٠ - (إذا أحببت رجلاً) لا تعرفه ولا يظهر منه ما تكره (فلا تماره) أي لا تجادله ولا تنازعه (ولا تشاره) بالتشديد أي لا تفعل به شراً فيفعل بك مثله وبالتخفيف أي لا تعامله بالبيع والشراء (ولا تسأل عنه أحداً) حيث لم يظهر لك منه ما تكره (فعسى) أي ربما (أن توافي) أي تصادف (له عدواً) أو حاسداً (فيخبرك) بالنصب (بما ليس فيه) مما يذم (فيفرق) بالنصب (ما بينك وبينه) بزيادة ما لأن هذا شأن العدو. وقد قال سبحانه وتعالى : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. وهذا أمر إرشاد يقضي الطبع السليم والذكاء المستقيم بحسنه . فينبغي للإنسان إذا أحب شخصاً أن لا يسأل عنه، وإذا أخبره إنسان عنه بشيء مكروه أن لا يبادر بمفارقتة بل يثبت ويفحص فربما كان المخبر عدواً. (رواه أبو نعيم) في الحلية. قال العلامة العزيري رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف

٦١ - (إذا أحسن الرجل) يعني الإنسان ذكراً كان أو أنثى (الصلاة) فأنتم ركوعها وسجودها) بأن أتى بها بشروطها، وهذا تفسير لقوله أحسن؛ وإنما اقتصر عليهما مع أن المراد إتمام جميع أركانها. لأن العرب كانت تأنف من الإنحناء لكونه يشبه عمل قوم لوط، فأرشدهم إلى أنه ليس من هذا القبيل (قالت الصلاة) بلسان الحال أو المقال (حفظك الله) أي أنزل عليك الرحمة والثواب (كما حفظني) بإتمام أركاني وإكمال إحساني بالتأدية بخشوع القلب وسكون الجوارح. وهذا من باب الجزاء من جنس العمل فكما أنه حفظ حدود الله فيها قابلته بالدعاء بالحفظ (فترفع) أي إلى عليين كما في خبر أحمد. وهو كناية عن القبول. وأخرج الطبراني مرفوعاً: إذا حافظ العبد على صلاته فأنتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له: حفظك الله كما حفظني. فيصعد بها إلى السماء ولها نور، حتى تنتهي إلى الله عز وجل أي إلى محل قربه ورضاه فتشفع لصاحبها. (وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة) بلسان الحال أو المقال (ضيعك الله) أي منع الرحمة والثواب عنك (كما ضيعتني) أي بعدم إتمام أركاني وإكمال إحساني. قال القرطبي: فمن لم يحافظ على ركوعها وسجودها لم يحافظ عليها، ومن

لم يحافظ عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . كما أن من حافظ عليها فقد حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة له (فتلف) عقب فراغه منها؛ كما تؤذن به فاء التعقيب . ويحتمل أن ذلك يكون في القيامة (كما يلف الثوب الخلق) بفتح المعجمة واللام أي البالي . (فيضرب بها وجهه)، قال الحفني رحمه الله تعالى: هو ظاهر على التجسيم وإلا فهو كناية عن الخيبة والحسران وحينئذ فقولُه وجهه أي ذاته .

تنبیه: قال الغزالي رحمه الله تعالى: ينبغي للإنسان إذا أقبل على الصلاة أن يحضر قلبه ويفرغه من الوسواس وينظر بين يدي من يقوم ومن يناجي ويستحي أن يناجيه بقلب غافل، وصدر مشحون، بوساوس الدنيا، وخبائث الشهوات، ويعلم أنه مطلع على سريره ناظر إلى قلبه. وإنما يقبل من صلاته بقدر خشوعه وتضرعه وتذللته فإن لم يحضر قلبه هكذا فهو لقصور معرفته بجلال الله تعالى. فيقدر أن رجلاً صالحاً من وجوه الناس ينظر إليه ليعرف كيف صلاته، فعند ذلك يحضر قلبه ويسكن جوارحه فإذا قدر اطلاع عبد ذليل لا ينفع ولا يضر يخشع له فلأن يخشع لخالقه أولى، فما أشد طغيانه وجهه .

حكايتان . الأولى: دخل عابد في الصلاة، فلما وصل إلى قوله تعالى إياك نعبد خطر بباله أنه عابد حقيقة، فنودي في سره كذبت إنما تعبد الخلق فتاب واعتزل عن الناس . ثم شرع في الصلاة فلما وصل إلى إياك نعبد، نودي كذبت إنما تعبد زوجتك فطلق امرأته . ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى إياك نعبد، نودي كذبت إنما تعبد مالك فتصدق بجميعه . ثم شرع في الصلاة فلما وصل إلى إياك نعبد، نودي ان صدقت فأنت من العابدين حقيقة .

الثانية: اتفق أن عصام بن يوسف بن يسي مجلس حاتم الأصم فأراد الاعتراض عليه، فقال له: يا أبا عبد الرحمن كيف تصلي؟ فحول حاتم وجهه إلى عصام وقال له: إذا جاء وقت الصلاة قمت فأتوضأ وضوءاً طاهراً ووضوءاً باطناً . فقال عصام: كيف الوضوء الباطن؟ فقال: أما الوضوء الظاهر فاغسل الأعضاء بالماء، وأما الوضوء الباطن فاغسله بسبعة أشياء بالتوبة والندامة وترك

حب الدنيا وثناء الخلق والرياسة والغل والحسد؛ ثم اذهب إلى المسجد فابسط الأعضاء فأرى الكعبة فأقوم بين حاجتي وحذري والله ناظري، والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت خلف ظهري، وكأني واضع قدمي على الصراط. وأظن أن هذه الصلاة آخر صلاة أصليها، ثم أنوي وأكبر بالإحسان وأقرأ بالتفكير وأركع بالتواضع وأسجد بالتضرع وأشهد بالرجاء وأسلم بالإخلاص، فهذه صلاتي منذ ثلاثين سنة. فقال له عصام: هذا شيء لا يقدر عليه غيرك وبكى بكاءً شديداً.

فائدة: قال في الحكم: أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته. وهذا الحديث (رواه الطيالسي) أبو داود وكذا الطبراني والبيهقي في الشعب، وهو حديث صحيح كما في العريزي.

٦٢ - (إذا أخذ) أي شرع (المؤذن في أذانه) أضافه إليه لإتيانه به وإلا فهو له ولغيره. والمراد الأذان المشروع والمؤذن الذي يصح أذانه ويحسنه، (وضع الرب يده) أي رحمته. أو هو على حذف مضاف أي وضع ملك الرب يده (فوق رأسه) أي المؤذن (فلا يزال كذلك حتى) أي إلى أن (يفرغ من أذانه) أي يتمه. (وأنه) أي المؤذن لا الشأن خلافاً للمناوي لتقدم المرجع. قال الحفني (ليغفر له) بضم التحتية والراء (مد صوته) أي مقداره من الفضاء بمعنى أنه لو كانت ذنوبه متجسمة ملء ذلك الفضاء لغفرت كلها أو المعنى يغفر له من الذنوب ما فعل له زمان مقدر بهذه المسافة. (فإذا فرغ) من أذانه (قال الرب) سبحانه وتعالى (صدق عبدي) فيما قاله، (وشهدت) أي يا عبدي ففيه التفات (بشهاد الحق) وهي أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهذا تصريح بما علم من قوله تعالى صدق عبدي (فابشر) أي بما يسرك من الثواب. وهذا في المحتسب ويحتمل العموم وفضل الله واسع. وفيه بيان فضل الأذان وكثرة ثوابه وندب رفع الصوت به ما أمكن بحيث لا يتأذى ولا يؤذي.

ومما جاء في فضله ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا قال المؤذن الله أكبر فتحت له أبواب السماء، فإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله تزينت له أبواب الجنة، فإذا قال أشهد أن محمداً رسول الله قالت الملائكة ارفع حاجتك إلى الله تعالى فإن الله تعالى يقضي لك الحوائج. (رواه الحاكم) في التاريخ،

(والدليمي) في مسند الفردوس، وكذا أبو نعيم وهو حديث صحيح كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

٦٣ - (إذا أخذت) أي أتيت (مضجعك) بفتح الجيم وكسرهما محل نومك يعني وضعت جنبك على الأرض لتنام (من الليل) قال العلامة الحفني وكذا النهار (فاقرأ) ندباً (قل يا أيها الكافرون) أي السورة التي أولها ذلك (ثم نم على خاتمتها) أي اجعلها آخر كلامك بأن لم تتكلم بعدها (فإنها) أي السورة المذكورة (براءة من الشرك) أي متضمنة للبراءة من الشرك وهو عبادة الأوثان. قال العلامة الحفني رحمه الله تعالى: فإذا مات حينئذ مات مسلماً خالصاً من أنواع الكفر اهـ.

ومن خواص هذه السورة الشريفة كما قال بعضهم أن من قرأها يوم الأحد عند طلوع الشمس عشر مرات وسأل الله حاجته قضيت بإذن الله تعالى. وسبب هذا الحديث عن نوفل وابن فروة قال: قلت يا رسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي. فذكره وعن جبلة بن حارثة قال: قلت يا رسول الله علمني شيئاً ينفعني الله به فذكره. (رواه الإمام أحمد) في مسنده، (والترمذي وغيرهما)؛ كأبي داود، والحاكم، والبيهقي، وابن قانع، والضياء. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

٦٤ - (إذا أردت) أي هممت (أن تفعل أمراً فتدبر عاقبته) بأن تتفكر وتتأمل وتدقق النظر في عواقبه لأن الهجوم على الأمور من غير نظر في العواقب موقع^(١) في المعاطب.

حُكي أن بعض الملوك كان يتخذ كل سنة وزيراً، فإذا مضت السنة عزله ونفاه في جزيرة وولى غيره إلى أن ولى وزيراً عاقلاً فبعث ذلك الوزير إلى تلك الجزيرة فبنى فيها داراً لنفسه ونقل إليها ما كان من الأموال. فلما تمت السنة لم يعزله الملك فسئل الملك عن ذلك. فقال: لأنني كنت محتاجاً إلى وزير عاقل ينظر في العواقب فما وجدت إلا من يراعي الحال ولا ينظر في

(١) قوله في المعاطب أي المهالك اهـ مؤلف.

العواقب. فكرهت أن أعجل عزله فصبرت على سوء تدبيره سنة فلما عزلته كرهت اختلاطه بالناس وهو مطلع على أسرار ملكي، فبعثته إلى الجزيرة. وأما هذا الرجل فوجدته مراعيًا للعواقب في جميع أموره فلست أستبدل به ما دام هذا تدبيره.

وروي أن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام أوصى ابنه شيئاً عند موته بخمسة أشياء وأمره أن يوصي بها بنيه من بعده، الأولى لا تطمئنوا بالدنيا فإني اطمأنت بالجنة فلم يرض ربي فأخرجني منها. والثانية لا تعملوا بهوى نسائكم، فإني عملت بهوى حواء وأكلت من الشجرة فلحقتني العبرة بفتح العين. أي دموع البكاء والندامة. والثالثة كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فإني لو نظرت عاقبة الأمر لم يصبني ما أصابني. والرابعة إذا اضطربت قلوبكم في فعل فاجتنبوه فإني حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجع فلحقتني الندم. والخامسة استشيروا في الأمور فإني لو شاورت الملائكة لم يصبني ما أصابني.

وقال بعضهم لأبي الدرداء أوصني فقال: اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء. وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير. (فإن كان خيراً) أي غير منهي عنه شرعاً (فامضه) أي افعله. (وإن كان شراً) أي منهيًا عنه شرعاً (فانته) أي كف عنه. وعبر بذلك دون لا تمضه إشارة إلى التباعد عن ذلك فإذا تحير سن له من يستخير أو أن يستشير. وقال الغزالي رحمه الله تعالى: إذا أردت أن تعرف خاطر الخير من خاطر الشر فزنه بأحد الموازين الثلاثة يظهر لك حاله، فالأول أن تعرض الذي خطر لك على الشرع فإن وافق حسنة فهو خير وإن كان بالضد فهو شر، فإن لم يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء؛ فإن كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وإلا فهو شر. وإن لم يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى فإن كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب فهو خير وإن كان مما تميل إليه ميل طبع لا ميل رجاء إلى الله وترغيب فهو شر. إذ النفس أمارة بالسوء لا تميل بأصلها إلى خير فتأخذ هذه الموازين وإذا نظرت وأمعت النظر تبين لك الخير من الشر. (رواه ابن المبارك) عبدالله الإمام المشهور في كتاب الزهد.

٦٥ - (إذا أردت أمراً) أي فعل شيء من المهمات^(١) وأشكل عليك وجهه (فعليك بالتؤدة) كهمزة أي التأنى والرزانة والتثبت وعدم العجلة، (حتى) أي إلى أن (يريك الله منه المخرج) بفتح الميم والراء أي المخلص. يعني إذا أردت أن تفعل شيئاً فأشكل عليك أو شق فتثبت ولا تعجل حتى يهديك الله إلى الخلاص منه. ولفظ رواية البيهقي حتى يجعل الله لك مخرجاً أو قال فرجاً.

تنبیه: يحتاج الرأي إلى أربعة أشياء: إثنان من جهة الزمان في التقديم والتأخير. أحدهما أن يعيد النظر فيما يريد ولا يعجل إمضاه. والثاني أنه لا يدافع به بعد إحكامه. وإثنان من جهة الناس أحدهما ترك الاستبداد بالرأي فإن الاستبداد به من فعل المعجب بنفسه. وقد قيل الأحمق من قطعه العجب بنفسه عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة. والثاني أن يتخير من يحسن مشاورته. ومن دخل في أمر بعد الاحتراز عن هذه الأربعة فقد أحكم تدبيره فإن لم ينجح عمله لم يلحقه ندمه. وسئل عن بعضهم ما أفضل ما أُعطيَ الرجل؟ قال: عقل كامل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأدب حسن. قيل: فإن لم يكن؟ قال: فصمت طويل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأخ صالح يستشيره قيل: فإن لم يكن؟ قال: فموت عاجل. ولذلك قيل: الناس ثلاثة: رجل وهو العاقل، ونصف رجل وهو من لا عقل له، ولكن يستشير غيره، ورجل لا شيء وهو من لا عقل له ولا يستشير غيره.

ومن ذلك ما قيل أن ملكاً أرسل خلف حجام ليفصده فلقيه ابن عم الملك، فقال له: أفصده في موضع يكون فيه هلاكه ولك علي ألف دينار. فلما جاء عند الملك تفكر في عاقبة أمره بواسطة عقله. فرآه الملك متفكراً فسأله فأخبره بالقصة، فأعطاه عشرة آلاف دينار، وضرب عنق ابن عمه لعدم عقله وعدم مشاورته. وهذا الحديث (رواه البخاري في الأدب، والبيهقي) في شعب الإيمان، وكذا الطيالسي، والخرائطي، والبغوي، وابن أبي الدنيا.

قال العريزي: وإسناده حسن.

(١) قوله وأشكل أي التبس اهـ.

٦٦ - (إذا أردت أن يحبك الله فابغض الدنيا) التي منذ خلقها لم ينظر إليها بغضاً لها لحقارتها عنده بحيث لا تساوي جناح بعوضة . والمراد إكراهه بقلبك ما نهيت عنه منها وتجاوفاً عنها واقتصر على ما لا بد منه . (وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك من فضولها) بضم الفاء أي بقاياها الزائدة على ما يحتاجه لنفسك وممونك بالمعروف (فانبذه) بالوصل من نبذ . أي ألقه واطرحه (إليهم) فإنهم كالكلاب لا ينازعونك ولا يعادونك إلا عليها . فمن زهد فيما في أيديهم وبذل لهم ما عنده وتحمل أثقالهم ، ولم يكلفهم أثقاله ، وكف أذاه عنهم ، وتحمل أذاهم وأنصفهم ولم ينتصف منهم وأعانهم ولم يستعن بهم ونصرهم ولم ينتصر بهم أجمعوا على محبته .

وقال العلامة السحيمي رحمه الله تعالى في شرحه على الأربعين :
وسبب هذه المحبة أن القلوب مطبوعة على حب الدنيا ومن نازع إنساناً في محبوبه كرهه ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه .

ولهذا قال الحسن : لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم فيستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه . ومن ثم قيل :
كن زاهداً فيما حوته يد الورى تضحى إلى كل الأنام حبيباً
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم فبدا مقيماً في البيوت رقيباً

وقال إعرابي لأهل البصرة : من سيدكم؟ قالوا : الحسن . قال : بم سادكم؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمه ، واستغنى هو عن دنياهم . فقال : ما أحسن هذا .

وقال العارف أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : دخل عليّ بالمغرب بعض الكبراء فقال : ما أرى لك كبير عمل فبم فقت الناس وعظموك؟ فقلت : بخصلة واحدة افترضها الله على نبيه تمسكت بها : الاعراض عنهم وعن دنياهم . قال تعالى : فأعرض عن تولى عن ذكرنا . أي القرآن . وقال بعضهم : ليس مهر من مهور الجنة أحب إلى الحور العين من إعراض العبد عن الدنيا . وليس للعبد وسيلة عند الله أعظم من إعراضه عن نفسه .

قال الفقيه بن عياض رحمه الله تعالى : جعل الله الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد . وجعل الله الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه حب الدنيا .

وقال بعضهم: أسرع المطايا إلى الجنة الزهد في الدنيا، وأسرع المطايا إلى النار حب الشهوات.

وسئل السيد الجليل معروف الكرخي نفعنا الله به عن الطائعين بم قدروا على الطاعة؟ قال: بإخراج الدنيا من قلوبهم.

وقال بعضهم أن إبليس يعرض الدنيا كل يوم على الناس ويقول من يشتري شيئاً يضره ولا ينفعه، ويهمه ولا يسره. فيقول أصحابها وعشاقها: نحن. فيقول: ان ثمنها ليس دراهم ولا دنانير وإنما هو نصيبكم من الجنة فإن أشتريتها بأربعة أشياء: بلعنة الله، وغضبه، وسخطه، وعذابه، وبعث الجنة بها. فيقولون: رضينا بذلك. فيقول: أريد أن أربح عليكم فيها. فيقولون: نعم. فيبيعهم إياها ثم يقول: بثت التجارة.

وهذا الحديث من أمهات الأحاديث التي بنى عليها الصوفية طريقتهم إذ هو يوصل لمحبة الله ومحبة الناس والسعي في نفعهم. ومن وفق للعمل به ارتاح قلبه وبدنه واستقام حاله وهانت عليه المصائب.

وسببه عن ربعي بن حراش قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس، فذكره (رواه الخطيب) في تاريخه، وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي.

٦٧ - (إذا أردت) أي هممت (أن تذكر عيوب غيرك) أي تتكلم بها أو تحدث بها نفسك (فأذكر عيوب نفسك) يعني إذا^(١) سولت نفسك لك ذلك فامنعها بإشغالها بعيوبك بأن تذكرها وتستحضرها في ذهنك وتجريها على قلبك مفصلة عيباً عيباً؛ فإن ذلك يكون مانعاً لك من الوقعة في الناس.

قال في الحكم: تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير لك من تطلعك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

وقال ذو النون: من نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه. ومن اهتم بالجنة والنار شغل عن القيل والقال.

(١) قوله سولت أي زينت اهـ.

وقال ابن عربي : من عيب الناس بما يكرهون وإن كان حقاً دل على جهله وسوء طباعه وقلة حياته من الله فإنه قلما سلم في نفسه من عيب. فلو اشتغل بالنظر في عيوب نفسه شغله ذلك عن عيب غيره، ومن تتبع أمور الناس اشتغل بما لا يعنيه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. وما أحسن ما قيل :

لا تلمس من مساويء الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً من مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيك

وقال المشايخ : من علامات الاستدراج للعبد نظره في عيوب الناس، وعماه عن عيوب نفسه. وقالوا : ما رأينا شيئاً أحبط للأعمال ولا أفسد للقلوب ولا أسرع في هلاك العبد ولا أقرب من المقت. ولا ألزم لمحبة الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفة العبد عيوب نفسه، ونظره في عيوب الناس. أي بل إذا اطلع على عيب في أخيه حملة على وجه جميل ما يمكن واتهم نفسه في ذلك وقال إنما ذلك العيب فيّ.

وحكي أن رجلاً صحب إبراهيم بن أدهم فلما أراد أن يفارقه قال له : لم لم تنبهي على ما فيّ من العيب؟ فقال له : يا أخي إنني لم أرك عيباً، لأنني لحظتك بعين الوداد فاستحسنت منك ما رأيت فسل غيري عن عيبك. وهذا الحديث (رواه الرافعي) الإمام عبد الكريم القزويني في كتاب قزوين، ورواه البخاري في الأدب، والبيهقي في الشعب. وهو حديث ضعيف كما في شرح العريزي.

٦٨ - (إذا استعطرت المرأة) أي استعملت العطر أي الطيب الذي يظهر ريحه في بدنها أو ملبوسها، (فمرت على القوم) أي الرجال (ليجدوا) أي لأجل أن يشموا (ريحها) أي ريح عطرها (فهي زانية) أي هي بسبب ذلك متعرضة للزنا ساعة في أسبابه داعية إلى طلابه. ومثل مرورها بالرجال قعودها في طريقهم ليمروا بها. وفيه أن ذلك بالقصد المذكور كبيرة فتفسق به ويلزم الحاكم المنع منه. (رواه الثلاثة) : أبوداودودو والترمذي، والنسائي. قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى : وهو حديث حسن.

٦٩ - (إذا استيقظ) أي انتبه (الرجل) من نومه (من الليل) يحتمل أن

تكون من تبعيضية أو بمعنى في أو لابتداء الغاية (وأيقظ أهله) قال الحفني رحمه الله تعالى: أي حليلته من زوجة وأمة أو غير أهله، إذ القصد تنبيه الغير لفعل الخير، (وصليا) بألف التثنية. وفي رواية فقاما وصليا (ركعتين) فأكثر نفلاً أو فرضاً (كُتِباً) أي أمر الله تعالى الملائكة بكتابتها (من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات) الذين أثنى الله عليهم في القرآن وعدهم بالغفران. بقوله: أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً.

أي يلحقان بهم ويبعثان يوم القيامة معهم، ويعطيها ما وعدوا به، ومن تبعيضية. فتفيد أن الذاكرين أنواع أعلاهم الذاكر للحضرة القدسية بأن لا يفتقر طرفه عين. ومنهم المداوم على التفكير في مصنوعاته تعالى. ومنهم المشتغل بالذكر بلسانه. ويدخل فيهم المشتغل بعلوم الشرع وآلاته. (رواه أبو داود والنسائي وغيرهما) كابن ماجه، وابن حبان، والحاكم. وهو حديث صحيح كما في شرح العريزي.

٧٠ - (إذا استيقظ أحدكم) قال المناوي رحمه الله تعالى: أي رجعت روحه لبدنه بعد نومه؛ (فليقل) ندباً (الحمد) أي الثناء (لله الذي رد عليّ روحي)، أي إحساسي وشعوري والنوم أخو الموت. قال الله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. الآية. ومن ثم قيل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل، (وعافاني) أي سلمني من الآفات والبلاء (في جسدي) أي بدني يقول ذلك وإن كان مريضاً أو مبتلي لأنه ما من مرض أو بلاء إلا وشم أشد منه، (وأذن لي بذكره) أي فيه بأن أيقظ قلبي وأجرى لساني به، ويزيد وأوعدني^(١) بالثواب على ذلك.

كما جاء في حديث آخر قاله الحفني رحمه الله تعالى، وفيه ندب الذكر عند الانتباه من النوم وأفضله المأثور وهو كثير ومنه هذا المذكور.

ومنه ما روي عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً من انتبه من نومه، فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. نظر الله إليه، فإن توضع غفر له: فإن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة

(١) (قوله وأوعدني) كذا في الحفني ولعله ووعدني لأن أوعد للشر ووعد للخير كما في قوله.

* وإني وإن أوعدته أو وعدته، الخ اهـ.

وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد إحدى عشر مرة. غفر الله له البتة. قال
عكرمة: والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من ابن عباس. وقال ابن عباس:
والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من رسول الله ﷺ. وقال النبي ﷺ: والله
الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من جبريل. وقال جبريل: والله الذي لا إله إلا
هو لقد قال الله ذلك. وهذا الحديث (رواه ابن السني) في عمل يوم ليلة
وهو حديث حسن، كما في شرح العزيز رحمه الله تعالى.

٧١ - (إذا اشتكيت) أي مرضت (فضع يدك) واليمنى أولى (حيث
تشتكي) أي على الموضع الذي يؤلمك ولعل حكمة الوضع أنه كبسط اليد
للسؤال. (ثم قل) ندباً (بسم الله) قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى:
ظاهره أنه لا يزيد الرحمن الرحيم ويحتمل أن المراد آية البسمة بكمالها،
(أعوذ) أي أعتصم. (بعزة الله) أي قوته وعظمته، (وقدرته من شر ما أجد)
زاد في رواية لابن ماجه وأحاذر (من وجعي) أي مرضي أو ألمي (هذا ثم
ارفع يدك ثم أعد ذلك) أي الوضع والتسمية والاستعاذة بهذه الكلمات (وتراً)
أي ثلاثاً أو سبعاً. يعني فإن ذلك يزيد الأمل أو يخففه بشرط قوّة اليقين وصدق
النية ومحل كونه يقول ذلك ان كان أهلاً للقول فإن كان عاصياً أو طفلاً صغيراً
فليقله له آخر ويقول بنية صادقة من شر ما يجد من وجعه هذا، ويحاذر.
وهذا الحديث الشريف من الطب الروحاني، وقد (رواه الترمذي والحاكم). وهو
حديث حسن كما في شرح العزيزي.

٧٢ - (إذا أصاب أحدكم مصيبة) أي شدة ونازلة، وهي وقوع ما لا
يوافق غرض النفس من المكروه. (فليقل) ندباً أي عند نزولها أو بعد نزولها
لكن الأول أكد. وعند المصيبة الأولى أكد. (إنّا لله) أي نحن وأموالنا وأهلونا
عبيد لله يصنع فينا ما يشاء، (وإنّا إليه) أي إلى انفراده بالحكم. كما كان أول
مرة (راجعون) بالبعث والنشور. ففي إنّا لله إقرار له بالعبودية، وفي وإنّا إليه
راجعون إقرار له بالبعث والنشور.

وقال أبو بكر الوراث: إنّا لله إقرار له بالملك، وإنّا إليه راجعون إقرار
على أنفسنا بالهلك.

فائدة: قال سعيد بن جبیر: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم

يعطه الأنبياء قبلها وهو إنا لله وإنا إليه راجعون. ولو أعطيه الأنبياء لأعطيه يعقوب، إذ يقول: يا أسفا على يوسف.

واعلم أن في هذه الكلمة الشريفة فوائد للمصاب منها الاشتغال بها عن كلام لا يليق، ومنها أنها تسلي قلب المصاب وتقلل حزنه، ومنها أنها تقطع عمل الشيطان في أن يوافق في كلام لا يليق، ومنها أنه إذا سمعه غيره اقتدى به، ومنها أن هذا القول مذكور له التسليم لقضاء الله وقدره. (اللهم عندك) قدم للاختصاص أي لا عند غيرك فإنه لا يملك النفع والضرر إلا أنت. (أحتسب مصيبي) أي أدخر ثوابها في صحائف حسناتي، (فأجرني) بالمد والقصر أي أثني (فيها) أي عليها (وأبدلني بها خيراً منها)، يعني المصيبة. أي اجعل بدل ما فات شيئاً آخر أنفع منه.

وورد في الحديث الشريف: ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول: اللهم أجرني في مصيبي وأخلفني خيراً منها. إلا أخلف الله له خيراً منها.

وفي الحديث من استرجع عند المصيبة، أي أو عند ذكرها، كما أفاده حديث آخر، جبر الله مصيبتيه أي رد عليه ما ذهب منه، وعوضه، وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه. وفيه من صبر على الطاعة كانت له مائة حسنة، وعلى المصيبة كانت له ستمائة. أي بأن لا يرتكب ما نهى الله عنه من الجزع ويقول امتثالاً لأمر الله إنا لله وإنا إليه راجعون. فيكون حينئذ جامعاً بين الصبر على الطاعة، وعلى المصيبة. ثم إن هذا الحديث كما قال ابن القيم من أبلغ علاج المصائب لتضمنه لأصلين عظيمين إذا استحضرهما المصاب سهلاهما وهما أن العبد وملكه ملك الله حقيقة وهو عند العبد عارية، وإن مرجع العبد إلى مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراءه ويأتيه فرداً. (رواه أبو داود والترمذي وغيرهما) كالحاكم، وابن ماجه، وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي.

٧٣ - (إذا أصاب أحدكم هم) أي حزن وقيل الهم الحزن العظيم (أولأواء) بفتح اللام وسكون الهمزة والمد. أي شدة وضيق معيشة. (فليقل) ندباً (الله الله) كرهه استلذاً إذ يذكره واستحضاراً لعظمته وتأكيذاً للتوحيد فإنه الإسم الجامع لجميع الصفات الجلالية والجمالية والكمالية، (ربي) أي

المحسن إلي بإيجادي من العدم، وتوفيقى لتوحيده، وذكره، والمربي لي بجلائل نعمه والمالك الحقيقي لشأني كله (لا أشرك به شيئاً)، في رواية لا شريك له، أي في كماله وجلاله وجماله وما يجب له، ويستحيل عليه، والمراد أن ذلك يفرج الهم والغم والضنك والضيق إن صدقت النية وخلصت الطوية. كما وقع أن عبد الرحمن بن زياد أسرته الروم في جماعة في البحر، وساروا به إلى قسطنطينية. فرفعوا إلى الملك فأمر بقتلهم فضرب السياف عنق واحد واحد حتى قرب من عبد الرحمن، فحرك شفتيه فقال: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً. فقال الملك: قدموا شماس العرب أي عالمهم. فقال: ما قلت؟ فأعلمه. فقال: من أين علمته؟ فقال: نبينا أمرنا به. فقال: وعيسى أمرنا بهذا في الإنجيل. فأطلقه ومن معه. وبالجمله فهذا الحديث من أدعية الكرب، فينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وأكمل أدعية الكرب ما قاله شيخنا جامعاً له من الأحاديث، فقال: يقال عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت الله الله ربي لا أشرك به شيئاً. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً. ويقرأ آية الكرسي وخواتيم البقرة. (رواه الطبراني في الأوسط، وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى).

٧٤ - (إذا أصاب أحدكم مصيبة) أي هم أو عدم نفع ونحو ذلك كالموت وغيره (فليذكر) أي يتذكر (مصيبته بي) أي يفقدي (فإنها من أعظم) وفي رواية من أشد (المصائب) بل هي أعظمها بدليل خبر ابن ماجه أن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتى. وكونها أعظم لا ينافي كونها من أعظم إذ بعض الأعظم قد يكون أعظم بقية أفراده. ألا ترى إلى قول أنس رضي الله تعالى عنه: كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقاً مع

كونه أحسنهم خلقاً إجماعاً. ولم يتبته لهذا من تكلف وزعم زيادة من وإنما كانت أعظم المصائب لانقطاع الوحي وظهور الشر بارتداد العرب وتحزب المنافقين. وكان موته ﷺ أول نقصان الخير، وترتب عليه نقص الأنوار التي في قلوب الصحابة رضي الله تعالى عنهم بسبب طلعتة ﷺ. ولهذا قال أنس رضي الله تعالى عنه: ما نفطنا أيدينا من التراب من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. أي لم نجد فيها من النور ما كان قبل موته ﷺ. ولا ينافي كون موته ﷺ أعظم المصائب بسبب انقطاع الخير المذكور ما روى مسلم أن النبي ﷺ قال: إن الله إن أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله فرطاً وسلفاً بين يديها. لأن الجهة مختلفة إذ كون موته ﷺ يترتب عليه انقطاع الخير المذكور لا ينافي أنه يخلفه خير غيره وهو تهيوء المراتب لأمته، والاستغفار لهم إذا عرضت عليه سيئاتهم. فموته ﷺ قبل أمته خير بهذا الاعتبار.

قال المناوي رحمه الله تعالى: ومقصود الحديث أن تذكر المصائب وقوع المصيبة العظمى العامة بفقد المصطفى ﷺ يهون عليه ويسليه اهـ.

وقد ورد في حديث: من عظمت مصيبتة فليذكر مصيبتة بي فإنها ستهون عليه.

حكاية: قال ابن السماك رحمه الله تعالى: كان رجل يجلس إليّ فبلغني أنه شاك. فأتيته أعوده فإذا هو قد نزل به الموت وإذا أم له عجوز كبيرة عنده، فجعلت تنظر إليه حتى غمض وعصب وسجى. فقالت: رحمك الله يا بني لقد كنت بنا براً وعلينا شفوفاً فرزقنا الله عليك الصبر. فقد كنت تطيل القيام، وتكثر الصيام، ولا أحرمك الله ما أملت من رحمته، وأحسن عنك العزائم. ثم نظرت إليّ وقالت: أيها العائد لو بقي أحد لأحد. فقلت في نفسي أنها ستقول لبي لي ابني لحاجتي إليه. فقالت: لبي رسول الله ﷺ لأمته، فخرجت وأنا أقول ما رأيت امرأة أكمل منها ولا أجزل. وما أحسن ما كتب به بعضهم لأخيه، يعزیه في ابن له يقال له محمد ويسليه:

اصبر لكل مصيبة وتجدد واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت محمداً ومصابه فاذكر مصابك بالنبي محمد

(رواه ابن عدي) في الكامل، (والبيهقي) في شعب الإيمان،

(والطبراني) في الكبير. وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيري.

٧٥ - (إذا أصبحتم فقولوا) ندباً (اللهم بك أصبحنا)، قال الحفني رحمه الله تعالى: خبر أصبحنا متعلق بك المحذوف على حذف مضاف. أي أصبحنا ملتبسين بنعمتك اهـ. وكذا يقال في قوله (وبك أمسينا)، أي أمسينا ملتبسين بنعمتك أو بحياطتك وحفظك (وبك نحيا وبك نموت)، أي إحيائنا وإماتتنا بقدرتك لا بقدرة غيرك (وإليك المصير). أي المرجع. قال الحفني: وفي هذه الرواية اختصار؛ وفي رواية زيادة: وإذا أمسيتم فقولوا اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا الخ بتقديم المساء.

تنبيه: قال العزيري نقلاً عن العلقمي: والصبح عند العرب من نصف الليل الأخير إلى الزوال، ثم المساء إلى آخر نصف الليل الأول، ومن فوائده أنه يشرع ذكر الألفاظ الواردة في الأذكار المتعلقة بالصبح والمساء. أما التي فيها ذكر اليوم واللييلة فلا يتأتى فيها ذلك إذ أول اليوم شرعاً من طلوع الفجر واللييلة من غروب الشمس (رواه ابن ماجه، وابن السني) في عمل يوم ولييلة. قال العزيري رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن.

٧٦ - (إذا اضطجعت) أي وضعت جنبك أو ظهرك على الأرض (فقل:) ندباً (بسم الله) أي أضع جنبي والأكمل كمالها. قال الحفني رحمه الله تعالى: وقدم البسمة هنا لأن المقصود بالذات التعوذ بخلاف تقديم التعوذ في القراءة. فإن المقصود بالذات القراءة من بسمة أو غيرها (أعوذ) أي أعتصم (بكلمات الله) أي كتبه المنزلة على رسله أو صفاته. وقد جاءت الاستعاذة بها في خبر أعوذ بعزة الله وقدرته، (التامة)، أي الخالية عن النقائص والاختلاف والتناقض.

وقيل معنى التمام هنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات (من غضبه) أي انتقامه ممن عصاه، لأن المبدأ محال عليه تعالى فقوله: (وعقابه)، عطف تفسير، (ومن شر عباده) من أهل الأرض وغيرهم، (ومن همزات الشياطين) أي نزغاتهم ووساوسهم، (وان يحضرون) أي يحومون^(١)

(١) قال في المختار حام الطائر وغيره حول الشيء دار به اهـ.

حولي في شيء من أموري، لأنهم إنما يحضرون بسوء، قال الحفني رحمه الله تعالى: وإذا قال شخص ذلك أمن من كل شر حتى من لدغ العقرب والثعبان فإن أصابه فمن عدم إخلاص نيته. (رواه أبو نصر) محمد بن إسحق (السجزي) بكسر المهملة. أوله في كتاب الإبانة عن أصول الديانة. وهو حديث حسن، كما في شرح العلامة العريزي رحمه الله تعالى.

٧٧ - (إذا أعطيتم الزكاة) المالية أو البدنية (فلا تنسوا ثوابها) أي لا تتركوا ما يتم ثوابها من الدعاء، واستعمال تنسوا بمعنى تتركوا مجاز نظير ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تتركوه وقوله (أن تقولوا) مؤول بمصدر خبر^(١) عن مبتدأ محذوف أي وهو قولكم (اللهم اجعلها) لي (مغنياً) أي غنيمة مدخرة في الآخرة، (ولا تجعلها مغماً) أي لا تجعلني أرى إخراجها غرامة أغرمها. ويسن أن يقول مع ذلك ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وهذا التقدير كله بناء على أن أعطيتم مبني للفاعل، ويصح بناؤه للمفعول. ويكون المأمور بالدعاء المستحقين الآخذين للزكاة فيسن لهم الدعاء للمخرج بأن يقولوا اللهم اجعلها له مغنياً ولا تجعلها عليه مغماً. (رواه ابن ماجه، وأبو يعلى) في مسنده. وهو حديث ضعيف، كما في شرح العريزي.

٧٨ - (إذا أفطر أحدكم) أي دخل وقت فطره من صومه (فليفطر) ندباً (على تمر) أي بتمر. والمراد جنس التمر فيصدق^(٢) بالواحدة والسبع أفضل وأولاه العجوة وهذا عند فقد الرطب، فإن وجد فهو أفضل. ولهذا قال العلامة الحفني رحمه الله تعالى: والأفضل الرطب ثم العجوة^(٣) ثم البسر ثم التمر ثم الماء ثم كل شيء حل، خلافاً لمن قدم الحلو على الماء قياساً على التمر. ومنع القياس بأن خصوصية التمر وهي قوة البصر التي ضعفت بالصوم لا توجد في غيره من نحو الزبيب والعسل (فإنه) أي الإفطار على ذلك (بركة) أي زيادة ثواب. فالأمر به شرعي، وفيه شوب إرشاد. لأن الصوم ينقص البصر

(١) قوله خبر عن مبتدأ محذوف) ويصح أن يكون بدلاً من قوله ثوابها بدل كل من كل اهـ.
(٢) قوله فيصدق بالواحدة) كذا في العريزي وفيه أن لفظ تمر اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء وأقل ما يصدق عليه ثلاث اهـ.
(٣) قوله العجوة من أجود التمر بالمدينة اهـ مختار والبسر البلح الشيص اهـ جامعه عفا الله عنه.

ويفرقه والتمر يجمعه ويرد الذاهب لخاصية فيه . ولأن التمران وصل إلى المعدة وهي خالية أغذى، وإلا أخرج بقايا الطعام، (فإن لم يجد تمراً) يعني لم يتيسر له (فليفطر على الماء) القراح^(١) (فإنه طهور)، بفتح الطاء، أي مطهر محصل للمقصود مزيل للوصال الممنوع .

فائدة: يسن للصائم أن يقول عقب فطره اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت . ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله، يا واسع الفضل اغفر لي الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت . اللهم وفقنا للصيام وبلغنا فيه القيام . وأعنا عليه والناس نيام وأدخلنا الجنة بسلام . وهذا الحديث (رواه الإمام (أحمد) في مسنده، (والأربعة) أبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه (و) رواه (غيرهم) كابن خزيمة وابن حبان . قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى : وهو حديث صحيح .

٧٩ - (إذا أقرض أحدكم أخاه) أي في الدين قال العريزي وكذا الذميّ (قرضاً) قال الحفني : اسم مصدر بمعنى الإقراض فيكون مؤكداً لعامله أو بمعنى اسم المفعول أي شيئاً مقروضاً (فأهدى) أي الأخ المقرض (إليه) أي إلى الأحد المقرض (طبقاً) محرکاً ما يؤكل عليه أو فيه ويحتمل إرادة المظروف أي شيئاً في طبق (فلا يقبله) أي لا يقبل الأحد المقرض الطبق الذي أهده له الأخ المقرض . فالضمير الفاعل في لا يقبله عائد إلى أحد والضمير المنصوب عائد إلى الطبق (أو حملة) أي أراد المقرض أن يحمل المقرض أو يحمل متاعاً له (على دابته) أي دابة المقرض (فلا يركبها) أي لا يستعملها بركوب ولا غيره (إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك) أي القرض، والنهي للتحريم إن شرط ذلك في العقد لأنه ربا . وإلا فهو منزل على الورع أي فهو خلاف الأولى، كما قاله العريزي . وصرح المناوي بأنه يجوز بل يندب للمقرض الزائد وللمقرض قبوله حيث لا شرط والورع تركه . (رواه سعيد بن منصور) في سننه، (وابن ماجه، والبيهقي) في سننه . قال العلامة العريزي رحمه الله : وهو حديث حسن .

(١) بالفتح أي الذي لا يشوبه شيء اه مختار .

٨٠ - (إذا أفلَّ الرجل) أي الشخص (الطعم) بالضم أي الأكل بصوم أو غيره (مُليء) بالبناء للمفعول والفاعل^(١) الله ويمكن بناؤه للفاعل أي ملاء الرجل (جوفه نوراً) أي تسبب في ملء باطنه بالنور. فقلة الأكل محمودة شرعاً. قال الله تعالى: وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين. وفي الحديث: جاهدوا أنفسكم بالجوع. فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله. وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: دخلت على النبي ﷺ فوجدته يصلي جالساً. فسألت عن ذلك فقال: من الجوع. فبكيت. فقال: لا تبك فإن شدة القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسبه.

وقال ﷺ: أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعاً وتفكيراً، وأبغضكم إلى الله كل نوام أكل شروب.

وقال ﷺ: الأكل في اليوم مرتين من الإسراف، والله لا يحب المسرفين.

وقال ﷺ: سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الأشرطة، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون^(٢) في الكلام، أولئك شرار أمتي. ومن فوائد الكلام ما دار على السنة الأنام: من غرس الطعام جنى ثمرة الأسقام. ومن الأمثال: كل قليلاً تعش طويلاً. ومنها: أقلل طعاماً تحمد مقاماً. ومنها: البطنة^(٣) تذهب الفطنة.

وذكر الغزالي رحمه الله تعالى، في الاحياء: ان الأكل على الشبع يورث البرص، وقيل أن التخمة من كثرة الأكل وذلك من أعظم المضرات للبدن. وحث رجل آخر على الأكل من طعامه، فقال: عليكم تقريب الطعام وعلينا تأديب الأجسام؛ وإنما كان الجوع يورث تنوير الجوف لأنه يورث صفاء القلب وتنوير البصيرة ورفق القلب حتى يدرك لذة المناجاة، وذلك النفس وزوال البطر والطغيان. وذلك سبب لفيضان النور. والجوع هو أساس طريق

(١) قوله والفاعل الله) ويجوز أن يكون ضميراً للرجل اهـ.

(٢) قوله ويتشدقون) قال في القاموس تشدق لوى شدقه للتفصح اهـ.

(٣) عبارة المختار البطنة الامتلاء الشديد من الطعام. يقال ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها والخمصة الجوعة اهـ مؤلفه.

القوم، وفي إفهامه أن كثرة الأكل تملؤه ظلمة فيكون فاعل ذلك حمالاً للطعام، مضيعاً للأيام. قال الغزالي رحمه الله تعالى: علمنا يقيناً بل رأينا عياناً أن العبادة لا يجيء منها شيء إذا امتلأ البطن فإن أكرهت النفس على ذلك وجادتها بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة. ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة في العباد مع كثرة الأكل.

وقال الكنانى: كنت أنا وعمر والمكي وعياش نصطحب ثلاثين سنة نصلي الغداة بوضوء العصر، ونحن على التجريد، مالنا ما يساوي فلساً. فقيم ثلاثة أيام وأربعة وخمسة لا نأكل شيئاً ولا نسأل. فإن ظهر لنا شيء وعرفنا حله أكلنا، وإلا طوينا. فإذا اشتد الجوع وخفنا التلف أتينا أبا سعيد الخراز فيتخذ لنا ألواناً كثيرة. ثم نرجع إلى ما كنا عليه. (رواه الديلمي) في مسند الفردوس. قال العزيزي: وهو حديث ضعيف.

٨١ - (إذا أقيمت الصلاة) أي إذا نادى المؤذن بالإقامة فأقيم المسبب مقام السبب، ونبه بالإقامة على ما سواها، لأنه إذا نهى عن إتيانها سعيًا حال الإقامة مع خوف فوت بعضها فقبل الإقامة أولى، (فلا تأتوها وأنتم تسعون) أي تهرولون وإن خيف فوت تكبيرة الإحرام. نعم إن خيف فوت الوقت وجب التهرول والنهي عن إتيانها سعيًا سواء فيه صلاة الجمعة وغيرها. وأما قوله تعالى: فاسعوا إلى ذكر الله، فليس المراد به الإسراع بل الذهاب، (وأتوها) وفي رواية ولكن اتوها (وأنتم تمشون) أي بهينة (وعليكم السكينة) أي الزموا السكينة، وهي المشي بدون التفات مع غض البصر وعدم العبث وخفض الصوت، (فما) أي فإذا فعلتم ما أمرتم به من السكينة والمشى بهينة فما (أدركتم) أي مع الإمام في الصلاة فصلوا (معه) وما فاتكم (منها فأتوا) أي فأتوه يعني أكملوه وحدكم، وقد حصلت لكم فضيلة الجماعة بالجزء المدرك. وعلم من ذلك أن ما أدركه المسبوق أول صلاته إذ الإتمام إنما يقع على باقي شيء تقدم وعليه الشافعية. وقال الحنفية آخر صلاته بدليل رواية فاقضوا بدل فأتوا فيجهر في الركعتين الآخرتين عندهم لا عند الشافعية. وفيه أنه يندب لقاصد الجماعة المشي إليها بسكينة ووقار وإن خاف فوت التحرم وأن لا يعبث في طريقه إليها ولا يتعاطى ما لا يليق بها. لخبر مسلم ان أحدكم

في صلاة ما دام يعمد^(١) إلى الصلاة. وإذا أقيمت الصلاة وكان حاضراً فيندب له أن يبادر بتكبيرة الإحرام عقب الإمام، ويكره له أن ينتقل حينئذ لثلاث يفتوته فضل تحرمه مع الإمام الذي هو أكثر من ثواب النافلة. ولذا جاء رجل عامي فرأى الإمام أبا يوسف يشرع في نفل عند إقامة الصلاة، فقال له ولم يعرف مقامه: يا جاهل ما فاتك من ثواب فرضك أكثر مما شرعت فيه (رواه الشيخان البخاري، ومسلم في الصحيحين، (و) رواه (غيرهما) كالإمام أحمد في مسنده، وأبي داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجه.

٨٢ - (إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء) بفتح العين المهملة والمد، ما يؤكل آخر النهار. والمراد بحضوره وضعه بين يدي الأكل أو قرب حضوره لديه وقد تآقت^(٢) نفسه له، (فابدؤا) ندباً (بالعشاء) ان اتسع الوقت فيأكل لقيمات يكسر بها حدة الجوع على وجه. لكن الأصح أنه يأكل حاجته. وذلك لما في تركه من فوت الخشوع أو كماله. وهذا وإن ورد في صلاة المغرب لكنه مطرد في كل صلاة نظراً للعلة وهي خوف فوت الخشوع. فلو حضر الأكل عند إرادة صلاة الظهر مثلاً وتآقت نفسه له بدأ به. (رواه الشيخان وغيرهما) كالإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني في الكبير.

٨٣ - (إذا أكل أحدكم) أي أراد أن يأكل (طعاماً) مثل الأكل الشرب بدليل خبر الديلمي إذا أكلت طعاماً أو شربت شراباً، فقل: بسم الله وبالله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء يا حي يا قيوم، لم يصبك منه داء ولو كان فيه سم. (فليذكر اسم الله) ندباً أي في ابتداء الأكل، ولو كان محدثاً حدثاً أكبر بأن يقول بسم الله. والأكلم أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم ويقصد نحو الجنب بذلك الذكر (فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله)، وكذا أن تعمد (فليقل) ولو بعد الفراغ من الأكل ليتقيا الشيطان ما أكله (بسم الله على أوله وآخره). وفي أخرى أوله وآخره بدون على. والمراد الأول ما عدا الآخر فيشمل الوسط ولو ترك المبسمل لفظ على أوله وآخره

(١) من باب ضرب أي يقصد اه مختار ومصباح.

(٢) أي اشتاقت اه مختار ومصباح.

حصل أصل السنة. (رواه أبو داود، والترمذي، والحاكم) في مستدركه. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيري.

٨٤ - (إذا أكل أحدكم) أي أراد أن يأكل (طعاماً) غير لبن (فليقل) ندباً (اللهم بارك لنا فيه) من البركة، وهي زيادة الخير ودوامه. (وأبدلنا) بفتح الهمزة (خيراً منه) من طعام الجنة أو أعم فيشمل خير الدارين. (وإذا شرب لبناً) أي تناوله ولو بغير شرب كأن فت فيه وعبر بالشرب لأنه الغالب (فليقل) ندباً (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه). قال الحفني: أي فلا يقول وأبدلنا خيراً منه لأنه ليس في الأطعمة خير منه. كذا في الشرح يعني شرح العلامة المناوي على الأصل ويستثنى اللحم لخروجه بدليل آخر فهو بسائر أنواعه أفضل من كل طعام حتى اللبن. ومعنى الأفضلية أنه أنفع للبدن أو كثرة الثواب إذا تقرب به كان نذر التصدق به. ومقتضى هذا أنه لو أكل لحماً لا يقول وأبدلنا الخ: بل يقول زدنا منه ويحتمل أنه يقول ذلك. والمعنى أبدلنا خيراً من طعام الجنة وإلا فليس في الدنيا خير منه قط. ولم يقل ذلك أي أبدلنا خيراً منه في اللبن على معنى خيراً منه من طعام الجنة. لأنه ورد النص فيه بطلب زدنا منه بخلاف اللحم فلم يرد فيه طلب ذلك فاحتمل ما ذكراه.

(فإنه ليس شيء يجزى) بضم أوله أي يكفي (من الطعام والشراب إلا اللبن) يعني لا يكفي في دفع العطش والجوع معاً شيء واحد إلا هو لأنه اشتمل على الماء والسمن والجبن فيدفع العطش والجوع (رواه الإمام أحمد) في مسنده، (وأبو داود وغيرهما) كالترمذي، وابن ماجه، والبيهقي في شعب الإيمان، قال العلامة العزيري رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن.

٨٥ - (إذا أكل أحدكم طعاماً فليلق) بفتح حرف المضارعة أي يلحس (أصابعه) أي في آخر الطعام لا في أثنائه لأنه يمس بأصابعه بصاقه في فيه إذا لعقها، ثم يعيدها فيصير كأنه بصق فيه وذلك مستقبح. (فإنه لا يدري في أي طعامه) أي في أي جزء من أجزاء طعامه (تكون البركة)، أفيما أكل، أو فيما بقي على أصابعه، أو فيما بقي أسفل القصعة، أو في اللقمة الساقطة؟ فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة، ولأن الله تعالى قد يخلق الشبع عند

لعق الأصابع أو القصة فلا يترك شيئاً احتقاراً له . قال العلامة العريزي :
والمراد بالبركة ما يحصل به التغذية أو تسلم عاقبته من الأذى ويقوى على
الطاعة . والعلم عند الله تعالى اهـ . لكن محل طلب لعق القصة ما لم يكن
ثم من ينتظر وإلا طلب الافضال . (رواه مسلم وغيره) كالإمام أحمد في
مسنده ، والترمذي ، والطبراني في الكبير ، والأوسط .

٨٦ - (إذا أكل أحدكم) أي أراد أن يأكل (فليأكل بيمينه) أي بيده
اليمنى (وليشرب بيمينه) لأن من حق النعمة القيام بشكرها ومن حق الكرامة
أن يتناول باليمين ويميز بها بين ما كان من النعمة . وما كان من الأذى فيكره
بالشمال تنزيهاً لا تحريماً عند الجمهور بلا عذر . (وليأخذ بيمينه وليعط
بيمينه) أي ما شرب كمصحف وطعام أما المستقذر فباليسار (فإن الشيطان
يأكل بشماله ويشرب بشماله) حقيقة أو يحمل أولياءه من الإنس على ذلك
ليضاد به الصلحاء ، (ويأخذ بشماله ويعطي بشماله) . فخالقوه أنتم لأن من
وافقه صار كأنه من جنسه .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : وأخذ جمع حنابلة ومالكية
وظاهرية من التعليل حرمة أكله أو شربه أو أخذه وإعطائه بها بلا عذر لأن
فاعل ذلك أما شيطان أو شبيه به .

وقال الحفني : ذهب بعضهم إلى أنه يحرم الأكل والشرب بالشمال
بدليل دعائه ﷺ على من أكل عنده بشماله فقال : كل بيمينك . فقال : لا
أستطيع . فقال له ﷺ : لا استطعت أبداً . فلم يستطع رفع يمينه حتى مات .
وأجيب بأنه ﷺ إنما دعا عليه لما ظهر له من تكبره وعدم امتثاله للسنة لا
لكونه أكل بالشمال . (رواه الحسن بن سفيان) في مسنده . قال العلامة
العريزي : وهو حديث حسن .

٨٧ - (إذا التقى المسلمان) أي الذكران أو الأنثيان أو الذكر ومحرمه أو
حليلته (فتصافحا وحمدا الله واستغفرا الله) أي طلبا منه المغفرة كل لنفسه
وأخيه (غفر لهما) زاد أبو داود قبل أن يتفرقا . والمراد الصغائر قياساً على
النظائر فيندب لكل مسلم إذا لقي مسلماً وإن لم يعرفه السلام عليه
ومصافحته .

قال ابن رسلان: ولا تحصل السنة إلا بتلاقي بشرتي الملتقين بلا حائل، ككم وفيه وقفة. والظاهر من آداب الشريعة تعين اليمنى من الجانبين لحصول السنة. فلا تحصل باليسرى في اليسرى ولا في اليمنى ولا باليمنى في اليسرى. قال العزيزي: ويستثنى من هذا الحكم الأمر الجميل الوجه فتحرم مصافحته. لكن قال الحفني: فإن صافحه بحائل فلا بأس به. ويستثنى أيضاً من به عاهة كالأبرص والأجذم فتكره مصافحته. (رواه أبو داوود)، والحاكم، وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي.

٨٨ - (إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه) أي مشاركته في الدين (كان أحبهما إلى الله) تعالى أي أكثرهما ثواباً عنده وأحب بالنصب خبر كان واسمها قوله (أحسنهما بشراً) بكسر الموحدة طلاقة وجه وفرح وتبسم وحسن إقبال (بصاحبه فإذا تصافحا أنزل الله) تعالى (عليهما مائة رحمة للبادي) بالسلام والمصافحة (تسعون وللمصافح) بفتح الفاء (عشرة).

فائدة: من السنة أن يقرأ عند المصافحة والعصر. وقال أنس رضي الله عنه: ما أخذ النبي ﷺ بيد رجل ففارقه حتى يقرأ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

خاتمة

قيل أن إبليس يبكي من سلام المؤمن على أخيه ويقول يا ويلاه لم يتفرقا حتى غفر لهما. ثم إن هذا الحديث (رواه الحكيم) الترمذي في نواته، (وأبو الشيخ) ابن حبان في الثواب، وهو حديث حسن لغيره، كما في شرح العزيزي رحمه الله.

٨٩ - (إذا آمن) بالتشديد (الإمام) أي شرع في التأمين بعد الفاتحة في صلاة جهرية فليس المراد إذا فرغ لأن تأمين المأموم لقراءة الإمام لا لتأمينه وإلا لكان عقبه مع أنه مطلوب مقارنته كما يدل عليه فإنه موافق الخ.

وقال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: إذا آمن الإمام أي أراد التأمين (فأمنوا) أي قولوا آمين، مقارنين له. وفيه ندب التأمين للإمام خلافاً لمالك ورفع صوته به إذ لو لم يجهر لما علم تأمينه المأموم. وظاهر الحديث أنه إذا

لم يؤمن الإمام لا يؤمن المقتدى به وهو غير مراد؛ (فإنه) أي الشأن وهذا كالتعليل لما قبله (من وافق تأمينه تأمين الملائكة) قولاً وزمناً وقيل إخلاصاً وخشوعاً والمراد جميعهم، أو الحفظة أو من يشهد الصلاة ممن في الأرض أو في السماء. وأحسن ما فسر به هذا الحديث ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال: صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد.

قال الحافظ ابن حجر: مثله لا يقال بالرأي، فالمصير إليه أولى، (غفر له ما تقدم تقدم له من ذنبه) من للبيان لا للتبعيض. زاد الجرجاني في أماليه: وما تأخر.

قال ابن حجر: وهي شاذة؛ والمراد الذنوب الصغائر عند الجمهور.

وقال السبكي: والكبائر فهو خصوصية لهذا المحل عنده. ووجه ترتب الغفران على ذلك أن آمين بمعنى استجب ما دعوت به. ومن جملة الهدى الصراط المستقيم. والهدى لذلك لا يكون مع ذنوب وقول الملائكة آمين مقبول ومن وافقهم كذلك لأن من جاء مع المقبول قبل.

فائدة: نقل الثعلبي في تفسيره عن وهب بن منبه أن آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر لمن يقول آمين اه. وهذا الحديث (رواه الشيخان وغيرهما) كالإمام مالك في الموطأ، والإمام أحمد في مسنده والأربعة.

٩٠ - (إذا أوى) بقصر الهمزة أفصح من مداها لأنه متعد بحرف الجر فإن كان متعدياً بنفسه نحو أوى زيد عمراً فالأفصح المد (أحدكم إلى فراشه) أي انضم إليه ودخل فيه لينام (فلينفضه) بضم الفاء قبل أن يدخل فيه ندباً أو إرشاداً (بداخلة) بتاء التأنيث على ما في نسخ الأصل كأصله، لكن في كثير من الأصول بدونها. (إزاره) أي أحد جانبيه الذي يلي البدن. وخص الإزار لأنه الذي كان يلبس إذ ذاك فمن لا إزار له ينفض بما حضر. وخص الداخلة لأنه أبلغ لكون العرب من عاداتها إذا أوت إلى الفراش أزال ذلك الطرف الداخل باليد اليسرى، ووضعت اليد اليمنى بالطرف الخارج فوق العورة، فلا يسهل النفض حينئذ إلا بما في اليد اليسرى. ولأن اليسرى أولى بمباشرة

ما فيه إهانة وتحصل السنة بالنفض بالطرف الخارج (فإنه لا) وفي رواية ما (يدرري ما خلفه) بالتشديد وبالتخفيف (عليه) أي على الفراش يعني لا يدرري ما حصل في فراشه بعد خروجه منه إلى عوده من قدر وهوام مؤذية . (ثم ليضطجع) ندباً و(على شقه الأيمن) أولى (ثم ليقل) ندباً (باسم ربي وضعت جنبي وبك أرفعه) أي بك أستعين على وضع جنبي ورفعته، (إن أمسكت نفسي) أي قبضت روحي في نومي (فأرحمها) أي تفضل عليها وأحسن إليها . وفي رواية للبخاري : فآغفر لها، (وإن أرسلتها) أي وإن أردت الحياة إلى بدني وأيقظتني من النوم ولم تقبض روحي (فاحفظها بما) أي الذي (تحفظ به عبادك الصالحين) أي القائمين بحقوقك .

قال العزيزي : فيه إشارة إلى آية الله : يتوفى الأنفس حين موتها .

قال الحفني : أي يبطل فعلها في الظاهر والباطن أي الحركة التي بالفعل والتي بالقوة لأنه موت حقيقي ، والتي لم تمت في منامها أي يتوفاها في النوم بمعنى يبطل حركتها الظاهرة دون الباطنة التي بالقوة لأن النائم إنما تبطل حركته التي بالفعل وفيه الحركة بالقوة فالتوفي الأول غير التوفي الثاني .

تنبيه : إنما ذكر الرحمة للإمساك والحفظ للإرسال . لأن الإمساك كناية عن الموت فالمغفرة والرحمة تناسبه ، والإرسال كناية عن استمرار البقاء والحفظ يناسبه .

فائدة : ورد عن النبي ﷺ أن من قال هذا الاستغفار ثلاثاً حين يأوي إلى فراشه غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج ، أو عدد ورق الشجر ، أو عدد أيام الدنيا وهو : استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه اهـ . وهذا الحديث (رواه الشيخان وأبو داود) .

٩١ - (إذا باتت المرأة) أي دخلت في المبيت حال كونها (هاجرة) بلفظ اسم الفاعل (فراش زوجها) بأن باتت في فراش آخر أو انتقلت لموضع آخر، وإن لم يكن فيه فراش بلا عذر شرعي ، (لعنتها الملائكة) أي سبتها وذمتها . فليس المراد الطرد والبعد عن رحمة الله تعالى لأنه لا يجوز على مسلم . بل المراد اللعن العرفي وهو مطلق السب والذم كما تقرره والحرمات من الدعاء لها والاستغفار إذ الملائكة تستغفر لمن في الأرض كما جاء به

القرآن، فتبيت محرومة من ذلك ولم تزل تلعنها في تلك الليلة (حتى تصبح) أي تدخل في الصباح لمخالفتها أمر ربها بمشاقتها لزوجها. وخص اللعن بالليل لغلبة وقوع طلب الاستمتاع ليلاً. فإن وقع ذلك في النهار لعنتها حتى تمسي. بدليل قوله في رواية حتى ترجع. وهذا مقيد بما إذا بدأت بالهجر فغضب، بخلاف ما لو ترك حقه أو بدأها هو بالهجر ظالماً فهجرته لذلك، وليس نحو الحيض عذراً لها في الهجر إذ له حق في التمتع بما فوق الإزار. وفيه أن سخط الزوج يوجب سخط الرب وفيه أيضاً إشارة إلى طلب نوم الزوجة مع زوجها في فراش واحد، كما تفعله العرب لأنه أدعى للألفة، بخلاف العجم فإن كلاً ينام في فراش وإذا احتاجها يأتيها أو تأتيه. (رواه أحمد والشيخان) رحمهم الله تعالى.

٩٢ - (إذا تاب العبد) أي الإنسان المكلف توبة صحيحة بأن ندم وقلع وعزم على أن لا يعود ورد المظالم (أنسى الله الحفظة ذنوبه) أي أزال ذنوبه من فكرهم أو من صحفهم، فيستغفرون له لنسيهم ذنوبه، (وأنسى ذلك جوارحه) جميعها من نحو يديه ورجليه ولسانه وجلده حتى لا تشهد عليه يوم القيامة (ومعالمه من الأرض) جمع معلم أي آثار تلك الأماكن التي جرت عليها المعصية، فإن كل مكان فعل فيه معصية يشهد على فاعلها يوم القيامة، وإن كثرت الأماكن، يعني أنساهم ذنوبه أيضاً فلا يشهدون عليه يوم القيامة. (حتى يلقي الله) أي إلى أن يلقي الله وفيها معنى التعليل أي لأجل أن يلقي الله (و) الحال أنه (ليس عليه شاهد من الله) أي من قبل الله ممن جعل لهم الشهادة عليه من الحفظة والجوارح والبقاع، (بذنوب) لأنه تعالى يحب التوابين فإذا تقربوا إليه بما يحبه أحبهم، وإذا أحبهم غار عليهم أن يظهر أحد على نقص فيهم فيستر عليهم.

وسئل أبو القاسم الحكيم: أيما أفضل عاص يتوب من عصيانه أم كافر يرجع إلى الإيمان؟ فقال: بلى العاصي الذي يتوب من عصيانه أفضل، لأن الكافر في حال كفره أجنبي، والعاصي في حال عصيانه عارف بربه، ولأن الكافر إذا أسلم ينتقل من درجة الأجنبي إلى درجة العارف، والعاصي ينتقل عن درجة العارف إلى درجة الأحياب. كما قال تعالى: والله يحب التوابين اهـ. واعلم أن من كرم الله تعالى على عباده أنهم إذا فعلوا معصية ثم

تابوا ثم فعلوها ثم تابوا قبل الله توبتهم .

وقيل لما أنظر الله إبليس قال: وعزتك لا أخرج من قلب بني آدم ما دام فيه الروح. فقال: وعزتي لا أمنعهم التوبة ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال: لأغوينهم أجمعين. فقال تعالى: لأكفرن عنهم سيئاتهم. فقال: لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم. فلما قال ذلك رقت قلوب الملائكة على البشر، فأوحى الله تعالى إليهم انه بقي بالإنسان جهة الفوق والتحت. فإذا رفع يديه في الدعاء على سبيل الخضوع، أو وضع وجهه على الأرض على سبيل الخشوع، غفرت له ذنوب سبعين سنة.

وقيل لما هبط آدم عليه السلام بكى على ذنبه، فقال: يا رب أن تبت وأصلحت أتقبلني؟ فأوحى الله تعالى إليه يا آدم إني كتبت على عرشي من قبل أن أخلق السموات والأرض، وإني لغفار لمن تاب. أحشر التائبين ضاحكين مستبشرين ودعاؤهم مستجاب.

وروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة وعصاه عشرين سنة ثم نظر إلى وجهه في المرأة فرأى الشيب في لحيته فسأه ذلك. فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك تقبلني؟ فسمع هاتفاً من زاوية البيت لا يرى شخصه يقول: إن جئتنا جئناك، وإن تركتنا تركناك، وإن عصيتنا أمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك.

وذكر الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء أن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فيرفع يديه ويقول يا رب، حجبت الملائكة صوته أولاً وثانياً وثالثاً. وفي الرابعة يقول الله تعالى: إلى متى تحجبون صوت عبدي عني قد علم أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري. أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت له.

وحكي أنه كان في زمن سيدنا موسى عليه السلام رجل لا يستقيم على توبة فأوحى الله تعالى إلى موسى قل له لا تفسد توبتك؛ فإن رجعت إلى معصيتك عاقبتك ولا أقبل توبتك. فبلغه الرسالة فصبر أياماً، ثم رجع إلى المعصية. فأوحى الله إلى موسى قل له إني قد غضبت عليه. فبلغه الرسالة فخرج إلى الصحراء. وقال: يا إلهي ما هذه الرسالة التي أرسلتها إلي مع

موسى . انفدت خزائن عفوك؛ أم ضرتك معصيتي أو بخلت على عبادك؟ وأي ذنب أعظم من عفوك حتى تقول لا أغفر لك؟ فكيف لا تغفر لي، والكرم من صفاتك؟ فإذا أيست عبادك من رحمتك فمن يرجون، وإن طردتهم فمن يقصدون؟ اللهم إن كانت رحمتك نفدت ولا بد من عذابي فاجعل عليّ ذنوب عبادك فيأني فديتهم بنفسي . فأوحى الله إلى موسى قل له لو كانت ذنوبك مطبقة بين السماء والأرض لغفرتها لك، كما عرفتني بكمال العفو والرحمة .

فائدتان، الأولى : رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة^(١) حمراء فصلى ركعتين . وقال : اللهم انك تعلم سري وعلايتي فأقبل معذرتي . وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي . وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبه لي ورضني بما قسمت لي . فأوحى الله إليه يا آدم غفرت لك ذنبك ولن يأتيني أحد من ذريتك يدعوني بمثل ما دعوتني إلا غفرت له ذنوبه، وكشفت غمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يُريدها .

الثانية : نُقل عن سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به ان من واطب على قراءة هذين البيتين في كل يوم جمعة توفاه الله على الإسلام من غير شك، وهما :

الهي لست للفرودس أهلاً ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي فإنك غافر الذنب العظيم

ونقل عن بعضهم أنها تقرأ خمس مرات بعد الجمعة اهـ . وهذا الحديث (رواه ابن عساكر) في تاريخه، والحكيم في نوادره، وهو حديث ضعيف كما في شرح العزيري .

٩٣ - (إذا تئاب أحدكم) بالهمز أي عرض له الشاؤب بأن فتح فاه للتنفس لدفع البخار المنخق في عضلات الفك وينشأ من امتلاء المعدة وثقل

(١) الربوة بتثليث الراء المكان المرتفع كذا في المختار والمصباح .

البدن فيورث الكسل وسوء الفهم والغفلة، (فليضع) ندباً حال التثاؤب (يده) أي ظهر يده اليسرى، كما ذكره جمع، وهذا هو الأكمل. وتحصل السنة بوضع الظهر أو البطن من اليمنى أو اليسرى (على فيه) سترأً على فعله المذموم الجالب للكسل والنوم الذي هو من حبائل الشيطان. وفي معنى وضع اليد وضع نحو ثوب مما يرد التثاؤب فإن لم يندفع إلا باليد تعينت. ولا فرق في هذا الأمر بين المصلي وغيره. لكنه للمصلي أكد لأن الشيطان يدخل مع التثاؤب من فمه إلى باطن بدنه. أي يتمكن منه في تلك الحالة أو يدخل حقيقة ليثقل عليه صلاته فيخرج منها أو يترك الشروع في غيرها بعدها (ولا يعوي) بمشاة تحتية مفتوحة وعين مهملة ساكنة وواو مكسورة أي لا يصوت ولا يصيح كالكلب (فإن الشيطان يضحك منه) أي حقيقة لأنه إذا فعل ذلك يصير ملعبة له بتشويه خلقته في تلك الحالة وتكاسله وفتوره..

وقال العلقمي: شبه المتثائب الذي يسترسل معه بعواء الكلب تنفيراً عنه واستقباحاً له. فإن الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوي. والمتثائب إذا أفرط في التثاؤب أشبهه. ومنه تظهر النكتة في كونه يضحك منه لأنه صيره ملعبة له بتشويه خلقته في تلك الحالة اهـ. ويحتمل أنه كناية عن فرحه وسروره بكونه أغواه بتعاطي سبب التثاؤب وهو كثرة الأكل فطاوعه واغتوى.

تنبيه: قال الحافظ العراقي: الأمر بوضع اليد على فمه هل المراد به وضعها عليه إذا انفتح بالتثاؤب أو وضعها على الفم المنطبق حفظاً له عن الانفتاح بسبب ذلك؟ كل محتمل أما لورده فارتد فلا حاجة للاستعانة بيده مع انتفائه بدون ذلك. وفي هذا الحديث ندب ترك كثرة الأكل التي هي سبب التثاؤب (رواه ابن ماجه). وهو حديث صحيح كما في شرح العريزي.

٩٤ - (إذا تجشأ أحدكم أو عطس) بفتح الطاء ومضارعه بكسرها وضمها لكن الضم لغة قليلة (فلا يرفع) ندباً (بهما الصوت) أي بالجشاء والعطاس (فإن الشيطان يحب أن يرفع بهما الصوت) ليضحك منه ويهزأ به.

قال الحفني: فإذا رفع صوته بالعطاس، كان من الشيطان وإذا لم يرفعه كان من الله تعالى لأنه يريح البطن.

وقال العلامة المناوي: فيندب عمداً فإن تأذى بهما أحد اشتدت

الكراهة بل قد يحرم. (رواه البيهقي) في شعب الإيمان (وأبو داوود) في مراسيله. وهو حديث صحيح كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

٩٥ - (إذا تغولت لكم الغيلان) أي ظهرت وتلونت بصور مختلفة وهم جنس من الجن. قال الحفني رحمه الله تعالى: وما ورد من قوله ﷺ لا غول، معناه لا غول من الجن، يقف في الطريق ويضل المار عن الطريق ليزويه في مواضع فيهلكه كما تزعمه العرب. أما الغول فتأبث. فقد ورد أن سيدنا عمر سافر إلى تجارة من الشام، لقيه غول صورته صورة إنسان ورجلاه كرجلي حمار فقتله بسيفه. لكنه ليس بالصفة السابقة أعني كونه يقف ويضل الناس الخ. فلا ينافي نفيه ﷺ (فنادوا بالأذان) أي ادفعوا شرها بالأذان بأن ترفعوا أصواتكم به (فإن الشيطان إذا سمع النداء) بالأذان (أدبر) أي ولّى هارباً (وله حصاص) بمهمات كغراب أي شدة عدو أو ضراط، فله قدرة على إخراج الضراط أي وقت. وذلك لثقل الأذان عليه فيخرج الضراط ليشغل سمعه به عن سماع الأذان أو استخفافاً بالذكر. وقيل هو أن يمصع بذنبه بالصاد والعين المهملتين أي يحركه ويصر بأذنيه أي يضمهما إلى رأسه ويغدو. وأخذ منه أنه يندب الأذان في الدار التي تعبت الجن فيها تنفيراً لهم. وإنما كانوا ينفرون منه لابتدائه باسم الله الأعظم واقتترانه بالتكبير الدال على التعظيم ثم بالشهادة التي عليها مدار الإسلام، ثم بالنداء للصلاة والحث على الفلاح والختم بالتوحيد. (رواه الطبراني) في الأوسط، وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي.

٩٦ - (إذا توضع أحدكم) في نحو بيته (فأحسن الوضوء) بأن رعي شروطه وفروضه وسننه وآدابه وتجنب منهياته (ثم خرج) زاد في رواية عامداً (إلى المسجد) أي محل الجماعة لطلب الجماعة ولو غير مسجداً. والمسجد ولو منفرداً لأن الصلاة فيه فرادى أفضل منها في البيت فرادى، قاله الحفني. وقوله (لا ينزعه) بفتح أوله وكسر الزاي أي لا يذهبه ولا يخرج من محله (إلا الصلاة) أي إلا قصد فعلها فيه لا قصد دنيوي فلو طرأ له قصد دنيوي بعد الخروج لم يضر والمدار على الإخلاص فحينئذ (لم تنزل رجله اليسرى تمحو) وفي رواية تحط عنه سيئة، وتكتب اليمنى له حسنة (حتى يدخل

المسجد). فيه إشعار بأن هذا الجزاء للماشي لا للراكب أي بلا عذر وفيه تكفير للسيئات مع رفع الدرجات.

قال الحفني رحمه الله تعالى: وجعل التكفير من جهة والإثابة من جهة أخرى لا ينافيه أنه تعالى يكفر عنه بسبب نقل الرجل في الطاعة السيئات، ويفضل عليه برفع الدرجات. ولو ذهب من بيته محدثاً قاصداً الوضوء والصلاة في المسجد كان له هذا الخير، فالتقييد بكونه توضاً قبل ثم خرج الخ. إنما هو للأكمل أه. ولما حث ﷺ على لزوم الجماعة نبه على أن أكد الجماعة جماعة الصبح والعشاء لعظم المشقة فيهما بقوله: (ولو يعلم الناس ما في العتمة) أي العشاء، ولعل هذا قبل النهي عن تسميتها عتمة (والصبح) أي ما في صلاتها جماعة من جزيل الثواب (لأتوهما) أي سعوا إلى فعلهما، (ولو حبوا) أي زاحفين على الركب. (رواه الطبراني) في الكبير، (والحاكم) في مستدركه، (والبيهقي) في شعب الإيمان. قال العلامة العزيمي رحمه الله تعالى في شرحه: وهو حديث صحيح.

٩٧ - (إذا توضأ أحدكم في بيته) يعني محل إقامته (ثم أتى المسجد) يعني محل الجماعة (كان في صلاة) أي حكمه حكم من هو في صلاة من حيث كونه مأموراً بالخشوع وترك العبث، (حتى يرجع) أي إلى أن يعود إلى محله. وفيه أنه يكتب لقاصد المسجد للصلاة أجر المصلي من حين يخرج حتى يعود (فلا يقل) أي لا يفعل. وإطلاق القول على الفعل شائع ذائع في استعمال أهل اللسان (هكذا) يعني لا يشبك بين أصابعه. قال المناوي رحمه الله تعالى: فالمشار إليه قول الراوي (وشبك) أي رسول الله ﷺ (بين أصابعه) أي أدخل أصابع يديه في بعض. وقال العزيمي: المشار إليه فعل النبي ﷺ.

قال الحفني: فيكره التشبيك في محل الصلاة ممن قصد الصلاة وكذا في حال الصلاة. وفي الذهاب إليها كما اقتضاه هذا الحديث، مع أن المقرر في الفقه أنه لا يكره إلا لمن جلس بمحل الصلاة، ينتظرها. لأن التشبيك جالب للنوم وهو مظنة للحدث، فلا يكره في الذهاب إليها. فيحمل قوله فلا يقل هكذا على ما بعد إتيانه المسجد فقط. ومثل التشبيك فيما ذكر فرقة الأصابع ومثله تشبيك يده في يد غيره. (رواه الحاكم) في مستدركه. قال

العريزي رحمه الله تعالى : وهو حديث صحيح .

٩٨ - (إذا جامع أحدكم أهله) يعني حليلته زوجة كانت أو أمة (فليصدقها) قال العريزي : بفتح المشاة التحتية وضم الدال المهملة . أي فليجامعها بشدة قوية جماعاً صالحاً . وقال المناوي : أي فليجامعها بشدة وقوة وحسن فعل جماع ووداد ونصح ، ندباً . (ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقتضي حاجتها) أي أنزل قبل إنزالها (فلا يعجلها) بضم المشاة التحتية من أعجل ، أي لا يحثها على مفارقتها ولا يتعجل عليها بالنزع قبل قضاء شهوتها ، بل يمهلها ويستمر معها (حتى تقتضي حاجتها) ، بأن تتم إنزالها وتسكن غلمتها فلا يتنحى عنها حتى يتبين له منها قضاؤها . فإن ذلك من حسن المعاشرة ، والإعفاف والمعاملة بمكارم الأخلاق ؛ ويعلم ذلك بالقرائن . ويؤخذ من هذا الحديث أن الرجل إذا كان سريع الإنزال بحيث لا يتمكن معه من إمهال زوجته حتى تنزل أنه يندب له التداوي بما يبطيء الإنزال . فإنه وسيلة إلى مندوب ، وللوسائل حكم المقاصد . وفي الأصل حديث آخر لفظه : إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتنحى حتى تقتضي حاجتها كما يجب أن تقتضى حاجته . رواه ابن عدي في الكامل .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : وهذا بمعنى خبر أبي يعلى : إذا خالط الرجل أهله فلا ينزو نزو الديك ، وليثبت على بطنها حتى تصيب منه مثل الذي أصاب منها . قال ومن هذه الأحاديث ونحوها أخذ أنه ينبغي للرجل تعهد حلائله بالجماع ، ولا يعطلهن . واختلف فيمن كف عن جماع زوجته . فقال مالك : ان كان لغير ضرورة ألزم به أو يفرق بينهما ، ونحوه عن أحمد . والمشهور عند الشافعية عدم وجوبه وقيل يجب مرة . وعن بعض السلف في كل أربع ليلة . وعن بعضهم في كل طهر مرة .

فائدة : قال أهل الهند : وجدنا اللذة في ستة أزمان : لذة ساعه وهي في النساء ، ولذة يوم وهي في الشرب ، ولذة ثلاثة أيام وهي في النورة ، ولذة أسبوع وهي في الحمام ، ولذة شهر وهي في العروس ، ولذة سنة وهي في الولد ، ولذة دهر وهي في لقاء الأخوان . ذكره القليوبي في بعض مؤلفاته وفي قوله ستة نظر ، لأن المعدود سبعة . وهذا الحديث (رواه عبد الرزاق) في

الجامع، (وأبو يعلى) في مسنده. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

٩٩ - (إذا جامع أحدكم) حليلته (فلا ينظر إلى الفرج فإنه) أي النظر إليه (يورث العمى) أي للبصيرة أو البصر للناظر أو الولد. والمراد أنه لا يكثر منه. فلو نظر مرة أو مرتين لم يترتب عليه شيء، فيكره نظر فرج الحليلة مطلقاً، أعني حال الجماع وغيره. وباطنه أشد كراهة. وخرج بالنظر المس فلا يكره اتفاقاً. ويطلب لها أن لا تنظر إلى فرجه، والمراد بالفرج القبل. ومثله الدبر. (ولا يكثر الكلام فإنه) أي إكثار الكلام بخلاف قليله، فلا يترتب عليه ما ذكر (يورث الخرس) أي في المتكلم أو الولد فيكره تنزيهاً حال الجماع بلا حاجة. ومحل الكراهة في غير ما يتعلق بالجماع. أما ما يتعلق به فلا يكره كالغنج، بل إن أمر الزوج زوجته به وجب عليها فإن لم تفعله كانت ناشزة. (رواه الأزدى) في الضعفاء، (والخليلي) في مشيخته، (والديلمي) في مسند الفردوس. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

١٠٠ - (إذا حج الرجل) أي الإنسان أو اعتمر (بمال من غير حله) أي مال اكتسبه من وجه حرام (فقال: لبيك اللهم لبيك) أي أجيبك إجابة بعد إجابة (قال الله) تعالى: راداً عليه مقاله: (لا لبيك ولا سعديك) أي لا قبولاً ولا إسعاداً ولا رضاً ولا خيراً لك لتلبسك بالحرام (هذا) أي نسكك الذي أنت فاعله (مردود عليك) أي مردود ثوابه وإن صح وسقط به الفرض.

قال المناوي رحمه الله تعالى: ويظهر أنه لو حج عن غيره بمال حرام يقال للأصل أي الغير حج أجيرك مردود عليك اهـ. فينبغي للحاج أن يحرص على أن تكون نفقته وأمتعته من حلال خالصة عن الشبهة.

قال النووي: فإن خالف وحج بما فيه شبهة أو بمال مغصوب صح حجه في ظاهر الحكم ولكنه ليس حجاً مبروراً ويعد قبوله. هذا مذهب الشافعي، ومالك، وأبي حنيفة، وجماهير العلماء.

قال الإمام أحمد بن حنبل: لا يجزئه الحج بمال حرام، فقد ورد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: إذا خرج الحاج بنفقته طيبة ووضع رجله في

الغرز^(١) فنأدى لبيك ناداه ملك من السماء لبيك وسعديك، زأذك حلال، وراحتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجه في الغرز فنأدى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك، زأذك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور.

وقال أبو سليمان الءاراني لأحمد بن أبي الحوارى: يا أحمد بلغنى أن من حج بمال من غير حله ثم لبي قال الله عز وجل: لا لبيك ولا سعديك حتى تردن ما في يديك. فما نأمن أن يقال لنا ذلك؟ ولبعض الأئمة في هذا المعنى:

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور
(رواه ابن عدي) في الكامل (والديلمي) في مسند الفردوس، وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيزى.

١٠١ - (إذا حج الرجل عن والديه) أى أصليه المسلمين وإن عليا، ومثل الوالدين غيرهما. وإنما خص الوالدين بالذكر لأنهما أحق بزيادة البر عن غيرهما. وليس المراد أنه يحج عنهما حجة واحدة بل يحج عن كل حجة (تقبل منه ومنهما) بالبناء للمجهول أى تقبله الله منه ومنهما. أى أئابه وأئابهما عليه فيكتب له ثواب حجة مستقلة ولهما كذلك. (وابتشر) بموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة أى فرح (به أرواحهما) الكائنة (في السماء) لأن غالب أرواح المؤمنين فيها تتنعم في الجنان وبعضها في بئر معروفة. ذكرها السيوطى والكلام في الميتين بءليل ذكر الأرواح فإن كانا حيين فكذلك إن كانا معضوبين.

قال ابن العربى^(٢) رحمه الله تعالى: هذا الحديث ونحوه مما فيه حج الولء عن أبيه أصل متفق عليه خارج عن القاعءة الممهءة في الشريعة أنه ليس للإنسان إلا ما سعى (رواه الءارقطنى) في سننه. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزى رحمه الله.

(١) الغرز مثل فلس ركاب الإبل اهـ. مصباح.

(٢) قوله قال ابن العربى) هو مالكى اهـ.

١٠٢ - (إذا ختم العبد القرآن) قال المناوي: أي انتهى في قراءته إلى آخره في أي وقت كان من ليل أو نهار. وقال العزيزي: أي كلما قرأه من أوله إلى آخره، (صلى عليه) أي استغفر له (عند) بثلاث العين (ختمه) قراءته (ستون ألف ملك).

وفي بعض نسخ الأصل سبعون وهي تحريف نبه على ذلك الحفني. قال المناوي رحمه الله تعالى: يحتمل أن هذا العدد يحضرون عند ختمه، ويحتمل أن الذين يحضرون لا يحضرون والمصلي منهم ذلك القدر. والظاهر أن المراد بالعدد الكثير لا التحديد، كمنظأره.

وفي الحديث حث على ختمه. ويندب ختمه أول النهار وآخره. فقد ورد من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن ختمه آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح. وإن يختم ليلة الجمعة أو يومه.

قال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء: الأفضل أن يختم ختمه بالليل وأخرى بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الإثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما، ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمه، انتهى.

ويندب حضور الختم والدعاء عقبه والشروع في أخرى وتأكد صيام يوم ختمه. (رواه الديلمي) في مسند الفردوس، قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

١٠٣ - (إذا ختم أحدكم القرآن (فليقل) ندباً عقب ختمه: (اللهم أنس) بالمد (وحشتي) أي خوفاً وغربتي (في قبوري) إذا مت وقبرت؛ فإن القرآن يكون مؤنساً له فيه منوراً له ظلّمته، وخص القبر لأنه أول منزل من منازل الآخرة. (رواه الديلمي) في مسند الفردوس، ورواه أيضاً الحاكم. قال العزيزي: وهو حديث ضعيف.

١٠٤ - (إذا خرج أحدكم إلى سفر) طويلاً كان أو قصيراً لكن الطويل أكد (فليودع) ندباً مؤكداً (أخوانه) أي في الإسلام ويبدأ بأقاربه وذوي الصلاح ويسألهم الدعاء (فإن الله جاعل له في دعائهم) له بالسلامة والظفر

بالمراد (البركة) أي النمو والزيادة في الخير ويسن لهم الدعاء بحضرته، وفي غيبته بالمأثور وغيره، والمأثور أكد.

ومنه كما في شرح العزيزي أن يقول كل من المودّع والمودّع للآخر استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك. ويزيد المقيم للمسافر: وردك بخير.

خاتمة

قال الحفني، رحمه الله تعالى: وقع أن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه رأى رجلاً ومعه ولد، فقال للولد: ما رأيت غراباً أشبه بأبيه منك. يريد أن الإبن شبيهه. فأخبره الأب أنه ابن القبر، فجلس سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه على ركبتيه، وقال: أخبرني بما وقع. فأخبره بأنه أراد أن يسافر إلى الجهاد فقالت له زوجته: أتركني حاملاً وتسافر؟ فقال: استودعت الله حملك. فلما جاهدت ورجعت وجدتها ماتت. فذهبت ليلاً إلى القبر وصرت أبكي فانفتح القبر وسمعت من يقول خذ وديعتك التي استودعتها الله. ولو كنت استودعت أمه أيضاً لكننا حفظنا لك. فوجدت الولد يحوم^(١) في القبر فأخذته اهـ. وهذا الحديث (رواه ابن عساكر) في تاريخه، (والدليمي) في مسند الفردوس. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

١٠٥ - (إذا خرج أحدكم من الخلاء) أي بعد فراغه من قضاء حاجته، والخلاء بالمد كل محل يقضى فيه الحاجة. (فليقل) ندباً (الحمد لله)، وفي رواية غفرانك الحمد لله (الذي أذهب عني) وفي رواية أخرج عني (ما يؤذيني) أي بقاءه وعدم خروجه. (وأمسك علي) وفي رواية أبقى في (ما ينفعني)، أي مما جذبه الكبد وطبخه، ثم دفعه إلى الأعضاء. وهذا من أجل النعم وأعظمها. ولهذا كان عليّ كرم الله وجهه إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده وقال: يا لها من نعمة، لو يعلم العباد شكرها. ويسن أن يقول أيضاً غفرانك غفرانك غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الأذى، وعافاني. اللهم طهر قلبي من النفاق، وحصن فرجي من الفواحش؛ ويسن للدخول أن يقول بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. اللهم إني أعوذ بك

(١) أي يدور اهـ مختار ومصباح.

من الرجس النجس الخبيث المخبث، الشيطان الرجيم. فإن تركه ولو عمداً حتى دخل قاله بقلبه.

فائدة: يكره إطالة المكث في الخلاء لغير حاجة لأنه يورث وجعاً في الكبد. كما روي عن لقمان. وقيل أنه يورث الباسور والعياذ بالله تعالى. وهذا الحديث (رواه ابن شيبه، والدارقطني) في سننه. وهو حديث حسن كما في شرح العزيمي رحمه الله.

١٠٦ - (إذا خرجت) أي أردت الخروج (من منزلك) وفي رواية بيتك (فصل) ندباً (ركعتين) أي خفيفتين. قال الحفني: وتحصل بفرض أو نفل اهـ. ثم ذكر النبي ﷺ حكمة ذلك وأظهرها في قلب العلة؛ فقال (تمنعانك)، قال العزيمي: ظاهر كلام المناوي أن تمنعان مرفوع بثبوت النون، فإنه قال فإنهما تمنعانك. وقال الشيخ مجذوم: بحذف النون كما في ولا تتبعان اهـ. (مخرج) بفتح الميم والراء (السوء) بالفتح مصدر وبالضم اسم مكان أي ما عساه يقع خارج البيت من سوء. (وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء) بالضبط المتقدم. وعبر بالفاء في الموضوعين ليفيدان السنة الفورية فتفوت بطول الفصل بلا عذر. (رواه البزار) في مسنده، (والبيهقي) في شعب الإيمان. قال العزيمي رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن.

١٠٧ - (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي) ﷺ أي ندباً وقيل وجوباً لأن المساجد محل الذكر، والسلام على النبي ﷺ منه (وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك) أي تفضلك وإحسانك.

قال المناوي: زاد في رواية الديلمي: واغلق عني أبواب سخطك وغضبك واصرف عني الشيطان ووسوسته. وابن السني بعد رحمتك: وأدخلني فيها. (وإذا خرج) منه، (فليسلم على النبي) ﷺ (وليقل اللهم إني أسألك من فضلك) أي من إحسانك وزيادة أنعامك وخص ذكر الرحمة بالدخول والفضل بالخروج لأن الداخل اشتغل بما يزلفه إلى الله من العبادة. فناسب ذكر الرحمة فإذا خرج انتشر في الأرض ابتغاء فضل الله أي رزقه فناسب ذكر الفضل.

قال المناوي: واعلم أن النووي نقل عن العلماء أن الصلاة والسلام يكره أفراد أحدهما عن الآخر. وقد وقع أفراد السلام في هذا الحديث. وورد أفراد الصلاة في حديث ابن السني عن أنس. ولفظه كان إذا دخل المسجد قال: بسم الله اللهم صلي على محمد. وإذا خرج قال مثل ذلك. فافراد كل منهما في هذين الحديثين يعكس على القول بالكراهة. والظاهر أن مرادهم أن محل كراهة الأفراد فيما لم يرد الأفراد به وأن أصل السنة يحصل بالإتيان بأحدهما وكمالهما إنما يحصل بجمعهما كما ورد في حديث.

تتمة: قال العزيزي: قال العلقمي: في هذا الحديث استحباب هذا الذكر عند دخول المسجد. قال النووي: وقد جاءت فيه أذكار كثيرة. قلت ولقد لخصها شيخنا، فقال: إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى، وقال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. بسم الله والحمد لله والسلام على رسول الله. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. اللهم اغفر لي ذنوبي. وافتح لي أبواب رحمتك وسهل لنا أبواب رزقك. وفي الخروج يقول اللهم إني أسألك من فضلك اهـ. (رواه أبو داود، وابن ماجه) وهو حديث صحيح كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله.

١٠٨ - (إذا دخل أحدكم إلى القوم فأوسع له) بالبناء للمجهول أي أوسع له بعض القوم مكاناً يجلس فيه (فليجلس) فيه ندباً (فإنما هي) أي الفعل والخصلة التي هي التفسح له (كرامة من الله) تعالى (أكرمه بها أخوه المسلم). أي أجراها الله على يده. والتوسعة للقادم أمر محبوب مندوب. وكان الأحنف إذا أتاه رجل أوسع له سعة أو أراه كأن يوسع له. (فإن لم يوسع له فلينظر أوسعها مكاناً) أي مكاناً هو أوسع أمكنة تلك البقعة، (فليجلس فيه) ولا يزاحم أحداً ولا يحرص على التصدير كما هو دأب فقهاء الدنيا وعلماء السوء. والحامل على التصدير في المجالس، إنما هو التعاضم والتكبر فإن العالم إذا دخل مجلساً مميّز لنفسه محلاً يجلس فيه لما عنده من اعتقاده في نفسه رفعة محله ومقامه. فإذا دخل داخل من أبناء جنسه، وقعد فوقه استشاط غضباً وأظلمت عليه الدنيا.

قال المناوي رحمه الله تعالى: وقد عم الابتلاء بالتنافس في ذلك وطم

في هذا الزمان وقبله بأزمان، سيما العلماء. ولو علموا أن الصدر صدر حيث ما حل لما كان ما كان، ويندب القيام لمن دخل عليه ذو فضل ظاهر كعلم وصلاح بفضل البركة والإكرام. ويحرم على الداخل محبة القيام له. (رواه الحارث) بن أبي أمامة، والديلمى، وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي.

١٠٩ - (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه) ليطأها (فأبت) أي امتنعت بلا عذر (فبات) وهو (غضبان عليها لعنتها الملائكة) أي سبتها وذمتها (حتى تصبح) أي ترجع، كما في رواية أخرى. وفيه ارشاد إلى مساعدة الزوج وطلب رضاه. وإن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة. وإن أقوى المشوشات على الرجل داعية النكاح. ولذا حث المرأة على مساعدته على كسر شهوته ليفرغ فكره للعبادة. فقد ورد إذا دعا الرجل امرأته على فراشه، فلتجب وإن كانت على ظهر قتب. أي وإن كانت تسير على ظهر بعير، أو معناه وإن جلست على قتب. فإن نساء العرب كن إذا أردن الولادة جلسن عليه. وقلن أنه أسهل لخروج الولد. والقتب للجمل كالأكتاف لغيره.

وفي رواية إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور، أي وإن كانت مشغولة بإيقاده. وفيه ان امتناع المرأة من حليلها بلا سبب كبيرة للتوعد عليه باللعن. (رواه الشيخان وغيرهما) كأحمد، وأبي داوود.

١١٠ - (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها) كإن كان فيها بشارة أو نذارة أو تنبيه على تقصير أو نحو ذلك (فإنما هي من الله فليحمد الله) تعالى (عليها)، بأن يقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. لأن المصطفى ﷺ كان إذا رأى ما يحبه قال ذلك، (وليحدث بها) حبيباً أو عارفاً. (وإذا رأى غير ذلك مما يكره) كان رأى أنه من أهل النار أو داخل النار أو يأكل لحماً نيئاً (فإنما هي) أي الرؤيا (من الشيطان) ليحزنه ويشوش عليه فكره ليشغله عن العبادة فلا يخبر بها ولا يشتغل بها.

وروي أن بعضهم رأى في منامه من يقول له اخبر الربيع انه من أهل النار؛ فلما أصبح أخبره فتفل الربيع عن يساره ثلاثاً. ثم رأى ثانياً أن رجلاً

يجر كلباً وفي وجهه قروح . قال : فقيل له إنه إبليس والقروح من تفلة الربيع ؛
(فليستعذ بالله) من شرها وشر الشيطان ، كأن يقول : اللهم إني أعوذ بك من
شر ما رأيت ومن شر الشيطان ، وليتفل عن يساره ثلاثاً ويتحوّل لجنبه الآخر .
(ولا يذكرها لأحد) بل يكتمها . لأن الشيطان يفرح بإفشائها لأنه عدو
المؤمنين ، ولأنه ربما فسرها تفسيراً مكروهاً على ظاهر صورتها فتقع كذلك
بتقدير الله تعالى . فإذا كتمها واستعاذ بالله من شرها (فإنها لا تضره) .

قال المناوي رحمه الله تعالى : فإنه تعالى جعل فعله من التعوذ والتفل
وغيره سبباً لسلامته من مكروه يترتب عليها كما جعل الصدقة وقاية للمال
وسبباً لدفع البلاء .

قال ابن العربي : حافظ على ما ذكر في هذا الحديث من الاستعاذة
والكتم تربرهانه . فإن كثيراً من الناس ، وإن استعاذ ، يتحدث بما رآه .
فأوصيك أن لا تفعل .

وقال بعضهم : الرؤيا الصالحة آدابها ثلاثة : حمد الله عليها ، وأن
يستبشر بها ، وأن يتحدث بها لمن يحب لا لغيره . وآداب غيرها أربعة : التعوذ
من شرها ، وشر الشيطان وأن يتفل حين يتبته ، وأن يتحوّل لجنبه الآخر وأن لا
يذكرها لأحد . (رواه البخاري وغيره) كالإمام أحمد ، والترمذي .

١١١ - (إذا رأى) أي علم (أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه) من
النسب أو الإسلام (ما يعجبه) أي يستحسنه ويرضاه (فليدع له بالبركة) ندباً
بأن يقول اللهم بارك فيه ولا تضره . ويندب أن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله
لحديث يأتي في حرف الميم لفظه : ما أنعم الله تعالى على عبده نعمة من
أهل ومال وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فيرى فيه آفة دون الموت .
وقال في شرح المهدب : يستحب للشخص إذا رأى شيئاً فأعجبه أن يدعوله
بالبركة وإذا رأى شيئاً يكرهه يقول اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب
بالسيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

قال القرطبي : في سورة يوسف واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن
يقول تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه . (فإن العين) أي الإصابة بها
(حق) أي أمر كائن مقضي به في الوضع الإلهي لا شبهة في تأثيره في
النفوس فضلاً عن الأموال .

قال المناوي رحمه الله تعالى: تنبيه في تعليق القاضي حسين: أن بعض الأنبياء نظر إلى قومه فأعجبوه فمات منهم في يوم سبعون ألفاً. فأوحى الله إليه إنك عنتهم. وليتك إذ عنتهم حصنتهم. تقول: حصنتك بالحي القيوم الذي لا يموت أبداً، ودفعت عنكم سوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اهـ.

وقال الحفني: دخل رجل قُرشي مع ابنه على جماعة وكان ابنه حسن الصورة، فقال بعض الحاضرين وهو من الأخيار: هكذا تكون أولاد قريش. فعانه حتى أنه نزل مع أبيه فوق في محل الدواب. فطافت به الدواب وركضته حتى مات. وأصاب والده داء الأكلة في رجله حتى أخبرته الأطباء بأنه إن لم يقطعها سرى ذلك إلى جميع بدنه. فقطعها وأخذها في يده وصار يقول: والله لم أمش بها في حرام قط اهـ.

وحُكي أنه كان بخراسان رجل عائن فجلس يوماً مع جماعة، فمر بهم قطار جمال. فقال العائن: أي جمل تريدون أكله؟ فأشاروا إلى جمل. فنظر إليه فوق في الحال. فقال صاحبه: بسم الله العظيم الشان، شديد البرهان ما شاء الله كان، حبس حابس من حجر يابس، وشهاب قابس. اللهم إني رددت عين العائن عليه وفي كبده وكلتيه وأحب الخلق إليه لحم رقيق، وعظم دقيق، فيما يليق. فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ما شاء الله كان، ولا قوة إلا بالله. فوثب الجمل قائماً بإذن الله تعالى وبذرت عين العائن.

ومما يدفع ضرر العين أن تنادي من توهمت منه العين باسمه فقط فتقول يا فلان أو تقول أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما بقوله: أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. فينبغي للشخص أن يعوذ أولاده ومن يحب بذلك اقتداءً به ﷺ. ثم إن هذا الحديث (رواه أبو يعلى، والطبراني، والحاكم). وكذا النسائي، وابن ماجه. قال العريزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

١١٢ - (إذا رأى أحدكم مبتلي) قال العريزي: أي في دينه بفعل

المعاصي لا بنحو مرضٍ (فقال الحمد لله الذي عافاني) أي نجاني وسلمني (مما ابتلاك به وفضلني عليك) أي صيرني أفضل منك أي أكثر خيراً وأحسن حالاً (وعلى كثير من عباده تفضيلاً كان شكر تلك النعمة) أي كان قوله ما ذكر قياماً بشكر تلك النعمة المنعم بها عليه. وهي معافاته من ذلك البلاء والخطاب. في قوله ابتلاك، وعليك، يؤذن بأنه يظهر له ذلك ومحلّه إذا لم يخف فتنه. (رواه البيهقي) في شعب الإيمان، وهو حديث ضعيف كما في شرح العريزي.

١١٣ - (إذا رأيتم الحريق فكبروا) أي قولوا الله أكبر الله أكبر وكرروه كثيراً. وينبغي الجهر به مخلصاً لله ممثلاً للأمر مستحضراً ما لله من عظيم القدرة، (فإن التكبير يطفئه) حيث صدر عن كمال إخلاص وقوة يقين. قال بعضهم: وقد جربنا نحن وغيرها هذا فوجدناه كذلك. وتخصيص التكبير للإيدان بأن من هو أكبر من كل شيء حري بأن يقهر النار ويزول عند ذكره طغيانها.

قال النووي: ويسن أن يدعو معه بدعاء الكرب. وفي تفسير الطبري إذا كتب أسماء أهل الكهف في شيء، وألقي في النار طفئت. وينبغي أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فإنه يصرف عنه البلاء. وأن يقول ما قال إبراهيم حين ألقى في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل.

خاتمة

قيل لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: قد احترقت دارك. وكانت النار قد وقعت في محلته. فقال: ما كان الله ليفعل ذلك. ثم أتاه آت فقال له: يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت. فقال: قد علمت. فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء، وقد قلتها وهي: اللهم أنت رب لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشاء الله لم يكن. أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً. وأحصى كل شيء عدداً. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي

ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم اهـ. وهذا الحديث (رواه ابن السني، وابن عدي) في الكامل (وابن عساكر) في تاريخه، وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

١١٤ - (إذا سبب الله تعالى لأحدكم رزقاً) أي جعل له سبباً يتعانهه لتحصيل الرزق. (من وجه) أي حال من الأحوال، (فلا يدعه) أي لا يتركه ويعدل لغيره بل يلازمه لأنه من بورك له في شيء فليلازمه (حتى يتغير) وفي رواية يتنكر (له) أي يتعسر عليه، ويجد عليه موانع سماوية وزواجر إلهية. فإذا صار كذلك فليتحول لغيره فإن أسباب الرزق كثيرة.

ورد في حديث: البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رزقاً فأقم واحمد الله تعالى .

قال المناوي رحمه الله تعالى : فالواجب على المتأدب بآداب الله تعالى ترك الاعتراض على الحال فلا يريد خلاف ما يراد به ولا يختار خلاف ما يختار له . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . ومن ثم قال في الحكم : إرادتك التجريد مع إقامة الله تعالى إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية وسوابق الهمم لا تحرق أسرار الأقدار . أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك . وما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله تعالى فيه . لا تطلب منه أن يخرجك من حال ليستعملك فيما سواها فلو أراد استعملك من غير إخراج وقد خلقك الله لما شاء لا لما تشاء . فكن مع مراد الله فيك من التدبير فدبر أن لا تدبر، وهو أقامك فيما فيه صلاحك لا فيما علمت أنت .

قال نافع رضي الله تعالى عنه : كنت أتجهز إلى الشام ومصر فتجهزت إلى العراق فنهتني أم المؤمنين، يعني عائشة رضي الله تعالى عنها، وقالت سمعت رسول الله ﷺ فذكرته (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (وابن ماجه) . وهو حديث حسن كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى .

١١٥ - (إذا سبك) أي شتمك (رجل) أي إنسان (بما يعلم منك) أي من النقائص والعيوب معيراً لك بذلك قاصداً أذاك، كأن كنت جاهلاً فقال لك

يا جاهل أو سارقاً فقال لك يا سارق (فلا تسبه) أنت (بما تعلم منه) أي من النقائص والعيوب بل كف عن مقابله بما يستحقه من إذاعتها ومواجهته بها واحتمل أذاه وعلله بقوله (فيكون أجر ذلك) السب (لك) لترتك حقه وعدم انتصارك لنفسك (و) يكون (وباله) أي سوء عاقبه في الدنيا والآخرة (عليه) وما الله بغافل عما تعملون. والله در القائل:

لا تهتك من مساويء الناس ما سترت فيهتك الله سترتاً عن مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيك
قيل للحسن: ذكرك الحجاج بسوء. فقال: علم ما في نفسي فنطق عن ضميري وكل امريء بما كسب رهين.

وكتب إنسان للقاضي الحكيم بصير الدين ورقة فيها: يا كلب يا ابن الكلب. فكان جوابه: أما قولك كذا فليس بصحيح. لأن الكلب من ذوات الأربع، ونابح طويل الأظفار. وأنا منتصب القامة، بادي البشرة، عريض الأظفار، ناطق ضاحك. وبالجملة فلا ينبغي للإنسان أن يقابل السوء بمثله بل يصبر ولا ينتصر لنفسه لأن الله تعالى ملكاً أخذ برأس العبد إذا انتصر لنفسه خذله وإلا نصره. وهذا الحديث (رواه ابن منيع) في معجمه، وكذلك الديلمي، وهو حديث حسن كما في شرح العزيري.

١١٦ - (إذا سقى الرجل امرأته الماء) أي قام بالواجب من إحضار الماء إليها للشرب (أجر) بالبناء للمفعول، أي أثيب على ذلك وإن كان إنما أتى بواجب. ونبه بذكر الماء الذي لا قيمة له غالباً أو قيمته تافهة على حصول الثواب فيما فوق ذلك من الطعام والكسوة والإحدام بالأولى. والمقصود بالحديث بيان أن نفقة الزوجة وإن كانت لازمة للزوج في القيام بها أجران قصده وجه الله تعالى والامثال لأمره. (رواه البخاري في تاريخه، والطبراني في الكبير، وهو حديث حسن كما في شرح العزيري رحمه الله تعالى).

١١٧ - (إذا سمعتم الرعد) أي الصوت الذي يسمع من السحاب (فاذكروا الله) كأن تقولوا سبحان الله الذي يسبح الرعد بحمده، أو نحو ذلك من المأثور. (فإنه) أي الرعد يعني ما ينشأ عنه من المخاوف (لا يصيب) يعني لا يضر (ذاكراً) لله تعالى لأن ذكره تعالى حصن حصين مما يخاف ويتقي.

روى مالك في الموطأ عن عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

قال المناوي رحمه الله تعالى: وفي خبر ما يفيد أن التسييح إنما يطلب حال عدم اشتداده؛ فإن المصطفى ﷺ كان إذا اشتد الرعد قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك.

قال القاضي الزمخشري: والمشهور أن سببه أي الرعد اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا أخذتها الرياح فتصوّت عند ذلك.

وقال ابن القاسم العبادي في حاشيته على المنهج: نقل الشافعي في الأم عن مجاهد رضي الله تعالى عنهما أن الرعد ملك والبرق أجنحته يسوق بها السحاب فالمسموع صوته أو صوت سوقه على اختلاف فيه وأطلق الرعد عليه مجازاً. (رواه الطبراني) في الكبير. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

١١٨ - (إذا سمعتم أصوات الديكة) بكسر ففتح جمع ديك (فسلوا الله من فضله) أي زيادة انعامه عليكم (فإنها) أي الديكة (رأت ملكاً) بفتح اللام نكرة إفادة للتعميم. فالمراد أي ملك كان. . ويحتمل أن المراد به الملك الذي خلقه الله على صورة ديك رجلاه في تخوم الأرض السابعة وعنقه ملتو تحت العرش وجناحه مكملان بالدر والزبرجد يخفق بجناحيه عند السحر، فسمعته الديكة فتصيح وتقول سبوح قدوس ربنا الله لا إله غيره.

وقال سليمان عليه السلام: الديك يقول اذكروا الله يا غافلون.

والسر في سؤال الله حينئذ رجاء تأمين الملائكة على دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالإخلاص والتضرع والابتهال. ويؤخذ منه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين تبركاً بهم.

وفي الحديث: من قال عند صياح الديك لا إله إلا الله الحي القيوم خمس مرات غفر الله له ذنوب أربعين سنة.

قال العلقمي رحمه الله تعالى: وللديك خصوصية ليست لغيره من

معرفة الوقت الليل فإنه يقسط أصواته تقسيطاً لا يكاد يتفاوت، ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده. فلا يكاد يخطيء سواء طال الليل أم قصر.

قال الداودي: يتعلم من الديك خمس خصال: حسن الصوت، والقيام في السحر، والغيرة، والسخاء، وكثرة الجماع.

روى الثعلبي أن النبي ﷺ قال: ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت قارئ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار؛ (وإذا سمعتم نهيق الحمير) أي صوتها، زاد النسائي ونباح الكلاب، والمراد سماع واحد مما ذكر (فتعوذوا) ندباً أي اعتصموا (بالله من الشيطان) بأن يقول أحدكم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أو نحو ذلك من صيغ التعوذ (فإنها)، قال العريزي أي الحمير والكلاب، (رأت شيطاناً). وحضور الشيطان مظنة الوسوسة والطغيان وعصيان الرحمن فناسب التعوذ لدفع ذلك.

وفي الحديث دلالة على أن الله تعالى خلق للديكة ادراكاً تدرك به النفوس القدسية، كما خلق للحمير والكلاب ادراكاً تدرك به النفوس الشريرة الخبيثة. وفيه دلالة أيضاً على نزول الرحمة عند حضور الصلحاء والغضب عند حضور أهل المعاصي (رواه الشيخان وغيرهما) كالإمام أحمد، وأبي داود، والترمذي.

١١٩ - (إذا سمعتم المؤذن فقولوا)، قال المناوي: ندباً عند الشافعية ووجوباً عند الحنفية، (مثل ما يقول) أي من غير رفع صوت ومن غير دوران للاسماع. مثلاً لأنه يستقبل القبلة أولاً ثم يدور للاسماع. فالمراد بالمائلة المشابهة في مجرد القول لا صفته. والمراد بما يقول ذكر الله والشهادتان لا الحيعلتان، لما في خبر مسلم أن السامع يقول في كل منهما لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا التثويب لما في خبر أنه يقول فيه صدقت وبررت. وهذا هو المشهور عند الجمهور. وعند الحنابلة وجه أنه يجمع بين الحيعلة والحوقلة. فالأولى أن يقولهما احتياطاً للخروج من الخلاف.

تنبيه: قال الحفني رحمه الله تعالى: لم يقل مثل ما قال للإيماء إلى أنه يجيبه بعد كل كلمة ولم يقل مثل ما تسمعون إيماء إلى أنه يجيبه في الترجيع أي وإن لم يسمعه. وانه لو علم أنه يؤذن لكن لم يسمعه لصمم أو بعد يجيب.

وقال العلقمي: قوله إذا سمعتم ظاهره اختصاص الإجابة بمن يسمع حتى لو رأى المؤذن على المنارة مثلاً في الوقت وعلم أنه يؤذن لكن لم يسمع أذانه لبعد أو صمم لا تشرع له المتابعة. قاله النووي في شرح المهذب.

فائدة: من ترك المتابعة ولو بغير عذر سن له التدارك ان قصر الفصل ولو ترتب المؤذنون أجاب الكل وان أذنوا معاً كفت إجابة واحدة. ويقطع نحو القاريء والطائف ما هو فيه ويجب. فقد قال القطب الشعراني نفعا الله به: في العهود المحمدية أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نجيب المؤذن بما ورد في السنة، ولا نتلاهي عنه قط بكلام لغوي ولا غيره أدباً مع الشارع ﷺ. فإن لكل سنة وقتاً يخصها فلا إجابة المؤذن وقت، وللعلم وقت، وللتسيح وقت، ولتلاوة القرآن وقت؛ كما أنه ليس للبعد أن يجعل موضع الفاتحة استغفاراً، ولا موضع الركوع والسجود قراءة، ولا موضع التشهد غيره، وهكذا فافهم.. وهذا العهد يبخل به كثير من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم فيتركون إجابة المؤذن. بل ربما تركوا صلاة الجماعة حتى يخرج الناس منها وهم يطالعون في علم نحو أو أصول أو فقه ويقولون العلم مقدم مطلقاً. وليس كذلك فإن المسألة فيها تفصيل فما كل علم يكون مقدماً في ذلك الوقت على صلاة الجماعة كما هو معروف عند كل من شم رائحة مراتب الأوامر الشرعية.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى إذا سمع المؤذن يقول: حي على الصلاة، يرتعد ويكاد يذوب من هيبه الله عز وجل؛ ويجب المؤذن بحضور قلب وخشوع تام رضي الله تعالى عنه. فاعلم ذلك والله يتولى هداك. (ثم) بعد فراغ الإجابة (صلوا علي) أي ندباً وسلموا.

قال المناوي: وصرفه عن الوجوب الإجماع على عدمه خارج الصلاة (فإنه) أي الشأن (من صلى علي صلاة) أي مرة (صلى الله عليه بها) أي بالصلاة (عشراً).

وروى أحمد عن ابن عمر موقوفاً من صلى عليه واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين. وهذا في حكم الرفع ولعله أخبر أولاً بالقليل ثم زيد فأخبر به، (ثم سلوا الله لي الوسيلة) أي كأن تقولوا: اللهم رب هذه الدعوة التامة

والصلاة القائمة آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، وأوردنا حوضه واسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً يا أرحم الراحمين. وفسر ﷺ الوسيلة بقوله: (فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي) أي لا يليق إعطاؤها (إلا لعبد) أي عظيم كما يفيدته التنكير (من عباد الله) الذين هم أصفياؤه وخلاصة خواص خلقه، (وأرجو) أي أوئل (أن أكون أنا هو)، أي أنا ذلك العبد. وذكره على طريق الترجي، تأدباً لأنه إذا كان أفضل الأنام فلمن يكون ذلك المقام.

• وقال القرطبي: قال ذلك قبل أن يوحى إليه أنه صاحبها ثم أخبر بذلك ومع ذلك فلا بد من الدعاء بها، فإن الله يزيده بكثرة دعاء أمته رفعة، كما زاده بصلاتهم. ثم يرجع ذلك عليهم بنيل الأجور ووجوب شفاعته ﷺ.

وقال الحفني: سبق في علم الله أنها له وإنما الطلب لها له لمزيد الخير للطالب اهـ. أي كما قال (فمن سأل لي) من أمتي (الوسيلة) أي طلبها إلي من الله تعالى وهو مسلم (حلت عليه الشفاعة) أي وجبت وجوباً واقعاً عليه أو نالته أو نزلت به سواء كان صالحاً أو طالحاً فالشفاعة تكون لزيادة الثواب والعفو عن العقاب أو بعضه.

خاتمة

ورد في الحديث أن المرأة إذا أجابت الأذان أو الإقامة كان لها بكل حرف ألف ألف درجة وللرجل ضعف ذلك. وذكر بعضهم أن من قال حين يسمع المؤذن: مرحباً بالقائل عدلاً، مرحباً بالصلاة أهلاً. كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألفي ألف درجة.

وقال بعضهم: من قال حين يسمع قول المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله مرحباً بحبيبي وقرّة عيني محمد بن عبد الله ﷺ. ثم يقبل إبهاميه ويجعلهما على عينيه لم يعم ولم يرمد أبداً.

وقال أبو حازم رضي الله تعالى عنه: بلغني أن من قال إذا فرغ المؤذن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل شيء هالك إلا وجهه اللهم أنت الذي مننت علي بهذه الشهادة، وما شهدت بها إلا لك ولا يتقبلها غيرك مني

فاجعلها لي قربة عندك وحجاباً من نارك، واغفر لي ولوالدي، ولكل مؤمن ومؤمنة بك برحمتك يا أرحم الراحمين إنك على كل شيء قدير. أدخله الله الجنة بغير حساب اهـ. وهذا الحديث (رواه مسلم وغيره) كالإمام أحمد في مسنده، وأبي داود، والترمذي، والنسائي.

١٢٠ - (إذا سميتم فعبدوا) بالتحديد. أي إذا أردتم تسمية نحو ولد أو خادم فسموه بما فيه عبودية لله تعالى لأن أشرف الأسماء ما تعبد له كما خبر آخر ولقد أجاد القاضي عياض حيث قال رحمه الله تعالى:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخصمي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وإن صيرت أحمد لي نبيا

قال العلامة الباجوري في حاشيته على شرح ابن قاسم: وأفضل الأسماء عبد الله ثم عبد الرحمن، ثم ما أضيف بالعبودية إلى اسم من أسمائه تعالى. ثم محمد ثم أحمد، لخبر مسلم أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن. ولقوله ﷺ: خير الأسماء ما عبد ثم ما حمد، ولا تكره التسمية بأسماء الملائكة والأنبياء. فقد روي أنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي. وتكره الأسماء القبيحة كحمار وكل ما يتطير بنفيه أو إثباته. وتحرم التسمية بعبد الكعبة أو عبد الحسن أو عبد علي. وكذا كل ما أضيف بالعبودية لغير أسمائه تعالى لإيهامه التشريك، كما في شرح الرملي، إلا عبد النبي فتكره التسمية به على المعتمد خلافاً لما وقع في حاشية الرحماني من حرمة التسمية به. وما في حاشية الجلال للقلبي من كراهة التسمية بعبد علي ضعيف. وتحرم التسمية بعبد العاطي وعبد العال لأن كلاً منهما لم يرد، وأسماءه تعالى توقيفية. ويجب تغيير الإسم الحرام على الأقرب لأنه من إزالة المنكر. وإن تردد الرحماني في وجوبه وندبه اهـ. واعلم أنه يندب أن يكنى أهل الفضل الذكور والإناث وإن لم يكن لهم ولد. ويندب تكنية من له أولاد بأكبر أولاده ولو أنثى. والأدب أن لا يكنى نفسه في كتاب أو غيره إلا إن كانت أشهر من الإسم، أو لا يعرف إلا بها. ولا بأس بالألقاب الحسنة فلا ينهى عنها لأنها لم تنزل في الجاهلية والإسلام إلا ما أحدثه الناس في آخر ما نشأ من التوسع حتى لقبوا السفلة

بالألقاب العلية، كصلاح الدين، ويحرم تلقيب الإنسان بما يكره وإن كان فيه كالأعمش. لكن يجوز ذكره به للتعريف إذا لم يعرف إلا به. ويندب لولد الشخص وقته وتلميذه أن لا يسميه باسمه، ولو في مكتوب. بل يقول العبد يا سيدي، والولد يا والدي أو يا أبي، والتلميذ يا أستاذنا أو يا شيخنا، فتنه لذلك وهذا الحديث (رواه الحسن بن سفيان، والحاكم) في الكنى، (والطبراني) في الكبير، وأبو نعيم، وابن منده، وهو حديث ضعيف كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى آمين.

١٢١ - (إذا سميتم) أحداً من أولادكم أو نحوهم (محمداً فلا تضربوه) لغير تأديب، والنهي للتحريم كما في شرح العزيزي. قال: وذلك من كمال الواجب له زيادة على غيره أي أكد في الوجوب (ولا تحرموه) من البر والإحسان والصلة إكراماً لمن تسمى باسمه.

فائدة: قال البهني رحمه الله تعالى: ورد أنه ما اجتمع قوم لطعام وفيهم من اسمه محمد إلا ونزلت فيه البركة. وورد ما اجتمع قوم وتشاؤروا في حاجة وفيهم من اسمه محمد ولم يستشيروه إلا لم تنجح ولم يظفروا بها. قال: وظاهر أكثر الأحاديث الاختصاص بهذا الإسم، وفي بعضها من تسمى باسمي. ومثل محمد أحمد اهـ. (رواه البزار) في مسنده. قال العلامة العزيزي: رحمه الله تعالى وهو حديث ضعيف.

١٢٢ - (إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه) أي وقروه وعظموه (وأوسعوا له في المجلس) عطف خاص على عام للاهتمام (ولا تقبحوا له وجهاً) أي لا تقولوا له قبح الله وجهك أو لا تنسبوه إلى القبح في شيء من أقواله وأفعاله. وكنى بالوجه عن الذات.

فائدة: يندب التسمية بمحمد لحديث حاضر أحدكم لو كان في بيته محمد ومحمدان وثلاثة. وحديث من ولد له مولود فسماه محمداً تبركاً به كان هو ومولوده في الجنة.

وقال مالك رضي الله تعالى عنه: ما كان في أهل بيت اسم محمد إلا كثرت بركته؛ فينبغي أن لا يخلي الشخص أولاده من اسم محمد. ويلاحظ

في ذلك عود بركة اسمه ﷺ عليه وعلى بيته ولا يقول سميته باسم أبي أو جدي .

واعلم أنه قد جاء في التسمية بمحمد فضائل عليه منها قوله ﷺ: إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة .

وذكر بن الحاج في كتاب المدخل عن الحسن البصري: ان الله ليوقف العبد بين يديه الذي اسمه أحمد أو محمد، فيقول: يا عبدي أما تستحي أن تعصيني واسمك على اسم حبيبي؟ فينكس العبد رأسه حياء، ويقول: اللهم إني قد فعلت. فيقول الله عز وجل: يا جبريل خذ بيد عبدي وأدخله الجنة فإني أستحي أن أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي .

وروى الحافظ أبو طاهر السلفي من حديث حميد الطويل مرفوعاً: يوقف عبدان بين يدي الله عز وجل فيقول الله لهما: ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه محمد ولا أحمد. أي إكراماً له ﷺ المسمى بهما في السماء وفي الأرض .

تمة: قال سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعا الله به أخذ علينا العهد أن نزيد في تعظيم كل عبد يسمى بمثال الله عز وجل . أو بمثال أسماء رسوله ﷺ أبو بمثال أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو بمثال أسماء أكابر الأولياء رضي الله عنهم زيادة على تعظيم غيره ممن لم يسم بما ذكر .

وقال لي سيدي محمد بن عنان: أحب للناس أن يسموا أولادهم أحمد دون محمد. فقلت له: ولم ذلك؟ قال: للحن العامة في اسم محمد. فإن أهل الأرياف يقولونه بفتح الميم والحاء، وأهل الحاضرة يقولونه بفتح الميم وكلاهما لحن فاعلم ذلك اهـ. وهذا الحديث (رواه الخطيب) قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

١٢٣ - (إذا شرب أحدكم) أي ماء أو غيره (فلا يتنفس) ندباً (في) داخل (الإناء) لأنه يقدره ويغير ريحه فتعافه النفس ولأنه من فعل البهائم، فمن فعله فقد تمثل بهم .

قال العراقي: فالنهى محمول على الكراهة لا على التحريم اتفاقاً

والمراد به أن يتنفس في أثناء شربه من الإناء من غير أن يرفع فمه عنه فالمطلوب منه إذا أراد أن يعود إلى الشرب أن يزيل الإناء ويبعده عن فمه ثم يتنفس خارجه. (وإذا أتى الخلاء) بالمد أي المحل الذي تقضى فيه الحاجة (فلا يمس ذكره بيمينه) أي بيده اليمنى حال قضاء الحاجة فيكره ذلك، والأثنى مثل الرجل فيما ذكره. (ولا يتمسح بيمينه) أي لا يستنج بها فيكره ذلك تنزيهاً، أما التمسح بها بأن يجعلها مكان الحجر فيزيل بها النجاسة فحرام. (رواه البخاري، والترمذي).

١٢٤ - (إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً) أي بأن يأخذ أحدكم الماء بالشفيتين ويشربه شرباً رقيقاً يتنفس بأن يبين الإناء عن فيه، ثم يتنفس ثم يعود إلى الشرب حتى يكمل ثلاثة أنفاس، (ولا تشرّبوه غباً) أي متتابعاً من غير مص ولا تنفس (فإن العب) بفتح المهملة (يورث الكبد) بضم الكاف وتخفيف الموحدة. أي يتولد منه وجع الكبد.

قال المناوي: وقد علم بالتجربة أن هجوم الماء دفعة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها بخلاف وروده بالتدرّج، ألا ترى أن صب البارد على القدور وهي تفور يضر، وبالتدرّج لا. وقال العزيزي: اتفق على كراهة العب، أي الشرب في نفس واحد أهل الطب، وذكروا أنه يولد أمراضاً يعسر علاجها، اهـ.

فائدة: يكره الأكل والشرب قائماً لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك لكثرة آفاته ومضاره. قال العزيزي: وللشرب قائماً آفات كثيرة منها أنه لا يحصل الري التام به ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء، وأنه ينزل بسرعة وحدة إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها. ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدرّج، وكل هذا يضر بالشارب. فأما إذا فعله نادر الحاجة فلا.

وأما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: سقيت رسول الله ﷺ من ماء زمزم فشرّب وهو قائم. فأجيب عنه بأن فعله عليه الصلاة والسلام إذا كان بياناً للجواز، لا يكون مكروهاً، بل البيان واجب عليه ﷺ قال الحافظ أبو الفضل بن حجر:

إذا رمت تشرب فاقعد تفز بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد صححوا شربه قائماً ولكنه لبيان الجواز

ويكره أيضاً الشرب من فم القربة ومن ثلمة القدح، أي موضع الكسر منه لأنه ربما نزل الماء دفعة واحدة فيضره بوجع الكبد وغيره. وقد يكون في القربة ما لا يراه الشارب فيدخل جوفه فيؤذيه، ولأن موضع الكسر من القدح لا يناله التنظيف التام إذا غسل ولا يتماسك عليه فم الشارب فربما انصب الماء على ثوبه وبدنه. (رواه الديلمي) في مسند الفردوس، وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيري.

١٢٥ - (إذا شربتم اللبن) أي فرغتم من شربه (فتمضمضوا). قال المناوي: ارشاداً أو ندباً بالماء (منه) أي من أثره وفضلته، وعلل ذلك بقوله (فإن له دسماً). وقد ذكر بعض الأطباء أن بقاء اللبن يضر باللثة والأسنان.

تنبيه: قال الحفني: العلة تفهم أن كل ما له دسم يُتمضمض منه لأن إبقاء ذلك في الفم يورث البخر^(١) ووجع الأسنان وأمراضاً كثيرة.

قال المناوي: بل أخذ من مضمضته عليه الصلاة والسلام من السويق ندبها في غير ما له دسم أيضاً إذا كان يعلق منه شيء بين الأسنان أو في نواحي الفم لأن بقاء المأكول يورث حفر الأسنان. (رواه ابن ماجه)، قال العزيري: وهو حديث صحيح.

١٢٦ - (إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر) أي سنّته ولو قضاء (فليضطجع) أي ندباً. وعند بعضهم أن ذلك واجب، لا تصح الصبح بدونه (على جنبه الأيمن) أي يضع جنبه اليمين على الأرض ولا يحصل أصل السنة بكونه على اليسار بلا عذر. وفائدته الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح لئلا يتوهم أن الصبح رباعية، ومن ثم قال الشافعي وأصحابه: يستحب أن يفصل بين سنة الفجر وصلاة الصبح باضطجاع على يمينه أو بحديث أو تحوّل من مكانه أو نحو ذلك، وقيل أن حكمة ذلك تذكّر ضجعة القبر أول النهار ليكون باعثاً له على أعمال الآخرة أو لإظهار العجز في أول النهار ويقول في

(١) بفتحيتين تنن الفم من باب طرب اهـ.

حال اضطجاعه: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورب محمد ﷺ أجرني من النار ثلاثاً. وإذا صلى الصبح ابتداء ثم صلى سنة الفجر بعده لا يضطجع بينهما وإنما يضطجع بعد ركعتي الفجر.

فائدة: قال بعض الصالحين: من قرأ في ركعتي الفجر ألم نشرح لك وألم تركيف، قصرت عنه يد كل عدو ولم يجعل لهم عليه سبيل. قال الغزالي رحمه الله تعالى: وهذا صحيح مجرب بلا شك ولذلك قيل من صلاهما بألم لم يصبه في ذلك اليوم ألم. وعن الترمذي الحكيم قال: رأيت الله في المنام مراراً فقلت له يا رب إني أخاف زوال الإيمان، فأمرني بهذا الدعاء بين سنة الصبح والفريضة أحداً وأربعين مرة وهو هذا: يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين. وعنه أيضاً أنه قال: رأيت رب العزة ألف مرة فقلت يا رب إني أخاف من زوال الإيمان فأمرني بقراءة هذا الدعاء بين سنة الفجر وفريضته وهذا هو: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم بحرمة الحسين وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه نجني من الغم الذي أنا فيه يا حي يا قيوم ويا ذا الجلال والإكرام، أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين. وذكر بعضهم أن رجلاً أتى يشكو إلى النبي ﷺ الفقر فقال: قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة ولك ثوابه اهـ. وهذا الحديث (رواه أبو داود والترمذي وابن حبان) في صحيحه، وهو حديث صحيح كما في شرح العزيمي.

١٢٧ - (إذا صليت الصبح) أي فرغت من صلاته، (فقل) ندباً عقبها (قبل أن يتكلم أحداً من الناس اللهم أجرني) بكسر الجيم أي أعذني وأنقذني (من النار)، أي من عذابها أو من دخولها، والمراد نار الآخرة. قل ذلك (سبع مرات فإنك إن) قلته (ومت من يومك ذلك كتب الله لك) أي قدر أو أمر الملائكة أن يكتبوا لك في اللوح والصحف (جواراً) بضم الجيم وكسرهما والكسر أفصح أي أماناً (من النار، وإذا صليت المغرب) أي فرغت من صلاتها

(فقل قبل أن تكلم أحداً من الناس اللهم أجرني من النار سبع مرات فإنك إن) قلت ذلك و(مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار) قال المناوي :
يحتمل أن ذلك مقيد باجتناّب الكبائر أخذاً من نصوص آخره. قال الحفني : وفيه دليل على موته على الإسلام ولو قال أجرنا من النار لأجل دخول الجماعة لم يضره.

فائدتان، الأولى : عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : من قرأ إذا صلى الغداة أي الصبح ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى ويعلم ما تكسبون، أنزل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة ونزل إليه ملك من فوق سبع سموات ومعه مرزبة من حديد بكسر الميم وتخفيف الباء لا غير. فإن أوحى الشيطان في قلبه شيئاً من الشر ضربه ضربة حتى يكون بينه وبينه سبعون حجاً وإذا كان يوم القيامة. قال الله تعالى : أنا ربك وأنت عبدي امش في ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من الكوثر واغتسل بماء السلسيل وادخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الثانية : عن مقاتل بن سليمان قال : من صلى الصبح في وقته ثم دعا بهذا الدعاء مائتي مرة قبل أن يتكلم ولم يستجب له فليلعن مقاتلاً وهو هذا :
اللهم يا حي يا قيوم يا فرد يا وتر يا صمد يا سند يا من إليه المستند يا من لم يلد الخ. أسألك كذا وكذا هـ. (رواه الإمام (أحمد) في مسنده (وأبو داود وغيرهما) كالنسائي وابن حبان في صحيحه. وهو حديث صحيح كما في شرح العريزي.

١٢٨ - (إذا صليتم صلاة الفرض) أي المكتوبات الخمس (فقولوا) ندباً (في عقب كل صلاة) أي في أثرها من غير فاصل، أو بحيث ينسب إليها عرفاً (عشر مرات) أي متواليات ويحتمل اغتفار الفصل والسكوت اليسيرين (لا إله) أي لا معبود بحق (إلا الله وحده) حال مؤكدة يعني منفرداً في الألوهية (لا شريك) أي مشارك (له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) أي هو فعال لكل ما يشاء كما يشاء (يكتب له) قال العريزي : بالبناء للمفعول وفيه حذف، أي فقائل ذلك يقدر الله له أو يأمر الملك أن يكتب في اللوح أو الصحف (من الأجر كأنما أعتق رقبة) أي أجراً كأجر من أعتق رقبة لما

للكلمات المذكورة من مزيد المزية عنده تعالى وحسن القبول لديه. وورد في الحديث أن للقيامَة ألف هول أدناها سكرات الموت، وان للموت تسعة وتسعين جذبة لألف ضربة بالسيف أهون من جذبة منها. فمن أراد أن ينجو من تلك الأهوال فليقل عشر كلمات خلف كل صلاة، قالوا: يا رسول الله ما الكلمات؟ قال: أعددت لكل هول ألقاه في الدنيا والآخرة لا إله إلا الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء وشدة الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل مصيبة لا حول ولا قوة إلا بالله.

وذكر بعضهم ان من قال خلف الصلوات الخمس لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً ورباً شاهداً لا معبود سواه ونحن له مسلمون أربع مرات جعل الله له الصراط طول أربعة أذرع في عرض أربعة أذرع. ومما يقتضي طول العمر وسعة الرزق ما نقل عن بعض الفضلاء أن يقال عقب كل فرض سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته، وقال بعضهم من داوم على قراءة آية الكرسي عقب كل صلاة تولى الله قبض روحه بنفسه. ومما يفيد حفظ الإيمان أن يقال عقب كل من الصلوات الخمس اللهم إني أسألك أيماً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرّة عين لا تنقطع ومرافقة نبيك سيدنا محمد ﷺ في أعلى جنات الخلد. اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني يا كريم يا كريم يا كريم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فائدة: اختلف في الصلاة التي يتطوع بعدها هل يتشاغل الإنسان عقبها بالذكر المأثور ثم بتطوع أو بالعكس ذهب الجمهور إلى الأول. وهذا الحديث (رواه الرافعي) الإمام عبد الكريم القزويني في تاريخه. وهو حديث حسن كما في شرح العزيري.

١٢٩ - (إذا طنت) بالشديد أي صوتت (أذن أحدكم فليذكرني) بأن يقول محمد رسول الله (وليصل عليّ) أي يقول ﷺ (وليقبل ذكر الله من ذكرني بخير) فإن الأذن إنما تطن لما ورد على الروح من الخبر الخير وهو أن المصطفى ﷺ قد ذكر ذلك الإنسان بخير في الملاء الأعلى في عالم الأرواح.

(رواه الحكيم) الترمذي (وابن السني) في الطب (والطبراني) في الكبير وكذا في الأوسط والصغير، (و) رواه (غيرهم) كالعقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل والخرائطي في المكارم. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن.

١٣٠ - (إذا عاد أحدكم مريضاً) أي زاره في مرضه والمراد المسلم المعصوم (فليقل) في دعائه له ندباً (اللهم اشف عبدك ينكأ) بفتح المثناة التحتية وسكون النون وفتح الكاف وبالهمز وتركه أي يجرح ويؤلم وهو مجزوم على أنه جواب الأمر ويجوز رفعه بتقدير فإنه ينكأ (لك عدواً) من الكفار (أو يمشي لك إلى صلاة). وفي رواية إلى جنازة. قال المناوي رحمه الله تعالى: وعيادة المريض المسلم سنة مؤكدة وأوجبها الظاهرية ولو مرة في مرضه تمسكاً بظاهر الأمر في الأخبار اهـ. قال العزيزي: أما الكافر فلا يمكن الدعاء له بذلك وإن جازت عيادته. (رواه الحاكم) في مستدركه، قال العزيزي: وهو حديث صحيح.

١٣١ - (إذا عاد أحدكم مريضاً فلا يأكل عنده شيئاً) أي يكره له ذلك، (فإنه) أي الأكل عنده (حظه من عيادته) أي فلا ثواب له فيها أصلاً أو كاملاً إنما ثوابه ما أكل. ويظهر أن في معنى الأكل ما اعتيد من اتحاف الزائر بشرب السكر أو اللبن أو القهوة فينبغي تجنب ذلك للعائد لأنه محبط لثواب العيادة وينقذ اختصاص المنع بغير الأصل في عيادته فرعه. فقد قال المصطفى ﷺ أنت ومالك لأبيك. (رواه الديلمي) في مسند الفردوس. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

١٣٢ - (إذا عطس أحدكم) بفتح الطاء (فحمد الله) أي وأسمع من بقره عادة حيث لا مانع وذلك شكراً لله على نعمته بالعطاس لأنه يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء فهو جدير بأن يشكر عليه، (فشمتوه) قال الحفني: بمهملة وبمعجمة أكثر أي ادعوا الله أن يرده إلى حاله الأول. لأن العطاس يحل مرابط البدن. وقال العزيزي: فشمتوه أي ادعوا له بالرحمة والتشميت يقال بالمعجمة وبالمهملة. ثم قال بعد كلام طويل: قال شيخ شيوخنا: قال ابن

العربي في شرح الترمذي : تكلم أهل اللغة على اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه وهو بديع ، وذلك أن العاطس ينحل كل عضو في رأسه وما يتصل به من العنق ونحوه وكأنه إذا قيل له يرحمك الله كان معناه أعطاك الله رحمة يرجع بها بدنك إلى حاله قبل العطاس ، ويقوم على حاله فإن كان التشميت بالمهملة فمعناه رجع كل عضو إلى سمته الذي كان عليه ، وإن كان بالمعجمة فمعناه صان الله شوامته أي قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجه عن الاعتدال .

قال : وشوامت كل شيء قوائمه التي بها قوامه فقوام الدابة بسلامة قوائمها التي تنتفع بها إذا سلمت ، وقوام الأدمي بسلامة قوائمه التي بها قوامه وهي رأسه وما يتصل به من عنق وصدرا .

قال المناوي : والأمر للندب عند الجمهور . وقال ابن دقيق العيد : ظاهر الخبر الوجوب . ومال إليه وأيده ابن القيم وعليه فقيل هو عيني وقيل كفاية . (وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه) فيكره تنزيهاً لأن غير الشاكر لا يستحق الدعاء .

لطيفة : قال الحفني : حُكي أن ملكاً أرسل لقاض وكانوا أوشوا فيه أنه يجاي ، فأحضره فعطس الملك فلم يشمته فقال : لم لم تشمتني؟ فقال : لأنك لم تحمد الله . فقال : حمدته في قلبي . فقال : وأنا شممتك في قلبي . فقال : إذا كنت أنا الملك ولم تحابني فالناس من باب أولى ، فرده لولايته لعلمه بأنه لم يحاب أحداً وأنه لم يخش في الله لومة لائم اهـ . وأقل الحمد والتشميت أن يسمع كل صاحبه . ويؤخذ منه أنه إذا أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمت ويستحب لمن حضر من عطس^(١) أن يذكره الحمد ليحمد فيشمته وقد ثبت ذلك عن إبراهيم وهو من باب النصيحة والأمر بالمعروف .

فائدة : روى البخاري في الأدب عن علي ، من قال عند عطسة سمعها الحمد لله رب العالمين على كل حال ، ما كان لم يجد وجع الضرس ولا

(١) أي ولم يحمد بقرينة ما بعده وهو أن يذكره الخ لأن التذكير لا يكون إلا بعد النسيان أو المراد بالتذكير المبادرة بقرينة حديث الطبراني اهـ .

الأذن أبداً، قال ابن حجر: هو موقوف رجاله ثقات ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع. أخرج الطبراني عن علي مرفوعاً، من بادر العاطس بالحمد عوفي من وجع الخاصرة ولم يشك ضرسه أبداً وسنده ضعيف. قال العزيزي وقال في الدر كأصله: من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعلوص. والأول بفتح الشين المعجمة وسكون الواو وبالصاد المهملة وجع الضرس، وقيل الشوص وجع البطن من ريح ينعقد تحت الأضلاع. والثاني بفتح اللام المشددة وسكون الواو وبالصاد المهملة وجع الأذن وقيل وجع النحر. والثالث بكسر العين وبفتح اللام الثقيلة وسكون الواو آخره صاد مهملة وجع في البطن وقيل التخمة. وقد نظم ذلك بعض الناس فقال:

من يتدي عاطساً بالحمد يأمن من شوص ولوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما يليه للأذن والبطن اتبع رشدا

وقد خصص من عموم الأمر بتشميت العاطس جماعة، الأول من لم يحمد. كما تقدم. الثاني الكافر لا يشمت بالرحمة بل يقال يهديكم الله ويصلح بالكم؛ الثالث المزكوم إذا زاد على الثلاث بل يدعي له بعدها بالشفاء، الرابع ذهب بعض أهل العلم إلى أن من عرف من حاله أنه يكره التشميت لا يشمت إجلالاً للتشميت. قال ابن دقيق العيد: والذي يظهر أنه لا يمتنع من ذلك إلا من خاف منه ضرر، فأما غيره فيشمت امتثالاً للأمر ومناقضة للمتكبر في مراده وكسراً لسورته في ذلك وهو أولى من إجلال التشميت. ويؤيده أن لفظ التشميت دعاء بالرحمة فهو يناسب لمسلم كائناً ما كان الخامس. قال ابن دقيق العيد: يستثنى أيضاً من عطس والإمام يخطب والراجع أنه يستحب التشميت، السادس يمكن أن يستثنى من كان عند عطاسه في حالة يمتنع عليه فيها ذكر الله كما إذا كان على الخلاء أو في الجماع فيؤخر ثم يحمد فيشمت فلو خالف في تلك الحالة هل يستحق التشميت فيه نظر. وفي حاشية الشنواني، على مختصر ابن أبي جمرة أنه لا يشمت العاطس بسبب كشوق. قال: ومذهب مالك وجوب التشميت على الكفاية ولو كان العطاس بسبب لكن بشرط أن يحمد الله تعالى على كل حال. قال ابن دقيق العيد: ومن فوائد التشميت تحصيل المودة والتألف بين المسلمين، وتأدب العاطس بكسر

النفس عن الكبر والحمل على التواضع لما في ذكر الرحمة من الاشعار بالذنب الذي لا يعرى منه أكثر المكلفين اخيه.

قال المناوي: تنبيه اعتيد في بعض الأقطار أنه إذا عطس كبير وحمد لا يشمت إعظاماً له، وقد صرح جمع بأن من قال لمن شمت كبيراً يرحمك الله لا تقل له ذلك قاصداً أنه غني عن الرحمة أو أجل من أن يقال له ذلك كفر اهـ.

فائدة: يسن للعاطس أن يضع كفيه على وجهه ويخفض صوته بالعطاس لما ورد إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته وحكمة وضع الكفين على الوجه أنه ربما يبدو من فضلات دماغه ما يكرهه الرائي فيتأذى برؤيته وهذا نوع من الأدب بين الجلساء. (رواه مسلم وغيره)، كأحمد في مسنده، والبخاري في الأدب.

١٣٣ - (إذا عطس أحدكم فليقل) ندباً (الحمد لله رب العالمين) وروى النسائي عن علي: الحمد لله على كل حال، فيجمع الشخص بينهما بأن يقول: الحمد لله رب العالمين على كل حال، ولا أصل لما اعتاده كثير من الناس من قراءة بقية الفاتحة بعد قوله الحمد لله رب العالمين، والعدول عن الحمد إلى أشهد أن لا إله إلا الله وتقديمها على الحمد مكروه. وروى ابن أبي شيبة أن ابن عمر سمع ابنه عطس فقال: اش. قال: وما اش إن الشيطان جعلها بين العطسة والحمد. والحكمة في مشروعية الحمد للعاطس كما قاله العلامة العزيمي نقلاً عن الحلبي أن العطاس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحسن وبسلامته تسلم الأعضاء فظهر بهذا أنها نعمة جليلة تناسب أن تقابل بالحمد لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع (وليقل له) بالبناء للمفعول أي وليقل له سامعه (يرحمك الله) يحتمل أن يكون دعاء له بالرحمة ويحتمل أن يكون أخباراً على طريق البشارة فكان المشمت يبشر العاطس بحصول الرحمة في المستقبل بسبب حصولها له في الحال لكونها دفعت ما يضره. قال ابن بطال: ذهب قوم فقالوا له يرحمك الله يخصه بالدعاء وحده اهـ. وأخرج البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن أبي

حمزة: سمعت ابن عباس إذا شمت يقول عافانا الله وإياكم من النار يرحمك الله، وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: يقول يرحمنا الله وإياكم.

تنبیه: قال ابن دقيق العيد: ظاهر الحديث أن السنة لا تتأدى إلا بالمخاطبة، وأما ما اعتاده كثير من الناس من قولهم للرئيس يرحم الله سيدنا فخلاف السنة. وبلغني عن بعض الفضلاء أنه شمت رئيساً فقال له: يرحمك الله يا سيدنا فجمع بين الأمرين وهو حسن. (وليقل هو) أي العاطس لمن شتمته مكافأة له (يفغر الله لنا) لفظ رواية الطبراني لي (ولكم) وفي رواية للبخاري: يهديكم الله ويصلح بالكم أي حالكم. واختير الجمع بين اللفظين ليكون أجمع للخير وخروجاً من الخلاف ورجح، والظاهر أن هذا في المسلم وأما الذمي فيقال له يهديك الله. فقد جاءت أن النبي ﷺ عطس بحضرة يهودي فقال: يا محمد يرحمك الله. فقال: يهديك الله. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

قال العريزي: وفي حديث الباب دليل على أنه يستحب لمن دعا لغيره أن يبدأ بالدعاء أولاً لنفسه ويشهد له رب اغفر لي ولوالدي ربنا اغفر لنا ولأخواننا. وفيه أنه يأتي بصيغة الجمع وإن كان المخاطب واحداً. (رواه الطبراني) في الكبير (والثلاثة) وهم أبو داود والترمذي، والنسائي (و) رواه (غيرهم كالحاكم) في مستدرکه والبيهقي في شعب الإيمان والإمام أحمد. قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

١٣٤ - (إذا عطس أحدكم فقال الحمد لله) واقتصر عليه (قالت الملائكة) أي الحفظة أو من حضر منهم أو أعم (رب العالمين فإذا قال رب العالمين قالت الملائكة رحمك الله) قال المناوي: فإذا أتى العبد بصيغة الحمد الكاملة استحق أن يقابل بالإجابة بالرحمة وإن قصر باقتصاره على لفظ الحمد تمت له الملائكة ما فاته اهـ. قال العلامة الحفني: وورد أن الملائكة تسر بطاعة أمة محمد ﷺ وتنغم^(١) بغيرها اهـ.

وأخرج ابن السني عن أبي رافع مرفوعاً: أتاني جبريل فقال: إذا أنت

(١) (قوله وتنغم) قال في القاموس غمه فاغتم وانغم أحزنه اهـ جامعه.

عطست فقل: الحمد لله على كرمه والحمد لله كفاء جلاله، فإن الله عز وجل يقول صدق عبدي صدق عبدي مغفور له. وفي حاشية البجيرمي على شرح الخطيب من قال بعد العطاس عقب حمد الله اللهم ارزقني مالاً يكفيني وبيتاً يأويني^(١) واحفظ علي عقلي ودينني واكفني شر من يؤذيني أعطاه الله سؤاله اهـ. وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير، وكذا في الأوسط. قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن.

١٣٥ - (إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه) أي الجالس معه سواء كان ابناً أو أختاً أو أباً أو أجنبياً أو صاحباً أو عدواً ويلحق بالجلس كل من سمع العطاس، (فإن زاد) أي العطاس (على ثلاث) من العطسات (فهو مزكوم) أي به داء الزكام بضم الزاي. وهو مرض معروف من أمراض الرؤوس. قال العلقمي: وهذا يدل على معرفة النبي ﷺ بالطب. وانه بلغ الغاية القصوى مما لم يبلغه الحكماء المتقدمون والمتأخرون. وفيه أن العلة التي تحدث بالبدن وتعرف بأسباب وعلامات، والعطاس إذا جاوز الثلاث دل على علة الزكام (ولا يشمت بعد ثلاث) أي لا يدعى له بالدعاء المشروع للعطاس، بل بدعاء يناسبه بأن يقال له شفاك الله تعالى أو عافاك الله تعالى. قال المناوي: فمن فهم أن النهي عن مطلق الدعاء فقد وهم. ولهذا قال ابن القيم: في قوله فهو مزكوم تنبيه على الدعاء له بالعافية، لأن الزكمة علة وإشارة إلى الحث على تدارك هذه العلة ولا يهملها فيعظم أمرها وكلام المصطفى ﷺ كله حكمة ورحمة.

فائدة: قال أنس رضي الله تعالى عنه: عطس عثمان عند النبي ﷺ ثلاث عطسات متواليات، فقال ﷺ: يا عثمان ألا أبشرك. قال: بلى يا رسول الله. قال: هذا جبريل يخبرني عن الله تعالى أن من عطس ثلاث عطسات متواليات كان الإيمان ثابتاً في قلبه اهـ. (رواه أبو داود). قال العلامة العريزي رحمه الله: وهو حديث حسن.

(١) قوله يأويني) بابه ضرب قال في المصباح أوى إلى منزله يأوي من باب ضرب أويماً قام وربما عدى بنفسه فقبل أوى منزله ثم قال وأويت زيدا بالمد في التعدي ومنهم من يجعله مما يستعمل لازماً ومتعدياً فيقول أويته وزان ضربته اهـ اهـ جامعه.

١٣٦ - (إذا قال العبد) أي الإنسان (يا رب يا رب قال الله) تعالى مجيباً له (لبيك عبدي). قال الحفني: أي إجابة بعد إجابة. فكما أنه كرر لفظ النداء بقوله يا رب يا رب، أجابه سبحانه وتعالى بلفظ يقتضي التكرار (سل) ما شئت (تعط) أي أعطك عين ما سألته معجلاً أو مؤجلاً أي أعوضك عنه بما هو أصلح. قال المناوي: وذلك لأن من أسباب الإجابة بل من أعظمها الإلحاح عليه تعالى والترامي على فضله وكرمه وعظيم ربوبيته، ونواله. وقد احتج بهذا الحديث من ذهب إلى الإسم الأعظم الرب اهـ.

وقال بعضهم: من أكثر ذكر هذا الإسم أجاب الله دعوته وقضى حاجته ومن ذكره كل يوم سبعمائة مرة حماه الله من المعاصي. وورد في الحديث أن العبد يقول رب اغفر لي، وقد أذنب، فتقول الملائكة، أنه ليس بأهل، فيقول الله: لكني أهل أن أغفر له.

حكايان لطيفتان، الأولى: عن الليث بن سعد انه قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس، فإذا برجل جالس يدعو ويقول يا رب يا رب حتى انقطع نفسه. ثم قال يا ربه يا ربه حتى انقطع نفسه، ثم قال يا الله يا الله حتى انقطع نفسه. ثم قال يا حي يا حي حتى انقطع نفسه. ثم قال يا رحيم يا رحيم حتى انقطع نفسه، ثم قال يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات^(١)، ثم قال: اللهم إني أشتهي العنب فأطعمنيه، وإن بُردِيّ قد خلقتا يعني ثوبيه، فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس علي وجه الأرض يومئذ عنب. ويردين موضوعين فأراد أن يأكل. فقلت: أنا شريكك. فقال: ولم؟ قلت: لأنك كنت تدعو وأنا أو من على دعائك. فقال لي: تقدم فكل ولا تحبّيء منه شيئاً. فتقدمت فأكلت شيئاً لم أكل مثله قط حتى شبعت ولم تنقص السلة. ثم قال لي: خذ أحب البردين إليك. فقلت: أنا غني عنهما. فقال لي: توار غني حتى ألبسهما. فتواريت عنه فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على يده ونزل فتبعته، حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل. فقال:

(١) (قوله سبع مرات) لعل المعنى أنه تلى الصيغ المذكورة على الوجه المذكور سبع مرات أو أنه كرر كل صيغة على الوجه المذكور أيضاً وهو انقطاع النفس سبع مرات فتدبراه جامعه.

اكسني كساك الله حلة من حلال الجنة يا ابن رسول الله ﷺ . فدفعهما إليه فلحقت الرجل فقلت له : من هذا؟ فقال : جعفر الصادق . فطلبت له لأسمع منه فلم أجده .

الثانية : عن الأصمعي أنه قال : بينما أنا أطوف بالكعبة وإذا بأعرابي جاء حتى وقف على باب الكعبة وقال : يا رب يا رب يا رب إني جائع كما ترى ، وناقتي جائعة كما ترى ، وابنتي عريانة كما ترى ، وزوجتي محتاجة كما ترى ، فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى . قال : فمددت يدي إلى دنائير كانت معي فقلت : يا سيدي خذ هذه فاستعن بها على ففرك . قال : فرماها وقال : إن الذي سألتناه أبسط منك يداً . قال : فما استتم كلامه إلا ومنادي ينادي : يا فلان أدرك عمك فقد مات وخلف أربعمائة ناقة وأربعمائة ثور وأربعمائة مثقال ذهب فامض إليه فخذها فإنك وارثه اهـ . (رواه ابن أبي الدنيا) أبو بكر القرشي ، وكذا أبو الشيخ ، والديلمي ، وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العلامة العريزي رحمه الله تعالى .

١٣٧ - (إذا قدم أحدكم على أهله من سفر) طال أو قصر لكن الطويل أكد (فليهد) بضم المثناة التحتية ندباً (لأهله) هدية مما يجلب من ذلك القطر الذي سافر إليه . والمراد بأهله عياله ومن في نفقته من زوجة وسرية وولد خادم ، ويحتمل أن يكون المراد أقاربه ويظهر أن يلحق بهم أصدقاؤه لا سيما من اعتاد أن يهاديهم . ثم أبدل من الإهداء قوله (فليطرفهم) بضم المثناة التحتية وسكون الطاء وكسر الراء وسكون الفاء إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون نفيساً . والمعنى فليتحفهم ويأت لهم بشيء جديد لم يكن عندهم ولا ينقل لبلدهم للبيع بل للهدية فإن لم يتيسر فليأت لهم بشيء (ولو كان حجارة) أي ينتفع بها ، كحجر الزناد أو تكون حسنة الصورة ولا يقدم عليهم بغير شيء جبراً لخواطرهم ، ما أمكن ولتشوفهم إلى ما يقدم به عليهم . (رواه البيهقي) في شعب الإيمان . قال العلامة العريزي : وهو حديث ضعيف منجبر .

١٣٨ - (إذا قضى أحدكم) أي أتم (حجة) أو نحوه من كل سفر طاعة كغزو (فليعجل) أي فليسرع ندباً (الرجوع إلى أهله) أي وطنه ، وإن لم يكن له فيه أهل ، (فهذه أعظم لأجره) ، قال المناوي : لما يدخله على أهله

وأصحابه من السرور بقدمه. ولأن الإقامة بالوطن يسهل معها القيام بوظائف العبادات أكثر، وإذا كان هذا في الحج الذي هو أحد دعائم الإسلام وأركانها فطلب ذلك في غيره من الأسفار المندوبة والمباحة أولى منه. أخذ أبو حنيفة كراهة المجاورة بمكة وخالفه أصحابه كالشافعي. وفيه ترجيح الإقامة على السفر غير الواجب اهـ. وعبرة الحفني: وهذا سند من قال: تكره الإقامة بمكة. وقيل سنده مضاعفة السيئات فيها. وعندنا الإقامة بها سنة (رواه الحاكم، والبيهقي) في سنته، وكذا الدارقطني وهو حديث صحيح لغيره كما في شرح العزيزي.

١٣٩ - (إذا كان للرجل على رجل حق) أي لإنسان على إنسان دين (فأخره إلى أجله). قال الحفني: هو الوقت الذي يستحق فيه المطالبة (كان له صدقة) أي كان التأخير صدقة له أو ان كان تامة وصدقة بالرفع فاعلها. (فإن أخره بعد أجله) أي وبعد ظهور نوع يسار فأخره ليحصل له اليسار الكامل (كان له بكل يوم صدقة) أي حسنة. والحاصل أنه إذا كان لإنسان على آخر دين وهو معسر فأنظره إلى يسار كان له صدقة واحدة فإذا حصل عنده بعض يسار فأنظره إلى تمام يساره كان له بكل يوم صدقة اهـ.

من حاشية الحفني قال: العلامة المناوي بعد ذكره نحو ذلك: وهذا هو الملائم للقواعد. وأما ما يوهمه ظاهر الحديث من أن الإنسان إذا كان له على غيره دين مؤجل أصالة أثيب على الصبر به إلى حلول أجله فلعلة غير مراد. (رواه الطبراني) في الكبير. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف منجبر.

١٤٠ - (إذا كان إثنان) أي مثلاً (يتناجيان) بفتح الجيم أي يتحدثان سراً (فلا تدخل) أنت وجوباً (بينهما) أي لا تسترق سمع كلامهما بغير إذنهما فيحرم ذلك. وعبر بالدخول لأن الغالب ان مسترق سمع كلام الناس يدخل بينهم، فالمراد النهي عن التجسس على سماع كلام الناس وإن لم يكن بدخول بينهم. قال المناوي رحمه الله تعالى: وعلة في خبر أبي يعلى بأنه يؤدي المؤمن والله يكره أذى المؤمن. (رواه ابن عساكر) في تاريخه. وهو حديث حسن لغيره، كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

١٤١ - (إذا كان عند الرجل امرأتان) أي زوجتان أو أكثر (فلم يعدل بينهما) أو بينهن في القسم (جاء) أي حشر (يوم القيامة وشقه) بكسر أوله أو نصفه أو جانبه (ساقط) أي ذاهب أو أشل، وفي رواية مائل. قيل هو على حقيقته ليهتك بين الخلائق. والمحققون على أن ميل شقه كناية عن عدم رجحان وميزانه. وفيه دليل على أنه يجب على الزوج أن يسوي بين زوجاته في القسم ولو لنحو رتقاء وقرناء وحائض ونفساء ومجنونة لا يخافها، ومجدومة، وصغيرة لا تستهي، إلا الناشئة أي خارجة عن طاعته بأن تخرج بغير إذنه أو تمنعه التمتع بها بلا عذر أو تغلق الباب دونه. ولا يلزمه التسوية في الاستمتاع كالجماع، لتعلقه بالميل القهري. ولا يلزمه التسوية أيضاً في الإقامة نهائياً ولا في الأكل والشرب، قاله صاحب النزهة. وفي حاشية العلامة الباجوري على شرح ابن قاسم: ولا تجب التسوية في أزمدة الدخول في التابع أي كالنهار في حق من لم يكن حارساً وإنما تجب في الأصل. فيجب ترك الخروج فيه لنحو صلاة الجماعة في الكل أو الخروج في الكل فلا يخرج في نوبة بعضهم ويتركه في نوبة بعضهم. والحاصل أن دخول الزوج على غير المقسوم لها في الأصل لا يجوز إلا للضرورة كمرض مخوف وشدة طلق وخوف نهب أو حريق. وفي التابع لا يتوقف على الضرورة بل يجوز للحاجة كوضع متاع وأخذه وتسليم نفقة ونحو ذلك. وله الاستمتاع بعد دخوله للحاجة بغير الجماع لحديث عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ يطوف علينا جميعاً فيدنون من كل امرأة من غير مسيس، أي وطء، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولا يقضي زمن الضرورة إن قصر عرفاً. فإن طال في ذاته بأن كان العمل الذي تقتضيه الضرورة يأخذ زمناً طويلاً عادة وأطاله بأن كان لا يقتضي ذلك. لكن تأني الزوج وتمهل قصداً قضى كل الزمن. وأما زمن الحاجة في التابع. فإن طال في ذاته فلا قضاء؛ وإن أطاله قضى الزائد فقط. وقد نظم بعضهم ذلك فقال:

للزوج أن يدخل للضرورة	لضرة ليست بذات النوبة
في الأصل مع قضاء كل الزمن	إن طال أو أطاله فأتقن
وإن يكن في تابع لحاجة	وقد أطال وقت تلك الحاجة
قضى الذي زاد فقط ولا يجب	قضاؤه في الطول هذا ما انتخب

وإن يكن دخوله لا لغرض عصى ويقضي لا جماعاً إن عرض
(رواه الترمذي، والحاكم) في مستدركه، وهو حديث صحيح كما في
شرح العلامة العزيمي رحمه الله تعالى.

١٤٢ - (إذا كثرت ذنوبك) أي الصغائر وأردت اتباعها بحسنات لها
أثر بين في محوها (فاسق الماء على الماء) قال الحفني رحمه الله تعالى :
يحتمل معنيين سقي الماء ولو على شط النهر ففيه الثواب فما بالك إذا كان
بعيداً عنه . وأن المراد سقي الماء المرة بعد المرة، كأن أسقى شخصاً فطلب
آخر فأسقاه . والتكرار وكونه على شط النهر ليس قيماً بل المراد أن سقي الماء
يكفر الذنوب ولو بنائبة بأجرة أو ولا سيما إذا كان لا يليق به مناولة الماء
كالعالم اهد بحروفه . وقال العلقمي : فاسق الماء على الماء ليس يقيد بل
لنفي توهم أنه إذا حازه بلا كلفة كبيرة، فلا أجر فيه، بل فيه الأجر والثواب
فكيف إذا عظمت المشقة وكثرت المؤنة (تتناثر) بمثنيتين ثم نون ثم مثلثة بعد
الألف ثم راء . أي فإنك إن فعلت ذلك تتناثر أي تتساقط ذنوبك (كما يتناثر)
أي يتساقط (الورق من الشجر في الريح العاصف) أي الشديد . قال المناوي
رحمه الله تعالى : وفيه ترغيب عظيم في فضل سقي الماء . والظاهر أنه لا يتعين
لذلك مباشرته بنفسه، بل يكفي كون الماء ملكاً وتسببه في تسبيله . (رواه
الخطيب) في تاريخه قال العلامة العزيمي رحمه الله تعالى : وهو حديث
ضعيف :

١٤٣ - (إذا كذب العبد) أي الإنسان (كذبة) بفتح فسكون أي واحدة
منهياً عنها . قال الحفني رحمه الله تعالى : والكذب صغيرة إلا أن ترتب عليه
كبيرة كإضرار الناس (تباعده عنه الملك) يحتمل أن أُل جنسية ويحتمل أنها
عهدية والمعهود الحافظ (مياً) وهو منتهى مد البصر . قال المناوي رحمه الله
تعالى : ويظهر أن المراد به هنا الكثير . (من تنن ما جاء به) أي من أجل نتن
ريح ما نطق به ذلك الكاذب من الكذب، لأن الله تعالى كما خلق التنن في
الإجرام كالغائط، خلقه في المعاني . قال الطيبي : وإذا تباعد الملك من نتن
نحو بصل وثوم تأذى به فتباعده من الكذب أولى .

تبيينان، الأول : قال العلامة المناوي : أخذ من الخبران الملائكة تدرك

من الآدمي ريحاً خبيثة عند تلفظه بالمعصية وهو هذه الريح حسية أو معنوية . احتمالان رجح بعضهم الأول ولا يقدر فيه عدم إدراكنا لها لأن لنا، كما قال ابن عربي، حجاباً على الأنف يمنعنا من إدراك نتنه . بل أكابر المؤمنين يدركونه حساً . فقد كان مالك بن دينار رضي الله عنه يقول : لو شمَّ الناس نتن ذنوبي . كما أشمها أنا لم يقرب مني أحد . وقد ظهر نتن في مجلسه ﷺ فقال : هل تدرون ذلك؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال : هذا نتن غيبة اغتابها شخص لصاحبه .

الثاني : قال بعضهم العالم كله مشحون بالملائكة وأذيتهم وأذية مواطنهم وهي مساجدهم التي يتعبدون فيها محرمة علينا . فليس في العالم موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ، فالعالم كله مسجد لهم فأذيتهم بالمعاصي وريح الذنوب، وإكرامهم بكف الأذى عنهم وترك الكذب، وكشف العورة والقبائح .

خاتمة

تطابق الملل على قبح الكذب . قال صاحب الكشاف في قوله سبحانه وتعالى : ما شهدنا مهلك أهله وأنا لصادقون : هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم . ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بكونهم كاذبين حتى سوا للصدق في خبرهم حيلة . (رواه الترمذي، وأبو نعيم) في الحلية، وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

١٤٤ - (إذا كنتم ثلاثة) قال الحفني : أي مثلاً فيشمل الألف ونحوه (فلا يتناج رجلان) أي لا يتحدثوا سراً (دون الآخر) يعني بغير إذنه (حتى يختلطوا) . قال العلقمي : بمشاة فوقية قبل الخاء (بالناس) أي تنضموا إليهم وتمتزجوا بهم ويتحدث بعضهم مع بعض . كما فعل ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فإنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يفعله حتى دعا رابعاً وأمره أن يتحدث مع الآخر وناجى الطالب للمناجاة . (فإن ذلك) أي التناجى حالة عدم الاختلاط (يحزنه) بضم المثناة تحت وكسر الزاي، وبفتحتها وضم الزاي أي سبب في حزنه .

قال العزيزي: وفي الحديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد. وهو نهى تحريم فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن أي لما يترتب عليه من إيقاع الرعب له لتوهمه أن تحدثهم على أضراره. أو أنهم لم يشاركوه في الحديث احتقاراً له.

ومثل تحدثهم سراً تكلمهم بلغة لا يعرفها كالتركية حيث عرفوا لغته، وإلا فهم معذورون. فما يقع من التصحيف بين اثنين وهناك ثالث لا يعرف ذلك حرام. ويعلم من العلة أنه لو كان لا يتأثر بتحدثهم سراً لم يحرم لكن الأولى تركه، ولو كانوا أربعة فتناجى اثنان دون اثنين فلا بأس. ومحل النهي في غير مهم ديني أو دنيوي يترتب على إظهاره مفسدة ولو دخل شخص على اثنين وأحدهما يسر الآخر بكلام حرم عليه قربه لسمعته ولا ينبغي له القعود عندهما ولو تباعد عنهما إلا بإذنهما. (رواه الشيخان وغيرهما) كالإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

١٤٥ - (إذا لقيت الحاج) أي عند قدومه من حجه (فسلم عليه وصافحه) أي ضع يدك اليمنى في يده اليمنى (ومره) أي أسأله (أن يستغفر لك) أي يطلب لك المغفرة من الله تعالى. ففي الحديث اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج (قبل أن يدخل بيته) أي محل سكنه. قال الحفني: أي الأولى المتأكد ذلك وإلا فيطلب طلب الاستغفار منه ولو بعد دخول البيت إلى أن يمضي نحو عشرة أيام من ربيع الأول فلا يطلب حينئذ. يطلب منه في بقية الحجة والمحرم وصفر وبعض ربيع (فإنه) أي الحاج (مغفور له) الصغائر والكبائر إلا التبعات إذا كان حجه مبروراً. كما قيد به في عدة أخبار ودعاء المغفور مقبول. فتلقى الحاج والسلام عليه وطلب الدعاء منه مندوب، وإنما كان طلبه منه قبل دخوله بيته أولى لأنه إذا دخله اشتغل غالباً في اللذات ونيل الشهوات.

تنبيه: قال العراقي: الخروج المندوب لتلقي الغائب وتشجيع المسافر من نحو حاج وغاز لا يختص بحال ولا بمسافة بل هو بحسب العوائد (رواه الإمام (أحمد) في مسنده. وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي.

١٤٦ - (إذا مات الإنسان) وفي رواية ابن آدم (انقطع عمله) أي ثواب

عمله (إلا من ثلاث) فإن ثوابها لا ينقطع بل هو دائم متصل النفع : (صدقة جارية) أي متصلة. قال الحفني : فسرها العلماء بالوقف فيدوم ثوابه مدة دوامه ، (أو علم ينتفع به) كتعليم وتصنيف. قال التاج السبكي : والتصنيف أقوى لطول بقائه على ممر الزمان. وقال المنذري : وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو كتبه أو عمل به ما بقي خطه وناسخ ما فيه إثم عليه وزره ووزر من عمل به ما بقي خطه. قال الحفني : فلينظر الإنسان ماذا يكتب لنفسه من خير أو غيره، (أو ولد صالح) أي مسلم (يدعوله) لأنه السبب في وجوده وصلاحه وارشاده إلى الهدى. وفائدة تقييده بالولد مع أن دعاء غيره ينفعه تحريض الولد على الدعاء للوالد. وقيد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره. وأما الوزر فلا يلحق الأب من إثم ولده. وبدأ بالصدقة لأن المال زينة الدنيا والنفوس متعلقة بحبه، فيشار الخروج عنه لله آية صدق فاعله. وثنى بالعلم لاشتراكه معها في عموم منافعه وجموم مناقبه. وختم بدعاء الولد، تنبيهاً على أن شرف الأعمال المتعدية لا ينكر ولأنها أرجح من الأعمال القاصرة. قال النووي رحمه الله تعالى : وفيه دليل على صحة الوقف وعظم ثوابه، وبيان فضيلة العلم والحث على الإكثار منه والترغيب في توريثه بنحو تعليم وتصنيف، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع، وإن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت وكذا الصدقة. بل ذهب جماعة من العلماء إلى أنه يصل إليه ثواب جميع العبادات من صلاة وصوم وصدقة وقراءة وغيرها بأن تفعل تلك العبادات لله وينوي ثوابها للميت فإنه يسر بذلك لخبر أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنك لتصدق عن ميتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادي يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها. قال : فيدخلها إليه في قبره ويفسح له في مداخله، أي يوسع عليه القبر وينور له فيه. فيقول : جزى الله أهلي عني خير الجزاء. قال : فيقول لزيق ذلك القبر، أنا لم أخلف لي ولداً ولا أحداً يذكرني بشيء فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة.

وحكي أن صالحاً المري رضي الله تعالى عنه قال : خرجت ليلة جمعة أريد صلاة الفجر في المسجد الجامع، فمرت بمقبرة فقلت هلا أقمت حتى

يطلع الفجر. فصليت ركعتين، ثم حصل لي سنة نوم فرأيت كأن أهل القبور
 قد خرجوا منها عليهم ثياب بيض وقد جلسوا حلقاتاً حلقاتاً يتحدثون. وإذا شاب
 عليه ثياب دنسة وهو جالس وحده مغموماً، فلم يلبثوا حتى جاءهم أطباق
 مغطات بمنديل فكل واحد أخذ طبقاً ودخل قبره، وبقي الفتى لم يأت شيء.
 فقام ليدخل قبره وهو حزين. فقلت له: يا عبدالله مالي أراك حزيناً وما هذا
 الذي رأيت؟ فقال: يا صالح هل رأيت الأطباق؟ قلت: نعم فما هي؟ قال:
 هي أطباق الأحياء لموتاهم كلما تصدقوا عنهم ودعوا لهم جاءهم ذلك في يوم
 الجمعة في أطباق كما رأيت. وأنا رجل غريب من أهل الهند أقبلت إلى
 البصرة بوالدتي أريد الحج فتوفيت هنا، وتزوجت والدتي واشتغلت بزوجها
 فلم تذكرني بصدقة ولا دعاء وكأنها لم يكن لها ولد. وقد ألتهتها الدنيا فحق
 لي أن أحزن إذ ليس لي من يذكرني من بعدي. فقلت له: وأين منزل والدتك
 فوصفه لي. فلما أصبحت وأديت صلاتي أقبلت أسأل عن منزلها فأرشدت
 إليه. فطرقت الباب فقالت: من الطارق؟ فقلت لها: صالح المريء.. فأذنت لي
 بالدخول. فدخلت فقلت لها: أريد أن لا يسمع أحد كلامي معك. فدنوت
 نحو ستر ثم قلت لها: يرحمك الله هل لك من ولد؟ قالت: لا. فقلت لها:
 هل كان لك ولد؟ فتنفست الصعداء، ثم قالت: نعم كان لي ولد وقد مات
 وهو شاب. فقصصت عليها القصة فبكت حتى تحدرت دموعها على خديها،
 ثم قالت: ذلك من كبدي والحشا، كيف وقد كانت بطني له وعاء وتُدبي له
 سقاء وحجري له حواء. ثم دفعت لي ألف درهم وقالت لي: تصدق بها عن
 حبيبي وقررة عيني والله لا أنساه بعدها بالصدقة والدعاء بقية عمري. قال
 صالح: فانطلقت وتصدقت بالألف درهم عنه. ثم لما كان يوم جمعة أخرى
 أقبلت أريد صلاة الفجر في المسجد الجامع فمررت بالمقبرة، فصليت
 ركعتين في مكاني الأول، ثم نمت. فرأيت أهل القبور كالحالة الأولى ورأيت
 الفتى عليه ثياب بيض نقيه وهو فرح مسرور. فدنا مني ثم قال لي: يا صالح
 جزاك الله عني خيراً، وقد وصلت الهدية إلي. فقلت له: وهل تعرفون نهار
 الجمعة؟ قال: نعم، وإن الطيور لتعرفها وتقول سلام سلام خشية من القيامة
 فيها.

وحكى السيوطي في شرح الصدور: أن مالك بن دينار قال: دخلت

المقبرة ليلة الجمعة، فإذا أنا بنور مشرق فيها. فقلت: لا إله إلا الله ترى أن الله عز وجل قد غفر لأهل المقابر؟ فإذا أنا بهاتف من البعد وهو يقول: يا مالك بن دينار هدية المؤمنين إلى اخوانهم من أهل المقابر. قلت: بالذي أنطقك ألا أخبرتني ما هو؟ قال: رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين، وقرأ فيهما فاتحة الكتاب، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد. وقال: اللهم إني قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين، فادخل الله علينا الضياء والنور والفسحة والسرور في المشرق والمغرب. قال مالك: فلم أزل أقرأها في كل جمعة. فرأيت النبي ﷺ في منامي يقول لي: يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديته إلى أمتي ولك ثواب ذلك. ثم قال لي: وبنى الله لك بيتاً في الجنة في قصر يقال له المنيف. قال: وما المنيف؟ قال: المطل على أهل الجنة.

وفي الحديث: لا يأتي على الميت ساعة أشد من أول ليلة فارحموا ميتكم بشيء من الصدقة، فإن لم تجدوا فصلوا ركعتين واقروا فيهما فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وألهاكم التكاثر، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، وفي رواية عشر مرات، وقولوا: اللهم اننا صلينا وأنت أعلم بما أردنا بذلك فاجعل ثوابها إلى ذلك الميت. فيبعث الله تعالى من ساعته إلى قبره ألف ملك مع كل ملك نور وهدية يؤنسونه في قبره إلى يوم ينفخ في الصور. ويعطي الله المصلي بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات ويرفع الله له أربعين ألف درجة، وأربعين ألف حجة وعمرة وبينى الله له ألف مدينة في الجنة. ويعطي ثواب ألف شهيد، ويكسى ألف حلة.

وقال بشار بن غالب: رأيت رابعة العدوية في المنام وكنت كثير الدعاء لها، فقالت لي: يا بشار هديتك تأتي في أطباق من نور عليها مناديل الحرير. وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لأخوانهم الموتى فاستجيب لهم، يقال هذه هدية فلان إليك.

وذكر القرطبي رحمه الله تعالى أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له. فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها. وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار.

تمة: قال العزيزي رحمه الله تعالى: وورد في أحاديث أخر زيادة على
الثلاث وتبعها المؤلف فبلغت أحد عشر ونظمها في قوله:

إذا مات ابن آدم ليس يجري عليه من فعال غير عشر
علوم بثها، ودعاء نجل وغرس النخل والصدقات تجري
وراثه مصحف ورباط ثغر وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه بأوي إليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم فخذها من أحاديث بحصر
(رواه مسلم وغيره) كالبخاري في الأدب، وأبي داوود، والترمذي،
والنسائي.

١٤٧ - (إذا مات صاحبكم) أي المؤمن الذي كنتم تصاحبونه لقراءة أو
مصاهرة أو جوار أو صداقة أو نحوها (فدعوه) أي اتركوه من الكلام فيه بما
يؤذيه لو كان حياً (لا تقعوا فيه) أي لا تتكلموا في عرضه بسوء ولا تذكروا شيئاً
من أخلاقه الذميمة، فإنه قد أفضى إلى ما قدم. وغيبة الميت أشد من غيبة
الحي، لإمكان استحلاله، بخلاف الميت. وقد ورد النهي عن ذكر مساويء
موتانا. فتخصيص صاحب هنا لكونه أكد وبعضهم حمل صاحب على
النبي ﷺ. أي إذا مت فدعوني بأن لا تتكلموا في أهل بيتي فإن الوقوع فيهم
وقوع في.

وقال العلقمي رحمه الله تعالى: روي أن رجلاً من الأنصار وقع في أبي
العباس فلطمه العباس، فجاء قومه فلبسوا السلاح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ
فجاء فصعد المنبر فقال: أيها الناس أي أهل الأرض أكرم على الله؟ فقالوا:
أنت يا رسول الله. قال: إن العباس مني وأنا منه فلا تسبوا أمواتنا فتؤذوا
أحياءنا. فقالوا: نعوذ بالله من غضبك. ذكره ابن رسلان اهـ. وهذا الحديث
(رواه أبو داوود). قال العزيزي رحمه الله تعالى: وبجانبه علامة الحسن.

١٤٨ - (إذا مات ولد العبد) أي الإنسان المسلم ذكراً كان أو أنثى
(قال الله تعالى لملائكته) الموكلين بقبض الأرواح (قبضتم ولد عبدي) قال
الحفني: أي أقبضتم؟ والمراد بهذا الاستفهام الصوري إظهار فضل ذلك
الشخص عند الملائكة؛ وقوله ولد عبدي على حذف مضاف أي روح ولد

عبدي ، (فيقولون نعم . فيقول قبضتم ثمرة فؤاده)؟ أي نتيجته . قال في النهاية: قيل للولد ثمرة لأن الثمرة ما نتجته الشجرة . والولد نتيجة الأب (فيقولون نعم . فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع) أي قال الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون . (فيقول الله تعالى) أي لملائكته (ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة) يسكنه في الآخرة (وسموه بيت الحمد) . أي البيت المنعم به على أنه ثواب الحمد .

قال الحفني : لم يقل بيت الحمد والاسترجاع إشارة إلى أنه يبني له ذلك بمجرد ذكر الحمد وان لم يذكر الاسترجاع .

قال المناوي : وفيه حث على الصبر الجميل ووعده عليه بالأجر الجزيل وانه يناله في الجنة ذلك الثناء الجليل ، وفيه أن المصائب لا ثواب فيها بل في الصبر عليها وعليه جمع لكن نوزع فيه اهـ .

[واعلم أن ما يحصل به التسلي والاصطيار لمن ابتلى بموت الأولاد وفراق الأحبة أمور منها أن يعلم العاقل ان الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما ثبت ذلك في الصحيح .

(ومنها أن يعلم أن الإنسان ما دام في هذه الدار فهو معرض للبلايا والمصائب والرزايا .

(ومنها أن يتذكر ما يعقب مصيبيته من الثواب) فإن لذة الثواب تُنسي ألم العقاب . [كما حكي أن بعض الصالحات عثرت فانقطع ظفرها فبكت ، ثم ضحكت . فقيل لها: سبحان الله أتجمعين بين البكاء والضحك في مقام واحد؟ فقالت: أما بكائي فلشدة ما وجدت من الألم ، وأما ضحكي فلأجل ما تذكرته من لذة الثواب .]

ومنها أن يعلم أن الجزع لا يفيد بل ربما يكون في إظهاره شماتة الأعداء والحساد كما قيل :

تصبر ولا تبد التضعضع للعدا ولو عملت في اللحم منك البواتر
سرور الأعادي أن تراك بذلة ولكنها تغتم إن أنت صابر

[وليعلم أن من رضى بقضاء الله فله الرضا ومن سخط فله السخط . فعن

ابن عباس رضي الله عنهما: أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ إنني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد رسولي . من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقاً وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخذ إلهاً سواي .

ومات ابن للإمام الحسين سبط رسول الله ﷺ فلم تُر عليه كآبة، فعوتب في ذلك . فقال: إنا أهل بيت نسال الله فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا .

[وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأذور .

[ومنها أن يتذكر ما ورد في الحديث الصحيح أن الله ما أخذ وما أعطى وكل شيء عنده إلى أجل مسمى . وان أموالنا وأولادنا ودائع ولا بد لصاحب الوديعة أن يأخذها.]

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدّثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدّته . قال: فجاء فقال: كيف الغلام؟ فقالت: هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح . قال: ففقرت إليه عشاء فأكل وشرب . قال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها . فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها . قالت: يا أبا طلحة أرايت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا . قالت: فاحتسب ابنك . فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان . فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما في ليلتكما . قال: فحملت وولدت ولداً فسماه رسول الله ﷺ عبدالله^(١) .

ومنها أن يتسلى بمصيبته بالنبي ﷺ ، روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: أيها الناس من أصيب منكم بمصيبة من بعدي فليتعز بمصيبته بي عن مصيبته التي تصيبه . فإنه لن يصاب أحد من أمتي من بعدي بمثل مصيبته بي .

(١) وجاء من عبدالله هذا تسعة أولاد وكلهم قد قرأوا القرآن كما في البخاري اهـ .

[ومنها] وهو أعظم ما يورث التسلي [ويذهب الأسي] تذكر ما وقع للخلق من ذلك [فقل أحد إلا وقد سلك به هذه المسالك. فكم من خليفة عهد لولده بالخلافة واستخلفه، فجاءه الموت من بين يديه واختطفه. وكم من ملك دانت له الرقاب، وذلت، وفرت منه الأسود وولت، وأخذ القلاع والحصون، وحاز من الأموال كل كنز مصون، جاءه الموت فاستلب ولده والتهب كبده، ولم يقدر أن يفديه بما حوته يده. وكم طرق هذا الطارق من أمير ووزير ومستشير، ومشير وكبير وصغير وغني وفقير، وطبيب ولبيب، وعدو وحبيب. كلُّ قد دار عليه هذا الكأس ولم يفرق فيه بين عار وكاس. وقالت امرأة من العرب أفنى الطاعون أهلها واستلب^(١):

ولولا الأسي ما عشت في الناس ساعة ولكن متى ناديت جاؤني مثلي

[ولو فتش المصاب العالم لم ير منهم إلا مبتلي اما بفوات محبوب أو حصول مكروه] لا سيما في أيام الطاعون فالعاقل يتسلى بغيره، وقد قال الغزالي رحمه الله تعالى: الموت مع الناس^(٢) عرس.

ومات لبعضهم سبعة بنين في الطاعون فعزّي فيهم وقيل له ماتوا جميعاً. فقال: إني مسلم مسلم. فوجد عنده من الصبر ما لا يوجد عنده في غير هذه الأيام.

ولما حضرت اسكندر ذا القرنين الوفاة كتب إلى أمه إذا أتاك كتابي فاصنعي طعاماً واجمعي عليه النساء فإذا جلسن فاعزمي عليهن أن لا تأكل منهن امرأة ثكلى. ففعلت فرفعن أيديهن كلهن، فقالت: لم لا تأكلن أكلكن تُكالي؟ قلن: أي والله ما منا امرأة إلا وقد أئكلت. فقال: يا أسفاه هلك ابني ما كتب بهذا إلا تعزية لي.

[وليعلم المصاب أنه مات لأبي بكر الصحابي من الأولاد دفعة واحدة أربعون، ولأنس بن مالك ثلاثة وثمانون، وذلك بالطاعون. وهذا سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين قبض الله أولاده في حياته]

(١) (قوله الأسي) بكسر الهمزة وضمها جمع إسوة بكسر الهمزة وضمها أيضاً وهي ما يأتي به الحزين أي يتعزى به ولي في فلان أسوة أي قدوة اهـ من المختار اهـ جامعه.

(٢) (قوله مع الناس) لعله مع الناسي.

ليعظم له الزلفى في درجاته ولم يتأخر سوى فاطمة رضي الله تعالى عنها .
[ومنها أن يعلم أنه ما من مصيبة إلا وفوقها أعظم منها، فليحمد الله الأكرم
حيث دفع عنه ما هو أشق وأعظم .]
ومنها أن يتسلى بحكايات العاقلين الحازمين .

حكى ابن الجوزي في التبصرة أنه جاء رجل إلى بعض السلف وهو
يأكل طعاماً فقال له : مات أخوك . فقال : قد علمت ، إجلس فكل . فقلت : ما
سبقني غيري فمن أعلمك؟ قال : قوله تعالى كل من عليها فان .

رقيل ان معاوية خرج يوماً يسير ومعه عبد العزيز بن زرارَةَ الكلابي ،
وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب ، فقال له معاوية : يا عبد العزيز بلغني
نبي سيد من شباب العرب . فقال : ابني أم ابنك؟ قال : بل ابنك . قال :
لموت تلد الزمانة

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان عن كثير بن
تميم الداري قال : كنت جالساً مع سعيد بن جبير فطلع إليه ابنه عبدالله وكان
من أهل الفقه ، فقال سعيد : إني لأعلم خير خلة فيه . قيل : وما هي؟ قال :
أن يموت فاحتسبه .

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن ميمون بن مهران قال : كنت مع أبي
فلقي مكحولاً ومعه فتى . فقال له أبي : من هذا؟ قال : ابني قال : كيف
رضاك عنه؟ قال : ما بقيت خصلة من خصال الخير إلا قد رأيتها فيه إلا
واحدة . قال : وما هي؟ قال : كنت أحب أن يموت فأؤجر فيه .

ومات ولد لإبراهيم الحربي وكان قد قرأ وتفقه فلما عُزِّي فيه قال : كنت
أحب موته . فقيل : ولم؟ قال : رأيت في المنام القيامة قد قامت والناس
عطاش وأذا صبيان معهم قلال الماء يتلقون الناس به . فقلت لأحدهم :
اسقني . فقال : لست أبي . فقال : ايش أنتم؟ فقالوا : نحن الصبيان الذي متنا
وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء . قال : فلهذا كنت أحب موته .

وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى ثم انتبه من
نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه . فسئل عن ذلك فقال : لعل الله

أن يرزقني ولدًا فيقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة. ثم قال انه رأى في المنام كأن القيامة قد قامت وكأنه في جملة الخلائق في الموقف، وهو في شدة العطش كالخلائق. فبينما هم كذلك إذ جاء ولدان يتخطون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب أي أقداح لا عرى لها من ذهب، وهم يسقون الواحد بعد الواحد فمد يده إلى أحدهم وقال: اسقني فقد أجهدني العطش. فقال له: ألك فينا ولداً؟ فقال: لا. قال: فلا إذًا، إنما نسقي آباءنا. فقال: ومن أنتم؟ فقالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين، أي من مات له ولد دون البلوغ، يزاحم له الناس، ويسقيه إذا صبر على فقدته. وذلك أن أطفال المسلمين كلهم حول الحوض الجواري والغلمان وعليهم أقبية الديداج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق الفضة وأقداح من ذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من حارب الله ورسوله على فقدهم بأن سخط على الله فلا يؤذن لهم أن يسقوه.

عنه عليه السلام، لامة محمد (ص) وحكي أنه لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دفنه عمر ووقف على قبره، فقال: رحمك الله يا بني لقد كنت براً بأبيك والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك ولا والله ما كنت قط أشد سروراً ولا أرجى لحظي من الله تعالى مني منذ وضعتك في هذا المنزل رضاء بقضاء الله وتسليماً لأمره.

وعن عبد الله بن عمر أنه دفن ابناً له فضحك عند قبره، فقيل له: أتضحك عند القبر؟ فقال: أردت أن أرغم أنف الشيطان.

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيتته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي. فقلت له في ذلك، فقال: إن الله حب أمراً فأحببت ذلك.

ومات لأحمد بن طولون بنت فعزوه بها فقال: الحمد لله على ذلك استرحنا من ثلاثة أشياء، من شوارها وعارها والمخاصمة مع أصهارها.

وقد ورد في فضل موت الأولاد عدة أحاديث يتسلى بها قلب المصاب بموتهم: منها حديث الباب، ومنها لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم، ومنها ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد

لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة؛ ومنها من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة. فقالت أم أيمن: واثنين؟ قال: واثنين. قالت: وواحداً؟ فسكت، ثم قال: وواحداً.

ومنها إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم فيخرجوا من قبورهم، فينادى فيهم أن امضوا إلى الجنة زمراً. فيقولون: يا ربنا ووالدينا^(١) معنا. ثم ينادى فيهم الثانية أن امضوا إلى الجنة زمراً. فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا. فيقول في الثالثة: ووالديكم معكم. فيشب كل طفل إلى أبويه فيأخذون بأيديهم فيدخلونهم الجنة. فهم أعرف بأبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين من بيوتكم.

ومنها من دفن ثلاثة من الولد أو اثنين كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه.

خاتمة

حكى ابن الجوزي عن مالك بن دينار أنه سُئل عن سبب توبته، فقال: كنت شرطياً، ثم إني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع، وولدت بنتاً، فشغفت بها. فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً وألفتني وألفتها. فلما تم لها ستان ماتت. فأكمدني حزنها. فلما كانت ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة جمعة، نمت فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور وبعث من في القبور وحشر الخلائق وأنا معهم. فسمعت حساً فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي فمررت بين يديه هارباً فرعاً مرعوباً فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة، فسلمت عليه فرد علي السلام. فقلت: أيها الشيخ أجزني من هذا التنين أبارك الله عز وجل فبكى وقال: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه مر وأسرع فلعل الله أن يقبض لك من ينجيك منه. فوليت هارباً على وجهي، فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران،

(١) قوله ووالدينا هكذا وجدته مرسوماً بالياء في النسخة التي نقلت منها ولعله منصوب بفعل محذوف والتقدير وناخذ والدينا وكذا يقال فيما بعده والتقدير في الموضع الثالث وخذوا والديكم اهـ جامعه.

فكدت أهوي فيها من فزعي . فصاح صائح : ارجع فلست من أهلها . فاطمأنت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ . فقلت : يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين ، فلم تفعل فبكى الشيخ وقال : أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة تنصرك . قال : فنظرت إلى جبل مستدير من فضة فيه طاقات مخرقة وستور معلقة وعلى كل طاقة مصراعان من الذهب الأحمر مصففة بالياقوت مكفوفة بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير . فلما نظرت إلى هذا الجبل هرولت إليه والتنين من ورائي ، حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة عليهم الصلاة والسلام ارفعوا الستور وافتحوا المصراع واشرفوا فلعل لهذا البائس بينكم وديعة تجيره من عدوه . فلما فتحت المصراع أشرفوا عليّ فرأيت أطفالاً كالأقمار . وقرب التنين مني فحرت في أمري فصاح بعض الأطفال : ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فاشرفوا فوجاً بعد فوج ، فإذا بابنتي التي ماتت قد نظرت إلي وبكت ، وقالت إني والله . ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى صارت عندي ومدت يدها الشمال إلى يدي اليمين فتعلقت بها ومدت يدها اليمين إلى التنين فولى هارباً . ثم أجلسني وقعدت في حجري وضربت يديها اليمنى إلى لحيتي وقالت : يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله . فبكيت وقلت : يا بنيتي وأنتم تقرؤون القرآن؟ فقلت : يا أبت والله نحن أعرف به منكم . قلت : أخبريني عن هذا التنين الذي أراد أن يهلكني . قالت : ذلك عمك السيء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم . قلت : والشيخ الذي رأيت . قالت : ذلك عمك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعمك السيء . فقلت : يا بنيتي ما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت : إن أطفال المؤمنين قد أسكنوا فيه إلى يوم القيامة تنتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم . قال مالك بن دينار : فانتبهت فزعاً مرعوباً فكسرت آلات المخالفة وتركت عني جميع ذلك ، وعقدت التوبة النصوح مع الله تعالى فتاب علي سبحانه وتعالى اهـ .

وبالجملة بالأخبار والآثار في مثل هذا كثيرة وفيما ذكرته كفاية لمن تدبره بعين البصيرة . (رواه الترمذي) ، وكذا الطيالسي ، والطبراني ، والديلمي . قال العريزي : وهو حديث حسن .

١٤٩ - (إذا نزل أحدكم منزلاً) أي مظنة للهوام أو الحشرات ونحوها مما يؤذي (فليقل) ندباً لدفع شرها (أعوذ) أي أعتصم (بكلمات الله) قال الحفني: أي أسمائه وصفاته وسائر ما أنزل على الرسل مما دل على كلامه القديم. وقال المناوي: أي صفاته القائمة بذاته التي بها ظهر الوجود بعد العدم وبها يقول للشيء كن فيكون. وقيل هم العلم لأنه أعم الصفات ذكره بعضهم.

وقال العلقمي: كلمات الله تعالى القرآن، (التامات) أي التي لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل كلام الناس. وقيل هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوذ به. (من شر ما خلق) من الأنام والهوام (فإنه) إذا قال ذلك مع قوة يقين وكمال إذعان (لا يضره شيء) أي لا من الهوام ولا للصوص ولا غيرهم (حتى يرتحل عنه) أي عن ذلك المنزل. قال الشيخ أبو العباس القرطبي رضي الله تعالى عنه: هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة. فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغنتي عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات.

وقال ابن عربي: تجربته في نفسي لسعتني عقرب مراراً في وقت واحد وكنت استعذت بذلك فلم أجد ألماً لكن كان في حزامي بندقيتان. وكنت سمعت أن البندق بالخاصية يدفع ألم الملسوع. فلا أدري. هل كان للبندق أو للاستعاذة أولهما، لكن تورم رجلي وبقي الورم أياماً بلا ألم.

تممة: قال الدميري: روينا عن الشيخ فخر الدين عثمان بن محمد التوازي قال: كنت يوماً أقرأ على شيخ لي بمكة شيئاً من الفرائض، فبينما نحن جلوس إذ بعقرب تمشي فأخذها الشيخ وجعل يقلبها في يده. فوضعت الكتاب، فقال لي: أقرأ. قلت: حتى أتعلم هذه الفائدة. فقال: هي عندك. قلت: ما هي: قال: ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قال حين يصبح وحين يمسي بسم الله لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شيء وقد قتلها أول النهار اهـ. وهذا الحديث (رواه الإمام مسلم).

١٥٠ - (إذا نسي أحدكم اسم الله على طعامه) أي نسي أن يذكره حين أكله ومثله ما إذا تعمد بالأولى وإنما قيد بالنسيان لأن الترك يكون به غالباً (فليقل) ندباً (إذا ذكر) قال الحفني: أي ولو بعد فراغه ما لم يطل الفصل (بسم الله أوله وآخره) فإن الشيطان يقيء ما أكله. كما في خبر رواه أحمد، والنسائي وهو أنه ﷺ رأى رجلاً يأكل ولم يسم فلما كان في آخر لقمة قال: بسم الله أوله وآخره. فقال ﷺ: ما زال الشيطان يأكل معه فلما سمى قاء ما أكل.

وورد: من نسي أن يسمي على طعامه فليقرأ قل هو الله أحد.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: من قرأ قل هو الله أحد عند فراغه من الطعام مرة واحدة بنى الله له مدينة في الجنة من ياقوتة حمراء وكتب له بكل لقمة عشر حسنات اهـ.

وينبغي أن يسمي كل واحد من الآكلين، فلو سمي واحد أجزأ عن الباقيين كرد السلام.

وسبب هذا الحديث عن امرأة من الصحابة رضي الله عنها قالت: أتى رسول الله ﷺ بوطية، فأخذها اعرابي بثلاث لقم. فقال رسول الله ﷺ: أما أنه لو قال بسم الله لوسعكم ثم ذكره. (رواه أبو يعلى) في مسنده. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن.

١٥١ - (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه) بالبناء للمفعول والضمير المجرور عائد على أحد (في المال والخلق) بفتح الخاء وسكون اللام. قال الحفني: أي من حيث الجمالة أو من حيث كثرة الأولاد اهـ. قال العلقمي: ويحتمل أن يدخل في ذلك الأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا.

وفي نسخة معتمدة من الغرائب للدارقطني: والخلق بضم الخاء واللام (فلينظر إلى من هو أسفل منه) أي من هو دونه فيهما ليرضى فيشكر ولا يحتقر ما عنده. بخلافه في العمل الصالح، فينظر لمن هو أعلى منه فيه ليستصغر نفسه ويجتهد في اللحق به.

قال بعضهم: وفي هذا الحديث دواء الداء لأن الشخص إذا نظر إلى

من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسداً، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعية إلى الشكر. (رواه الإمام (أحمد) في مسنده (والشيخان) في الصحيحين .

١٥٢ - (إذا نظر الوالد إلى ولده نظرة) قال الحفني : أي نظرة رحمة ورضا لكونه قائماً بحقوقه، وقال العزيري : يعني إذا نظر الوالد إلى ولده فرآه على طاعة (كان للولد) المنظور إليه من الثواب (عدل) بكسر العين وفتحها (رقبة) أي مثل ثواب ما لو أعتق رقبة لجمعه بين رضا ربه وإقرار عين أبيه برويته له قائماً بالطاعة باراً له حسب الاستطاعة. قال الحفني : وإذا نظر له نظرتين كأنه أعتق نسمتين أو ثلاثاً فثلاثاً الخ .

كما ورد أنه ﷺ سُئل عن تعدد ذلك حين قال هذا الحديث فأجاب بالتعدد اهـ. فينبغي للإنسان أن يحرص على بر والديه ويقوم بحقوقهما ما أمكن طلباً لرضاها عنه، كما كان يفعل السلف الصالح .

حُكي عن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه أنه قال : طلبت أمي ماء فجنّتها به فوجدتها نائمة فقمّت أنتظر يقظتها. فلما استيقظت قالت : أين الماء؟ فأعطيتها الكوز، وكان قد سال الماء على اصبعين فجمد عليها الماء من شدة البرد فلما أخذت الكوز انسلخ جلد اصبعي فسال الدم. فقالت : ما هذا؟ فأخبرتها. فقال : اللهم إني راضية عنه، فارض عنه .

وحُكي عنه أيضاً أنه قال : كنت ابن عشرين سنة فدعنتي أمي للنوم معها ليلة من الليالي، وقد تعلق قلبي بقيام الليل فأجبتها فجعلت يدي تحتها والأخرى أمرها على ظهرها وأقرأ قل هو الله أحد. فخدرت يدي، فقلت : اليد لي وحق الوالدة لله، فصبرت على ذلك كله حتى طلع الفجر وقد قرأت قل هو الله أحد عشرة آلاف مرة ولم أنتفع بعد ذلك بيدي التي خدرت. فلما مات رحمه الله تعالى رآه بعض الصحابة في المنام وهو يطير في الجنان ويسبح الرحمن. فقال له : بم وصلت إلى هذه المنزلة؟ قال : ببر الوالدين والصبر على الشدائد .

وحُكي أن سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه كان لا يأكل مع السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها فسألته عن ذلك، فقال : أخاف أن أكل شيئاً سبق

إليه نظرك فأكون عاقاً لك . قالت : كل وأنت في حل .

وحكي أن سيدنا داوود عليه السلام قرأ يوماً في الزبور فرق قلبه عند قراءته . فقال : ليس في الدنيا أعبد مني . فأوحى الله تعالى إليه اصعد إلى جبل كذا لترى رجلاً زراعاً يعبدني سبعمائة عام ويعتذر من ذنب فعله وليس بذنب عندي . وذلك أنه مر يوماً على سطح وكانت والدته تحت السطح فأصابها شيء من التراب من مشيه وأنه أعبد منك ، فذهب إليه وبشره بالمغفرة مني . فذهب داوود إلى الجبل وإذا رجل نحيف جداً قد ظهر عظمه من العبادة ورآه محرماً بالصلاة فلما فرغ سلم داوود عليه فرد عليه السلام . وقال : من أنت؟ قال : أنا داوود . فقال : لو علمت أنك داوود ما رددت عليك السلام لما وقع منك الزلّة ، وتفرغت للصعود في الجبل ، ولم تستغفر الله . فوالله لقد مرت على سطح وكانت والدتي تحته فنزل عليها شيء من تراب السطح بمشيبي عليه فخرجت ولي سبعمائة سنة فلا أدري أساخطة علي أم راضية . ومع ذلك استغفر الله لظني أنها أساخطة مخافة عذاب الله تعالى . فذهب عني فقد منعتني من العبادة . فقال : إن الله بعثني إليك لأخبرك أنه غفر لك وهو راض عنك ، وإن والدتك خرجت من الدنيا وهي راضية عنك وإنها لم تكن^(١) تحت السطح الذي مشيت عليه ولم يصبها تراب . فلما سمع الرجل ذلك قال : والله لا أحب الحياة بعد هذا فسجد وقال : رب اقضني إليك . فمات من ساعته رحمه الله تعالى . ثم إن هذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير . قال العلامة العريزي : رحمه الله تعالى وهو حديث حسن .

١٥٣ - (وإذا وجد أحدكم لأخيه) أي في النسب أو الدين . قال المناوي رحمه الله تعالى : ونص عليه اهتماماً بشأنه لا لإخراج غيره فالذمي كذلك (نصحاً) بضم النون . قال العريزي : وهو أي النصح الإخلاص والصدق في المشورة والعمل . وقال الخطابي : النصيحة هي كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له (في نفسه فليذكره له) وجوباً إن استشاره وندباً إن لم يستشره . أفاده الحفني وعبارة المناوي فليذكره له وجوباً فإن كتبه عنه فقد

(١) (قوله وإنها لم تكن الخ) كذا وجدت هذه العبارة فيما نقلت منه وهي نوادر القليوبي ولا يخفى ما فيها من التنافي راجع وحرر اهـ .

غشه وخانه . فالنصيحة فرض كفاية على الجماعة، وعين على الواحدة . وهي لازمة بقدر الطاقة . إذا علم الناصح أن المنصوح يقبل وأمن على نفسه وماله .

قال بعضهم : وإنما يكون الرجل ناصحاً لغيره إذا بدأ بنصح نفسه واجتهد في معرفة ما يجب له وعليه ليعرف كيف ينصح ويطلب كون النصيحة سرّاً برفق لأنه أقرب للقبول . ولذا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ، ومن سام نفسه فوق ما تساوي رده الله إلى قيمته . وأرفع الناس قدراً من لا يرى قدره ، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله . وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرّاً .

وقال الفضيل : المؤمن أستر وينصح والفاجر يهتك ويعبر . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال : إن كنت فاعلاً ولا بد ففيما بينك وبينه .

وحكي أن رجلاً وعظ المأمون وأغلظ عليه فقال له : خير منك وعظ من هو شر مني برفق . فإن موسى وهارون لما أرسلهما الله إلى فرعون قال لهما : فقولا له قولاً ليناً أي ارفقا به لعله يتذكر أي يتعظ أو يخشى ، أي يخاف الله ، فيؤمن ، ويطلب من الناصح أن يوطن نفسه على تحمل الأذى من جهة النصيح عادة ، وأن يرى نفسه دون المنصوح وأن يمهد له بساطاً قبل النصيح .

كما حكي أن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما أقبلتا على شيخ يتوضأ وضوءاً باطلاً فقال أحدهما للآخر : تعال نرشد هذا الشيخ . فقال أحدهما : يا شيخ انا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى ننظر إلينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه . فتوضأ فلما فرغا من وضوءهما . قال : أنا والله الذي لا أحسن الوضوء . وأما أنتما فكل واحد منكم يحسن وضوءه . فانتفع بذلك من غير توبيخ .

وقال الشعراني رحمه الله تعالى : رأيت فقيهاً رأى شخصاً كشف فخذه في الحمام فحركه برجله على وجه الاحتقار . وقال : غط فخذك يا قليل الدين . فترع المثزر من وسطه ورداءه ، وقال : ما عدت أجلس إلا عرياناً حجارة فيك يا فقيه . فالتفت إليه شخص فقال له بشفتته : يا أخي أنت من

ذوي المرؤات ولا يعرف أحد عذرك في كشف فخذك، وقد غرت عليك أن يراك من بكرهك مكشوفاً فيزيريك. فقال له: جزاك الله خيراً وغطى فخذه.

وحكى الشعراني أيضاً عن الملك الظاهر بيبرس أنه نقم على وزيره وعزم على قتله ولم يقبل فيه شفاعه أحد من الفقراء والعلماء. فبلغ ذلك الشيخ محيي الدين بن عربي فدخل عليه فقال: يا مولانا السلطان نحن من جملة رعيتك ولا نرى أن بحر عفونا يضيق عن العفو عن آلاف ممن خالفوا أمرنا فكيف يضيق عفو مولانا السلطان عن مثل واحد يخالف أمره. قال: فعفا عن قتله وقضيت له عنده في ذلك اليوم مائة حاجة وثمانية عشر حاجة.

وحكى التاج السبكي رحمه الله تعالى عن أبيه أنه كان يجتمع بالسلطان برقوق وكان السلطان يلزم الحرير. فقال: يا أمير المؤمنين بكم الذراع من هذا؟ قال: بدينار. قال: ومن الصوف ما كل ذراع منه بدنانير، ومماليكك وخدمك يشاركونك في لبس الحرير، ولا يليق بشهامتك أن يساووك. فاعدل إلى الصوف فإنه أعلى وأغلى مع ما فيه من السلامة من العقاب الأخرى. فاستحسن كلامه وترك الحرير. فانظر كيف حسن هذا النصح ولو قال له ابتداء هذا حرام فاتركه لم يفد.

قال بعض الكاملين: وإذا عرف من إنسان أنه إذا دلّه على أمر فيه نصيحة، عمل بخلافه. فالنصح في حقه في عدم النصح فيشير عليه بخلاف ذلك فيخالفه فيفعل ما ينبغي. ويجب التعريض بعيوب من أريد اجتماع عليه من نفسه أو غيره لنحو مناكحة، كمعاملة وإيداع وأخذ علم لمريده، كأن يقول له لا يصلح لك مصاهرته أو معاملته أو لا تفعل هذا فلا يجوز أن يصرح بالغيب إلا إذا علم أنه لا يندفع إلا بالتصريح وسواء استشير الذاكر فيه أم لا. وهذا أحد المسائل الستة التي تجوز فيها الغيبة ونظمها الكمال بن أبي شريف فقال:

القدح ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقاً ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

وهذا الحديث (رواه ابن عدي) في الكامل. وهو حديث ضعيف كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

١٥٤ - (إذا وضع) بالبناء للمفعول (الطعام) بين أيديكم أي قرب إليكم لتأكلوه (فخذوا) أي تناولوا للأكل ندباً (من حافته) أي من جانب القصعة (وذروا وسطه) أي اتركوا الأخذ من وسطه أولاً وعلل ذلك بقوله (فإن البركة) أي النمو والزيادة للخير (تنزل في وسطه) ثم تسري .

تنبيه: يحتمل أن يكون النهي عاماً أي سواء كان الأكل وحده أو مع غيره على ما اقتضاه اطلاقهم ويحتمل أن يكون خاصاً بمن يأكل مع غيره لأن وجه الطعام أفضله وأطيبه . وإذا قصد به الأكل كان مستأثراً به على أصحابه وفيه من ترك الأدب وسوء العشرة ما لا يخفاء فيه وأما إذا أكل وحده فلا تأثير له . قال الدميري: والظاهر العموم . ففي الإحياء في القسم الثاني من آداب الأكل لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام؛ بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الخبز فليكسر الخبز .

فائدة: إذا وضع الطعام بين يدي جماعة للأكل فيسن أن يبدأ بالأكل أمير القوم، فإن لم يكن أميراً فليبدأ صاحب الطعام لأنه المالك فلا يتقدم عليه غيره، فإن لم يكن صاحب أي بأن لم يحضر أو حضر ولم يأكل لعذر، فأفضل القوم بنحو علم أو صلاح للتبرك به . وكما يسن أن يكون منه الابتداء يسن أن يكون منه الانتهاء (رواه ابن ماجه) قال العزيمي: قال العلقمي: وبجانبه علامة الصحة .

١٥٥ - (إذا وضعت جنبك على الفراش) لتنام ليلاً أو نهائراً لكن الليل أكد (وقرأت فاتحة الكتاب) أي سور الفاتحة (وقل هو الله أحد) أي سورتها (فقد أمنت) في نومتك تلك (من كل شيء) يؤذيك (إلا الموت) فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر . ولا يضرك بأيهما بدأت لكن الأولى تقديم ما قدمه المصطفى ﷺ في اللفظ، وهو الفاتحة . وهذا إذا قرأهما بحضور وجمع همة وصفاء قلب وقوة يقين بتصديق الرسل ﷺ فيما يفعل ويقول وإلا فهيهات هيهات . (رواه البزار) في مسنده . قال العزيمي رحمه الله تعالى: وهو حديث حسن .

١٥٦ - (إذا وضعت موتاكم في قبورهم) وفي رواية في القبور (فقولوا) ندباً قال المناوي رحمه الله تعالى: أي ليقبل من يضجعه في لحده

حال إلحاده، ويحتمل أن غيره يقول ذلك أيضاً. لخبر البزار إذا بلغت الجنابة القبر فجلس الناس فلا تجلس ولكن قم على شفير قبره، فإذا دلى في قبره فقل (بسم الله) ظاهره فقط فلا يزداد الرحمن الرحيم. ويحتمل أن المراد الآية بتمامها وهو الأقرب لكمال مناسبة ذكر الرحمة في ذلك المقام (وعلى سنة) وفي رواية بدله وعلى ملة (رسول الله) أي أضعه ليكون اسم الله تعالى وسنة رسوله ﷺ زاداً له وعدة يلقي بها الفتانين. ونقل النووي رحمه الله تعالى عن النص أنه يندب بعد ذلك أن يقول من يدخله القبر: اللهم سلمه إليك الأشحاء من أهله وولده وقرباته وأخوانه، وفارق من يحب قبره وخرج من سعة الدنيا إلى ظلمة القبر وضيقه ونزل بك وأنت خير منزل به إلى آخره.

فائدة: ورد أن من أخذ شيئاً من تراب القبر حال الدفن بيده وقرأ عليه إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات وجعله مع الميت في كفنه أو قبره لم يعذب ذلك الميت في القبر.

قال بعضهم: وينبغي أن يكون التراب من غير القبر إذا كانت المقبرة منبوثة.

تنبيه: قال في المطامح والتراحم على النعش والميت بدعة مكروهة، وكان الحسن إذا رآهم يزدحمون عليه يقول أخوان الشياطين اه. وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (وابن حبان) في صحيحه، (و) رواه (غيرهما) كالطبراني في الكبير، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه. قال العزيمي: وهو حديث صحيح.

١٥٧ - (إذا وقع) أي سقط (الذباب) بذال معجمة واحده ذبابة (في شراب أحدكم) ماء أو غيره من المائعات (فليغمسه) أي كله والأمر للإرشاد وقيل للندب (ثم لينزعه) بكسر الزاي. قال المناوي: وفي البزار برجال ثقات أنه يغمس ثلاثاً مع قول بسم الله (فإن في إحدى) بكسر الهمزة وسكون الحاء (جناحيه) وهو الأيسر على ما قيل، وإنما قال إحدى لأن الجناح يذكر ويؤنث لقولهم في جمعه أجنحة وأجنح. فأجنحة جمع المذكر وأجنح جمع المؤنث وقوله (داء) بالمد والنصب اسم ان أي قوة سمية يدل عليها السورم والحكة العارضة عند لدغه وهي بمنزلة سلاحه فإذا سقط في شيء تلقاه بها، (وفي

(الأخرى) بضم الهمزة قيل وهي اليمين (شفاء) أي حقيقة. فأمر الشارع أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله في الجناح الآخر من الشفاء فيزول الضرر بإذن الله تعالى. ولا بعد في حكمة الله تعالى أن يجعلهما جزعي حيوان واحد كالعقرب بإبرتها السم ويداوى منه بجزء منها، فلا ضرورة للعدول عن الحقيقة هنا وجعله مجازاً. (رواه البخاري، وابن ماجه) رحمهما الله تعالى.

١٥٨ - (إذا وقعت في ورطة) أي شدة وأمر شاق وأردت الخلاص من ذلك (فقل) عند ذلك ندباً (بسم الله الرحمن الرحيم) أي أستعين على التخلص (ولا حول ولا قوة إلا بالله). قال الأكمل: الحول الحركة أي لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله. وقيل معناه لا حول في دفع الشر ولا استطاعة في جلب الخير إلا بالله، وقال العريزي: أي لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بمشيئة الله (العلي) أي الذي لا رتبة إلا وهي دون رتبته (العظيم) عظمة تتقاصر عنها الأفهام (فإن الله تعالى يصرف بها) أي عن قائلها (ما شاء من أنواع البلاء) أن تلفظ بها بصدق وحضور قلب وإخلاص وقوة إيقان. وذكر الفشني: أنه إذا حصل للشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى، ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال: وهي فائدة حسنة اهـ.

وسبب هذا الحديث عن علي كرم الله وجهه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا علي ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتها؟ قلت: بلى جعلني الله فداك. فذكره. (رواه ابن السني) في عمل يوم وليلة.

١٥٩ - (إذا وقعت في الأمر العظيم) أي الصعب المهول (فقولوا) ندباً عند ذلك (حسبنا الله) أي كافينا (ونعم الوكيل) أي الموكول إليه فإن ذلك يصرف الله به ما شاء من البلاء لأن فيه رفضاً للأسباب واستغناء بمسببها. ومن اكتفى به لم يخيبه بل يكشف همه ويزيل غمه. ولو أن أحداً التجأ إلى ملك من ملوك الدنيا لهابه طالبه وكف عنه إعظماً للملتجأ إليه فكيف بمن يحتسب برب العالمين، ويكتفي به عن الخلق أجمعين.

وورد: من قال عند همّ عشر مرات: حسبي الله لا إله إلا هو عليه

توكلت وهو رب العرش العظيم، أذهب الله همه اهـ. ولا تعارض بين هذا الحديث وما قبله لأن المصطفى ﷺ كان يجيب كل إنسان بما يقتضيه الحال والزمن (رواه ابن مردويه) في تفسيره. قال العريزي: وهو حديث ضعيف.

١٦٠ - (إذا وقع في الرجل) بالبناء للمفعول أي وقع أحد في عرضه بسبب أي غيبة (وأنت في ملأ) أي جماعة. قال العلامة الحفني رحمه الله تعالى: والتقييد به لأن أكد وإلا فيجب النهي عن الغيبة وإن لم يكن في جماعة. ومحلله إن لم تكن الغيبة جائزة في المواضع المعروفة (فكن للرجل ناصراً) أي معيناً مقوياً مؤيداً (وللقوم زاجراً) أي مانعاً لهم عن الوقوع فيه راداً عليهم ما قالوه، (وقم عنهم) أي انصرف عن المحل الذي هم فيه إن أصروا ولم ينتهوا من ذلك المنكر. فإن المقر على الغيبة بمنزلة الفاعل وقد ينزل عليهم سخط فيصيبك.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: جوارحك عندك أمانة فاحذر أن تصغي بها إلى خوض في باطل أو ذكر مساويء الناس؛ فإنما جعلت لك لتسمع بها كلام الله ورسوله وحكمه فإذا أصغيت بها إلى المكاره صارماً كان لك عليك. (رواه ابن أبي الدنيا) رحمه الله تعالى في كتاب ذم الغيبة.

١٦١ - (أذكروا محاسن موتاكم) أيها المؤمنون (وكفوا) أي اصرفوا ألسنتكم (عن مساوئهم) جمع مسوى بفتح الميم والواو، فلا تذكروهم إلا بخير. فذكر محاسنهم مندوب وذكر مساوئهم حرام إلا لضرورة أو مصلحة، كتحذير من بدعته أو ضلالته.

قال النووي رحمه الله تعالى: قال أصحابنا وإذا رأى غاسل الميت ما يعجبه من نحوه استنارة وجهه وطيب ريح سن له أن يحدث الناس به، وإن رأى ما يكره كسواد وجهه وبتن وتغير عضو حرم أن يحدث به لهذا الحديث. (رواه أبو داود، والترمذي وغيرهما) كالحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه.

١٦٢ - (أذيبوا) قال المناوي: أي أسيلوا. وقال الحفني: أي اهضموا (طعامكم) أي ما تناولتموه من عشايتكم وغدائكم (بذكر الله) أي بملازمة الذكر عليه من نحو قراءة وتهليل وتكبير (والصلاة) الشرعية. قال العريزي رحمه الله

تعالى : يعني اذكروا الله وصلوا عقب الأكل فإن للذكر والصلاة عقبه حرارة في الباطن فإذا اشتعلت قوة الحرارة الغريزية أعانتها على استحالة الطعم وانحداره عن أعالي المعدة، وكل شيء ثقل على المعدة فهو على القلب أثقل . (ولا تناموا عليه) أي على الطعام قبل انهضامه عن أعالي المعدة، (فتقسوا قلوبكم) أي تغلظ وتشد وتعلوها الظلمة وبقدر قسوة القلب يكون البعد من الرب .

تنبيه : قال العلقمي : مقتضى القاعدة العربية أن يكون أي قوله فتقسوا منصوباً بالفتحة على الواو لأنه جواب النهي، لكن رأيت خط شيخنا في عدة مواضع بألف بعد الواو. وذلك يدل على أنها ضمير الجمع فتخرج على لغة أكلوني البراغيث اهـ .

قال المناوي : قال الغزالي : وفيه أنه يستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه . ولكن ليصل أو يجلس يذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر . وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة عقب كل أكلة .

وكان الثوري رضي الله تعالى عنه إذا شبع ليلة أحيائها، وإذا شبع يوماً واصله بالذكر .

فائدة : قال بعض العلماء : من أكل كثيراً وخاف على نفسه من التخمة فليمسح بيده على بطنه وليقل : الليلة ليلة عيدي يا كرشي .

ورضي الله عن سيدي أبي عبدالله القرشي يفعل ذلك ثلاث مرات فلا يضره الأكل بإذن الله تعالى اهـ .

وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الأوسط، (وابن عدي) في الكامل، (و) رواه (غيرهما) كابن السني في اليوم والليلة، وأبي نعيم في الطب النبوي، والبيهقي في شعب الإيمان .

١٦٣ - (أربع) أي من الخصال (من كن فيه حرمه الله تعالى) في الآخرة (على النار) قال الحفني : أي منعه من دخوله فيها أو من الخلود فيها أو من طول المكث فيها . وقال المناوي : أي منعه دخولها إذا فعل مع ذلك

المأمورات وتجنب المنهيات (وعصمه) في الدنيا (من الشيطان) أي منعه منه ووقاه بلفظه من كيده (من ملك نفسه حين يرغب). قال الحفني: أي في الشيء لا عنه، فليس مراداً هنا وإن كان يقال يرغب في الشيء وعن الشيء. ومعنى يرغب يريد ويشتهي (وحين يهرب) أي يخاف مع الحزن إذ الرهب الخوف مع الحزن بان ينظر في الذي خاف منه فإن كان تركه يقربه إلى الله تعالى تركه، وإن شق عليه الترك. وإن كان فعله يقرب إليه تعالى فعله وإن شق عليه الفعل، وقوله (وحين يشتهي) من عطف الملزوم إذ يلزم من اشتهاه شيء الرغبة فيه. قال الحفني: (وحين يغضب) فمن كان قلبه مالكاً لنفسه في هذه الأحيان الأربع فقد حرم على النار. فينبغي للعاقل أن يجاهد نفسه بالرياضة حتى يقوى قلبه أي اللطيفة على النفس حتى لا تميل إلى باطل بخلاف من أظلم قلبه بسبب الذنوب فإن نفسه تغلبه في الميل إلى المعاصي.

حكايان؛ الأولى: اجتاز بعض الصالحين سكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يتكلم، فقيل ألا تزرجهم؟ فقال: من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز أن يغضب.

الثانية: حُكي أن إبراهيم بن أدهم سأله جندي عن العمران فذله على المقابر فضربه ضرباً شديداً. وقال: قلت لك دلني على العمران تدلني على المقبرة. فقال: يا سيء العمل هذا العمران الحقيقي. وقال: اللهم إني أعلم أنك تؤجرني وتؤزره فلا تؤجرني ولا تؤزره. وكلما ضربه بالسوط يقول غفر الله لك. فجاء رجل وقال: يا فلان تضرب مولاك الذي أعتقك. فنزل عن فرسه واعتذر إليه. فقال: قبلت وعفوت عنك. فانظر إلى هذين كيف ملكا أنفسهما فلم تمل إلى باطل رضي الله تعالى عنهما. (وأربع من كن فيه نشر الله تعالى عليه رحمته) أي فضله وإحسانه قال المناوي: أي بثها عليه وأحيا قلبه بها في الدنيا (وأدخله الجنة) وفي نسخ من الأصل جنته أي في الآخرة (من آوى مسكيناً) أي أسكنه عنده وكفاه المؤنة أو تسبب له في ذلك. والمراد به هنا ما يشمل الفقير لأنهما إذا افترقا اجتمعا على أنه إن أريد خصوص المسكين، دخل الفقير بالأولى لأنه أسوأ منه (ورحم الضعيف) أي حساً كالمريض، أو معنى كالذي غلبه الحياء من السؤال، أي رق له وعطف عليه

وأحسن إليه . (ورفق بالمملوك) بأن لا يحمله على الدوام ما لا يطيقه على الدوام ويطعمه من طعامه ويلبسه من لباسه، (وأنفق على الوالدين) أي أصليه وإن علياً . (رواه الحكيم) الترمذي . قال العلامة العزيمي رحمه الله تعالى : - وإسناده ضعيف .

١٦٤ - (أربع حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها) أي إن استحل كل منهم ذلك، أو المراد مع السابقين الأولين أو حتى يطهرهم بالنار (مدمن خمر) أي مداوم على شربه . وقد جاء في ذمه أحاديث كثيرة منها: من شرب خمرًا خرج نور الإيمان من جوفه، ومنها: من شرب الخمر أتى عطشاناً يوم القيامة، ومنها: من شرب مسكرًا ما كان لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً؛ (وأكل الربا) أي متناوله بأكل أو غيره ومثله موكله ومشاهده وكتبه كما في حديث آخر، (وأكل مال اليتيم) أي متناوله ومستول عليه سواء كان وليه أم لا وقوله (بغير حق) قال المناوي: قيد به في مال اليتيم دون الربا لأن أكل الربا لا يكون إلا بغير حق بخلاف مال اليتيم اهـ . ومن ثم قال الحفني: أما لو كان اليتيم غنياً ووليه مثلاً فقيراً فإنه يأكل بالمعروف (والعاق لوالديه) أي أصليه المسلمين وإن علياً وكذا العاق لأحدهما . قال المناوي: وخص الأربعة لا لإخراج غيرها بل لغلبة وقوعها في الجاهلية اهـ .

خاتمة

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: من كان عاقاً لوالديه وماتا ساخطين عليه فلا طريق له في عدم مطالبتهما له، لكن ينبغي له بعد الندم على ذلك أن يكثر من الاستغفار لهما مع الدعاء والتصدق عنهما ويقضي دينهما ويصل رحمهما ويكرم من كان بجوارهما إكراماً لهما اهـ .

وهذا الحديث (رواه الحاكم) في مستدركه، (والبيهقي) في شعب الإيمان . قال العزيمي: وإسناده ضعيف .

١٦٥ - (أربعة يبغضهم الله) قال الحفني: من أبغضه أي أبغده . وقال المناوي: أي يعذبهم ويحلهم دار الهوان (البياع الحلاف) بالتشديد صيغة مبالغة أي كثير الحلف كذباً أو صدقاً، ويكون حينئذ القصد الزجر عن كثرة

الحلف وإن كان جائز الصدقة، (والفقير المختال) بخاء معجمة أي المتكبر المعجب بنفسه إذ من حق الفقير الذي زويت عنه الدنيا أن يتواضع فتكبره لكثرة خبثه، (والشيخ الزاني) أي الذي صرفت همته في شهوة المحرم إذ حق من بلغ هذا السن الزجر والاعتبار لضعف شهوته حينئذ، أي كما حكي أن رجلاً حاسب نفسه فحسب عمره فإذا هو ستون عاماً فحسب أيامها فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وستمئة يوم فصاح يا ويلاه إذا كان لي كل يوم ذنب كيف ألقى الله بهذا العدد فخر مغشياً عليه. فلما أفاق أعاد على نفسه ذلك فخر مغشياً عليه فحركوه فإذا هو قد مات رحمه الله تعالى، (والإمام الجائر) أي الحاكم الظالم المائل في حكمه عن الحق وكذا نوابه.

خاتمة

اعلم أن الجور والظلم سبب في نزع البركات وقلة الخيرات والعدل بضده فقد حكي أنه خرج أنوشروان إلى الصيد يوماً وانعزل عن عسكره خلف الصيد فعطش، فرأى ضيعة قريبة منه فقصدتها حتى وقف على باب دار قوم وطلب منهم الماء ليشرب. فخرجت له صبية فلما رأته عادت إلى البيت مسرعة فدقت قسبة سكر ومزجتها بماء وخرجت به في قدح إليه، فنظر إلى القدح فرأى فيه تراباً وقذى فشرب منه شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى آخره. ثم قال: نعم الماء لولا ما فيه من القذى. فقالت له الصبية: أنا ألقى القذى عمداً. فقال لها: ولم فعلت ذلك؟ فقالت: لما رأيتك شديد العطش خفت عليك أن تشربه في مرة واحدة فيضرك. فعجب أنوشروان من ذكائها وفطنتها. وقال: كم عصرت فيه من قسبة؟ فقالت: عصرت فيه قسبة واحدة. فعجب من ذلك. لما مضى طلب جريدة ذلك المكان فرأى خراجه قليلاً. فحدث نفسه أن يزيد في خراجه. ثم بعد مدة عاد إلى ذلك المكان منفرداً وقف على ذلك الباب وطلب الماء ليشرب، فخرجت له تلك الصبية بعينها ورأته فعرفته وعادت مسرعة لتخرج له الماء، فأبطأت عليه. فلما خرجت إليه قال لها: قد أبطأت. فقالت له: لم تخرج حاجتك من قسبة واحدة بل من ثلاث قصبات. فقال لها: ما سبب ذلك. فقالت: من تغير نية الحاكم، فقد سمعنا أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم.

فضحك أنوشروان وأزال ما كان في نفسه من زيادة الخراج. ثم تزوج بتلك الصبية لتعجبه من فصاحتها.

وقيل أنه ولى عاملاً على بعض العباد فأرسل له العامل زيادة على الخراج المعتاد في كل سنة. فلما بلغه ذلك أمر برد الزيادة إلى أصحابها وأمر بصلب ذلك العامل. وقال: كل ملك أخذ من رعيته شيئاً ظلماً لا يفلح أبداً وترتفع البركة من أرضه ويكون وباله عليه. ثم قال: الملك بالملك، والملك بالجند، والجند بالمال والمال بعمارة البلاد، وعمار البلاد بالعدل في الرعية! واتفق في أيامه أن رجلاً اشترى داراً من رجل آخر فوجد المشتري فيها كنزاً فمضى إلى البائع وأخبره به. فقال له البائع: إنما بعثك داراً لا أعرف فيها كنزاً فهو لك. فقال له المشتري: لا بد أن تأخذه فإنه ليس داخلاً فيما اشتريته فطال الجدال بينهما فتحاكما إليه. فلما وقفا بين يديه وذكر له أمر الكنز أطرق ملياً. ثم قال لهما: هل معكما أولاد؟ فقال البائع: إن لي ولداً ذكراً بالغا. وقال المشتري: إن لي بنتاً بالغة. فقال لهما: أمرتكما أن تزوجا الابن بالبنت ليكون بينهما صلة وقرابة وأنفقا ذلك الكنز في مصالحهما ففعلا ذلك امتثالاً لأمره. وقال بعض الحكماء لما سئل أيما أفضل للملك الشجاعة أو العدل فقال: إذا عدل الملك لا يحتاج إلى الشجاعة اهـ. وهذا الحديث (رواه النسائي والبيهقي) في شعب الإيمان وكذا الخطيب في التاريخ. قال العزيمي قال العلقمي: وبجانبه علامة الصحة.

١٦٦ - (أربعة من كنز الجنة) قال المناوي: أي ثوابهن مدخر في الجنة، التي هي دار الثواب. وهو ثواب نفيس جداً وعبارة الحفني قوله أربعة من كنز الجنة أي ثواب أمور أربعة هي بعض ما كنز في الجنة، أي ما يتنعم به فيها من النفائس فشبهه بالمال المكنوز: (إخفاء الصدقة) أي عدم إعلانها والمبالغة في كتمانها، بحيث لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه. والمراد صدقة النفل، وإخفاؤه أفضل من إظهارها، إلا إذا كان المتصدق عالماً يقتدى به أو قصد بإظهارها حث الأغنياء على فعلهم مثله. لا سيما إذا كان فقيراً فإنهم حينئذ يقولون إذا كان هذا فقيراً ويتصدق فنحن أولى، (وكتمان المصيبة) أي عدم إشاعتها وإذاعتها إلا إذا كان لصالح ليدعو له أو لطبيب ليداويه، فالمذموم إذاعتها على جهة التضجر والشكوى مما حل به من البلوى، كأن يقول ما

فعلت ما يستحق ذلك أو غيري فعل كذا وكذا ولم يزل به هذا المرض،
(وصلة الرحم) أي الإحسان إلى القريب ومواساته بما يحتاجه، (وقول)
الإنسان (لا حول) أي لا تحوّل عن المعصية (ولا قوة) على الطاعة (إلا بالله)
أي إلا بقدرته وتوفيقه. وقيل معنى لا حول لا حيلة وهي كلمة استسلام
وتفويض واعتراف بأن العبد لا يملك من أمره شيئاً ولا حيلة له في دفع شر
ولا قوّة له في جلب خير إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى. (رواه الخطيب) في
تاريخه. قال العزيزي: وإسناده ضعيف.

١٦٧ - (ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين) أي كفوها عن الوقعة في
أعراضهم (وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً) أي مما فيه وليس المراد
أذكروه بخير ولو كذباً. وخص الميت بالذكر مع دخوله فيما قبله لأن غيبة الميت
أشد من الحي لعدم إمكان استحلاله، وهذا ما لم يترتب على ذكره بسوء
مصلحة كالتحذير من بدعته وإلا فهو جائز بل قد يجب: (رواه الطبراني) في
الكبير. قال العزيزي: قال العلقمي: بجانبه علامة الحسن.

١٦٨ - (ارقاءكم ارقاءكم) بالنصب أي أكرموا ارقاءكم والزمو الوصية
بهم والإحسان إليهم وكرره لمزيد التأكيد (فأطعموهم مما تأكلون) أي من
جنس الذي تأكلونه (وألسوهم) بقطع همزته وهمزة أطعموهم وكسر الباء
الموحدة (مما تلبسون) بفتح الموحدة أي الأولى لكم ذلكم وإلا فالواجب
على السيد لرفيقه إطعامه ما يكفيه وكسوته، وجنس ذلك من غالب
القوت والأدم لرفيق البلد وكسوتهم لائقاً بالسيد ويستحب أن يطعمه
من عين ما يأكل ويكسوه كذلك. ويسن إجلاسه معه للأكل، فإن لم
يفعل نذب غمس لقمة كبيرة أو لقميتين في دسم طعامه ودفعه إليه (وإن جاؤوا
بذنب لا تريدون أن تغفروه) كتقصير في خدمة أو افتتان بين أهل المنزل أو
معاشرة أهل السوء (فبيعوا عباد الله) بالنصب مفعول بيعوا أي أزيلوا الملك
عنهم بنحو بيع أو كتابة أو هبة أو عتق (ولا تعذبوهم) بضرب أو تهديد أو
تفريع فظيع يمزق الأعراس ويذهب ماء الوجه. ووضع الظاهر موضع المضمّر
فلم يقل فبيعوهم زيادة في الزجر عن التعذيب وإيماء إلى أن السادة ليسوا
بمالكين لهم حقيقة، وإنما لهم بهم نوع اختصاص والمالك الحقيقي لجميع

البلاد إنما هو الله تعالى . (رواه الإمام (أحمد) في مسنده، (وابن سعد) في الطبقات وكذا الطبراني . قال العريزي: قال العلقمي: وبجانبه علامة الحسن .

١٦٩ - (اسبغ الوضوء) بالضم أي الشرعي أي إتمام فرائضه ومندوباته (في المكاره) قال الحفني: جمع مكرهه أي مشقة أي فلا يترتب عليه غسل الذنوب إلا حينئذ . والمعنى إتمام الوضوء في حالة تألم جسده ببرودة الماء مثلاً بحيث يحتمل المشقة عادة وإلا كره (وأعمال) بكسر الهمزة (الإقدام) أي استعمالها في المشي (إلى المساجد) أي مواضع الجماعة وقوله (وانتظار الصلاة بعد الصلاة) قال الحفني: يحتمل معنيين العزم بعد صلاة الظهر مثلاً على صلاة العصر بأن يشتغل قلبه بها؛ أو الجلوس في المصلى حتى تحضر الصلاة الأخرى فيصليها . فيجمع بين الجلوس واشتغال قلبه بها لكن على هذا يحمل على ما جرت به العادة، كانتظار العصر بعد الظهر بخلاف انتظار الصبح بعد العشاء أو الظهر بعد الصبح فليس مراد الكثرة المشقة بطول الزمن (يغسل الخطايا) أي الصغائر (غسلاً) أي كل منهما يغسل لا جميعها فقط . والمراد بال غسل الغفر أو الإزالة من صحف الملائكة . فكما أن الثوب يغسل بماء حار ونحو صابون لإزالة وسخه فكذا السيئات تغسل بالحسنات، قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: تنبيه، قال بعض العارفين احذر من الالتذاذ بالماء البارد زمن الحر فتسبغ الوضوء لالتذاذك به فيه فتتخيل أنك ممن أسبغته عبادة وأنت ما أسبغته إلا لالتذاذك به لما أعطاه الحال والزمن من شدة الحر، فإذا أسبغته في شدة البرد صار لك عادة فاستصحب تلك النية في الحر . (رواه أبو يعلى) في مسنده . (والحاكم) في مستدركه، (والبيهقي) في شعب الإيمان .

١٧٠ - (استحيوا من الله) تعالى (حق الحياء) أي حياءً ثابتاً لازماً صادقاً قالوا: يا نبي الله إنا نستحي من الله والله الحمد . قال: ليس كذلك ولكن (من استحيا من الله) تعالى (حق الحياء فليحفظ الرأس) أي رأسه بأن لا يسجد بها لصنم، (وما وعى) أي وما جمعه من الحواس الظاهرة كالسمع والبصر والشم، فلا يستمع ولا ينظر إلى محرم ولا يتكلم بما لا يعنيه . أي ما لا ثواب له فيه . والحواس الباطنة بأن لا يصرف مفكرته في نحو كلام الفلاسفة

بل في العلوم الشرعية، (وليحفظ البطن) بأن لا يمس محرماً مثلاً (وما حوى) أي وما جمعه من القلب والفرج واليدين والرجلين فإنها لاتصل عروقها بالبطن. يقال أن البطن حوتها فلا يستعمل منها شيئاً في معصية لأن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد. وعبر الأول بسوعى وفي الثاني بحوى للفتن (وليذكر الموت والبلا) أي نزولهما به وهذا تعليم لسبب تحصيل الحياء المتقدم لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية وأعضائه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلية وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلاء الله تعالى وتعظيمه، وهذا معنى قوله (ومن أراد الآخرة) أي الفوز بنعيمها (ترك زينة الحياة الدنيا) لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح وقررة الأعين، والدنيا خلقت لموافقة النفوس وهما ضرتان إذا أرضيت إحداهما غضبت الأخرى.

وفي الحديث: من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، أي إذا علمتم ذلك فقدموا ما يبقى على ما يفنى.

حكى أن ملكاً بنى مدينة وأحكمها وزخرفها وأمر بجمع الناس ينظرون إليها وأوقف جماعة على بابها يسألون كل من يخرج عن حسانها، فيقولون لم نر مثلها ويمدحون إلا ثلاثة أشخاص فقالوا: وجدنا فيها عيبين. فقيل: وما هما؟ قالوا: خرابها وموت صاحبها. فقالوا: وما الذي لا يخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا: الآخرة لا تخرب ولا يموت أهلها. فلا ينبغي التعمق إلا في زخرفتها، لا في زخرفة ما يفنى. فلما سمع الملك ذلك تخلى عن الملك وتعبد معهم.

وحكى أنه كان في بني إسرائيل عابد ضاقت عليه معيشته فخرج إلى الصحراء يعبد الله تعالى ويسأله أن يعطيه شيئاً فنودي ذات يوم أيها العابد امدد يدك وخذ، فمد يده فوضع عليها درتان كأنهما كوكبان ضياء فجاء بهما إلى منزله، وقال لامرأته قد أمانا من الفقر. ثم انه رأى ذات ليلة في منامه أنه في الجنة، فرأى فيها قصرأ فقيل له هذا قصرك. فرأى فيه أريكتين متقابلتين، إحداهما من الذهب الأحمر والأخرى من الفضة وسقفها من اللؤلؤ. وقيل له إحداهما مقعدك والأخرى مقعد امرأتك. فنظر إلى سقفهما فإذا فيه موضع

خال مقدار درتین فقال: ما بال هذا الموضوع خالياً. فقيل: لم يكن خالياً وإنما أنت تعجلت في الدنيا الدرتين وهذا موضعهما. فانتبه من منامه باكياً وأخبر امرأته بذلك. فقالت له: ادع الله واسأله أن يردهما مكانهما فخرج إلى الصحراء وهما في كفه وصار يدعو الله ويتضرع إليه أن يردهما. ولم يزل كذلك حتى أخذ من كفه. ونودي أن رددناهما إلى مكانهما. فحمد الله تعالى على ذلك وأثنى عليه.

وقال بعضهم: من أراد الآخرة وتمسك بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته وعلى عاتقه جيفة، والملك بينه وبين الدار عليه طريقه وبين يديه ممره وسلوكه. فكيف يكون حياؤه منه؟ فكذا مرید الآخرة مع تمسكه بالدنيا. وإذا كان هذا حال من أراد الآخرة فكيف بمن أراد من ليس كمثله شيء؟ فمن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه استحياء منه سبحانه وتعالى بحيث لا يرى إلا إياه، (فمن فعل ذلك) أي جميع ما مر (فقد استحيا من الله) تعالى (حق الحياء) أي أورثه ذلك الفعل الاستحياء منه تعالى فارتقى إلى مقام المراقبة الموصول إلى درجة المشاهدة، ومن أهمل من ذلك شيئاً لم يخرج عن عهدة الاستحياء.

تنبيه: ظهر من هذا أن جبلة الإنسان وخلقته من رأسه إلى قدميه ظاهرة وباطنة معدن العيب ومكانه، وأنه تعالى هو العالم بها. فعلى العبد أن يستحي منه ويصونها عما يعاب فيها. وأصل ذلك ورأسه ترك المرء كل ما لا يعنيه في الإسلام وشغله بما يعنيه فيه فمن فعل ذلك أورثه الاستحياء من الله تعالى.

وقال بعضهم: من استحيا من الله تعالى حق الحياء ترك الشهوات وتحمل المكاره والمشاق حتى تصير نفسه مدبوغة فعندها تظهر محاسن الأخلاق وتشرق الأنوار في قلبه ويقوى علمه بالله فيعيش غنياً به ما عاش.

تمة: قال في المجموع، عن الشيخ أبي حامد: يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث بحيث يصير نصب عينيه والمريض أولى. (رواه الإمام أحمد) في مسنده (والترمذي وغيرهما)، كالحاكم في مستدرکه، والبيهقي في شعب الإيمان. قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

١٧١ - (استشفوا) من الأمراض الحسية والمعنوية (بما حمد الله تعالى به نفسه) أي أثنى عليها به (قبل أن يحمده خلقه وبما مدح الله تعالى به نفسه) أي قبل أن يمدحه خلقه فحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، (الحمد لله وقل هو الله أحد) أي سورة الحمد وسورة الإخلاص بكما لهما. أي اطلبوا الشفاء بكتابة ذلك في إناء ونحوه، وشربه أو بجعله في تيممة وتعلق، أو بتلاوة ذلك على المريض، فكل من ذلك أقوى من أدوية الأطباء. فإن تخلف ذلك فهو لسوء حال الكاتب أو القاريء أو المريض لعدم اعتقاده. والمقصود بذكر هاتين السورتين بين أن لهما أثراً في الشفاء أكثر من غيرهما وإلا فالقرآن كله شفاء بدليل قوله (فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله) تعالى. وهذا اخبار بأنه إذا لم يحصل الشفاء بذلك لم ينفعه شيء غيره أو دعاء على المريض بعدم الشفاء لأن عدم الشفاء دليل على خبث نية المريض وعدم اعتقاده فدعا عليه تنفيراً عن هذه الحالة ليعلمه صدق النية.

تتمة: ذكر بعض العارفين أن من لازم قراءة سورة الحمد رأى العجب، وبلغ ما يرجوه من كل أرب. ومن خواصها إذا كتبت حروفاً متفاصلة ومحيت بماء طاهر وشربها مريض لم يحضر أجله بريء. وإذا قرئت إحدى وأربعين مرة بين سنة الفجر والصبح على وجع العين برىء بشرط حسن الظن من الوجع والعازم أي القاريء.

وروي أنه ﷺ قال: علمني جبريل دواء لا أحتاج معه إلى دواء ولا طبيب. فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم: وما هو يا رسول الله إنا بنا حاجة إلى هذا الدواء؟ فقال: يؤخذ شيء من ماء المطر وتلى عليه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص والفلق والناس وآية الكرسي كل واحدة سبعين مرة ويشرب غدوة وعشية سبعة أيام فوالذي بعثني بالحق نبياً لقد قال لي جبريل: أنه من شرب من هذا الماء رفع الله عن جسده كل داء، وعافاه من جميع الأمراض والأوجاع. ومن سقى منه امرأته ونام معها حملت بإذن الله تعالى. ويشفي العينين ويزيل السحر ويقطع البلغم ويزيل وجع الصدر والأسنان والتخم والعطش وحصر البول، ولا يحتاج إلى حجامه ولا يحصي ما فيه من المنافع إلا الله تعالى. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: ومما جرب نفعه للاستشفاء أن يكتب آيات الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين،

وشفاء لما في الصدور، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، وإذا مرضت فهو يشفين، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، ثم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد أي والله أي والله أي والله الصمد أي والله أي والله لم يلد ولم يولد لا والله لا والله لا والله ولم يكن له كفوا أحد لا والله لا والله رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، في أثناء نظيف ويسقى للمريض اهـ. وهذا الحديث (رواه ابن قانع) في معجم الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

١٧٢ - (استعد للموت) أي تأهب للقاءه بالتوبة المتوفرة للشروط كرد المظالم إلى أهلها وقضاء نحو صلاة وصوم واستحلال من نحو غيبة وقذف (قبل نزول الموت) أي قبل أن تفجأك المنية، ويهجم عليك هادم اللذات المقوت لذلك ولم يقل قبل نزوله، لأن المقام مقام تخويف. فأظهر لتخويف الإنسان بالموت لانزعاج القلب منه. ويتأكد ذلك في حق المريض لأنه أقرب إلى الموت وحقيق بالمسافر أن يأخذ أهبة الرحيل وحوائح السفر وما يصلح لمنزل الإقامة فينبغي للعاقل أن يبادر بالتوبة والأعمال الصالحة خوف الفجأة ومن احتدت عين بصيرته زاد في الجد وحسن الزاد، ومن زرع خيراً حصد مسرة ومن زرع شراً حصد ندامة وحسرة. وقال الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر
وما أحسن قول بعضهم:

ألا أيها الناسي ليووم رحيله ولا ترعوي بالظاعنين إلى البلى
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة وهم في بطون الأرض صرعى جفاهم
وأنت غداً أو بعده في جوارهم جفك الذي قد كنت ترجو وداده
فكن مستعداً للحمام فإنه قريبا ودع عنك المنى والأمانيا

وقال يحيى بن معاذ: العاقل المصيب من ترك الدنيا قبل أن تتركه،
وبنى قبره قبل أن يدخل فيه، وأرضى خالقه قبل أن يلقيه، وإذا قطع العاقل
بوجوب السفر فلا بد من الزاد، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. وإذا جزم
بمفاجأة العوائق والصوارف عن العمل فالواجب البدار قبل حلولها. ومن أيقن
بالموت وعلم أنه نازل به لا محالة فلا بد من الاستعداد له بالأعمال
الصالحة، واجتتاب الأعمال القبيحة فإنه لا يدري متى ينزل به اهـ.

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: ومن وجوه الاستعداد تغطية
السيئة بالحسنة. فكما أن الماشطة تستر ما شان من العروس بالزينة للقدم
على زوجها، فكذلك المؤمن يستر ما شان من الذنوب بالقربات لقدمه على
ربه. والأمر للندب ومحله إذا لم يتيقن أن عليه شيئاً من ذلك وإنما تردد فيه
فيندب له حيثئذ بذل الجهد في الاستعداد ورد ما يتوهمه باقياً عنده من
المظالم وبرأته مما عساه يكون بذمته من حقوق الله وحقوق الأدميين. أما مع
تحقق ذلك فيجب عليه ما ذكر فوراً إجماعاً ولو تحقق أن عليه شيئاً ونسي
عينه.

فالورع كما قال المحاسبي أن يعين كل ذنب ويندم عليه بخصوصه.
فإن لم يفعل ذلك فهو غير مخاطب بالتوبة لتعذرهما، لكنه يلقي الله تعالى
بذلك الذنب، وكذا لو نسي دأبه. وتسامح القاضي الباقلاني فقال: يقول ان
كان لي ذنب لم أعلمه فأنا تائب لله منه اهـ. وهذا الحديث (رواه الطبراني)
في الكبير (والحاكم) في مستدركه، (والبيهقي) في شعب الإيمان. قال
العزيمي: وهو حديث صحيح.

١٧٣ - (استعينوا على الرزق) أي على إدارته وتسييره وسعته
(بالصدقة) لأن المال محبوب عند الخلق، ومن قهره نفسه بمفارقة محبوبه
إيثاراً لرضا الكريم الوهاب، الذي خزائن الرزق بيده، فحري بأن يفاض عليه
منها غاية مطلوبة. وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه.

حكى أن امرأة حبيب العجمي رضي الله عنه خرجت لتأتي بنار لتخبز
العجين فجاء سائل فدفعه إليه، فلما جاءت قالت: أين العجين؟ قال:
تصدقت به. فغضبت وإذا برجل يدق الباب ومعه خبز ولحم. فقال لزوجته:

انظري ما أسرع ما رده الله علينا بزيادة.

وحكي أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها تصدقت برغيف لا تملك غيره، وكانت صائمة. فقالت لها خادماتها في ذلك وإذا برجل قد أهدى لها شاة مكفنة. فقالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: هذه خير من رغيفك.

قال القرطبي: كان العرب يلبسون الشاة عجيناً ويجعلونها في التنور.

لطيفة: حكي أنه كان في زمن داوود عليه السلام عجوز فتصدقت في يوم بثلاثة أرغفة، وكانت قد طحنت دقيقاً فطيرته الريح. فقالت لداوود عليه السلام: احكم بيني وبين الريح فأعطاها ألف درهم. فقال لها سليمان: ارجعي إليه واطلبي منه الحكم. فرجعت فأعطاها ألف درهم أخرى. فقال سليمان: ارجعي واطلبي منه الحكم. فقال: من يأمرك بالرجوع؟ قالت سليمان. فطلبه وسأله عن ذلك فقال: الحكم واجب، والصدقة فضل. والواجب أولى. فطلب داوود الريح، وقال: ما حملك على إتلاف دقيقها؟ فأحالت على الخازن، وأحال الخازن على جبريل، وجبريل على ميكائيل، وميكائيل على رب العالمين، فقال تعالى: يا جبريل أخبر داوود أنني لم أفعل شيئاً عبثاً. وذلك أن فارة ثقتب مركباً كاد أن يغرق، فأمرت الريح فألقت الدقيق إلى أهل السفينة فسدوا به الثقب فكان ذلك سبباً لنجاتهم. يا داوود خذ ثلث ما في المركب للعجوز، فإذا هو ثلاثمائة ألف دينار. فقال داوود: هل فعلت شيئاً من الخير؟ قالت: نعم تصدقت بثلاثة أرغفة.

وفي الحديث: ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنيها ملكان يناديان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً.

وحكي أن زاهد أراد أن يشتري بدرهم له حلال شيئاً يصلح به شأنه، فرأى رجلين يتخاصمان لأجل درهم، فبذل إليهما درهماً وتكلف تحصيل درهم آخر، فحصله واشترى به سمكة فوجد في بطنها صدفاً فيه درتان، فباع إحداهما بثلاثين وقرا من الذهب. فقال المشتري: لو كان لها نظير اشتريته بستين وقرا من الذهب. فحصل له تسعون وقرا من الذهب لأجل بذله لله تعالى.

وحُكي أن عثمان رضي الله تعالى عنه رأى درع علي رضي الله تعالى عنه يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضي الله تعالى عنها، فقال عثمان: هذا درع فارس الإسلام علي لا يباع أبداً. فدفع لغلام علي أربعمائة درهم وأقسم عليه أن لا يخبره بذلك ورد الدرع معه. فلما أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم: هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان. فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك، فقال: هنيئاً لك يا عثمان.

وفي الحديث: عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، أما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الديار. وأما التي في الآخرة فتستر العورة، وتصير ظلاً فوق الرأس وتستتر من النار.

وحُكي أن الله تعالى أوحى إلى نبي أني قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى، فخيره في تقديم أحدهما فأخبره. فقال: حتى أشاور زوجتي. فقالت له: اختر الغنى أولاً. فقال لها: إن الفقر بعد الغنى صعب شديد، والغنى بعد الفقر طيب لذيذ. فقالت: لا بل أظعني. فقال للنبي: اختار الغنى أولاً. فوسّع الله عليه الدنيا. فقالت امرأته: إن أردت أن تبقي هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك. فكان كلما اتخذ ثوباً لنفسه اتخذ لفقير ثوباً مثله، وإذا تناول فاكهة أطعم فقيراً مثلها، وإذا أنفق درهماً في حاجة نفسه أخرج إلى فقير مثله، فلما تم نصف عمره بالغنى، أوحى الله إلى النبي أني كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصف عمره بالغنى، لكنني وجدتته شاكراً لنعماي والشكر يستوجب المزيد فبشره بأني قضيت باقي عمره بالغنى. ثم ان هذا الحديث (رواه الديلمي) في مسنده الفردوس. قال العزيزي رحمه الله: وهو حديث ضعيف.

١٧٤ - (استعينوا على النساء) اللاتي في كفالتكم بزوجية أو قرابة أو ملك (بالعري) قال الحفني: أي بأن لا تزيدوا على اللباس الذي يقي البرد والحر فتركوا ثياب التزين والتبسط في الملبوس فإن ذلك أدعى لملازمتهم البيوت وقمع شهوتهم.

وقال المناوي: أن استعينوا على قسرهن بالبيوت وعدم تطرق المقالة في حقهن بعدم التوسعة عليهن في اللباس والاقتصار على ما يقينهن الحر والبرد على الوجه اللائق، وعلل ذلك بقوله: (فإن احداهن إذا كثرت ثيابها) أي زادت على قدر حاجة أمثالها (وأحسننت زيتتها) أي ما يتزين به (أعجبها الخروج) إلى الشوارع أو نحوها ليرى الرجال منها ذلك فيترتب عن ذلك من المفاسد ما هو غني عن البيان. وإذا كان هذا في زمانه فما بالك به الآن.

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: وفي رواية لابن عدي أيضاً عن أنس مرفوعاً: أגיעوا النساء جوعاً غير مضر وأعروهن عرياً غير مبرح لأنهن إذا سمن واكتسبن فليس شيء أحب إليهن من الخروج وليس شيء شراً لهن من الخروج، وإنهن إذا أصابهن طرف من العري والجوع فليس شيء أحب إليهن من البيوت وليس شيء خيراً لهن من البيوت اهـ. وهذا الحديث (رواه ابن عدي) في الكامل.

١٧٥ - (استكثروا من) قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) قال الحفني أي اطلبوا من أنفسكم كثرة ذلك (فإنها) أي هذه الكلمة (تدفع) عن قائلها (تسعة وتسعين باباً) أي وجهاً (من) وجوه (الضر)، قال الحفني: بالضم، ما يتضرر به من نحو فقر ومرض، وبالفتح المصدر، ويصح هنا الوجهان، أي من الأمور المضرة أو من إنزال الأمر المضر. (أدناها لهم) قال المناوي أو قال الهرم: هكذا هو على الشك عند مخرجه وذلك لخاصية فيها، علمها الشارع. والظاهر أن المراد بهذا العدد التكثير لا التحديد اهـ.

ومما جاء في فضلها ما ورد أن من قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كل يوم مائة مرة لم يصبه فقر أبداً، وورد أن من قالها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ووقى سبعين باباً من السوء.

حكى أن رجلاً أراد أن يتزوج بنت عمه فلم يفعل ذلك أبوها، وزوجها غيره فمات ليلة الزفاف. فزوجها غيره فمات ليلة الزفاف، ثم زوجها غيره فمات ليلة الزفاف إلى الرابع، فخطبها ابن عمها فتزوجها. فلما أراد الدخول بها جاءه رجل من الجن، وقال: إن لم تقاسمني وإلا قتلتك كالماضين. فقال له قهراً: نعم. فقال: لي الليل ولك النهار، فرضي زوجها

ثم قال الجني : أريد الليلة أن أسترق السمع ولا بد من ركوبك على جناحي ، فلم يجد له مخلصاً منه فركب على جناحه حتى لصق بالسما ، فسمع الملائكة تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فهرب الجني حتى لحق بالأرض ، ثم دخل الجني على المرأة فقال الرجل : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فاشتعل الجني ناراً ولم يصل إلى المرأة . (رواه العقيلي) ، قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى : وإسناده ضعيف .

١٧٦ - (استكثروا من الأخوان) أي من مؤاخاة المؤمنين الأخيار ، (فإن لكل مؤمن شفاعة) عند الله تعالى (يوم القيامة) فكلما كثرت أخوانكم ، كثرت شفعاؤكم ، وذلك أرجى للفلاح وإقرب للنجاح . وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : لولا صحبة الأخيار ، ومناجاة الحق تعالى بالأسحار ، ما أحببت البقاء في هذا الدار . وخرج بالأخيار غيرهم فلا يندب مؤاخاتهم ، بل يتعين اجتنابهم وبذلك يجمع بين الأخيار ، فصحة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرت على التين حملت تنناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً ، كما قيل :
الروح كالريح إن مرت على عطر طابت وتخبث إن مرت على الجيف
(رواه ابن النجار) في تاريخه قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى : وهو حديث ضعيف .

١٧٧ - (استنجوا) بضم الجيم (بالماء البارد فإنه مصححة) بفتح الميم والصاد وشدة الحاء المهملتين من الصحة أي العافية (للبواسير) أي يذهب مرض البواسير ، جمع باسور . والأمر ارشادي طبي فإن لم يحصل براء فهو لشيء في نفس المستعمل . (رواه الطبراني) في الأوسط وعبد الرزاق في الجامع .

١٧٨ - (اسم الله الأعظم) قال العزيزي بمعنى العظيم إن قلنا ان أسماء الله ليس بعضها أعظم من بعض ، أو للتفضيل إن قلنا بتفاوتها في العظم ، وهو رأي الجمهور . (الذي إذا دُعي به أجاب) بأن يعطى عين المسؤول بخلاف الدعاء بغيره . فإنه وإن كان لا يرد لكنه إما أن يعطاه أو يدخر للأخرة أو يعوض بالأحسن . وقال الحفني : قوله إذا دُعي به أجاب أي بعين ما سأل ان وجدت الشروط وحصل التحلي بالأنوار بعد التخلي من الأدناس ،

فالمدار على ذلك . ولذا قال بعضهم : متى وجد التوجه الخالص مع التحلي بما ذكر، أجيب بعين ما سأل، متى توسل بأي اسم كان فاسم الله الأعظم في حقه، أي اسم توسل به وأجيب به اهـ . (في ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه)، أي في واحدة منها أو في كل منها . قال أبو شامة : فالتمسها فوجدتها في البقرة في آية الكرسي ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم . وفي آل عمران : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . وفي طه : وعنت الوجوه للحي القيوم ، اهـ . وروي أن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه طلب من المصطفى ﷺ أن يعلمه الإسم الأعظم فقال : هو في قوله تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، وفي ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم . قالوا : وليس ذلك في قولنا الله لا إله إلا هو، لأن هذه الكلمة موجودة في آيات كثيرة، فلما خص الإسم الأعظم بهاتين الآيتين، علمنا أنها الحي القيوم . ومن ثم قال الحفني : قوله في ثلاث سور أي وهو الحي القيوم . وقال النابلسي في كفاية ذوي الألباب أن الحي القيوم دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق، وأن بني إسرائيل سألوا موسى الكليم عن الإسم الأعظم فأوحى الله إليه أن مرهم أن يدعوني بأهيا شراهما، ومعناه الحي القيوم . قال : وكان عيسى عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يحيي الموتى ، قال يا حي يا قيوم .

وحكي أنه لما ركب نوح السفينة ارتفعت بين السماء والأرض، فصفتها الأمواج، وكان الماء سخناً فذاب القار من حرارة الماء، فكادت أن تشرب الماء وتغرق، فعلم الله نوحاً اسماً من أسمائه تعالى، فدعا به فجمد القار ببركة اسم الله تعالى وهو أهيا شراهما ومعناه يا حي يا قيوم . وعلمه الله لإبراهيم حين القي في النار، فصارت عليه برداً وسلاماً، ولما حمل إبراهيم ولده اسماعيل إلى الحرم وأسكنه فيه وحيداً فريداً علمه ذلك الإسم، وأمره أن يدعو به إذا احتاج إليه، فلما عطش وأصابه وأمه الجهد، دعا به فأنبع الله له عين زمزم فبقي هذا الإسم في أفواه ولد إسماعيل إلى يوم القيامة، في أفواه الملاحين . ثم ان هذا الحديث (رواه ابن ماجه والحاكم) في مستدرکه (والطبراني) في الكبير . قال العلامة العيزري : وإسناده حسن .

١٧٩ - (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين) وهما (والهكم إله واحد) أي المستحق للعبادة واحد لا شريك له سبحانه وتعالى . (لا إله إلا هو

الرحمن الرحيم) أي، المنعم بجلائل النعم ودقائقها (وفاتحة) سورة (آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي) الحياة الحقيقية التي لا موت معها، (القيوم)، الذي به قيام كل شيء وهو قائم على كل شيء. يعني أن هاتين الآيتين مشتملتان عليه، وهو الرحمن الرحيم الحي القيوم فقط، أفاده الحفني.

فائدة: من قرأ عند نومه على فراشه: وإلهكم إله واحد إلى يعقلون، أمن من تفلت القرآن من صدره بفضل الله تعالى. وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده (وأبو داود وغيرهما)، كالترمذي، وابن ماجه. قال العزيمي: قال العلقمي: بجانبه علامة الصحة.

١٨٠ - (اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في هذه الآية) من آل عمران (قل اللهم مالك الملك) أي الذي لا يملك منه أحد شيئاً غيره سبحانه وتعالى. (الآية) بالنصب على إضمار إقرأ، والمراد أنه مالك الملك كما قاله الحفني. (رواه الطبراني) في الكبير.

١٨١ - (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى) التي دعا بها، وهو في بطن الحوت وهي: لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين. ما دعا بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. فجملة ما ذكر في هذه الأحاديث أربعة، الحي القيوم، أو الرحمن الرحيم، الحي القيوم، أو مالك الملك، أو لا إله إلا أنت الخ... وحاصل الأقوال في اسم الله الأعظم عشرون، الأول أنه لا وجود له، يعني أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض. الثاني، أنه مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، كما قيل بذلك في ليلة القدر وفي ساعة الإجابة وفي الصلاة الوسطى. الثالث، أنه هو نقله الإمام فخر الدين عن بعض أهل الكشف. الرابع، أنه الله لأنه اسم لا يطلق على غيره. الخامس، الله الرحمن الرحيم. السادس، الرحمن الرحيم الحي القيوم. السابع، الحي القيوم. الثامن، الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام. التاسع، بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام. العاشر، ذو الجلال والإكرام. الحادي عشر، الله لا إله إلا هو الأحد الصمد

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. قال الحافظ ابن حجر: وهو الأرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك. الثاني عشر، رب رب. الثالث عشر، مالك الملك. الرابع عشر، دعوة ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. الخامس عشر، كلمة التوحيد. السادس عشر، ما نقله الفخر الرازي عن زين العابدين، أنه سأل الله تعالى أن يعلمه الإسم الأعظم فرأى في النوم هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم. السابع عشر، هو مخفي في الأسماء الحسنى. الثامن عشر، ان كل اسم من أسمائه تعالى دعا العبد به ربه مستغرقاً بحيث لا يكون في ذكره حالتذ غير الله فإن من تأتي له ذلك استجيب له. قاله جعفر الصادق والجنيد وغيرهما. التاسع عشر، انه اللهم حكاه الزركشي. العشرون، ألم اهـ. ملخصاً من شرح العزيزي. (رواه ابن جرير والطبري)، قال العزيزي: بإسناد ضعيف.

١٨٢ - (اسماع الأصم) أي إبلاغ الكلام للأصم بنحو صياح في أذنه (صدقة) أي يثاب عليه كما يثاب على الصدقة لأنه أزال عنه كربة بتبليغه مراده، فهو داخل في قوله ﷺ: والله في عون العبد الخ. (رواه الخطيب) في الجامع.

١٨٣ - (اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله)، أي افعل المعروف مع أهل المعروف ومع غيرهم ومنه الإصلاح بين الناس، فقد ثبت بالآيات والأحاديث النبويات أن الإصلاح بينهم من أفضل القربات، وعن الحسن عنه ﷺ، أنه قال: أفضل الناس عند الله تعالى يوم القيامة المصلحون بين الناس. وفي الحديث الحسن: أفضل الصدقة إصلاح ذات البين بالفتح، أي العداوة والبغضاء، يعني إصلاح الفساد بين القوم وإزالة الفتنة.

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل صالح له امرأة صالحة تغزل قطناً يبيعه كل يوم بدرهم. فينفق نصفه عليهما ويشترى بنصفه قطناً. فرأى يوماً رجلين يقتتلان في السوق ويتشامان، فقال: ما شأنكما؟ فقال أحدهما: لي على هذا درهم ولا يعطينيه. فقال: لا تقتتلا، ودفع الدرهم إلى صاحب الحق فلما رجع قالت امرأته: لِمَ لَمْ تحمل الطعام والقطن، فحكى لها

فدعت له بالبركة وأثنت عليه وجمعت القطن الذي طار في الدار واسود، فغزلته فلم يشتره أحد. فرجع حزينا فمر على سماك عنده سمكة منتنة لم يقبلها أحد، فقال له السماك: ما لي أراك حزينا؟ فحكى له فقال: بعثك هذه السمكة بهذا الغزل. فشقت زوجته بطنها فإذا فيها لؤلؤة في صدف. فذهب بها إلى رجل فقومها بأربعين ألف درهم، وقال: أنت ضعيف من أين لك هذه؟ فقال: رزقني الله بها. فرق له وبعته إلى آخر فقومها بثمانين ألف درهم، وقال: من أين لك هذه وأنت ضعيف؟ فقال: رزقني الله بها فرحمه وبعته إلى آخر، فباعها له بمائة وعشرين ألف درهم، فذهب بها إلى امرأته، فأتاهما سائل فقالا: مالنا كثير نعطيه نصفه، فدفعنا له نصفه فذهب السائل ورجع بالمال، وقال: لست سائلا وإنما أنا ملك من ملائكة السماء السابعة بعثني الله تعالى إليكما وهو يقول: شكرتmani في الشدة والرخاء جميعاً وأعطيتكما ذلك جزاء لصلحكما للرجل الذي يقاتل صاحبه بالدرهم ولكما جزاءه الجنة، (فإن أصبت أهله أصبت أهله)، أي أصبت الذي ينبغي اصطناع المعروف معه. قال ابن مالك: قد يقصد بالخير المفرد بيان الشهرة فيتحد بالمتبدأ لفظاً، وقد يفعل هذا بجواب الشرط نحو من قصدني فقد قصدني، أي قصد من عرف بالنجاح. واتحاد ذلك يؤذن بالمبالغة في تعظيم أو تحقير (وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله)، أي لأنه تعالى أثنى علي فاعل المعروف مع الأسير الكافر بقوله: ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا. فما بالك بمن فعله مع موحد. ولهذا قال الحبر: لا يزهديك في المعروف كفران من كفر فإنه يشكره عليه من لم تصنعه معه. قال العلامة المناوي: قال بعضهم: وقع لوالي بخارى وكان ظالماً طاغياً أنه رأى كلباً أجرب في يوم برد يرتعد، فأمر بعض خدمه بحمله لبيته وجعله بمحل حار وأطعمه وسقاه. فقبل له في نومه: كنت كلباً فوهبناك لكلب. فأصبح فمات فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب. وأين المسلم من الكلب؟ فافعل خيراً ولا تبال فيمن لم يكن أهلاً له، واطلب الفضائل لأعيانها، وارضض الرذائل لأعيانها، واجعل الخلق تبعاً، ولا تقف مع ذمهم ولا حمدهم، لكن قدم الأولى فالأولى إن أردت أن تكون من الحكماء المتأدبين بأداب الله تعالى.

خاتمة

حكى أن رجلاً كان يعرف بابن حمير وكان ذا ورع يصوم النهار ويقوم الليل. وكان مبتلي بالقنص، فخرج ذات يوم يصيد إذ عرضت له حية، فقالت: يا محمد بن حمير، أجرني أبارك الله تعالى. فقال لها: ممن؟ فقالت: من عدو قد ظلمني. قال لها: وأين عدوك؟ قالت: ورائي. قال لها: ومن أي أمة أنت؟ قالت: من أمة محمد ﷺ. قال: ففتحت ردائي وقلت لها: ادخلي فيه. قالت: يراني عدوي. قلت لها: فما الذي أصنع بك؟ قالت: إن أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أدخل فيه. قال: أخشى أن تقتليني. قالت: لا والله لا أقتلك الله شاهد عليّ بذلك وملائكته وأنبيأؤه ورسله وحمله عرشه وسكان سمواته إن أنا قتلك. قال محمد: ففتحت فمي فانسابت فيه، ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة، يعني حربة، فقال: يا محمد. قلت: وما تشاء. قال: لقيت عدوي؟ قلت: ومن عدوك؟ قال: حية. قلت: لا، واستغفرت ربي من قولي لا مائة مرة، وقد علمت أين هي ثم مضيت قليلاً فأخرجت رأسها من فمي وقالت: أنظر مضى هذا العدو فالتفت فلم أر أحداً. فقلت لها: لم أر أحداً إن أردت أن تخرجي فاخرجي. فقالت: الآن يا محمد اختر لك واحداً من اثنين، أما أن أقتك كبك، وأما أن أثقب فؤادك، وأدعك بلا روح. فقلت: يا سبحان الله أين العهد الذي عهدت إلي واليمين الذي حلفتيه وما أسرع ما نسيتيه؟ قالت: يا محمد لم نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة على أي شيء فعلت المعروف مع غير أهله؟ قلت لها: ولا بد أن تقتليني؟ قالت: لا بد من ذلك. قلت لها: فأمهليني حتى أصير تحت هذا الجبل فأمهد لنفسي موضعاً. قالت: شأنك. قال: فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفي إلى السماء وقلت: يا لطيف يا لطيف، الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف يا قدير أسألك بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك منه يا حكيم يا عليم يا علي يا عظيم يا حي يا قيوم يا الله إلا ما كفيتني هذه الحية، ثم مشيت فعارضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي من الدرن، فقال لي: سلام عليك. قلت: وعليك السلام يا أخي. قال: مالي أراك قد تغير لونك؟ قلت: من عدو قد ظلمني. قال: وأين عدوك؟

قلت: في جوفي. قال لي: افتح فاك. قال: ففتحت فمي، فوضع فيه ورقة خضراء مثل ورق الزيتون، ثم قال: امضغ وابلع. فمضغت وبلعت.

قال: فلم ألبث إلا يسيراً حتى مغصني بطني فرميت بها من أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل، وقلت: يا أخي من أنت الذي من الله علي بك. فضحك، ثم قال: ألا تعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا يقال لي المعروف، ومستقري في السماء الرابعة، وانه لما كان بينك وبين الحية ما كان ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل فأمرني سبحانه وتعالى بالمجيء إليك وقال لي: انطلق إلى الجنة فخذ ورقة خضراء، فالحق بها عبدي محمد بن حمير. يا محمد عليك باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء، وان ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله عز وجل. وهذا الحديث (رواه الخطيب) في رواة مالك (وابن النجار) في تاريخه. قال العلامة العزيمي: وهو حديث ضعيف.

١٨٤ - (اضمنوا) المراد الضمان اللغوي وهو الالتزام أي التزموا (لي ستاً) من الخصال (من أنفسكم) بأن تداوموا على فعلها (اضمن) بالجزم جواب الأمر (لكم الجنة) أي التزم لكم في مقابلة ذلك دخولها مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب (اصدقوا إذا حدثتم)، أي لا تكذبوا في شيء من حديثكم إلا أن ترتب على الكذب مصلحة أرجح من مصلحة الصدق في أمر مخصوص، كحفظ معصوم أو إصلاح بين الناس. (وأوفوا إذا وعدتم) فإن الوفاء بالعهود والوعود محثوث عليه في الكتب السماوية والنصوص القرآنية، (وأدوا إذا ائتمتم) أي في مال وديعة. ويحتمل أن المراد أدوا جميع المأمورات التي ائتمتم عليها واجتنبوا جميع المنهيات التي نهيتم عنها (واحفظوا فروجكم) عن فعل الحرام (وغضوا أبصاركم) أي كفوها عن النظر إلى ما لا يحل (وكفوا أيديكم) أي امنعوها من تعاطي ما لا يجوز تعاطيه شرعاً فلا تضربوا بها من لا يسوغ ضربه ولا تتناولوا بها مأكولاً أو مشروباً حراماً ونحو ذلك. فمن فعل ذلك فقد حصل على رتبة الاستقامة المأمور بها في القرآن وتخلق بأخلاق أهل الإيمان.

وعن الفضيل. قال: أصل الإيمان عندنا وفرعه وداخله وخارجه بعد

الشهادة لله بالتوحيد وللنبي بالبلاغ وأداء الفرائض، صدق الحديث وحفظ الأمانة وترك الخيانة والوفاء بالعهد وصله الرحم والنصح للمسلمين اهـ.

واعلم أنه قد جاء في فضل الأمانة حكايات كثيرة.

منها: ما حُكي أن رجلاً أودع رجلاً مالاً كثيراً ثم سافر إلى مكان بعيد فلما قدم من سفره أراد أن يأخذ ماله فوجد الرجل الذي عنده المال قد مات، وترك ولداً فاسقاً قد ضيع أموال والده في المعصية. فخاف الرجل على ماله فسأله عنه فقال: انه محفوظ. فلما دفعه إليه قال: كيف حفظته؟ قال: إن ضيعت ديني فلا أضيع الأمانة. فأعطاه ذلك المال وكان عدته خمسة آلاف دينار، فتاب عن المعاصي وبارك الله له فيه وكان ذلك ببركة حفظ الأمانة.

وحُكي أنه كان بمكة رجل فقير وله زوجة صالحة، فقالت: ليس عندنا شيء فخرج إلى الحرم فوجد كيساً فيه ألف دينار. ففرح به فرحاً شديداً وأخبر زوجته بذلك. فقالت له: لقطه الحرم لا بد فيها من التعريف. فخرج فسمع المنادي يقول: من وجد كيساً فيه ألف دينار؟ فقال: أنا وجدته. فقال: هو لك، ومعه تسعة آلاف دينار. فقال: أتستهزئ بي؟ قال: لا والله، ولكن أعطاني رجل من أهل العراق عشرة آلاف دينار، وقال أخرج منها ألفاً ولفه في صرة وألفها في الحرم. ثم ناد عليها فإن ردها من وجدها فادفع الجميع إليه لأن أمين، والأمين يأكل ويتصدق فتكون صدقتنا مقبولة لأمانته.

وحُكي أنه كان بمدينة مرو رجل يقال له نوح بن مريم. وكان رئيس البلد وقاضيهما، وذا نعمة وجاه وحال موفق. وكانت له بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال، فخطبها منه جماعة من الأكابر والرؤساء وأصحاب المال والثروة فلم ينعم بها لأحد منهم. وتحير في أمرها. وكان له عبد هندي أسود اسمه مبارك، وكان له أشجار وبساتين. فقال لذلك العبد: اذهب إلى البساتين واحفظ ثمارها. فمضى إليها وأقام بها شهرين. فجاء له سيده وقال له: يا مبارك اثنتي بقطف من العنب. فجاءه بقطف فإذا هو حامض. فقال له: انظر لي غير هذا. فجاءه بآخر فإذا هو حامض. فقال له: لماذا أتيتني بالحامض؟ وفي البستان كثير. فقال له: يا سيدي أنا لا أعرف الحلوف فيه من الحامض. فقال: سبحان الله لك شهران في البستان ولا تعرف الحلوف من الحامض.

فقال: وحقك يا سيدي ما ذقت منه شيئاً. فقال: لماذا لم تأكل منه؟ فقال: يا سيدي إنما أمرتني بحفظه لا بالأكل منه، وما كنت أخون في مالك وأخالف أمرك. فعجب سيده من ديانتته وأمانته. فقال له: قد وقع لي فيك رغبة، وإني ذاكرك شيئاً ولا بد أن تفعل ما أمرك به. فقال له: أنا طائع لله تعالى ولك. فقال له القاضي: ان لي بنتاً جميلة، وقد خطبها مني ناس كثيرون من الأكابر والرؤساء. ولم أعلم بمن أزوجها. فأشر علي بما ترى. قال: يا سيدي كان الناس في زمان الجاهلية يرغبون في الأصل والنسب والدين والحسب. واليهود والنصارى يرغبون في الحسن والجمال. وفي زمن رسول الله ﷺ يرغبون في الدين والتقوى. وفي زماننا هذا يرغبون في المال والجاه. فاختر من هذه الأشياء ما شئت. فقال له: إني راغب في الدين والتقوى، وإني أريد أن أزوجك بها لأنني وجدت فيك الدين والصلاح والأمانة. فقال: يا سيدي أنا عبد رقيق أسود هندي، وقد اشتريتني بمالك. فكيف تزوجني بابنتك؟ وكيف ترضى ابنتك بي؟ فقال سيده: قم بنا إلى البيت للنظر في هذا الأمر فلما دخلا إلى البيت، قال القاضي لزوجته: إن هذا الغلام صالح دين تقي وإني أريد أن أزوجه ابنتي، فما تقولين؟ فقالت: الأمر إليك، ولكني أنا أمضي إليها وأعلمها وأعود إليك. فجاءت إلى البنت أخبرتها بما قال أبوها. فقالت البنت: الأمر إليكما، وإني لا أعصيكما ولا أخالفكما. فعادت زوجته إليه وأخبرته بذلك فزوجها به وأعطاهما مالاً جزيلاً. فولدت له ولداً سماه عبدالله واشتهر بعبد الله بن المبارك المعروف عند العلماء والأولياء رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به.

ثم ان هذا الحديث (رواه الإمام (أحمد) في مسنده، (وابن حبان) في صحيحه (و) رواه (غيرهما) كالحاكم في مستدرکه، والبيهقي في شعب الإيمان.

١٨٥ - (اطعموا الطعام) أي تصدقوا بما فضل عن حاجة من تلزمكم نفقته من طعام وغيره، فالمراد بذل الطعام والمال ونحوه لا خصوص إطعام الطعام (وأفشوا السلام) بقطع الهمزة، لأنه من أفشى، أي أعلنوه بينكم أيها المسلمون بأن تسلموا على من لقيتموه من المسلمين سواء عرفتموه أم لا

تعرفوه، (تورثوا الجنان) أي فعلكم ذلك ومداومتكم عليه يورثكم دخول الجنان مع السابقين برحمة الرحمن .

خاتمة

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى . كان الحسين بن واصل يقاتل العدو يومه أجمع ، فإذا جن الليل بسط الطعام ولم يمنع من يقاتله من الكفار . فقيل له فيه فقال : إن سئلت عنه قلت : منك أخذت وبأمرك ائتمرت . أطعمت من أطعمت وقاتلت من أمرت اهـ .

وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير . قال العريزي : قال العلقمي : بجانبه علامة الحسن .

١٨٦ - (اطلب) ممن بيده الضر والنفع والإعطاء والمنع والصحة والسقم (العافية) أي السلامة في الدين والبدن والمال والأهل (لغيرك) من كل معصوم (ترزقها) بالبناء للمفعول (في نفسك) ، فإنك كما تدين تدان . وبالكيل الذي تكتال يكال لك ، فإن طلبت لغيرك السلامة في دينه جوزيت بمثله ، أو في بدنه أو أهله أو ماله جوزيت بمثله .

قال العلامة الحفني : وجاء أن أبا إسحق الشيرازي رضي الله تعالى عنه رأى النبي ﷺ في النوم . فقال له : علمني كلمات أنجو بها . فقال له : يا شيخ اطلب العافية لغيرك ترزقها في نفسك . وهذا أي نداؤه ﷺ له بلفظ يا شيخ ، هو السبب في أنه متى اطلق لفظ الشيخ في كلام القوم ، كان هو المراد به اهـ . وهذا الحديث (رواه الأصبهاني) في كتاب الترغيب والترهيب .

١٨٧ - (اطلبوا العلم) أي الشرعي . قال الحفني : سواء الفرض العيني أو الكفائي أو المندوب . وهو ما زاد على قدر ما يحتاج إليه في الإفتاء والتدريس ودفع الشبه . وقوله (ولو بالصين) كناية عن الحث على طلبه ولو بحصول المشقة .

وقال المناوي : أي ولو كان إنما يمكن تحصيله بالرحلة إلى مكان بعيد جداً كمدينة الصين ؛ ولهذا سافر جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه من المدينة إلى مصر في طلب حديث واحد بلغه عن رجل بمصر . (فإن العلم

فريضة على كل مسلم) أي فرض عين، كالتوحيد، والفقه، وعلم داء آت القلوب: كالحسد، والعجب، والرياء. أو فرض كفاية: كالتفسير، والحديث، والطب، لعموم نفعه. ثم بين ﷺ ما في طلبه من الفضل ومزيد الشرف بقوله: (إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب). قال الحفني: يحتمل أن المراد تظله بها عند الاحتياج كشدة الحر وإن لم يشعر بذلك. وأن المراد تضعها وتترك الطيران وتنزل عنده رضاً بما يصنع. وأن المراد تتواضع له تعظيماً له ولا مانع من إرادة الثلاثة. وهذا ونحوه في حق العامل أما غيره فليته يذهب رأساً برأس.

وحُكي أن بعضهم رأى طلبة علم يسرعون في المشي حرصاً على طلب العلم، فقال لهم: مهلاً لئلا تكسروا أجنحة الملائكة. قال ذلك استهزاء بالحديث الوارد في ذلك، فبيست رجلاه ولم يستطع المشي ثم خر ميتاً. قال ابن عربي: لا خلاف أن طريق العلم هي طريق الجنة. بل هي أوضح الطرق إليها.

وقال الإمام السبكي: مجامع السعادة سبعة أشياء: الدين والعلم والعقل والأدب وحسن السمعة والتودد إلى الناس ورفع الكلفة عنهم. ثم قال: تظاهرت الآيات والأخبار والآثار، وتواترت وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت على فضيلة العلم والحث على تحصيله والاجتهاد في أسبابه وتعليمه، أي ولو بمشقة، فإن لم يصبر الشخص على مشقة التعلم بقي عمره في عماية الجهل. ومن صبر عليها آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة.

قال علي كرم الله وجهه: العلم خير من المال.

وقال وهب: يتشعب من العلم الشرف، وإن كان صاحبه دينياً، والقرب وإن كان قصياً، والغنى وإن كان فقيراً، والنبل وإن كان حقيراً أه.

وهذا الحديث (رواه ابن عبد البر) قال العريزي: ويؤخذ من كلام المناوي أنه حديث ضعيف.

١٨٨ - (اطلبوا العلم يوم الإثنين) قال المناوي: لفظ رواية أبي الشيخ والديلمي: في كل يوم اثنين، (فإنه ميسر لطالبه) أي يتيسر له أسباب تحصيله

بدفع الموانع وتهيئة اوسباب إذا طلبه فيه . فطلب العلم في كل وقت مطلوب ، لكنه في يوم الإثنين أكد .

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : اطلبوا معيشة لا يقدر السلطان على غضبها . قيل : وما هي ؟ قال : العلم . ويشاركه في ندب الطلب فيه الخميس لحديث ابن عدي عن جابر : اطلبوا العلم لكل اثنين وخميس فإنه يسر لمن طلبه .

قال الحفني : فينبغي الحرص على الطلب في هذين اليومين لأن الفتوح يحصل فيهما أكثر وينبغي طلبه أول النهار . (رواه أبو الشيخ) في الثواب ، (والديلمي) في مسند الفردوس .

١٨٩ - (اطلع) بهمزة وصل مكسورة بصيغة الأمر (في القبور) قال العلامة الحفني رحمه الله تعالى : ضمنه معنى تأمل وانظر فعدها بقي أو أن في بمعنى على لأن اطلع وما تصرف منه ، إنما يتعدى بعلى ، والقبور جمع قبر وهو في الأصل الدفن فهو الحدث ، لكنه صار حقيقة عرفية في محل الدفن اهـ .

قال المناوي : أي أشرف عليها وانظر إليها وتأمل ما صار إليه أهلها من ذهاب الأموال وفناء الآمال وأكل الدود والتراب والانقطاع عن الأهل والأحباب والمصير إلى روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . (واعتبر) أي اتعظ (النشور) أي بالبعث ، فإنه وقت المخاوف . واعلم أن زيارة القبور من أعظم الدواء للقلب القاسي لأنها تذكر الموت والآخرة وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها . ولا شيء ينفع للقلوب القاسية من زيارة القبور .

وقال العريزي : فعلى أصحاب القلوب القاسية أن يعالجوها بأربعة أشياء :

الأول : الإقلاع عما هم عليه بحضور مجالس الذكر والوعظ والعلم والتذكير والتخويف والترغيب والترهيب وأخبار الصالحين .

والثاني : ذكر الموت فإنه هادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات .

والثالث: مشاهدة المحتضرين .

والرابع: زيارة القبور. فإذا تأمل الزائر حال من مضى من أخوانه وكيف انقطع عنهم الأهل والأحباب وكيف انقطعت عنهم أعمالهم، ولم تنفعهم أموالهم ومحا التراب محاسن وجوههم وترملت بعدهم نساؤهم وتيتمت أبناؤهم. وأن حاله سيؤول إلى حالهم ومآله كما لهم. أقبل على الله تعالى ورق قلبه وخشع.

وقال بعض العارفين: جعل الله تعالى في زيارة القبور دواء الصدور، وفي عمارة القبور خراب الصدور، وفي الاعتبار بأهل القبور صلاح الأمور، وفي الاهتمام بالقبور تهاوناً بالدور، وفي مجاورة القبور استعداد للنشور، وفي التفكير في القبور أمانة السرور، وفي النظر إلى القبور ندامة ورجوعاً عن الفجور، وفي الترحم على أهل القبور ورحمة تنزل من الملك الغفور، وفي الصدقة عن أهل القبور تحفاً لهم في أطباق النور.

حكايات؛ الأولى: مرَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالبقيع فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، هل نخبركم بما عندنا أو تخبرونا بما عندكم؟ فسمع من يقول: أخبرونا بما عندكم. فقال: إن نساءكم قد تزوّجت، وبيوتكم قد سُكنت وأموالكم قد قسمت. فقال: ونحن نخبركم بما عندنا ما قدمناه لقيناه، وما أنفقناه اكتسبناه، ونعمنا بسببه، وما خلفناه خسرناه.

الثانية: دخل سيدنا علي كرم الله وجهه مقابر المدينة ونادى: يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله، تخبرونا بأخباركم أم تريدون أن نخبركم؟ فسمع صوتاً يقول: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين أخبرنا بما كان بعدنا. فقال: علي كرم الله وجهه أما أزواجكم فقد تزوّجت، وأما أموالكم فقد قسمت، وأما الأولاد فقد حشروا في زمرة اليتامى، والبناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم. فهذه أخبار ما عندنا، فما أخبار ما عندكم؟ فأجابته ميت: قد تخرقت الأكفان وانتشرت الشعور وتقطعت الجلود وسالت الأحداق على الخدود وسالت المناخر بالقيح والصديد ما قدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون بالأعمال.

الثالثة: قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: أتيت المقابر يوماً لأنظر

في الموتى واعتبر وأنفكر فيها وانزجر، فجعلت أجول بين المقابر وأنشد بذهن حاضر:

أتيت المقابر فناديتها أين المعظم والمفتخر
وأين المدل بسلطانه وأين العزيز إذا ما قدر
وأين الملبي إذا ما دعا وأين المزكي إذا ما حضر

قال: فإذا بصوت يجيبني وينشد ويقول:

تفانوا جميعاً فلا مخبر وماتوا جميعاً وهذا الخبر
تنوح عليهم بنات الثرى وتمحوا محاسن تلك الصور
لقد قلد القوم أعمالهم فأما نعيم وأما سقر
وساروا إلى ملك قادر عزيز مطاع إذا ما أمر
فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيمن مضى معتبر

قال مالك بن دينار: فنظرت فإذا بهلول المجنون قاعد بين القبور وهو ينظر إلى السماء فيبتهل، وإلى الأرض فيعتبر. وعن يمينه فيضحك، وعن يساره فيبكي. فقلت له: السلام عليك يا بهلول. فقال: وعليك السلام يا مالك بن دينار. فقلت له: أراك قاعداً بين القبور. فقال: قعدت عند قوم لا يؤذوني، وان غبت عنهم لا يعتابوني. فقلت: أراك تنظر إلى السماء، فتبتهل وإلى الأرض فتعتبر، وعن يمينك فتضحك، وعن يسارك فتبكي. فقال: يا مالك بن دينار إذا نظرت إلى السماء ذكرت قوله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون. فحق لمن سمع هذه الآية أن يبتهل. وإذا نظرت إلى الأرض ذكرت قوله تعالى: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى، فحق لمن سمع هذه الآية أن يعتبر.

وإذا نظرت إلى اليمين ذكرت قوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين، فحق لمن سمع هذه الآية أن يضحك. وإذا نظرت إلى الشمال ذكرت قوله تعالى: وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم، فحق لمن سمع هذه الآية أن يبكي اهـ.

وسبب هذا الحديث عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: شكا رجل إلى المصطفى ﷺ قسوة القلب فذكره. (رواه البيهقي) في شعب الإيمان. قال المناوي: قال البيهقي: هذا متن منكر.

١٩٠ - (أطول الناس أعناقاً يوم القيامة المؤذنون) قال الحفني : أي أكثرهم رجاء في حصول الخير. ويروى أعناقاً بكسر الهمزة أي أسرعهم سيراً إلى الجنة، من العنق وهو شدة السير.

وقال العلقمي : الأعناق بفتح الهمزة جمع عنق قيل : هم أكثر الناس تشوقاً إلى رحمة الله لأن المتشوف إلى شيء يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه . وقال في النهاية : أي أكثرهم أعمالاً . يقال لفلان عنق من الخير، أي قطعة، وقيل أراد طول الرقاب لأن الناس يومئذ في كرب وهم يتطلعون لأن يؤذن لهم في دخول الجنة . وقيل أراد أنهم يومئذ يكونون رؤساء سادة، والعرب تصف السادة بطول الأعناق .

وروي أطول الناس أعناقاً بكسر الهمزة أي أكثر إسرعاً وأعجل إلى الجنة . وقيل أن الناس يعطشون^(١) يوم القيامة، فإذا عطش الإنسان انطوت عنقه والمؤذنون لا يعطشون فأعناقهم قائمة .

وقال المناوي : أي هم أكثر رجاء؛ أو طول العنق عبارة عن عدم الخجل وتنكيس الرأس . قال تعالى : ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم . وفي هذا الحديث بيان فضل المؤذنين . وقد جاء في الخبر أن المؤذنين إذا أتوا الصراط يجدون عليه نجائب من نور مسرجة من الياقوت والزبرجد فتطير بهم على الصراط، ويشفع كل واحد في أربعين ألفاً . ويمر في نور المؤذن ألف رجل وألف امرأة .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : المؤذنون المحتسبون يخرجون من قبورهم وهم يؤذنون . وأول من يكسى يوم القيامة من كسوة الجنة : محمد ثم الخليل ثم الرسل ثم الأنبياء ثم المؤذنون المحتسبون . فتلقاهم الملائكة بنجائب من ياقوت أحمر يشيع كل واحد سبعون ألف ملك من قبره إلى المحشر . (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده ورجاله رجال الصحيح . كما في شرح المناوي رحمه الله تعالى .

١٩١ - (أطووا ثيابكم) أي لفوها إذا نزعتموها لإرادة نحو نوم أو خدمة

(١) بابه طرب كما في المختار.

وإن لم يكن على الهيئة المعروفة عند الخياط ونحوه، ولا تتركوها منشورة فإنكم إذا طويتموها، (ترجع إليها أرواحها) أي قوتها. فشبها بالأرواح بجامع النفع أو أنه شبه الثياب بالحيوان والطي بإنزال الروح فيه، قاله الحفني . (فإن الشيطان) أي إبليس أو المراد الجنس (إذا وجد ثوباً مطويماً لم يلبسه) بفتح الباء الموحدة أي لم يسلط على لبسه بل يمنع منه من قبل خالقه (وإن وجدوه منشوراً لبسه) فيسرع إليه البلى وتذهب منه البركة ويورث من لبسه بعد ذلك الغفلة عن ذكر الله، والفتور عن العبادة. والمراد بالثياب هنا ما يلبس من نحو قميص وجبة وإزار وسراويل ورداء. ويؤخذ من العلة أن العمامة كذلك فيحلها إذا أراد نحو نوم ثم يكورها إذا أراد لبسها.

قال الحفني رحمه الله تعالى: ولا بد من التسمية مع ذلك فلا يكفي أحدهما في منع الشيطان ولو فيما يشق طيه، كعمامة أهل العلم. نعم ما لا يمكن طيه كعقل يكفي في حرمان الشيطان منه التسمية فقط المقارنة للوضع. (رواه الطبراني) في الأوسط.

١٩٢ - (أظهروا النكاح) أي أعلنوه بنحو الضرب بالدف مما ليس آلهو، ومثل النكاح ختان الذكر بخلاف ختان الأنثى فيطلب إخفاؤه، (وأخفوا) بهمزة قطع لأنه من الإخفاء (الخطبة) بكسر الخاء المعجمة أي أسروها ندباً، وهي الخطاب في غرض التزويج. وخرج بنحو الضرب بالدف الضرب بغيره من آلاف اللهو كطنبور وعود وربابة وسنطير وكمنجة ومزمار ولو من حشيش رطب كالبرسيم فيحرم.

وقال العلامة السحيمي في شرحه على متن الأربعين: أجمع الأئمة الأربعة وغيرهم على تحريم جميع آلات الملاهي إلا للمريض إذا أخبره طبيب عدل بأنه ينفعه لزوال مرضه استماعه. جزم الحليمي بجوازه له بشرط بقاء المرض وأن لا يجدوا حلالاً ينفعه فيه، وإلا في عرس وضيع ليس فيه شراب مسكر. فاختلف فيه علماء المالكية، فقال أصعب: يحرم ما عدا الطاروطل غير كوبة من مزمار وغيره، في العرس وغيره. وضعف قول ابن كنانة بجواز الزمارة والبوق إن لم يلهيها كل اللهو. وقال مالك في المدونة: أكره الدفاف والمعازف في العرس وغيره، أي وكراءهما. وذكروا أن المعزف

آلة الله، ومطلقاً أي والكراهة في العرس . والمضيق أي الختان تنزيهية وهو المشهور وفي غيرهما تحريمية اهـ . وهذا الحديث (رواه الديلمي) في مسند الفردوس .

قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى : وإسناده ضعيف .

١٩٣ - (اعتكاف عشر في رمضان) بمسجد (كحجتين وعمرتين) قال العزيزي : أي أثواب اعتكافها يعدل ثواب حجتين وعمرتين غير مفروضتين والأوجه أن المراد العشر الأواخر منه فإن فيه ليلة القدر التي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر . (رواه الطبراني) في الكبير . وهو حديث ضعيف كما في شرح العزيزي .

١٩٤ - (إِعْتَمُوا) بكسر الهمزة وشد الميم ، أي البسوا العمام ندباً (تزدادوا حِلْمًا) بكسر فسكون أي يكثر حلمكم ويتسع صدركم ، لأن تحسين الهيئة يبعث على الوقار والاحتشام وعدم الخفة والطيش والسفه فيندب لبس العمام ويتأكد للصلاة .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : وينبغي ضبط طولها وعرضها بما يليق بلباسها عادة في زمانه ومكانه فإن زاد على ذلك كره . وتقيد كفيته بعادة أمثاله أيضاً ، ولذلك تنخرم مرؤة فقيه يلبس عمامة سوق وعكسه ، وخرمها مكروه بل حرام على من تحمل شهادة . لأن فيه إبطالاً لحق الغير ولو اطردت عادة محل بعدمها أصلاً لم تنخرم به المرؤة على الأصح خلافاً لبعضهم .

وفي حديث أنه يسن إذا اعتم أن يرخي لها عذبة بين كتفيه . والأفضل في لونها ، البياض . وصحة لبس المصطفى ﷺ العمامة سوداء ، ونزول أكثر الملائكة يوم بدر بها وقائع محتملة ، فلا ينافي عموم الأخبار بالأمر بلبس البياض . (رواه الطبراني) في الكبير ، (والحاكم) في مستدركه . قال المناوي : قال الحاكم : صحيح . وردّه الذهبي .

١٩٥ - (اغتسلوا يوم الجمعة) بنيتها (فإنه) أي الشأن (من اغتسل يوم الجمعة) قال العزيزي : أي وصلها (فله كفارة ما بين الجمعة إلى الجمعة) أي من الذنوب الصغائر (وزيادة ثلاثة أيام) بالجر ، أي وكفارة ثلاثة أيام زائدة على ما بينهما لتكون الحسنة بعشر أمثالها .

قال الحفني : فإن كان مواظباً على الغسل كل جمعة فمن أين الثلاثة؟
ويجاب باحتمال أن يتركه لسفر أو مرض فتكون الثلاثة من ذلك. إن فرض
عدم تركه أصلاً حثت عنه من الكبائر فإن لم يكن له كبائر أُعطي ثواباً نظير
ذلك اهـ.

وفيه ندب الغُسل للجمعة فيكره تركه، فقد ورد: اغتسلوا يوم الجمعة ولو
كاساً بدينار. أي حافظوا على الغسل يومها ولو عز الماء فلم يمكن تحصيله
للغسل إلا بثمان غال فالمراد المبالغة.

وحُكي أن سيدنا عيسى بن مريم ﷺ مر على صياد في البر، وقد نصب
شبكته فتعلقت بها ظبية. فلما رآته أنطقها الله تعالى: فقالت: يا روح الله إن
لي أولاد أصغاراً وإني تعلقت بهذه الشبكة منذ ثلاثة أيام. فاستأذن لي الصياد
حتى أرضعهم وأرجع فأخبر بذلك. فقال له: إنها لا تعود. فأخبرها بذلك.
فقالت: إن لم أعد فأنا شر من الذين وجدوا الماء يوم الجمعة ولم يغتسلوا.
فأخذ عليها العهد فذهبت، ورجعت خوفاً من نقض العهد. فذهب
عيسى ﷺ، فلقي لينة من ذهب أحمر فأمره الله تعالى أن يدفعها إلى الصياد
فداء للظبية. فذهب بها إليه فوجده قد ذبحها فدعا عليه، فقال: أذهب الله
البركة من عمله، فكان كذلك.

ويدخل وقت الغسل بطلوع الفجر عند الشافعية وتقريبه من الذهاب
للصلاة أفضل. (رواه الطبراني) في الكبير. قال العزيزي رحمه الله تعالى:
وإسناده ضعيف.

١٩٦ - (اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك) يعني اغتنم ما
تلقى نفعك بعد موتك، فإن من مات انقطع عمله وفاته أملُه وحق ندمه وتوالي
همه، فاقترض منك لك وتفرغ لعبادة ربك ولا تتركها مدة عمرك.

حُكي أن عابداً عبد الله تعالى مائة سنة في صومعته، فوسوس له
الشیطان فنزل من صومعته، ودخل البلد لزيارة أقاربه وأصدقائه في الله
تعالى. فتعلق به صديق له وأدخله إلى بيته وحلفه بالله أن يساعده على ما هو
عليه فساعده في ذلك سبعة أشهر. فنام ليلة من الليالي فلما كان عند السحر
صاح صيحة مزعجة، فقام صاحب المنزل منزعجاً فقال له: ما لك؟ فقال:

أوقد لي سراجاً. فأوقد له فقال له : كنت نائماً فرأيت شاباً حسن الوجه نظيف الثياب فقال لي : أنا رسول الله . فأني عيب رأيت من الله ورسوله حتى تركت عبادته؟ ارجع إلى صومعتك قبل أن تموت . فخرج العابد في الليل فلم يزل يطوف في المفاوز، ويشرب من ماء المطر، ويأكل من ورق الشجر، وينادي الهي بدني معيوب، وقلبي مكروب، ولساني مقر بالذنوب، فاغفر لي يا غفار الذنوب . ويا ستار العيوب ويا علام الغيوب، فلما دنا من صومعته وهم بدخولها فأدخل رجلاً واحداً رأى شيئاً مكتوباً فتأمل فيه فرأى أربعة أسطر: توكلت علينا فكفيناك، وآثرت علينا فتركناك، وأقبلت علينا فقبلناك، وقارفت الذنوب فغفرناها لك ورحمنناك، وطمعت فيما عندنا فأعطيناك . (وصححك قبل سقمك) بفتح السين والقاف أو بضم فسكون . قال الحفني : لغتان ولم تعلم الرواية، فيجوز قراءته بالوجهين . والاحتياط أن يقرأ بهما على البديل ليصادف الرواية اهـ . والمعنى اغتنم للعمل الصالح حال الصحة فقد يعرض مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد (وفراغك قبل شغلك) بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين، أي اغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر، فاغتنم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان (وشبابك قبل هرمك) بفتحيتين أي اغتنم فعل الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله، (وغناك قبل فقرك) أي اغتنم التصديق بما فضل عن حاجة من تلزمك نفقته قبل عروض جائحة تتلف مالك فتصير فقيراً في الدارين . فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها، وما أحسن ما قيل :

إذا هبت رياحك فاغتنمها	فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها	فما تدري السكون متى يكون
وان تظفر يداك فلا تقصر	فإن الدهر عادته يخون

(رواه الحاكم) في مستدركه، (والبيهقي) في شعب الإيمان، (وغيرهما) كالإمام أحمد في الزهد، وأبي نعيم في الحلية .

١٩٧ - (أفضل الحسنات) أي المتعلقة بحسن المعاشرة (تكرمة الجلساء) كأن يبسط لهم رداء أو وسادة أو نحو ذلك فهذا من جملة الكرامة .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : وإنما يكون من أفضل الحسنات إذا نويت امتثال الأمر والمولات لله وفي الله فإنها من أوثق عرى الإيمان. ومن تكرمة المجلس الإصغاء لحديثه .

كان ابن أبي رباح إذا حدثه شخص بحديث وهو يعلمه صغى إليه إصغاء من لم يسمعه قط لثلاثي يخلج جلسه .

قال حجة الإسلام : فيندب إكرام الصحاب والجلس ندباً مؤكداً . وفيه إشارة إلى رعاية آداب الصحبة ، فمنها كتمان السر وستر العيوب ، والسكوت عن تبليغ ما يسؤوه من مذمة الناس إياه وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه ، وحسن الإصغاء عند الحديث ، وترك المراقبة وأن يدعو بأحب أسمائه إليه ، وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه ويشكره على صنيعه في حقه ، ويذب عنه في غيبته وينهض معه في حوائجه من غير إحواج إلى التماس ، وينصحه باللطف والتعريض ان احتيج ويعفو عن زلته وهفوته ، ولا يعتبه ويدعوه له في الخلوة في حياته ومماته ، وينظر في حاجاته ويظهر الفرح بما يسره والحزن بما يضره ويضممر مثل ما يظهره فيه ليكون صادقاً في وده سرّاً وعلناً ، يبدأه بالسلام عند إقباله . ويوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه ، ويشيعه عند قيامه ويصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه .

وبالجملة يعامله بما يحب أن يعامل به اهـ .

وقال غيره آداب المجالسة وإكرام الجلساء : أن يوسع للجلس ، ويقبل عليه ويصغي لحديثه ويتمكن من الجلوس معه غير مستوفز ولا يعبث بلحيته ، ولا خاتمه ولا يشبك أصابعه ولا يدخل أصبعه في أنفه ، ولا يكثر البصاق والتنخم والحكايات المضحكة ، ولا يحدث عن إعجابه بولده أو حليلته أو طعامه أو شعره أو تأليفه أو درسه ولا يكثر الإشارة بيديه والاتفات اهـ . (رواه القضاعي) .

١٩٨ - (أفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو) أي محو الذنوب (والعافية) أي السلامة من الأسقام والبلايا (في الدنيا والآخرة) . واعلم أن العفو أبلغ من الغفر لأنه الستر . والعفو المحو والمعافاة مفاعلة فإذا سألتها الإنسان كان المعنى : أطلب منك يا رب أن يعفو الناس عني ، وأن أعفو عنهم .

لا أن المفاعلة بينه وبين الرب سبحانه وتعالى ، قاله الحفني .

وقال المناوي : قال الحكيم : العفو والعافية مشتق أحدهما من الآخر إلا أنه غلب في اللغة استعمال العفو في نوائب الآخرة ، والعافية في نوائب الدنيا . وذكرهما في الحديث في الدارين إيداناً بأنهما يرجعان إلى شيء واحد . فيقال في محل العقوبة عفا عنه وفي محل الابتلاء عافاه . ثم المطلوب عافية لا يصحبها أشر ولا بطر^(١) ، ولا اغترار بدوامها . فلا ينافي خبر كفى بالسلامة داء (فإنك إذا أعطيتهما في الدنيا ثم أعطيتهما في الآخر فقد أفلحت) أي فزت وظفرت .

وجاء أن العباس رضي الله تعالى عنه قال للنبي ﷺ : علمني دعاء أدعو به يا رسول الله . فقال : سل الله العافية . فعاوده مراراً ، فقال له : يا عباس يا عم رسول الله ﷺ سل الله العافية في الدنيا والآخرة فإنك إذا أعطيت العافية أعطيت كل خير . أي لأنها أفضل الدعاء .

وحكي أن رجلاً كان يقول كثيراً اللهم اختم لي منك بخير، فنظر يوماً في مطبخ الصابون فوقع فيه فاحترق وتعذر غسله ، فرؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك؟ قال : لما أوقفني بين يديه قلت يا رب كيف قضيت علي بهذه الموتة؟ فقال : كنت تقول كثيراً اللهم اختم لي منك بخير، ولم تقل في عافية .

وحكي أنه كان بالإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه بواسير، وكانت تنضح دماً ليلاً ونهاراً حتى كان يجلس للحديث ، والطست تحته يقطر فيه الدم؛ فقال يوماً : اللهم إن كان في هذا رضاك فزدني منه . فسمعه شيخه مسلم بن خالد الزنجي فقال : مه يا محمد، سل الله العافية فإنني وأنت لسنا من رجال البلاء . وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد، والترمذي وغيرهما) كهناد، وابن ماجه . قال العريزي : وحسنه الترمذي .

١٩٩ - (أفضل الرباط) قال العلامة المناوي : هو في الأصل الإقامة

(١) (قوله ولا بطر) عطف تفسير . قال في المصباح أشر من باب تعب بطر وكفر النعمة فلم يشكرها اهـ جامعه عفا الله عنه .

على جهاد العدو بالحرب، ثم شبه به الأفعال الصالحة. وقال الحفني: الرباط يطلق على محل الذكر وعلى العمل الصالح وهو المراد هنا (الصلاة) لأنها أفضل عبادات البدن بعد الإيمان، ولفظ رواية الطيالسي الصلاة بعد الصلاة، (ولزوم مجالس الذكر) أي ذكر الله ونحوه كالصلاة على النبي ﷺ ومجالس العلم.

وفي الحديث: ما جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده. (وما من عبد) أي إنسان (يصلي) فرضاً أو نفلأً (ثم يقعد في مصلاه) أي المحل الذي صلى فيه (إلا لم تزل الملائكة تصلي عليه) أي تستغفر له (حتى يحدث) أي إلى أن ينتقض طهره بأي ناقض كان. ويحتمل أن المراد أن يحدث حدث سوء كغيبية ونميمة، (أو يقوم) أي من مصلاه ذلك (رواه الطيالسي) أبو داود. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وإسناده ضعيف.

٢٠٠ - (أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً) أي شرعياً أو ما كان آلة له (ثم يعلمه أخاه المسلم) فتعليمك لغيرك العلم صدقة منك عليه بل هو من أفضل أنواع الصدقة، لأن الانتفاع به فوق الانتفاع بالمال، لأن المال ينفد والعلم باق. وإنما كان تعليم العلم صدقة لأن الصدقة من الكرم والجود، والجود قسمان: أحدهما معنوي، كتعليم العلم، وثانيهما مبانى، كالإطعام ونحوه. وسمي مبانياً لكون البنية تقوم به.

فائدة: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: اللهم اغفر للمعلمين وبارك لهم في أبدانهم وأطل في أعمارهم.

وعن أبي امامة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: ان الله وملائكته وأهل سمواته وأهل أرضه والحوت في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير اهـ. ثم ان هذا الحديث (رواه ابن ماجه). قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: قال المنذري: إسناده حسن.

٢٠١ - (أفضل الصدقة) الصدقة التي تقع (في رمضان) لأن التوسعة فيه على عيال الله محبوبة مطلوبة. ولهذا كان المصطفى ﷺ أجود ما يكون في رمضان. وذلك لأنه تعالى وضع رمضان لإفاضة الرحمة على عباده أضعاف ما

يفيضاها في غيره فكانت الصدقة فيه أعظم ثواباً منها في غيره . وفيه ندب إكثار الصدقة فيه ومزيد الانفاق على المحتاجين والتوسعة على عياله وأقاربه ومحبيه فيه . وقد ورد: من تصدق فيه بصدقة إلى فقير ذي عيال كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة . (رواه سليم) بالتصغير (الرازي) في جزئه . قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى : وضعفه ابن الجوزي .

٢٠٢ - (أفضل العبادة) وفي رواية للبيهقي : أفضل عبادة أمي (قراءة القرآن) لأن القارئ يناجي ربه سبحانه وتعالى ، ولأنه أصل العلوم وأمها وأهمها . ولأن لقارئه بكل حرف منه عشر حسنات وذلك من خصائصه على جميع الكتب الإلهية ، فلاشتغال بقراءته أفضل من الاشتغال بسائر الأذكار إلا ما ورد فيه شيء مخصوص في وقت أو زمن مخصوص . وقراءته نظراً في المصحف أفضل إن كان أخشع فإن كان عن ظهر قلب أخشع فهو أفضل .

تنبيه : صرح العلماء رحمهم الله تعالى بأن الإنسان يبدأ أولاً بحفظ القرآن ، ثم باتقان تفسيره ثم يحفظ من كل فن مختصراً ولا يشتغل بذلك عن تعهد دراسة القرآن . قال بعض الصوفية : كنت أكثر القراءة ثم اشتغلت بكتابة الأحاديث والعلم فقلت تلاوتي فتمت ليلة فرأيت كأن قائلًا يقول :

إن كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي
أما تدبرت ما فيه من لذيذ خطابي

فانتبهت فرعاً وعدت إليه .

وظاهر الحديث أن قراءة القرآن أفضل العبادات ولو بغير فهم المعنى . وهو كذلك ، فقد حُكي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه رأى ربه سبحانه وتعالى في المنام ، فقال : يا رب أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ قال : بكلامي يا أحمد . قال : بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم أو بغير فهم .

قال الحفني : لكن قراءته مع فهم المعنى أكمل .

وقال أبو بكر العسقلاني : رأيت الله عز وجل في المنام ، فأردت أن أسأله عن أفضل الأعمال فاستحيت ، فقال : تريد أن تسألني عن أفضل

الأعمال؟ قلت: نعم يا رب. قال: أفضل الأعمال تلاوة القرآن. فأردت أن أسأله معرباً أو غير معرب، فقال: تريد أن تسألني معرباً أو غير معرب؟ قلت: نعم. قال: معرباً أو غير معرب. فأردت أن أسأله بطهارة أو بغير طهارة. فقال: تريد أن تسألني بطهارة أو بغير طهارة؟ قلت: نعم. قال: بطهارة وبغير طهارة. فأردت أن أسأله بصلاة أو بغير صلاة، فقال: تريد أن تسألني بصلاة أو بغير صلاة؟ قلت: نعم يا رب. قال: بصلاة وبغير صلاة. ثم قال تعالى: أتدري يا أبا بكر ما للقاريء عندي؟ قلت: لا. قال: بالحرف المطلق عشر حسنات، وبالمعرب عشرون حسنة. أتدري كم الحسنات الواحدة؟ قلت: لا. قال: ألف رطل. ثم قال: أتدري كم الرطل الواحد؟ قلت: لا. قال: ألف دائق. ثم قال: أتدري كم الدائق؟ قلت: لا. قال: ألف درهم. ثم قال: أتدري كم الدرهم؟ قلت: لا. قال: ألف قيراط. ثم قال: أتدري كم القيراط؟ قلت: لا. قال: القيراط الواحد وزن جبل أحد.

ورد: من قرأ القرآن بإعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف.

قال السيوطي رحمه الله تعالى: والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن. لأن القراءة مع فقدته ليست بقراءة ولا يثاب عليها. (رواه ابن قانع) عبد الباقي في معجمه (والسجزي) بكسر السين في الإبانة. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وإسناده ضعيف لكن له شواهد.

٢٠٣ - (أفضل العيادة) بمشاة تحتية أي زيارة المريض (أجراً سرعة القيام من عند المريض) أي أفضل ما يفعله العائد في العيادة أن يقوم سريعاً فلا يمكث إلا بقدر فواق^(١) ناقة وذلك لأنه قد يبس للمريض فيستحي من جلسائه. وأخرج البيهقي عن سلمة بن عاصم قال: دخلت على الفراء أعوده فأطلت وألحفت، أي ألححت في السؤال. فقال لي: أدن فدنوت فأنشدني:

(١) قوله فواق ناقة) الفواق بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك سوية يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب اهـ مختار.

حق العيادة يوم بعد يومين ولحظة مثل لحظ الطرف بالعين
لا تبرمن^(١) مريضاً في مساءة يكفيك من ذاك تسأل بحرفين
والكلام في غير متعهده ومن يأنس به ويشق عليه مفارقتة. (رواه
الدليمي) في مسند الفردوس. قال العزيزي رحمه الله تعالى : وهو حديث
ضعيف.

٢٠٤ - (أفضل الفضائل) أي الخصال الفضيلة التي يشرف بها
الإنسان في الدنيا والآخرة (أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح
عمن ظلمك) قال العزيزي : لما فيه من مجاهدة النفس وقهرها ، ومكابدة^(٢)
الطبع لميله إلى المؤاخذة والانتقام.

وقال الحفني : قوله أن تصل من قطعك هذا هو غاية المعروف ، وتعطي
من حرمك هو غاية الجود ، وتصفح ممن ظلمك هو غاية الحلم . ولذا قال
سيدنا عيسى عليه السلام لقومه : إني كنت جئتكم بأن النفس بالنفس والعين
بالعين الخ . والآن جئتكم بأن لا تقابلوا الشر بمثله ، وإذا ضرب أحدكم على
خده الأيمن فليوجه له الأيسر . وإذا غضب أحدكم إزار أخيه فليعطه رداءه
أيضاً اهـ.

ومما وقع أن ملكاً خرج يوماً للصيد فظهر له حمار وحشي فاتبعه حتى
خفي عن عسكره فظفر به فأمسكه ونزل عن فرسه يريد أن يذبحه فرأى راعياً
أقبل من البرية ، فقال له : يا راعي أمسك فرسي هذا حتى أذبح هذا الحمار .
فأمسكه ، ثم تشاغل الملك بذبح الحمار فلاحته منه التفاتة فرأى الراعي
يقطع جوهرة في عذار^(٣) فرسه . فأعرض الملك عنه حتى أخذها . وقال : إن
النظر إلى العيب من العيب . ثم ركب فرسه ولحق بعسكره ، فقال له الوزير :
أيها الملك السعيد أين جوهرة عذار فرسك؟ فتبسم الملك ثم قال : أخذها
من لا يردها وأبصره من لا ينم^(٤) عليه ، فمن رآها منكم مع أحد فلا يعارضه بشيء .

(١) قال في المصباح برم به من باب طرب وتبرم به أي سئمه وأبرمه أمله وأضرجه اهـ.

(٢) في المختار كابد الأمر قاسى شدته اهـ.

(٣) (قوله عذار فرسه) قال في المصباح عذار الدابة السير الذي على خدها من اللجام والجمع
عذر مثل كتاب وكتب اهـ.

(٤) بابه قتل وضرب كما في المصباح .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي ﷺ منزل فاطمة رضي الله تعالى عنها فشكت إليه الجوع، وقالت: يا أبت لنا منذ ثلاثة أيام لم نذق طعاماً. فكشف ﷺ عن بطنه وإذا عليه حجر مشدود، وقال: يا فاطمة إن كان لكم ثلاثة أيام فلأبيك أربعة أيام. ثم خرج رسول الله ﷺ من منزلها، وهو يقول: وأغماه بجوع الحسن والحسين. ولم يزل ﷺ يمشي حتى خرج من سكك المدينة، وإذا هو باعراي على بئر يستقي الماء منها. فوقف ﷺ، وهو لا يعرف أنه النبي. فقال له: يا أعراي هل لك في أجير تستأجره؟ قال: نعم. قال: تستأجره فيماذا؟ قال: يستقي من هذا البئر. فدفعت الأعرابي له الدلو فاستقى له دلواً فدفعت له ثلاث تمرات. فأكلها ﷺ، ثم استقى له ثمانية أدلية ولما أراد استقاء التاسع انقطع الرشاء^(١) فوقع الدلو في البئر. فوقف النبي ﷺ متحيراً. فجاء الأعرابي غضبان ولطم وجه النبي ﷺ ودفعت له أربعة وعشرين تمرة، فأخذها منه. ثم تناول الدلو من البئر بيده الشريفة ورماه للأعرابي وانطلق من عنده. فتفكر الأعرابي ساعة، ثم قال: إن هذا نبي حقاً. ثم أخذ مديّة وقطع بها يمينه التي لطم بها النبي ﷺ، فوقع مغشياً عليه. فمر عليه ركب فرشوا عليه الماء حتى أفاق، فقالوا: ما أصابك؟ فقال: لطمت وجه إنسان ثم ظننت أنه محمد ﷺ، وأخاف أن تصيني العقوبة، فقطعت يدي التي لطمته بها. ثم أخذ يده المقطوعة بيساره وأقبل إلى المسجد ونادى: يا أصحاب محمد أين محمد؟ وكان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قعوداً فيه. فقالوا له: ماذا تسأل من محمد؟ فقال: لي إليه حاجة، فجاء سلمان وأخذ بيد الأعرابي، وانطلق إلى بيت فاطمة رضي الله تعالى عنها. وكان ﷺ لما أخذ التمر جاء به إلى بيتها وأجلس الحسن على فخذه الأيمن والحسين على فخذه الأيسر، وصار يلقمهما من التمر الذي معه. فنادى الإعرابي: يا محمد. فقال لفاطمة: انظري من الباب. فخرجت إليه فوجدت الأعرابي وهو أخذ يمينه المقطوعة بشماله، وهي تقطر دماً. فرجعت إليه وأخبرته بما رأت، فقام ﷺ فلما رآه قال: يا محمد أعذرنني فإني لم أعرفك. فقال له: لم قطعت يدك؟ قال: لم يكن لي أن أبقى على

(١) (قوله الرشاء) مثل كساء الجبل اهـ مصباح.

يد لطمت بها وجهك. فقال النبي ﷺ: أسلم تسلم. فقال: يا محمد إن كنت نبياً فأصلح يدي. فأخذها ﷺ ووضعها في مكانها وألصقها ومسحها بيده وتفل عليها فالتأمت بإذن الله تعالى، فأسلم الإعرابي والحمد لله، فانظر إلى حلمه ﷺ وصفحه عن آذاه.

وحكي أن شيخ ابن العربي رضي الله تعالى عنهما رأى الله تعالى مناماً فقال: يا رب علمني شيئاً أخذه عنك بلا واسطة. فقال: إذا أحسنت إلى من أساءك فقد شكرت نعمتي، وإن أسأت إلى من أحسن إليك فقد كفرت نعمتي. فقال: حسبي ذلك يا رب؟ فقال: حسبك ذلك. أي يكفيك ذلك في صنع المعروف إن عملت به. وهذا الحديث (رواه الإمام أحمد) في مسنده، (والطبراني) في الكبير. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٢٠٥ - (اقرأ القرآن) أي ما تيسر منه (فإن الله تعالى لا يعذب قلباً) أي صاحب قلب (وعى) قلبه (القرآن) أي حفظه عن ظهر قلب وعمل بأحكامه من امثال أوامره واجتناب نواهيه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بمواعظه. فمن حفظ ألفاظه وضيع حدوده فهو غير واع له. ولذا ورد: اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فليست تقرؤه، أي قراءة نافعة.

وورد: ربّ قارئ يقرأ القرآن وهو يلعنه وذلك بأن كان من الظالمين. وقرأ ألا لعنة الله على الظالمين، فيدخل في عموم ذلك. وكذلك كل آية فيها لعن أهل جريمة إذا كان منهم.

ورد: اقرأوا القرآن وأعملوا به ولا تجفوا عنه. أي تركوا تلاوة ولا تغلوا فيه، أي لا تتعدوا حدوده من حيث لفظه كترك تجويد حروفه، أو معناه كترك أوامره. ولا تأكلوا به أي لا تجعلوه سبباً للأكل ولا تستكثروا به أي لا تجعلوه سبباً للاستكثار من الدنيا. ولذا قال سهل: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي، وعلامة حب النبي حب السنة، وعلامة حبها حب الآخرة، وعلامة حبها بغض الدنيا، وعلامة بغضها أن لا يتناول منها إلا البلغة. فأخذ المقابل على القرآن مذموم حيث كان غنياً غنى ظاهر أو غنى قلبياً، أما لو كان محتاجاً فلا بأس بأخذ المقابل. واعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية كما قاله العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

خاتمة

أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فإنه يطرد بجهره الشياطين، وفساق الجن. وان الملائكة الذين هم في الهواء وسكان الدار يستمعون لقراءته ويصلون بصلاته. فإذا مضت هذه الليلة أوصت تلك الليلة الليلة القابلة فتقول نبيه لساعته وكوني عليه خفيفة. فإذا حضرته الوفاة جاء القرآن، فوقف عند رأسه وهم يغسلونه، فإذا فرغ منه دخل القرآن حتى صار بين صدره وكفنه. فإذا وضع في حفرته وجاءه منكر ونكير خرج القرآن فصار بينه وبينهما فيقولان له: إليك عنه فإننا نريد أن نسأله. فيقول: والله ما أنا مفارقه حتى أدخله الجنة، فإن كنتما أمرتما فيه بشيء فשאُنكما. ثم ينظر إليه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا. فيقول: أنا القرآن، أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظميء نهارك وأمنعك شهوتك وسمعتك وبصرك، فستجدني من بين الأخلاء خليل صدق ومن بين الأخوان أخا صدق، فأبشر فما عليك من بعد مسألة منكر ونكير من هم ولا حزن. ثم يخرجان عنه فيصعد القرآن إلى ربه تعالى فيسأل له فراشاً ودثاراً بكسر الدال المهملة أي غطاء فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة، وياسمين من ياسمين الجنة. فيحمله ألف ملك من مقربي السماء الدنيا فيسقطهم القرآن إليه فيقول: هل استوحشت بعدي، ما زدت منذ فارتكتك على أن كلمت الله في فراش ودثار ومصباح، فهذا قد جئت به. فتدخل عليه الملائكة فيحملونه ويفرشون له ذلك ويضعون الدثار تحت رجله والياسمين عند صدره. ثم يحملونه حتى يضعوه على شقه الأيمن ثم يصعدون. فيستلقي عليه فلا يزال ينظر إلى الملائكة حتى يلجوا في السماء. ثم يدفع القرآن في قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء الله.

وفي كتاب أبي معاوية: فيوسع له مسيرة أربعمائة عام.

وفي خبر غريب في إسناده جهالة وانقطاع أن الملائكة تصعد عنه ويبقى هو والقرآن حتى يبعث ويتعاهده كما يتعاهد الوالد الشفيق ولده بالخير، ثم يحمل الياسمين من عند صدره فيجمله عند أنفه فيشمه غضاً أي طرياً إلى يوم ينفخ في الصور. ثم يأتي أهله كل يوم مرة أو مرتين فيأتيه بخبرهم ويدعو لهم بالخير والإقبال. فإن تعلم أحد من ولده القرآن بشره بذلك، وإن كان عقبه

عقب سوء أتى الدار بكرة وعشياً فبكى عليه إلى أن ينفخ في الصور اهـ.

وهذا الحديث (رواه تمام) في فوائده رحمه الله تعالى .

٢٠٦ - (اقرأ سورة البقرة في بيوتكم) أي مساكنكم ولو خباء أو كهفاً في الجبل (ولا تجعلوها قبوراً) أي كالقبور خالية عن الذكر والقراءة، بل اجعلوها نصيباً من الطاعة. (ومن قرأ سورة البقرة) قال المناوي: بكمالها أي في أي محل كان أو في بيته، وهو ظاهر السياق. لكن لعل المراد الإطلاق (توج بتاج في الجنة) حقيقة أو هو كناية عن مزيد الإكرام. قال المناوي: والتاج ما صيغ للملوك من جوهر وذهب. وقال الطيبي: ذكر التاج كناية عن الملك والسيادة كما يقال قعد فلان على السرير كناية عنه اهـ.

(رواه البيهقي) في شعب الإيمان .

٢٠٧ - (اقرأ سورة هود يوم الجمعة) فإنها من أفضل سور القرآن فيناسب قراءتها في أفضل أيام الأسبوع. قال الحفني: لكن يقدم عليها سورة الكهف ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم سورة هود. فلا يخالف ما في الفقه، فقراءة سورة هود مطلوبة إذا ترك قراءة سورة الكهف والصلاة على النبي ﷺ.

قال الغزالي عن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من تدبرها اهـ. ومن خواصها كما قال بعضهم أن من كتبها ولم يطمس منها حرفاً واحداً، وحملها معه لم يعمل فيه السلاح شيئاً وتحصل له الهيبة ويكون له النصر والظفر. ثم ان هذا الحديث (رواه البيهقي) في شعب الإيمان، وهو حديث مرسل صحيح الإسناد كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

٢٠٨ - (اقرأ على موتاكم يس) قال العزيزي أي من حضره مقدمات الموت، وأخذ بعضهم بظاهر الخبر فصحيح أنها تقرأ بعد موته والأولى الجمع عملاً بالقولين اهـ. عبارة الحفني قوله على موتاكم أي من حضره الموت، إذا كان متنبهاً يدرك معانيها، وعلى من مات بالفعل فإنه يحصل له الثواب. خلافاً للمعتزلة وبعض أهل السنة بدليل أنه ﷺ ضحى عن أمته وإن الأمكنة تستغفر لأمته فلولا أن عمل الإنسان ينفع غيره إذا نواه لما فعل ذلك اهـ.

قال القرطبي: وقد كان الشيخ ابن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ. فلما توفي رآه بعض أصحابه في النوم فقال له: انك كنت تقول لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ أو يهدى إليه، فكيف الأمر؟ فقال: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى.

خاتمة

قال الحفني: ومما يدل على مزيد فضل يس أن ابن العربي اشتد عليه المرض فحصل له استغراق، فرأى خلقاً كثيرين يريدون ضره، ورأى شاباً حسن الصورة فدفعهم عنه فقال له: من أنت؟ فقال له: أنا يس. فلما استيقظ وجد أباه يتلو سورة يس عند رأسه حتى ختمها وهو يبكي اهـ.

وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (وأبو داود وغيرهما) كابن ماجه، وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه، وإسناده ضعيف كما في شرح العزيزي.

٢٠٩ - (اقرأ المعوذات) قال العزيزي رحمه الله تعالى: فيه إطلاق الجمع على المثنى أي الفلق والناس أو التغليب أي والإخلاص (في دبر) بضم الدال والموحدة (كل صلاة) أي من الخمس. وفيه استحباب قراءتها بعد التسليم من كل صلاة مكتوبة فإنها لم يتعوذ بمثلها فإذا تعوذ المصلي بها خلف كل صلاة كان في حراستها حتى تأتي صلاة أخرى. قال الحفني: ويحصل بمرّة واحدة في كل.

فائدة: قال بعضهم من خواص المعوذتين أن من قرأهما في كل ليلة أمن من شر الجن والإنس والوسواس، ومن قرأهما عند الدخول على ظالم كفاه الله شره. وفيهما من النفع ما لا يحصى، فمن كتبهما وعلقهما على الصغار حفظوا من الجن والهوام اهـ. وهذا الحديث (رواه أبو داود وابن حبان) في صحيحه. قال المناوي رحمه الله تعالى: وصححه ابن حبان.

٢١٠ - (اقرأ القرآن بلحون العرب) قال المناوي: أي تطريبها (وأصواتها) أي ترنماتها الحسنة التي لا يختل معها شيء من الحروف عن مخرجه لأن ذلك يضاعف النشاط. وقال الحفني: المراد بلحونهم الطرب

الحاصل بسبب خفة القلوب الناشئة من حسن الصوت وتقليب الأنغام على الوجه المرضي بحيث لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً عما اعتبره الفراء. والطرب كما ينشأ عن السرور ينشأ عن الحزن، وما يقع من الفوران والتخبط ورفع الصوت عند سماع ذلك فهو تخبط شيطاني نشأ عن ميل الطبع إلى الصوت الحسن سواء بقرآن أم بغيره. واختبار ذلك الشخص أن يترك يوماً أو ساعة بلا سماع ثم يعاد عليه الآية التي تخبط عند سماعها بلا تنغم فلا يوجد التخبط منه حينئذ فيقال له: هذه الآية التي تخبطت عند سماعها قبل، فلو كان تخبطك عن طرب روحاني نشأ عن تدبر المعاني لم يتخلف عن سماعك ثانياً. فأهل الله إذا حصل لهم طرب ناشيء عن تدبر المعاني التصقوا بالأرض، واضطجعوا من شدة الشوق إشارة إلى أنهم يعودون إلى التراب كما خرجوا منه اهـ. (وإياكم ولحون أهل الكتابين) أي التوراة والإنجيل، وهم اليهود والنصارى. أي احذروا لحونهم فإنهم كانوا يراعون حسن الصوت ولا يلتفتون إلى تدبر المعاني (وأهل الفسق) أي من المسلمين الذين يخرجون القرآن عن موضعه بالتعطيط، بحيث يزيد أو ينقص حرفاً فإنه حرام إجماعاً. كما قاله النووي (فإنه) أي الشأن (سيجيء بعد قوم يُرجعون) بالتشديد أي يرددون أصواتهم (بالقرآن ترجيع الغناء) أي يفاوتون الحركات في الصوت كأهل الغناء، (و) أهل (الرهبانية) رهبانية النصارى (و) أهل (النوح) لا يجاوز حناجرهم) جمع حنجرة وهي مجرى النفس. أي لا يجاوز مجاري أنفاسهم ولعل المراد أنه كناية عن عدم الثواب (مفتونة قلوبهم) أي بنحو محبة النساء. والمراد ويحتمل أنها مفتونة بحب النغم واستماعه من غير مراعاة ما اصطلاح عليه القراء (وقلوب من يعجبهم شأنهم) لإقرارهم على المعصية.

قال العارف المرسي: دخل بعض الصحب على اليهود فسمعهم يقرؤون التوراة فتخشعوا فأنزل الله تعالى على المصطفى ﷺ: أو لم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب؟ فعوتبوا إذ تخشعوا من غيره إنما تخشعوا من التوراة وهي كلام الله. فما الظن بمن أعرض عن كتابه وتخشع بالملاهي والغناء.

فائدة: قال العلامة المناوي: سئل جدي شيخ الإسلام يحيى المناوي رحمه الله: هل الاهتزاز في القراءة مكروه أم خلاف الأولى؟ فأجاب بأنه في غير الصلاة غير مكروه، ولكن خلاف الأولى. ومحلّه إذا لم يغلب الحال أو

الاحتياج إلى نحو النفي في الذكر إلى جهة اليمين والإثبات إلى جهة القلب .
وأما في الصلاة فمكروه إذا قل من غير حاجة . وينبغي إذا كثر أن يكون
كتحريك الحنك كثيراً من غير أكل ، وإن الصلاة تبطل به والله أعلم .

تمة : علم مما تقرر أنه لا تلازم بين التلحين المذموم وتحسين الصوت
المطلوب . وإن التلحين المذموم والأنغام المنهي عنها هو إخراج الحروف عن
موضوعها بالمطييط . وقد سئل عنه الإمام أحمد في القراءة فمنعه ، ف قيل له :
لم ؟ قال : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أيعجبك لك يا مو حامد ؟

قال العلقمي : والذي يتحصل من الأدلة حسن الصوت بالقراءة مطلوب
فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع اهـ .

وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الأوسط، (والبيهقي) في شعب
الإيمان، قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى : وهو حديث صحيح .

٢١١ - (أقرؤا) قال العزيزي بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر الراء
ضم الهمزة (على من لقيتم من أمتي) أي أمة الإجابة (بعدي السلام) أي
أبلغوا السلام عني ، فيحتمل أن يقال له النبي ﷺ يسلم عليك . وأن يقال له :
قال النبي ﷺ اقرؤا على من لقيتم من أمتي بعدي السلام . ويحتمل أنه كناية
عن إفشاء السلام (الأول) أي من يأتي في الزمن الأول (فالأول) أي من يأتي
في الزمن الثاني سماه أولاً لأنه سابق على من يجيء في الزمن الثالث ، (إلى
يوم القيامة) فيندب فعل ذلك اهـ .

وعبارة الحفني قوله اقرؤا الخ قاله ﷺ لجماعة من أصحابه كانوا
جالسين عنده ، فوعظهم . ثم لما أرادوا القيام ودعهم وقال لهم ذلك . والأولية
فيمن بلغه أحد الصحابة المخاطبين بذلك حقيقة وفيمن بعده نسبة أي كل
أول بالنسبة لمن بعده إلى الأخير فهو لا أولية فيه أصلاً . والأمر للندب فيسن
لكل شخص منا أن يقول لغيره : النبي ﷺ يقرئك السلام فيقول في الرد عليه
السلام . ولا يكره الأفراد لأنه من الوارد في رد التحية ويقول عليه الصلاة
والسلام ، (رواه الشيرازي) أبو بكر في الألقاب والكنى .

٢١٢ - (أقلوا الدخول على الأغنياء) أي بالمال (فإنه) أي إقلال
الدخول عليهم (أحرى) أي أجدر وأحق (أن لا تزددوا) أي تحثقروا وتنقضوا

(نعم الله عز وجل) التي أنعم بها عليكم . لأن الإنسان غيور حسود بالطبع ، فإذا نظر إلى ما أنعم الله به على غيره حملته الغيرة والحسد على الكفران والسخط . وعبر بأقلوا دون لا تدخلوا إيماء إلى أن الدخول لما لا بد منه لا حرج فيه .

وقال بعض الصالحين : ما دخلت على غني إلا وأصابني هم كبير لأنني أرى عنده دابة خيراً من دابتي ، وثوباً خيراً من ثوبي . وما دخلت على فقير إلا واسترحت لأنني أرى ما عنده مثل ما عندي أو أقل .

قال المناوي : وفي الحديث ندب التقلل من الدنيا والاكتفاء بالقليل ، كما كان عليه السلف . ومن مفاسد مخالطة الأغنياء الاستكثار من الدنيا والتشبه بهم في جمع الحطام والاشتغال بذلك عن عبادة الرب المالك اهـ . (رواه الحاكم) في مستدركه ، (والبهقي) في شعب الإيمان . قال العريزي رحمه الله تعالى : قال الحاكم : صحيح وأقروه .

٢١٣ - (اكتحلوا بالإثمد) قال العريزي : بكسر الهمزة والميم معدن معروف بأرض المشرق . وقال الحفني هو الحجر الأسود من أي مكان كان . وقيل خصوص الحجر الذي يجيء من إصبهان . وتسمية غيره بالإثمد لشبهه به في السواد . لكن المشهور الأول وهو الذي يجيء من المشرق (المروح) بالبناء للمفعول ، أي المطيب بنحو مسك أي داوموا على استعماله (فإنه يجلو البصر) أي يزيد نور العين ويدفع المواد الرديئة المنحدرة إليه من الرأس ، (وينبت الشعر) أي شعر الأهداب لأنه يقوي طبقاتها .

قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى : وهذا من أدلة الشافعية على سن الاكتحال واعتراض العصام عليهم ، بأنه إنما أمر به لمصلحة البدن بدليل تعقيب الأمر بقوله فإنه الخ . والأمر بشيء ينفع البدن لا يثبت سنته ليس في محله ، لأنه ثبت في عدة أخبار منها أنه ﷺ كان يكتحل بالإثمد . والأصل في أفعاله ﷺ أنها للقرابة ما لم يدل دليل آخر على خلاف ذلك . والمخاطب بذلك صاحب العين الصحيحة وأما العليلة فقد يضرها اهـ .

وقال الحفني : وإنما ينفع البصر إذا كان سليماً أو مريضاً . وأخبر الطبيب العارف : ينفعه لذلك المرض فينبغي له إذا ضعف بصره أن يسأل

الطبيب عما ينفعه من ششم وغيره لا يضع شيئاً بلا سؤال، ولو كحله غيره وهو ساكت ونوى السنة أئيب كمن وضأ غيره ونوى اهـ. (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى : وإسناده حسن.

٢١٤ - (أكثرُوا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة) أي بأي صيغة كان وأفضل الصيغ مطلقاً الإبراهيمية. ولا ينافيه ما ورد أن بعض الصيغ المرة منه بأربعة عشر ألفاً لأن ذلك في الكم وقد يكون كيف المرة الإبراهيمية أكثر من كم ذلك بكثير وأقل الإكثار ثلاثائة ودونها من القليل (فمن فعل ذلك كنت له شهيداً) أي بأعماله التي منها الصلاة باستحقاقه رفعة درجته وعلو منزلته، (وشافعاً يوم القيامة) أي شفاعة مخصوصة اعتناء به وإلا فهو شفيح في كل المؤمنين. وإنما خص يوم الجمعة وليلة الجمعة لأن يوم الجمعة سيد الأيام، والمصطفى ﷺ سيد الأنام، فللصلاة عليه فيه مزية، ولأنه يأتي يوم القيامة بنور يحيط بمن أكثر الصلاة ويحفه حتى يدخله الجنة.

وروى الحاكم عن أبي موسى مرفوعاً أن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئاتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة لأهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضاً، وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحداً إلا المؤذنون المحتسبون.

خاتمة

ورد عن علي مرفوعاً: من صلى عليّ ليلة الجمعة بهذه الصلاة ولو مرة واحدة كنت ألقاه بيدي وألقنه حجته وهي هذه: اللهم صلّ على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العال القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم اهـ. (رواه البيهقي) في شعب الإيمان. وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢١٥ - (أكثرُوا) ندباً (من تلاوة القرآن في بيوتكم) أي أماكنكم التي تسكنونها بيتاً أو غيره والعبرة في الكثرة بالعرف، كما قاله العلامة الحفني، (فإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره ويكثر شره ويضيق على أهله)،

قال العزيري : أي يضيق رزقه عليهم لأن البركة تابعة لكتاب الله تعالى حيثما كان كانت .

قال الحفني : ولم يقل الذي لا يكثر فيه إشارة إلى أن القراءة في البيت أي المسكن ولو في الجبل يترتب عليها خير وان قلت ، ومفهوم الحديث أن الذي يكثر فيه التلاوة يكثر خيره ويقبل شره أو يذهب ، ويوسع رزق أهله .

تتمة : ورد أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور يهتدي بها أهل السماء ، كما يهتدى بالكوكب الدرّي أي المضيء في لجج البحار ، وفي الأرض القفراء . فإذا مات صاحب القرآن رفعت تلك الخيمة فتنتظر الملائكة من السماء فلا يرون ذلك فتتلقاه الملائكة من سماء إلى سماء فتصلي الملائكة على روحه ثم تستغفر له إلى يوم البعث . (رواه الدارقطني) في الأفراد وضعفه .

٢١٦ - (أكرموا حملة القرآن) بالإجلال والإحسان والمراد بحملته حفظته عن ظهر قلب العاملون بما فيه . أما من حفظه ولم يعمل بما فيه فلا يكرم بل يهان لأنه حجة عليه لا له . فقد روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ قال : يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيؤتى بالرجل قد حمّله فخالف أمره فيمثل أي يصور له خصماً ، فيقول : يا رب قد حملته أيّاي فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له شأنك به . فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار .

قال : ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حمّله فيمثل له خصماً دونه فيقول يا رب حملته أيّاي فخير حامل حفظ حدودي وعمل فرائضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما يزال ، يقذف له بالحجج حتى يقال : شأنك به . فيأخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر . (فمن أكرمهم فقد أكرمني) تمامه كما في المناوي : ومن أكرمني فقد أكرم الله ألا فلا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم فإنهم من الله بمكان ، كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنهم لا يوحى إليهم . (رواه الديلمي) في مسند الفردوس ، وكذا الدارقطني .

٢١٧ - (أكرموا الخبز) بسائر أنواعه لأن في إكرامه الرضى بالموجود من الرزق وعدم الاجتهاد في التمتع وطلب الزيادة (فإن الله أكرمهم) بدليل جعله قوتاً للنوع الإنساني الذي هو أفضل الحيوانات؛ (فمن يكرم الخبز أكرمه الله) ومن إكرامه أن لا يوطأ ولا يمتهن ولا يوضع في قاذورة فيحرم ذلك من حيث الإهانة. ومن حيث ضياع المال ومن إكرامه أن يرفعه من القاذورة لو وجده فيها. ومن إكرامه أن لا يقطع بالسكين بل يكسر باليد، وأن لا يسند به الإناء. ومن إكرامه أن لا يقلب ليأكل الأحسن فقد رأى بعض العباد شخصاً يقلب الخبز فقال له: مه بل كل مما وقع في يدك فإنه نعمة عظيمة، وكم خدمه أناس حتى وصل إليك. نحو ثلاثمائة وستين من ملائكة وغيرهم، أولهم سيدنا ميكائيل وآخرهم من يضعه بين يديك.

ومن إكرامه أن لا يضع عليه نحو اللحم والسمك مما يلوثه فيكره خلافاً، لمن قال بالحرمة لأنه ربما لم يأكله فتعافه نفس غيره، بخلاف ما لو وضع عليه نحو التمر مما لا يلوث فلا بأس به، فقد ورد أنه ﷺ كان يضع التمرة على اللقمة، ويقول: هذه آدم هذه. وما قيل من إكرامه أن يأكله متى حضر إليه ولا ينتظر الأدم غير مسلم لأن الأكل بدون آدم يورث مرضاً رديئاً. ويسن لمن وجد لقمة في قاذورة أن يغسلها غسلًا نعيماً أي جيداً ويأكلها، لما ورد أن من فعل ذلك لن تلج النار بطنه وغفر ذنبه. وقد وجد بعض العارفين لقمة في قاذورة عند الميضاة فغسلها وأعطها لرفيقه وقال له: ناولنيها بعد فراغ الوضوء. فلما فرغ الوضوء طلبها فقال: إني أكلتها. فقال له: أنت حر لوجه الله تعالى. فقال: لم؟ فقال: انه غفر لك ولا تلج النار بطنك بنص الحديث، وإني لا أجعل شخصاً مغفوراً له خادماً لي.

وينبغي للشخص أن يرضى بما حضر من المأكول ويأكل منه ولا يعيبه.

وحكي عن شقيق البلخي رضي الله عنه انه اشترى بطيخة لامرأته فوجدتها غير طيبة فغضبت فقال لها: على من تغضبين؟ على البائع أو على المشتري، أو على الزارع أو على الخالق؟ فأما البائع فلو كان منه لباع أطيب شيء يرغب فيه، وأما المشتري لو كان منه لاشرى أحسن الأشياء، وأما الزارع لو كان منه لأنت أحسن الأشياء، فلم يبق إلا غضبك على الخالق

فاتقي الله وارضى بقضائه . فبكت وتابت ورضيت بما قضى الله تعالى اهـ .
وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير . قال العلامة العزيري : وهو
حديث ضعيف .

٢١٨ - (أكرموا العلماء) بأن تعاملوهم بالإجلال والإعظام والتوقير
والاحترام وتحسنوا إليهم بالقول والفعل . والمراد العلماء بعلوم الشرع العاملون
بعلمهم ، (فإنهم) حقيقون بالإكرام إذ هم (ورثة الأنبياء) أي والرسل (فمن
أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله) .

ومما جاء في فضلهم ما حكي عن كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه
قال : إن الله يحاسب العبد فإذا رجحت سيئاته على حسناته يؤمر به إلى النار
فإذا ذهبوا به إليها يقول الله تعالى لجبريل : أدرك عبي واسأله هل جلس في
مجلس عالم في الدنيا فاغفر له بشفاعته ، فيسأله جبريل فيقول : لا . فيقول
جبريل : يا رب أنت عالم بحال عبدك أنه قال لا . فيقول : سله هل أحب
عالمًا؟ فيقول : لا . فيقول : سله هل جلس على مائدة مع عالم؟ فيقول : لا .
فيقول : سله هل سكن في سكة فيها عالم؟ فيقول : لا . فيقول : سله هل
وافق اسمه اسم عالم أو نسبه نسب عالم؟ فيقول : لا . فيقول : سله هل يحب
رجلاً يحب عالمًا؟ فيقول : نعم . فيقول الله لجبريل : خذ بيده وأدخله الجنة
فإني قد غفرت له بذلك اهـ .

وهذا الحديث (رواه الخطيب) في تاريخه ، وهو حديث ضعيف لكن
يعضد بغيره كما في شرح العلامة العزيري رحمه الله تعالى .

٢١٩ - (أكرموا عماتكم النخلة) قال الحفني بفتح التاء وما قيل أن
الضبط عماتكم أي بجرها فغلط، ومن إكرامها سقيها وتلقيحها وتنقية الحصا
ونحوه الذي تحتها مما يضرها وأن لا يزيل الجريد الذي يضرها إزالته .

وهي أقرب شبه بالإنسان ولذا ربح طلعتها كريح المنى ، قال المناوي :
ثم بين وجه تسميتها عمة بقوله : (فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم) أي
التي خلق منها . فهي بهذا الاعتبار عمة الأدمي من نسبه .

قال ابن العربي رحمه الله تعالى : لما خلق الله آدم وفضلت من خميرة

طيبته فضلة خلق الله منها النخلة، فهي لآدم أخت. ولنا عمة. ولها أسرار عجيبة دون سائر النبات.

وفضل من الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسمة المعروفة، فأمد الله منها أرضاً عظيمة واسعة الفضاء تسمى أرض السمسمة يعرفها أهلها. وفيها من العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره ويبهر العقول أمره.

وقيل أن آدم عليه الصلاة والسلام لما هبط طال شعره وتشعث بدنه، فجاء جبريل عليه السلام بالمقراض فقص شعره وظفره وأزال الوسخ عن جسده ودفنه في الأرض. ثم نام فاستيقظ وقد خلق الله تعالى النخلة إلى جانبه بدنها أي جذعها من جسده، وليفها من شعره، وجريدها من ظفره، وهي تشرب من أعلاها وغيرها من أسفلها.

قال علي رضي الله تعالى عنه: أول شجرة استقرت على وجه الأرض النخلة. (وليس من الشجر شجرة أكرم على الله تعالى من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران)؛ لما حصل لها من الشرف بولادة سيدنا عيسى تحتها. ولو كان ثم شجرة أكرم من النخلة لولدت تحتها مريم.

قال العلقمي: قال شيخ الحديث: ورأيت في بعض الكتب أن عيسى ولد بمصر بقرية يقال لها أهناس بها النخلة التي في قول الله عز وجل: وهزي إليك بجذع النخلة. وانه نشأ بمصر، ثم سار على سفح المقطم إلى الشام ماشياً وهو غريب. بل الآثار دلت على أنه ولد ببيت المقدس ونشأ به ثم دخل إلى مصر.

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد أن النخلة كانت عجوة قلت أي ثمرها يقال له العجوة. وهو نوع من التمر كما في صحيح البخاري.

وفي بعض الأحاديث من كان طعامها في نفاسها التمر جاء ولدها ولدًا حلِيمًا فإنه كان طعام مريم حيث ولدت عيسى. ولو علم الله طعاماً هو خير لها من التمر لأطعمها إياه، (فاطعموا نساءكم الولد) بضم الواو وتشديد اللام (الرطب) بضم ففتح والأمر للندب أو للإرشاد كما في المناوي (فإن لم يكن) أي فإن لم يتيسر (رطب) لفقده أو عزة وجوده (فتمر) أي فيقوم مقامه تمر فيورث الحلم وطيب الكلام في الولد.

وقال العزيزي: قال بعضهم: ليس للنفساء دواء مثل الرطب والتمر ولا للمريض مثل العسل اهـ.

وهذا الحديث (رواه أبو يعلى) في مسنده، (وابن أبي حاتم وغيرهما) كالعقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل، وابن السني، وأبي نعيم معاً في الطب، وابن مردويه في تفسيره. قال العزيزي: بأسانيد كلها ضعيفة لكن باجتماعها تتقوى.

٢٢٠ - (أكل اللحم) قال الحفني رحمه الله تعالى: يحتمل أن أُل للعهد أي لحم الضأن ولحم الطير، والظاهر أنها للجنس ليدخل سائر أنواع اللحم لأن الأطباء أجمعوا على أنه ينفع بسائر أنواعه. وإن كان في لحم البقر والإبل ضرر فإن لهم أشياء يعرفونها تضاف لذلك فتدفع ضرره اهـ. (يحسن الوجه) أي يكسبه نضارة وإشراقاً وحسناً (ويحسن الخلق) بالضم لزيادته في اعتدال المزاج. ومحل ذلك إن استعمل في حالة الصحة بغير إفراط ولا تفريط. ومن ثم قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: نعم ينبغي أن لا يداوم على أكل اللحم لما جاء في بعض الأخبار أن له ضراوة كضراوة الخمر اهـ.

ومما جاء في فضل اللحم وخواصه ما رُوي أنه ﷺ قال: شكنا نبي من الأنبياء إلى ربه ضعفاً في بدنه ووجعاً في صلبه، فأوحى الله إليه أن أطبخ اللحم بالبر وكله فإني جعلت القوة فيهما.

وقال الحكماء عشرة أشياء تقوي البدنه وتجلو الذهن:

أحدها: مداومة أكل الحلو.

الثاني: أكل اللحم القريب من الرقبة.

الثالث: أكل شوربة البر.

الرابع: أكل الخبز البارد.

الخامس: أكل الزبيب الأحمر.

السادس: أكل عسل النحل.

السابع: أكل التفاح الحلو.

الثامن: أكل الأرز.

التاسع: أكل الرطب والتمر.

العاشر: دهن الرأس .

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : أربعة أشياء تقوي البدن : أكل اللحم، وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع، ولبس الكتان . وأربعة توهن البدن : كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق، وكثرة أكل الحموضة، وأربعة تقوي البصر: الجلوس تجاه القبلة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف الملبس . وأربعة توهن البصر: النظر إلى القدر، والنظر إلى المصلوب، والنظر إلى فرج المرأة، والعود في استدبار القبلة . وأربعة تزيد في الجماع : أكل العصافير، وأكل الأطريرفل الأكبر، وأكل الفستق وأكل الجرجير . وأربعة تزيد في العقل : ترك الفضول من الكلام، والسواك، ومجالسة الصالحين والعلماء اهـ . وهذا الحديث (رواه ابن عساكر) في تاريخه . قال العلامة العزيمي رحمه الله تعالى وإسناده ضعيف .

٢٢١ - (أكل الشمر) بفتح الشين المعجمة والميم نبات معروف، وقال بعضهم الصواب أكل التمر بالفوقية، لكن الذي شرح عليه المناوي في شرحه والعزيمي أنه الشمر (أمان من القولنج) بضم القاف وفتح اللام، وجع في الأمعاء المسمى قولنج بضم اللام وهو شدة المغص قاله العزيمي .

وقال الحفني القولنج : مرض مخوف ابتداء فإذا اعتاده الإنسان لم يكن من المخوف فأعظم دوائه أن يغلى الشمر ويشرب ماؤه اهـ . أي لأنه يحلل الرياح الغليظة والأخلاق التي في المعدة ويسهل خروجها، وهو شديد النفع من وجع الجنين، ويدفع حرقة المعدة من البلغم الحامض، ويشفي وجع الكلى والمثانة، وينفع من نهش الهوام وهو بستاني وبري والظاهر إرادتهما في الحديث معاً . (رواه أبو نعيم) في الطب . قال العزيمي رحمه الله تعالى : وإسناده ضعيف .

٢٢٢ - (ألبان البقر شفاء) أي من الأمراض السوداوية والبلغم والوسواس، ويحفظ الصحة ويرطب البدن ويطلق البطن باعتدال، وشربه بالعسل ينقي القروح الباطنة وينفع من نحو سم ولدغ حية وعقرب . وأجودها يكون حين يحلب . وأجوده ما اشتد بياضه وطاب ريحه ولذ طعمه، وحلب من

حيوان فتى صحيح معتدل اللحم محمود المرعى والمشرب. وشربه مع السكر يحسن اللون جداً. والحليب يتدارك ضرر الجماع، ويوافق الصدر والرئة جيد لأصحاب السّل. والإكثار من اللبن يضر باللسان واللثة.

وينبغي أن يتمضمض بعده بالماء، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ شرب لبناً ثم دعا بماء فتمضمض وقال أن له دسماً، (وسمنها دواء) إذ هو ترياق السموم المشروية. وهو حار رطب في الأولى، منضج محلل يلين الحلق والصدر وينضج فضلاته وخصوصاً بالعسل واللوز.

وقال صاحب النزعة: شرب خمسين درهماً من السمن وخمسة وعشرين درهماً من السكر لمن حبس بوله نافع جداً، وشرب السمن ينفع من البواسير والاكتهال به مع الزيت يقطع الجرب من الأجفان. (ولحومها داء) أي مضرة بالبدن جالبة للسوداء عسرة الهضم، تولد أخلاطاً غليظة وأمراضاً كثيرة، كسرطان وجرب وبرص وجدام وداء الفيل وحمى الربع.

وقال بعضهم: ومحل ضرر لحومها إذا لم تكن سميئة أما السمين منها فلا ضرر فيه.

تنبيه: قال الحفني: البقر شامل للعراب، والجواميس، خلاف ما اشتهر على الألسنة من قولهم كل من البقر سمنه ومن الجاموس لبنه اهـ. وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير.

٢٢٣ - (التمسوا الرزق بالنكاح) أي التزوج فإنه جالب للبركة جار للرزق موسع له إذا صلحت النية. ولذا شكوا بعضهم لشيخه ضيق العيش فأمره بالتزوج نظراً إلى هذا الحديث. فسأله بعد أن تزوج بمدة عن حاله. فقال: بخير ولكني أطلب الزيادة فأمره باتخاذ دابة وخدم.

تنبيه: قال المناوي: قال في الاتحاف هذا الخبر وخبر تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال يدل على نذب التزوج للفقير.

ومذهب الشافعي رضي الله عنه شرط ندبه قدرته على المؤونة. والأوجه أن الناس أقسام قسم واجد وقسم غير واجد، وهو واثق بالله، وقسم غير واجد وليس له ثقة. فيستحب للوائق دون غيره. (رواه السديلمي) في مسند

الفردوس، وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى .

٢٢٤ - (أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا البحر) قال الحفني : وفي رواية السفينة، وفي رواية سفينة بالتثكير، وفي رواية الفلك . لكن الذي رواه ابن السني إذا ركبوا فقط بدون ذكر بحر وسفينة فإن كان الحافظ اطلع على رواية أخرى له فذاك . وإلا فذكر البحر أو السفينة أو الفلك مدرج وهو جائز حيث لم يغير المعنى (أن يقولوا) أي يقرأوا عند دخول السفينة أو عند سيرها قوله تعالى : (بسم الله مجريها ومرساها) أي حيث تجري وحيث ترسي (الآية) أي إلى آخرها وقوله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته (الآية) أي آية الزمر إلى يشركون . نقل بعضهم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : من قرأ الآيتين فخطب أو غرق فعلي الضمان . (رواه أبو يعلى) في مسنده، (وابن السني) .

٢٢٥ - (امش) قال المناوي : يعني اذهب وخص المشي لكونه أولى (ميلاً) الميل مد البصر وهو أربعة آلاف خطوة (عد مريضاً) مسلماً، (امش) ميلين اصلح بين اثنين) رجلين أو فئتين، (امش ثلاثة أميال زراًخاً في الله) تعالى، وإن لم يكن أخاك من النسب والأمر للندب في الجميع . والمراد بالميل كما قال الحفني كثرة المشقة لا خصوص ذلك . والمعنى حافظ على فعل ما ذكر ولو كان عليك فيه مشقة . كأن تمشي إلى محل بعيد فإنه قرابة مؤكدة ينبغي الاعتناء بها لمزيد فضلها . ويعلم من التفاوت بين ذلك أن الصلح بين اثنين أكثر ثواباً من عيادة المريض . وأن زيارة الأخ في الله أفضل من صلح بين اثنين . (رواه ابن أبي الدنيا) في كتاب فضل زيارة الأخوان .

٢٢٦ - (أمط) بفتح الهمزة وكسر الميم أي أزل ندباً (الأذى عن الطريق) من نحو شوك وحجر وكل ما يؤذى السالك فيه (فإنه لك صدقة) أي تؤجر عليه، كما تؤجر على الصدقة . لأن فاعل ذلك تسبب في سلامة من يمر عليه، فكأنه تصدق عليه بذلك فحصل له أجر الصدقة .

وقد جعل المصطفى ﷺ الإمساك عن الشر صدقة على النفس فإمط الأذى مندوبة ندباً مؤكداً . والظاهر أن المراد بالطريق هنا الطريق المسلوك للناس بخلاف المهجور أخذاً من قوله ﷺ أمط الأذى، إذ الذي في المهجور

لا يتأذى به أحد. ولو كان الطريق مختصاً بنحو قطاع الطريق أو حربيين لا يندب فيه ذلك. بل قيل يكره بل لو قيل يطلب أن يلقي فيه ما يؤدي لكان قريباً. واعلم أنه كما يندب إزالة الأذى عن الطريق المسلوك للناس يندب ترك إلقائه فيها.

وروى البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً رأى في النوم قائلاً يقول له: بشر عائذ بن عمرو المزني بالجنة. فلم يفعل، فأتاه في الثانية فلم يفعل، فأتاه في الثالثة فلم يفعل، فأتاه في الرابعة فقال له: لم ذلك؟ قال أنه لا يلقي أذاه في طريق المسلمين. وكان عائذ لا يخرج من داره ماء إلى الطريق لا من مطر ولا من غيره. وكان ممن بايع تحت الشجرة رضي الله تعالى عنه. ثم ان هذا الحديث (رواه البخاري في الأدب).

٢٢٧ - (ان الله اصطفى من الكلام) أي كلام الأدميين (أربعاً) قال الحفني: أي اختار ذلك منه وعلمه لأخيار الملائكة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فمن قال): أي دبر الصلاة أو غيرها (سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر مثل ذلك)، أي له مثل ذلك، (ومن قال لا إله إلا الله مثل ذلك) أي له مثل ذلك (ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه)، قال الحفني: بأن قصد به الإنشاء لا الاخبار وإن كان المخبر بالثناء مثنياً، لكن لا يثاب مثل من قصد الإنشاء.

وقيل معنى من قبل نفسه انه ليس في مقابلة نعمة، بل خالص لذاته تعالى. كذا أجاب الشارح بالجوابين المعول عليه الأول. إذ الذي في مقابلة نعمة أفضل (كتبت له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون خطيئة) لا ينافي هذا حديث البطاقة وغيره أن لا إله إلا الله أفضل من الحمد لله وغيرها. وهو الراجح، لأنه قد يوجد في المفضول الخ. وان العشرين المترتبة على قول لا إله إلا الله أعظم كيفاً أنتهى حفني رحمه الله تعالى. وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (والحاكم) في مستدركه (والضياء) في المختارة. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح.

٢٢٨ - (ان الله تعالى كتب كتاباً) أي أجرى القلم على اللوح وأثبت فيه مقادير الخلق على وفق ما تعلق به إرادته أزلاً. أو المراد أنه قدر وعين

مقاديرهم في الأزل تعييناً بتأً يستحيل خلافه (قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام). قال الحفني : هذا كناية عن تراخي الزمن بين التقدير والخلق وطول المدة وإلا فالأعوام لم توجد قبل خلق السماء. وعلى أن المراد يكتب كتاباً انه قدر ذلك في الأزل يشكل الجواب بأنه كناية عن تراخي الزمن إذ الأزل لا يعقل فيه زمن، حتى يقال زمن الكتب متقدم على زمن خلق السماء. وأجيب بأن المراد تقدمه على ذلك بقطع النظر عن الزمن فليس في زمن اهـ.

وقال المناوي : المراد بالقبلية مجرد التقدم، ومن البين تقدم الأزلي على حدوث كل حادث، وما قيل من أن الأزلي لا يتصف بالقبلية فهو المعنى المذكور ممنوع. فإنه لا يقتضي وقوع القدم في الزمن كتقدم الزمن الماضي على المستقبل فالمعنى أنه تحقق دون خلق السماء وقد تخلل بينهما مقدار كثير. فتأمله ليظهر به اندفاع ما لكثيرين هنا اهـ.

وبما تقرر من أن المراد بالأعوام مجرد الكثرة يندفع ما قد يقال هذا الحديث ينافي خبر قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. إذ المراد أيضاً طول الأمد بين التقدير والخلق.

قال العزيزي : قال العلقمي : وفائدة التوقيت تعريفه ﷺ إيانا فضل الآيتين، فإن سبق الشيء بالذكر على سائر أجناسه وأنواعه يدل على فضيلة مختصة به، (وهو عند العرش) أي وعلمه عنده أو المكتوب عنده فوق عرشه. فهو تنبيه على جلالته الأمر وتعظيم قدر ذلك الكتاب أو عبارة عن كونه مستوراً عن جميع الخلق مرفوعاً عن حيز الإدراك، (وإنه) بكسر الهمزة (أنزل منه) أي من جملة الكتاب المذكور (آيتين) بالتنكير كما في أكثر نسخ الأصل. وفي نسخة شرح عليها العلامة المناوي الآيتين بالتعريف فإنه قال اللتين (ختم بهما سورة البقرة) أي جعلهما خاتمتها (ولا يقرآن في دار) أي مكان دار أو خلوة أو مسجد أو مدرسة أو غيرها (ثلاث ليال)، أي في كل ليلة منها (فيقربها) بالنصب في جواب النفي (شيطان) فضلاً عن أن يدخلها، فعبر بنفي القرب ليفيد نفي الدخول بالأولى، والفاء للتعقيب، أي لا يوجد ولا يحصل قراءتهما فيعقبهما قربان الشيطان. فالنفي مسلط على المجموع، قاله المناوي.

وإنما خص الليل لأن انتشار الجن فيه أكثر وإلا فالنهار كذلك .

وورد: من قرأهما ثلاث مرات صباحاً حفظ من الشيطان جميع النهار أو مساء حفظ جميع الليل ، فإن وقع له وسوسة فهي من نفسه أو لعدم صدق نيته .

وورد حديث بأن من قرأهما بعد العشاء كتب له ثواب من قام الليل تهجد وإن كان من تهجد بالفعل أكمل فينبغي للإنسان أن لا يهمل ذلك .

تنبيه: اختلف في أول الآيتين المذكورتين فقول أولهما آمن الرسول وقيل لله ما في السموات . فعلى الأول أول الثانية لا يكلف الله نفساً الخ . وعلى الثاني أولها آمن الرسول الخ . قال الحفني : والأخذ بهذا أحوط . ثم أن تسميتها آيتين إنما هو بحسب العرف ، وإلا فهما في الاصطلاح آيات متعددة . ولذا قال ﷺ في حديث: إن الله تعالى ختم سورة البقرة بأيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش ، فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم ولم يقل فتعلموهما وعلموهما فهو على حد وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا هذان خصمان اختصموا . (رواه الترمذي ، والنسائي ، والحاكم) رحمهم الله تعالى .

٢٢٩ - (إن الله كتب في أم الكتاب) قال الحفني : أي قدر في علمه أو أوجد في اللوح المحفوظ (قبل أن يخلق السموات والأرض) أفردتها دون السماء ، لأن طباقها السبع كطبقة واحدة بخلاف السماء فإن طباقها مختلفة فلذا جمعت (إنني أنا الرحمن الرحيم) أي الموصوف بكمال الأنعام بجلائل النعم ودقائقها (خلقت الرحم) أي قدرتها (وشققت لها إسماً من إسمي) أي ركبت لها حرفاً مركباً منها اسمي وهو الرحمن فهما من أصل واحد وهو الرحمة (فمن وصلها) أي بالإحسان إليها (وصلته) أي أحسنت إليه وأنعمت عليه ، (ومن قطعها) أي بنحو إيذاء وهجر (قطعته) أعرضت عنه وأبعدته عن رحمتي ولم أزد له في عمره . كما سيجيء في خبر أن صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار .

قال الحكيم : خلق الله الرحم بيده وشق لها إسماً من اسمه ثم أرسل حواشي قميص الرحمة من العرش ليتعلق الخلق بها فمن وصل الرحم ، فقد

تعلق بحاشية القميص. ومن قطعها قصرت يده عن حاشية القميص فانقطع
عن رحمة الله ولم يبق له إلا رحمة التوحيد.

وورد أن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم فينبغي هجره في
المجلس وترك مجاورته وان لا يرافقه في سفر ونحوه.

تنبيه: قال العلامة الحفني رحمه الله تعالى: يطلق الرحم على رحم
الإسلام، فيشمل أمة الإجابة ويطلق على مطلق القرابة ولو غير الورثة. وهو
المراد هنا ويطلق على نوع خاص يطلب الاعتناء به بالانفاق وغيره وهو
الأصول والفروع اهـ.

خاتمة

اعلم أن صلة الرحم تكون بالمال وتكون بالزيارة والإحسان وبالصفح
في الأقوال وبالعون في الأفعال، وبالألفة بالمحبة والاجتماع وغير ذلك من
معاني التواصل، هذا في الحياة. وأما فيما بعد الموت فبالاستغفار لهم
والدعاء ونحو ذلك. ومن الصلة تعليمهم ما يجهلون وتبئهم على ما ينفعهم
ويضرهم، وقطع الرحم يكون بترك الإحسان وبالإيذاء والهجر.

وقال العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى: الذي يتجه أن المراد بقطع
الرحم قطع ما ألفة القريب منه من سابق الوصلة والإحسان بغير عذر
شرعي اهـ. وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير، والأوسط. قال العلامة
العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٢٣٠ - (إن الله تعالى كتب الغيرة) بفتح الغين المعجمة أي الحمية
والأنفة (على النساء) أي حكم بوجودها فيهن وركبها في طباعهن (والجهاد
على الرجال، فمن صبر منهن) أي على نحو تزوج زوجها عليها وكان القياس
أن يقول صبرت، لكن ذكره رعاية للفظ من وأنت الضمير رعاية لمعناها، وقوله
(إيماناً) أي تصديقاً بأن الله تعالى قدر ذلك، (واحتساباً) أي طلباً للثواب
(كان لها أجر الشهيد) أي المقتول في معركة الكفار بسبب القتال. ولا يلزم
من المثلية التساوي في المقدار فهذه الفضيلة تجبر تلك النقيصة، وهي عدم
قيامها بالجهاد الذي تميز به الرجال.

قال المناوي: وفيه إشارة إلى عدم مؤاخذه الغير بما يصدر عنها لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة. فقد قالت امرأة لعمر رضي الله تعالى عنه زنيته فحذني. فقال زوجها: ما فعلت بل حملتها الغيرة. وخرج بقوله فمن صبر من لم تصبر، بأن أظهرت الضجر والسخط فلا أجر لها في الجملة اهـ.

قال الحفني: وهذا قاله عليه السلام حين كان جالساً مع أصحابه فخرجت عليهم امرأة عريانة فقام بعض الصحابة فسترها فقال عليه السلام: لعلها حصل لها الغيرة، أي بسبب زوجة أخرى أو أمة تشاركها في زوجها. وذكر الحديث. أي فلها نوع عذر لأنها مقهورة. ولذا ورد أن المرأة ذات الغيرة لا تدري أسفل الوادي من أعلاه، أي فهي كالمجنون الذي لا يدري ما يفعل. وأشار عليه السلام إلى دوائها لأن تصبر وتجاهد نفسها ليحصل لها ثواب الجهاد في الكفار اهـ.

خاتمة

حكى أنه كان ببغداد رجل متزوج بابنة عمه، وكان قد عاهدها أن لا يتزوج عليها. فجاءته في بعض الأيام امرأة إلى دكانه وسألته أن يتزوج بها فأخبرها بعنده مع ابنة عمه فرضيت منه بيوم في كل جمعة فتزوجها. واستمر على ذلك ثمانية أشهر. فأنكرت عليه بنت عمه، وأرسلت جاريتها لتنظر إلى أين يذهب فدخل بيتاً فسألت عنه الجيران، فقالوا: قد تزوج. فأخبرت الجارية سيدتها بذلك، فقالت: لا تخبري أحداً. فلما مات الرجل أرسلت بنت عمه جاريتها بخمسمائة دينار، وقالت: اذهبي إلى زوجته وقولي لها عظم الله أجرك في فلان، فإنه مات وترك ثمانية آلاف دينار سبعة لابنه، وألف بيني وبينك. فلما أخبرتها بذلك دفعت لها ورقة وقال: ادفعيها إلى بنت عمه فإذا فيها براءة له من الصداق ولم تأخذ منها شيئاً. فانظر إلى ديانة هذه المرأة وصبرها وعدم تضجرها رحمة الله تعالى عليها. (رواه الطبراني) في الكبير. قال العريزي: بإسناد لا بأس به.

٢٣١ - (إن الله تعالى وملائكته) أي عباده المقربين المصطفين المصفين من أدناس البشر الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

(يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ) من الوصل ضد القطع (الصفوف) بحيث لا يبقى فيها ما يسع واقفاً.

قال الحفني: والمراد بصلاة الله الرحمة وبصلاة الملائكة الاستغفار أو المراد بالصلاة العطف أي التعطف. ويفسر في حقه تعالى بلازمه وفي حق الملائكة بحقيقته المترتب عليها طلب الاستغفار. قال: ووقع لبعضهم هنا تفسير يصلون بيستغفرون. ومعنى الاستغفار في حقه تعالى الغفر لا طلبه إذ لا يطلب سبحانه من أحد (ومن سد فرجة) بضم أوله أي خلافاً بين المصلين في صف (رفعه الله بها) أي بسبب سده إياها درجة أي في الجنة.

قال المناوي: زاد في رواية وذرت عليه الملائكة من البراه. فيستحب للشخص أن يسد الفرج في الصفوف لينال هذا الثواب العظيم ويكره تركه مع عدم العذر.

قال الحفني: فإذا امتد صف ثان قبل كمال الأول لا ثواب للثاني لتقصيره، وكذا الأول. والامام إن قصر أو كان أحرم الإمام قبل أن يأمرهم بتسوية الصفوف وكان أمكن أهل الصف الأول جر شخص، من الثاني، وتركوا ذلك كسلاً، ومحل ذلك في غير الجنائز والنساء مع الرجال إذ المطلوب في الجنائز جعلها ثلاث صفوف وإن كان كل شخص صفاً واحداً. والمطلوب جعل النساء خلف الرجال وإن لم يكمل صف الرجال. ويستحب الاعتدال في الصفوف بحيث لا يتقدم بعضهم بصدده ولا غيره على بعض ولا يتأخر كذلك ويستحب أن يكون الإمام وسط القوم وتسبب المبادرة إلى الصف الأول لأنه أكثر ثواباً فقد ورد أن الله وملائكته يصلون على الصف الأول.

وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ استغفر للصف الأول ثلاثاً، والثاني مرتين، والثالث مرة.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: وينبغي لداخل المسجد أن يقصد ميمنة الصف فإنها يمن وبركة، وإن الله تعالى يصلي على أهلها. وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (وابن ماجه وغيرهما) كابن حبان، في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وقال: صحيح وأقروه.

٢٣٢ - (إن الله تعالى يبغض) بضم أوله لأنه من أبغض كما في الحفني (السائل الملحف) أي الملح في السؤال. وقيل هو الذي يسأل العشاء وعنده الغداء أي يمقته^(١) ويتقم منه. وقد ورد من سأل من غير فقر فإنما يأكل الجمر.

وورد من سأل الناس أمواله تكثيراً فإنما يسأل جمر جهنم فليستقل منه أو ليستكثر، يعني إن قل سؤاله قل عذابه بجمر جهنم.

وحكي أنه أتى عمر سائل فقال: أعطوه. ثم نظر فإذا تحت ابطه مخللة مملوءة خبزاً فقال: لست بسائل بل تاجر عملاً بالدرّة^(٢) ضرباً. قال المناوي: قال النووي: اتفقوا على النهي عن السؤال بلا ضرورة. وفي القادر على الكسب وجهان أصحهما أنه حرام والثاني يحل بشرط أن لا يذل نفسه ولا يلح في السؤال، وإلا حرم اتفاقاً. وقد ذم الله السائل إلحافاً في ضمن ثنائه على ضده بقوله لا يسألون الناس إلحافاً. وفي الحديث: لو يعلم صاحب المسألة ما له فيها لم يسأل أي ما له فيها من الذل. وقد قيل أربعة فيها ذل عظيم: الدين ولو درهم، والبنت ولو مريم، والسفر ولو ميل، والسؤال ولو إلى ابن السبيل.

فإن إراقة ماء الحيا ة دون إراقة ماء المحيا
فكن رجلاً رجله في الثرى وهمامة همته في الثريا

وأخرج ابن عساكر أن مطرف بن عبدالله بن الشخير كان يقول لابن أخيه إذا كانت لك حاجة اكتبها في رقعة^(٣) فإني أصون وجهك عن الذل وينشد:

* يا أيها الراغب نيل الرجل وطالب الحاجات من ذي النوال^(٤)
لا تحسبن الموت موت البلى وإنما الموت سؤال الرجال
* كلاهما موت ولكن ذا أعظم من ذاك لذال السؤال

(١) من باب نصر كما في المختار.

(٢) قوله بالدرّة) بالكسر أي السوط أفاده المصباح.

(٣) بضم الراء كما في المصباح اهـ.

(٤) أي العطاء اهـ.

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه :

لنقل^(١) الصخر من قلل الجبال
يقول الناس لي في الكسب عار
بلوت الناس قرناً بعد قرن
وذقت^(٢) مرارة الأشياء طراً
أخف عليّ من متن الرجال
فقلت العار في ذل السؤال
ولم أر مثل مختال بمال
فما طعم أمر من السؤال

وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه :

ما اعتاض^(٣) باذل وجهه بسؤاله
وإذا السؤال مع النوال وزنته
وإذا ابتليت ببذل وجهك سالماً
عوضاً ولو نال المنى بسؤال
رجح السؤال وخف كل نوال
فابذله للمتكبر المفضال

وهذا الحديث (رواه أبو نعيم) في الحلية . قال العريزي رحمه الله تعالى : وهو حديث ضعيف .

٢٣٣ - (إن الله تعالى يبغض المعبس) بالتشديد (في وجوه أخوانه) أي الذي يلقاهاهم بكرة عابساً . ويعلم بطريق المفهوم أنه تعالى يحب البشر من الإنسان في وجوه أخوانه ، لأن ذلك يورث التحبب بين الناس . (رواه الديلمي) في مسند الفردوس . قال العريزي : وهو حديث ضعيف .

٢٣٤ - (إن الله تعالى يحب السهل) في قوله وفعله أي المتيسر في أمره غير المتعسر . فتراه سهلاً في دنياه في بيعه وشرائه وأخذه وإعطائه فيشعر بحقارة الدنيا . وتراه سهلاً في معاشرة الخلق لين الجانب حسن الصحبة ذا رفق بهم . وكذا في أمر الدين سهل الانقياد إلى طاعة ربه سبحانه وتعالى ، (الطلق) وفي رواية الطليق أي المتهلل الوجه البسام لأنه تعالى يحب من تخلق بشيء من أسمائه وصفاته ومنها السهولة والطلاقة لأنهما من الحلم والرحمة ولقد صدق القائل :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

(١) (قوله من قلل الجبال) في المصباح قلة الجبل أعلاه والجمع قلال وقلال أيضاً مثل برمة وبرام اهـ .

(٢) (قوله وطراً) أي جميعاً اهـ مختار .

(٣) (قوله ما اعتاض) أي أخذ اهـ مختار .

(رواه الشيرازي، والبيهقي) في شعب الإيمان. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وإسناده ضعيف.

٢٣٥ - (إن الله تعالى يحب الصمت) أي السكوت حيث لا ضرورة إلى الكلام (عند ثلاث) من الأشياء الأول (عند تلاوة القرآن)، أي شيء منه ليتدبر معانيه ويتأمل أحكامه.

قال تعالى: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا. فيكره اللغو عند تلاوته ما لم يتأذ القاريء به بأن كان يوقعه في الغلط والخلط وإلا فيحرم. وخرج باللغو الكلام لفائدة دينية كتفسير غريبه والبحث في شيء من نحو أحكامه، وخرج أيضاً ما لورد القاريء في حكم أو غلط فإنه واجب أو مندوب، (و) الثاني (عند الزحف) أي التقاء الصفوف للجهاد لأن الصمت أهيب للعدو، (و) الثالث (عند الجنائز) أي عند غسلها أو الصلاة عليها وتشيعها إلى أن تقبر.

قال الحفني: فقراءة القصائد والقرآن أمام الجنائز بدعة مخالفة للسنة فالأفضل السكوت اهـ.

وقال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: ولا يعارض ذلك خبر أكثروا في الجنائز من قول لا إله إلا الله، لأن المراد أنه يقول سراً.

وفي البجيرمي على الخطيب ما نصه: وكره لفظ أي رفع للصوت ولو بقرآن أو ذكر أو صلاة على النبي ﷺ اهـ. ق. ل. ، وهذا باعتبار ما كان في الصدر الأول وإلا فالآن لا بأس بذلك لأنه شعار للميت لأن تركه مزر به، بل لو قيل بوجوبه لم يبعد اهـ. (رواه الطبراني) في الكبير.

٢٣٦ - (إن الله تعالى يحب العبد) المؤمن (التقي) بمشاة فوقية من يترك المعاصي امتثالاً للأمر واجتناباً للنهي، (الغني) أي غني النفس، أو غني المال لأن نفعه عام لوصفه قبل بالتقي فهو أفضل من الفقير الصابر، (الخفي) بحاء معجمة الخامل الذكر المعتزل عن الناس، أي مع قصده باعتزاله وبعده عن الناس دفع شره عنهم لا دفع شرهم عنه إذ الموفق لا يرى الشر إلا لنفسه.

وفي رواية الحفي بالحاء المهملة أي الذي عنده رفق بالناس فيواسيهم بماله وغيره .

وقال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : وفيه على الأول حجة لمن فضل الاعتزال وآثر الخمول على الاشتهار . قال بعض العارفين : طريق القوم لا تصلح إلا لمن كنت بأرواحهم المزابل . وقيل :

ليس الخمول بعار على امريء ذي كمال
فليلة القدر تخفى وتلك خير الليالي

وقال بعضهم :

عش شامل الذكر بين الناس وارض به فذاك أسلم للدنيا وللدن
من عاشر الناس لم تسلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتسكين
رؤي عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه كان معتزلاً
عن الناس فجاءه ولده وقال له : إن الناس يتنافسون^(١) في الملك وأنت في
العزلة ، أي فينبغي لك الخروج لأجل الشهرة . فضربه بيده على صدره وقال
له : أسكت ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول . وذكر هذا الحديث . (رواه
الإمام أحمد ، ومسلم) رحمهما الله تعالى .

٢٣٧ - (إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف) قال
العزيمي : أي المنكف عن الحرام والسؤال من الناس . وقال المناوي : أي
المبالغ في العفة عن السؤال مع وجود الحاجة لطموح^(٢) بصيرته عن الخلق
إلى الخالق وتوجهه إلى سؤال الرزق من الرازق . وإنما يسأل إن سأل عن
جهة العرض والتلويح الخفي . كما قال أبو هريرة رضي الله عنه : يستقريء
غيره الآية ليضيفه وهو أعرف بها ممن يستقرئه ، فلا يفهم مراده إلا
المصطفى ﷺ فالتعبير بالتعفف يفيد الاجتهاد في العفة والمبالغة فيها ، (أبا
العيال) قال الحفني : أي صاحب العيال الذي يقوم بهم سواء كان أباً أو أخاً
أو غيره ، أي يجب الشخص صاحب العيال الذي يقوم بمصالحهم لما ورد
الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله اهـ .

(١) أي يرغبون اهـ .

(٢) قوله لطموح أي ارتفاع قال في المختار طمح بصره إلى الشيء ارتفع ، وبابه خضع اهـ .

قال المناوي: وفي ضمنه إشعار بأنه يندب للفقير ندباً مؤكداً أن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستره.

قال تعالى: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

وقال سفيان: أفضل الأعمال التجمل عند المحنة.

وقال بعضهم: ستر الفقر من كنوز البر.

وقال الغزالي رحمه الله: ومن آداب الفقير أن لا يتواضع لغني لغناه،

بل يتكبر عليه.

قال عليّ كرم الله وجهه: تواضع الغني رغبة في الثواب حسن وأحسن

منه تيه^(١) الفقير على الغني ثقة بالله.

وقال العريزي: تنبيه الفقر فقران: فقر مثوبة وفقر عقوبة. وعلامة الأول

أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو ولا يشكر الله تعالى على فقره. والثاني

يسيء خلقه ويعصي ربه ويشكو ويتسخط. والذي يحبه الله الأول دون

الثاني اهـ.

ثم إن هذا الحديث (رواه ابن ماجه).

قال العريزي: ويؤخذ من كلام المناوي أنه حديث حسن لغيره.

٢٣٨ - (إن الله تعالى يزيد في عمر الرجل) يعني الإنسان. قال

الحفني: أي يبارك فيه إن كان المراد المعمر الذي في أم الكتاب. فإن كان

المراد العمر المعلق زيادته على فعل خير فالزيادة حقيقية (ببره والديه) أي

أصله وان عليا. يعني بإحسانه إليهما وطاعته إياهما في كل مندوب أو مباح

(رواه ابن منيع) في معجم الصحابة، (وابن عدي) في الكامل.

قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٢٣٩ - (إن الله تعالى يطلع في العيدين) الفطر والأضحى (إلى

الأرض) أي يطلع إلى أهلها من المؤمنين اطلاع رحمة ورضا وقت حضور

(١) (قوله تيه) أي تكبر قال في المختار تاه يتيه تكبر اهـ.

الناس لصلاة العيد (فابرزوا) ندباً (من المنازل) إلى مصلى العيد (تلحقكم الرحمة) بالجزم جواب الأمر، فيطلب البروز بصلاة العيد في المصلى لذلك قال المناوي: والخطاب للرجال وكذا للعجائز بإذن أزواجهن فيحضرن مصلى العيد مبتدلات اهـ.

واعلم أنه يطلب في كل من العيدين أشياء كثيرة منها الصلاة وهي سنة مؤكدة وصفتها معلومة في كتب الفقه، التكبير ليلتهما وخلف الصلوات في الأضحى. فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: زينوا أعيادكم بالتكبير. وفي رواية زينوا العيدين بالتهليل والتقديس والتحميد والتكبير، ومنها الغسل والتزين والتطيب. ويسن أحياء ليلتهما، فقد وَرَدَ: من قام ليلتي العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب.

ومما يطلب فيهما وله فضل عظيم ما نقل عن سيدي علي الأجهوري أنه قال: أتى في أثر من استغفر يوم العيد مائة مرة بعد صلاة الصبح لا يبقى في ديوانه شيء من الذنوب إلا محي عنه. ويكون يوم القيامة آمناً من عذاب الله. ومن قال: سبحان الله وبحمده يوم عيد مائة مرة، ثم قال: يا رب إني أعطيت ثوابها لمن في القبور. لم يبق أحد من الأموات إلا ويقول يوم القيامة: يا رحيم ارحم عبدك واجعل ثوابه الجنة. فيقول الله: اشهدوا إني قد غفرت لعبدي.

وفي حديث آخر من قال يوم العيد: سبحان الله وبحمده ثلاثمائة مرة، وأهدى ثوابها إلى أموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله ألف ألف نور في قبره إذا مات.

وروي عنه ﷺ أنه قال: من قال في كل من العيدين لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير أربعمائة مرة قبل صلاة العيدين زوجه الله أربعمائة حوراء، وكأنما أعتق أربعمائة رقبة، ووكل الله به ملائكة يبنون له المدائن ويغرسون له الأشجار إلى يوم القيامة.

قال الزهري: ما تركتها منذ سمعتها.

ثم ان هذا الحديث (رواه ابن عساكر في التاريخ). قال العلامة

العزيزي رحمه الله تعالى بإسناده: ضعيف.

٢٤٠ - (إن الرجل ليوضع الطعام) أي أو الشرب (بين يديه) ليأكل أو يشرب (فما يرفع حتى يغفر له) أي الصغائر. قيل: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: (يقول بسم الله إذا وضع والحمد لله إذا رفع). قال: الحفني: المراد إذا شرع في الأكل وإذا فرغ منه فإن البسملة إنما تسن عند الشروع فيه، والحمدلة إنما تسن عند الفراغ منه. ولا عبرة بوقت الوضع ولا بوقت الرفع وإنما عبر بهما نظراً للغالب من أنه يشرع في الأكل وقت وضع الطعام ويرفع وقت الفراغ منه.

والمراد بالرجل الشخص والبسملة أول الأكل والحمدلة آخره عن خصوصيات هذه الأمة اهـ.

وقال المناوي: عدوا من خصائص هذه الأمة أن المائدة توضع بين أيديهم فما يرفعونها حتى يغفر لهم اهـ. أي ببركة التسمية والحمدلة فيندب الإتيان بهما ندباً مؤكداً لينال هذا الفضل العظيم. وهذا الحديث (رواه الضياء) المقدسي. قال العلامة العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٢٤١ - (ان الرجل إذا نظر إلى امرأته) قال الحفني أي حليلته ولو أمة بالملك، أي إذا قصد بذلك النظر أمراً محبوباً شرعاً، كأن نظر إليها فأعجبته فشكر الله تعالى على تلك النعمة أو قصد بالنظر تحريك الشهوة ليحصل الجماع ليعف نفسه أو يعفها، أو ليحصل ولد في الإسلام فيكثر أمة النبي ﷺ (ونظرت إليه) أي بهذا القصد، فلا بد من تقييد النظر بذلك ليرتب عليه ما ذكره بقوله (نظر الله إليهما نظر رحمة) أي صرف لهما حظاً عظيماً منها: (فإذا أخذ بكفها) قال الحفني: كناية عن تقبيلها أو معانقتها أو جماعها وعبر ﷺ عن ذلك بأخذ كفها حياءً منه ﷺ من ذكر ما ينبغي كتمه. وقال المناوي: وعبر عن ذلك بالأخذ باليد استحياءً لذكره لأنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها اهـ. (تساقطت ذنوبهما) أي الصغائر (من خلال أصابعهما) أي من بينهما. قال المناوي: وتساقط الذنوب من بين الأصابع كناية عن كونه لا يفارق كفه كفها إلا وقد شملت ذنوبهما المغفرة. (رواه ميسرة بن علي) في

مشيخته، (والرافعي) إمام الدين عبد الكريم القزويني في تاريخه.

٢٤٢ - (ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول) موسوساً ليقوع المكلف في الشك في الله تعالى .

قال الحفني : وأكثر ما يكون ذلك للعامّة، (من خلقك؟ فيقول: الله . فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك) أي في نفسه (فليقل) بقلبه ولسانه راداً على الشيطان (آمنت بالله ورسوله) أي أخالف عدو الله المعاند وأؤمن بالله وبما جاء به رسوله .

قال الحفني : وجاء في رواية أنه يقرأ سورة الإخلاص، ويتفل بلا بصاق على يساره . لأنها جهة القلب ففيه إشارة إلى بعد وسوسته عن القلب . وينبغي الجمع بين الروایتين ويخلص في ذلك .

وقال العزيزي : وفي رواية للبخاري فيستعذ بالله وليته، أي عن الاسترسال معه في ذلك، ويلجأ إلى الله في دفعه . ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها . (فإن ذلك يذهب عنه) لأن الشبهة منها ما يدفع بالبرهان ومنها ما يدفع بالإعراض عنه وهذا منه .

قال الحفني : وخص الشيطان بذلك مع أن بعض المعاندين يقول ذلك لأن الشيطان إذا أقيم له الحجة على ذلك انتقل إلى غير ذلك من الإنس فإنه إذا أقيم له الدليل انقطع ورجع .

وقال المناوي : قال الغزالي : من مكائد الشيطان حمل العوام ومن لم يمارس العلم ولم يتجر فيه على التفكير في ذات الله وصفاته في أمور لا يبلغها حد عقله، حتى يشككه في أمر الدين . أو يخيل إليه في الله خيلاً يتعالى الله عنه فيصير به كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور متحجج بما وقع في صدره، يظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة . وانه انكشف له بذكائه وزيادة عقله وأشد الناس حمقاً أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه، وأثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه ووطنه، وأحرصهم على السؤال من العلماء، النبي ﷺ لم يأمره في علاج هذا الوسواس بالبحث، فإن هذا وسواس يجده العوام دون العلماء،

وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويستقلوا بعبادتهم ومعاشهم، ويتركوا العلم للعلماء. فإن العامي إذا زنا أو سرق خير له من أن يتكلم في العلم فإن من تكلم في العلم بالله بغير اتقان وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن ركب لجة البحر ولا يعرف السباحة ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد كثيرة نعوذ بالله منها. اهـ.

تتمة: قال السيوطي: يقال عند الوسوسة في الإيمان: وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

وروي عن الزبير بن العوام مرفوعاً: ما من مسلم يدعو بهذا الدعاء في أول ليله وأول نهاره إلا عصمه الله تعالى من إبليس وجنوده وهو: بسم الله ذي الشأن العظيم البرهان شديد السلطان ما شاء الله كان أعوذ بالله من الشيطان.

وفي الحديث: أن الشيطان يوسوس لكم ما لو تكلمتم به كفرتم فعليكم بقراءة قل هو الله أحد.

وروي أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أدخل في صلاتي فلم أدر أعلى شفح أم على وتر من وسوسة أجدها في صدري. فقال رسول الله ﷺ: إذا وجدت ذلك فاطعن^(١) أصبعك هذه يعني السبابة في فخذك اليسرى، وقل بسم الله، فإنها سكنين الشيطان أو مديته.

وقال بعضهم: ينفع من الوسوسة أن يضع الشخص يده على قلبه ويقول سبع مرات: سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال. ثم يقول: أن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: وسبب الوسوسة ظلمة القلب وظلمة القلب من ظلمة الأعمال، وظلمة الأعمال من أكل الحرام والشبهات. فمن أحكم أكل الحلال فليس لإبليس عليه سبيل اهـ.

وسببها أيضاً حب الدنيا والإنهماك عليها. فقد دخل قوم على الحسن فشكوا إليه الشيطان، فقال: قد خرج من عندي الساعة وشكا منكم وقال: قل

(١) بضم العين وفتحها انظر المختار.

لهم يتركوا دنياي حتى أترك لهم دينهم . وشكوا بعضهم لعارف كثرة خواطر الشيطان، فقال: طلق بنته يهجر زيارتك . وهي الدنيا تريد أن يقطع رحمه لأجلك . قال: هو يأتي لمن لا دنيا عنده . قال: إن لم تكن عنده فهو خاطب لها، ومن خطب بنت رجل فتح باب مودته وإن لم يدخل بها .

وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: الدنيا ابنة ابليس فمن خطبها كثر تردد أبيها إليه . فإن دخل بها أقام عنده بالكلية .

والمراد بخطبة الدنيا تمنيتها، وبالدخول بها إمساك الفاضل عن حاجته لغير غرض شرعي .

ثم إن هذا الحديث (رواه ابن أبي الدنيا)، أبو بكر القرشي في كتاب مكائد الشيطان .

قال العزيزي رحمه الله تعالى: ورجاله ثقات .

٢٤٣ - (إن الصدقة) أي الواجبة والمندوبة (على ذي قرابة) أي صاحب قرابة للمتصدق وإن بعدت (يضعف) وفي رواية يضاعف (أجرها مرتين) لأنها صدقة وصلة ولكل منهما أجر على حدته، والمقصود أن الصدقة على القريب أولى وأكد من الصدقة على الأجنبي، فينبغي أن يعطي الشخص زكاته لأقاربه الذين لا تلزمه نفقتهم .

وقد سئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: الإيمان بالله تعالى، ثم صلة الرحم . ثم قيل له أي الأعمال أبغض إلى الله؟ فقال الإشراك، وقطيعة الرحم .

وورد عنه ﷺ أنه قال: أيما رجل أتاه ابن عمه يسأله من فضله فمنعه، منعه الله من فضله يوم القيامة . وقيل أن أسرع ما يعطاه العبد من الثواب على بر الوالدين وصلة الرحم، وأسرع ما يعاقب عليه من الشر البغي وقطيعة الرحم .

ولذلك يُحكى أن رجلاً كان له صديق من بلاد العجم، وكان مجاوراً بمكة، وكان كثير الطواف بالليل وتلاوة القرآن بالنهار . ومكث على ذلك سنين كثيرة، فأودع صاحبه عنده ذهباً وسافر لليمن . ورجع فوجده مات، فسأل

أولاده عن ذهبه الذي أودعه عند والدهم فقالوا: لا ندري ولم يخبرنا به، فوقف حزينا كثيراً فلقبه مالك بن دينار فقال له: ما شأنك يا أخي؟ فحدثه عن صديقه وأخبره بقضيته. فقال له مالك؟ إذا كان ليلة الجمعة وانتصف الليل ولم يبق أحد في المطاف، فاذهب وقف بين الركن والمقام وناد بأعلى صوتك يا فلان فإن كان صالحاً أجابتك روحه، فأسأله عن وديعتك، فإن أرواح صلحاء المؤمنين تجتمع في ذلك المكان، فلما كان ليلة الجمعة فعل كما أمره، فلم يجبه أحد. فلما أصبح حدث مالك بن دينار بذلك فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون هذا الرجل من أهل النار.

وقال له: اذهب إلى اليمن فإن به بئر برهوت تجتمع فيه أرواح المذنبين، وهي على فم جهنم وناد عليه في نصف الليل فإنه يجيبك. قال: فذهبت لذلك البئر فإذا بشخصين جاؤا ونزلا عند فمها. فقال أحدهما للآخر: من أنت؟ قال: أنا روح رجل ظالم، كنت أتعاطى المكوس وأكل الحرام فرماني ملك الموت إلى هذا البئر أعذب فيها. وقال الآخر له: من أنت؟ قال: أنا روح عبد الملك بن مروان، كنت رجلاً ظالماً أتيت أعذب في هذا البئر، ثم نزلا فسمعت لهما صراخاً عظيماً، فقامت كل شعرة في جسدي من الفزع. ثم نظرت إلى البئر وصحت يا فلان فأجابني وهو يعذب، فقلت له: أين وديعتي التي أودعتك إياها؟ فقال لي: هي مدفونة في مكان كذا، تحت العتبة. فقلت له: يا أخي بأي ذنب أتيت إلى هذا المكان؟ فقال: بسبب أخت لي كانت فقيرة، فتركته بأرض اليمن، أو قال بأرض العجم، واشتغلت عنها بالعبادة والمجاورة. وما كنت أسدي إليها معروفاً ولا أسأل عنها فلما مت حاسبني الله عليها، وقال: نسيته عريانة وأنت مكسي، وجيعانة وأنت شبعان، وعزتي وجلالي لا أرحم قاطع الرحم. فأرجوك يا أخي أن تذهب لها وتشرف على حالها، وتسألها أن تجعلني في حل فليس لي ذنب عند الله إلا هذا. قال: فذهبت للموضع الذي مدفون فيه الذهب المودع فنبشته فوجدته بحاله، فأخذه وذهبت إلى أخته وحدثتها بحدثه فبكت، وجعلته في حل، وشككت لي الفاقة والفقر والضرورة. فوهبت لها شيئاً من الذهب وانصرفت عنها. وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير.

قال العلامة العزيري رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٢٤٤ - (إن الصدقة لتطفيء غضب الرب) أي سخطه وعذابه (وتدفع ميتة السوء) قال الحفني بكسر الميم وفتح السين وضمها. كما قريء بذلك في السبع قوله تعالى: عليهم دائرة السوء. فاقصر الشارح^(١) على الفتح إن كان لكونه الرواية فمسلّم، وإلا فلا.

والمراد أنها تقيه من الفتانات عند الموت، أو أنه يوفق للتوبة فلا يموت وهو عاص، أو أنه يموت ميتة سالمة، من نحو هدم وحرق، ولا مانع من إرادة الجميع. وقال العراقي: الظاهر أن المراد بها ما استعاذ منه النبي ﷺ من الهدم والتردي والغرق والحرق، وأن يتخطبه الشيطان عند الموت وأن يقتل في سبيل الله مدبراً.

وقيل هي موت الفجأة، وقيل موة الشهرة، كالمصلوب مثلاً.

خاتمة

رُوي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: كان فيمن قبلكم رجل يأتي وكر طائر^(٢)، كلما أفرخ يأخذ فرخيه. فشكا ذلك الطير إلى الله تعالى ما يفعل به، فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه. فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل إلى وكره على العادة ليأخذ أولاده، فلما كان في طرف القرية، لقيه سائل فأعطاه رغيماً، كان معه يتغذاه. ثم مضى حتى أتى الوكر، ثم وضع سلمه فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه، فقالا: ربنا انك لا تخلف الميعاد وقد وعدتنا انك تهلك هذا إذا عاد فقد أخذ فرخيننا ولم تهلكه، فأوحى الله إليهم ألم تعلمنا اني لا أهلك أحداً تصدق في يومه، بميتة سوء اهـ. وهذا الحديث (رواه الترمذي وابن حبان) في صحيحه. قال العزيزي: وإسناده ضعيف.

٢٤٥ - (ان الصدقة لتطفيء عن أهلها) أي المتصدقين بها لوجه الله تعالى خالصاً. (حر القبور) أي عذابها وكرهها. فكما أن المتصدق أطفأ

(١) يعني المناوي اهـ.

(٢) قوله وكر طائر) بفتح الواو عشه اهـ.

بصدقته حرارة الجوع، جوزي بنظيره جزاء وفاقاً. وقال مكحول التابعي رضي الله تعالى عنه: إذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد لله شكراً على خلاص واحد من أمة محمد ﷺ من عذابها. (وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة) من وهج^(١) الموقف، (في ظل صدقته) قال الحفني رحمه الله تعالى: يحتمل أنه حقيقة فتجسم صدقته وتكون فوق رأسه كالسحاب أو أنه كناية عن الراحة يوم القيامة من كل ما يؤدي. (رواه الطبراني) في الكبير.

٢٤٦ - (إن الغسل يوم الجمعة) قال العريزي: أي بنيتها لأجلها (ليس) بفتح المشاة التحتية وضم السين المهملة أي يخرج (الخطايا) أي ذنوب المغتسل لها، (من أصول الشعر استلالاً) أي يخرجها من منابتها خروجاً وأكد بالمصدر إشارة إلى أنه يستأصلها. والمراد الخطايا الصغائر، ومثل الغسل ذلك التيمم عند الفقد كما قاله الحفني.

وعن ابن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ إن تحت العرش مدينة، وقال القرطبي في تفسيره سبعين مدينة، مثل الدنيا سبعين مرة، مملوءة من الملائكة كلهم يقولون اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة وأتى الجمعة. وكان الشافعي رضي الله تعالى عنه لا يترك الغسل للجمعة حضراً ولا سفراً، فينبغي للشخص أن يواظب عليه. (رواه الطبراني) في الكبير، قال العريزي: بإسناد صحيح.

٢٤٧ - (إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة) عند جلوسهم لاستماع الخطبة (ويفرق بين اثنين) كان يزحزح رجلين من مكانهما ويجلس بينهما (بعد خروج الإمام)، أي من مكانه ليصعد المنبر للخطبة (كالجار قصبه) بضم القاف وسكون الصاد المهملة أي أمعاه أي مصارينه. (في النار) أي له في الآخرة عذاب شديد مثل عذاب من يجر أمعاه في النار. بمعنى أنه يستحق ذلك، وقد يعفى عنه. قال المناوي: وهذا وعيد شديد يفيد تحريم التخطي والتفريق فيحرم تخطي الرقاب والتفريق بين اثنين، فإن رأى فرجة لا يبلغها إلا به جاز أن يتخطى صفيين لا أكثر فيحرم كما نص عليه الشافعي

(١) بفتحيتين أي حراه.

رضي الله تعالى عنه، واختاره في الروضة. وقال العزيزي: اعتمد الرملي في تخطي الرقاب، أنه مكروه، ووافقه الخطيب الشربيني فقال: يكره تخطي الرقاب إلا لإمام، أو رجل صالح يتبرك به، ولا يتأذى الناس بتخطيه. وألحق بعضهم بما ذكر الرجل العظيم ولو في الدنيا. قال: لأن الناس يتسامحون بتخطيه ولا يتأذون به، أو واجد فرجة لا يصيبها لا بتخطي واحد أو اثنين أو أكثر. ولم يرج سدها فلا يكره له وإن وجد غيرها لتقصير القوم بإخلائها. لكن يسن له إن وجد غيرها أن لا يتخطى، فإن رجا سدها، كان رجال أن يتقدم أحد إليها إذا أقيمت الصلاة كرهه.

(رواه الإمام (أحمد) في مسنده (والطبراني) في الكبير (والحاكم) في مستدرکه .

٢٤٨ - (إن الذين يصنعون هذه الصور) أي التماثيل ذوات الأرواح قال الحفني: أي يصورونها من نحو نحاس أو طين أو خشب، (يعذبون يوم القيامة) أي في نار جهنم. (فيقال لهم أحيوا ما خلقتهم) قال الحفني: بفتح الهمزة، من أحياء. وكلما يقال لهم ذلك يزداد عذابهم اهـ.

وقال العزيزي: هذا أمر تعجيز، أي اجعلوا ما صورتم حياً ذا روح، وهم لا يقدر على ذلك، فهو كناية عن دوام تعذيبهم. واستشكل بأن دوام التعذيب إنما هو للكفار. وهؤلاء قد يكونون مسلمين، وأجيب بأن المراد الزجر الشديد بالوعيد بعقاب الكافر ليكون أبلغ في الارتداد^(١). وظاهره غير مراد هذا في حق المستحل، أما من فعله مستحلاً فلا إشكال فيه لأنه كافر مخلد. (رواه الشيخان) البخاري، ومسلم (والنسائي).

٢٤٩ - (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان)، يعني إن إقبالها وإدبارها داعيان للإنسان إلى استراق النظر إليها، كالشيطان الداعي للشر، وخض الإقبال والإدبار لأنهما أعظم في ميل النفس، وإلا فجميع بدن المرأة إذ شوهد حصل الميل وقدم الإقبال، لكونه أشد فساداً لحصول المواجهة به. (فإنه رأى أحدكم امرأة) أي أجنبية (فأعجبته) أي

(١) أي الكف اهـ مختار.

استحسنها (فليات أهله) أي فليجامع حليلته ندباً، (فإن ذلك) أي إتيانها بمعنى جماعها، (يرد ما في نفسه)، أي يكسر شهواته، ويفتر همته، وينسيه التلذذ بتصوير هيكل تلك المرأة في ذهنه. فإن تعين له لدفع المفسدة وجب، وفي الأصل حديث غير هذا. لفظه إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليات أهله فإن البضع واحد، ومعها مثل الذي معها اهـ. أي مع حليلته فرج مثل فرج تلك الأجنبية، ولا مزية لفرج الأجنبية عليه، والتميز بينهما من تزيين الشيطان.

قال المناوي: أرشد من ابتلى بذلك إلى أن يداويه بجماع حليلته فإن فيه تسلية عن المطلوب بجنسه، ولأن النظر يثير^(١) قوة الشهوة فأمر بتنقيصها. وذلك ان أول النظر الموافقة ثم الميل ثم المحبة ثم الود ثم الهوى، ثم الوله. فالموافقة للطبع، والميل للنفس، والود للقلب، والمحبة للفؤاد، والهوى غلبة الحب، والوله زيادة الهوى. فمن مال قلبه إلى امرأة ولم يقدر على دفعه، خيف عليه أن تزيد فيصير حباً، ثم هوى موقعاً في الفاحشة. فأمر الشارع بإتيان حليلته ليتخلص عما في نفسه من الميل باندفاع الشهوة الداعية إليه. ويؤخذ منه ندب تكرير إتيانها إذا لم يندفع بأول مرة لاستيلاء الميل على قلبه، وأن يعجل بذلك ولا يمهل خوف المحذور.

ونقل ابن الحاج عن بعضهم ان هذا مستحب استحباباً مؤكداً فإنه يصون به دينه، لكن ينبغي أن يعلم أن المأمور به هنا الوطء بلا تفكير في محاسن تلك الأجنبية. أما لو وطئ حليلته متفكراً في تلك حتى خيل لنفسه أنه يطؤها فهذا غير مراد بالحديث. وفيه خلاف ذهب بعض المالكية إلى حرمة، فقال: يحرم أن يجعل تلك الصورة بين عينيه فإنه نوع من الزنا. كما قالوا فيما لو أخذ كوز ماء فصور في نفسه أنه خمر فشربه، فإن الماء يصير حراماً.

وذهب جمع من الشافعية إلى حله لأنه لم يخطر بباله عند ذلك التذكر والتخيل فعل زنا ولا مقدماته. فهو متناس للوصف الذاتي. متذكر للوصف

(١) أي يهيج اهـ مختار.

العرضي باعتبار تخيله، ولا محذور فيه. فإن فرض أنه ضم قصد الزنا بتلك المرأة لو ظفر بها وصمم عليه حرم.

تنبيه: يؤخذ من التعليل أنه لو رأى أمرد فمالت نفسه للفعل به ندب له إتيان حليلته وتكراره لتقص شهوته وتنكسر حدته.

وقد قال الأطباء أن الجماع يسكن هيجان العشق وإن كان مع غير المعشوق اهـ. وهذا لحديث قاله عليه السلام حين رأى امرأة جميلة فأعجبته فذهب إلى إحدى زوجاته وجامعها. ومعنى أعجبته أنه عليه السلام خطر بباله أنها جميلة، وذلك لا ينافي العصمة. ولم يحصل منه عليه السلام ميل لها لعصمته وإنما ذهب وجامع تعليمًا للأمة اهـ. حفني. (رواه مسلم وغيره) كالإمام أحمد، وأبي داوود.

٢٥٠ - (إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم) أي زاره في مرضه (لم يزل في مخرفة الجنة) قال العزيمي: بفتح الميم والراء بينهما خاء معجمة ساكنة، أي في بساينها وثمارها. شبه عليه السلام ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه المحترف^(١) من الثمار. وقيل المخرفة الطريق أي أنه على طريق يؤدي إلى طريق الجنة (حتى يرجع) أي الثواب حاصل للعائد من حين يذهب للعيادة حتى يرجع إلى محله اهـ.

قال الحفني: فيعلم منه أن من كان طريقه أطول كان أكثر ثواباً وليس المراد المكث الكثير عند المريض لما علم أنه يطلب التخفيف في المكث عنده اهـ. تمامه عند مسلم وغيره.

كما في المناوي قيل: يا رسول الله وما مخرفة الجنة؟ قال: جنانها. (رواه مسلم وغيره) كالإمام أحمد، والترمذي.

٢٥١ - (إن أبغض الخلق) أي من أبغضهم (إلى الله تعالى العالم) الذي (يزور العمال)، أي عمال السلطان الذين يعملون ما لا يحل. لأن زيارتهم توجب مداهمتهم^(٢) والتشبه بهم والإنحلال إلى بيع الدين بالدنيا.

(١) أي الجاني اهـ.

(٢) أي مصانعتهم اهـ مختار.

قال حكيم : الذباب على العذرة أحسن من عالم على أبواب هؤلاء .
 فينبغي للعالم أن لا يزور الظلمة أصلاً . إلا إن بلغ حالة الكمال وصار يجتمع
 عليهم لأجل النهي عن المنكر، بحيث لو رد لم يتأثر . أما من يدعي تلك
 الحال ويذهب للشفاعة ولو رد لوقع منه سبب وقذف فهو ربما ارتكب أعظم
 من الثواب بأضعاف . فإذا رأينا عالماً أو صالحاً يتردد للحكام لا نبادر بالإنكار
 عليه ، بل نتأمل إن كان لمحض نفع العباد وكشف الضر عنهم مع الزهد فيما
 في أيديهم والتعزز عليهم بعز الإيمان ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن
 المنكر ، فلا حرج لأنه من المحسنين . وما على المحسنين من سبيل ، وإلا
 فينبغي له التحرز من مخالطتهم وإن جاؤوا إليه ، لأن الداخل عليهم يخشى
 عصيانه ، إما بفعله لأن غالب دورهم مغصوبة ، ودخول المغصوب حرام . وإما
 بقوله كأن يدعو له بغير أصلحك الله ووفقك للخيرات . كقوله أطال الله
 بقاءك ، أو يثني عليه بالكذب للإكرام . ففي الحديث من دعا الظالم بالبقاء
 فقد أحب أن يعصي الله في أرضه . وفيه أن الله يغضب إذا مدح الفاسق . وفيه
 أيضاً من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام .

وإما بسكوته كأن يرى عليهم الحرير أو خاتم الذهب ، أو يرى عندهم
 أواني النقد كما القمقم والمنجرة وظرف القهوة ، أو يراهم يشتمون أو يحبسون
 أو يضربون أو يبلصون ، فيسكت ولا ينهي ، وسكوته على ذلك حرام ، وإن
 خاف على نفسه إن علمه قبل دخوله . لأن من علم فساداً في موضع وعلم أنه
 لا يقدر على إزالته لا يجوز له أن يحضر . فيجري ذلك بين يديه وهو مشاهده
 ويسكت بل يحترز عن مشاهدته .

وأخرج الحاكم في تاريخه عن معاذ مرفوعاً : ما من عالم أتى صاحب
 سلطان إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم .

وأخرج الديلمي عن عمر مرفوعاً : إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا
 العلماء ، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء .

وقال الفضيل بن عياض : من يأتي بالفرائض فقط ولا يدخل على
 السلطان ، خير ممن يصوم النهار ويقوم الليل ويجاهد ويحج ويدخل على
 السلطان .

وأخرج ابن عساكر عن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: احفظ عني أربعاً لا تصحب سلطاناً وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر، ولا تخلون بامرأة ولو أقرأتها القرآن، ولا تصلن من قطع رحمه فإنه لك أقطع، ولا تتكلمن بكلام يعتذر منه غداً، أي يحتاج إلى الاعتذار منه.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى:

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اسـ ستغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم: ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك، وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء. أي الذين يأخذون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام ويسهلون ارتكاب الأمور.

وبالجملة فإن علماء هذا الزمان استذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا ما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس. ولو أنهم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الملوك الأكاسرة. كما حُكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى مكة شرفها الله تعالى فلما دخل قال: اتتوني برجل من الصحابة. فقيل: يا أمير المؤمنين قد ماتوا. قال: من التابعين. فأتى بطاووس اليماني رضي الله تعالى عنه ونفعنا به، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية البساط، وقال: السلام عليك يا هشام. فغضب هشام غضباً شديداً حتى هم بقتله، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما صنعت؟ فازداد غضباً، فقال: خلعت نعلك بحاشية بساطي، وما قبّلت يدي، ولو تسلم بإمارة المؤمنين، ولم تكني وجلست بإزائي بغير إذن، وقلت كيف أنت يا هشام. فقال: أما قولك خلعت نعلك بحاشية بساطي فإني أخلعها بين يدي رب العالمين كل يوم خمس مرات، ولا يعاقبني ولا يغضب علي. وأما قولك لم تقبل يدي، فإني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول: لا يحل لرجل أن يقبل به أحد إلا امرأته بشهوة أو ولده برحمة. وأما قولك لم تسلم بإمارة المؤمنين فليس كل إنسان راضياً بإمارتك فكرهت أن أكذب. وأما قولك لم تكني فإن الله

سبحانه وتعالى سمي أنبياءه، وقال: يا داوود، يا يحيى، يا عيسى، وكفى أعداءه فقال: تبت يدا أبي لهب. وأما قولك جلست بإزائي، فياني سمعت علي بن أبي طالب يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال هشام: عظمي. فقال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته، ثم قام وخرج.

وكان الشعبي يقول: من أدب العلماء إذا علموا عَمِلُوا فإذا عَمِلُوا شُغِلُوا فإذا شُغِلُوا فُتِدُوا. فإذا فُتِدُوا طُلبُوا، فإذا طُلبُوا هَرَبُوا خوفاً على دينهم من الغش. ثم يقول: ورد في الحديث أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه.

وكان سالم بن أبي الجعد يقول: اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم فاشتغلت بالعلم، فما مضى علي سنة حتى جاءني أمير المؤمنين زائراً فلم أفتح له الباب اهـ.

وهذا الحديث (رواه ابن لال) أبو بكر أحمد بن علي الفقيه. وكذا الديلمي.

قال العريزي: وهو حديث ضعيف.

٢٥٢ - (إن أحب عباد الله إلى الله) أي من أحبهم إليه (أنصحهم لعباده) قال المناوي: أي أكثرهم نصحاً لهم، فإن النصح هو الدين. وأخرج أحمد عن أبي امامة مرفوعاً: قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي إليّ النصح لي.

وسئل ابن المبارك: أي الأعمال أفضل؟ قال: المنصح لله.

وقال بعض التابعين: خير الناس أنصحهم لهم وشر الناس أغشهم لهم.

وقال وهب بن منبه: رأيت في التوراة من علامة الرجل الناصح أن يخاصمه قومه وجيرانه لكثرة ما ينصحهم.

وقال بعض العارفين لبعض: أوصيك بالنصح نصح الكلب لأهله فإنهم يجيعونه ويطردونه ويأبى إلا أن يحوطهم ويحرسهم. وإضافة العباد إليه، تلوح بأن المراد من آمن منهم أي لأن الكفار مبغوضون وإن فعلوا المعروف.

فائدة: يجب على من باع شيئاً أن يظهر للمشتري جميع عيوبه نصحاً له. فإن أخفاها كان ظالماً غاشاً، والغش حرام في البيوع والصنائع.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ مر برجل يبيع طعاماً فأعجبه فأدخل يده فرأى بللاً، فقال له: ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال: أصابته السماء. فقال: أفلا جعلته فوق الطعام حيث يراه الناس. من غشنا فليس منا، أي ليس على طريقتنا الكاملة.

وحُكي أن أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه كان بينه وبين رجل من البصرة شركة في تجارة، فبعث إليه أبو حنيفة سبعين ثوباً من ثياب الخز، وكتب إليه إن في واحد منها عيباً، وهو الثوب الفلاني. فإذا بعته فبئس العيب. فباعها بثلاثين ألف درهم. وجاء بها إلى أبي حنيفة، فقال له: هل بينت العيب؟ فقال: لقد نسيت. فتصدق أبو حنيفة بجميع ثمنها المذكور.

واعلم أنه ينبغي للشخص أن يعتقد أن تلبسه العيوب وترويعه السلعة لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب بركته. وقد يهلك الله ما جمعه دفعة واحدة. فقد حُكي أن رجلاً كان له بقرة يحلبها ويخلط لبنها بالماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقر. فقال بعض أولاده: أن تلك المياه المغرقة هي التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة.

وينبغي للتاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسك، ثم يقنع في بيعه بريح يسير فيبارك الله عز وجل له فيه. فإن وقع في يده معيب نادراً فليذكر عيبه، وليقنع بقيمته.

وكان عليّ كرم الله وجهه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول: معاشر التجارة خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره.

وقيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه: ما سبب يسارك؟ قال: ثلاث: ما رددت ربحاً قط، ولا طلبت مني حيوان فأخرت بيعه، ولا

بعث إلى أجل . ويقال انه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها . باع كل عقل بدرهم فربح ألف درهم .

ويروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الألوان والأثمان ضرب قيمة كل حلة منه أربعمائة، وضرب قيمة كل حلة منه مائتان، فذهب إلى الصلاة . وخلف ابن أخيه في الدكان، فجاء إعرابي وطالب حلة بأربعمائة فعرض عليه حلة من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها واشترى منه فمشى بها وهي على يده فلقى يونس فعرف حلته . فقال : للإعرابي بكم اشتريت هذه؟ فقال : بأربعمائة . فقال : ما تسوي أكثر من مائتين، فارجع حتى تردها . فقال : هذه تسوي ببلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها . فقال له يونس : انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها . ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم، وخاصم ابن أخيه . وقال له : أما استحييت؟ أما اتقيت تريح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين؟ فقال : والله ما أخذها إلا ورضي بها . قال : فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك؟ .

ويروى عن محمد بن المنكدر رضي الله تعالى عنه أنه كان له شقاق بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة . فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة . فلما علم بذلك لم يزل يطلب المشتري طول النهار، حتى وجده . وقال : إن الغلام قد غلط فباعك ما يسوي خمسة بعشرة . فقال : يا هذا قد رضيت، فقال : وإن رضيت فإننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا . فاختار إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد علينا شقتنا وتأخذ دراهمك . فقال : أعطني خمسة فرد عليه خمسة . فانصرف الإعرابي يسأل ويقول : من هذا الشيخ؟ فقبل له : هذا محمد بن المنكدر . فقال : لا إله إلا الله الذي نستقي به في البوادي إذا قحطنا .

فانظر إلى نصح هؤلاء الأفاضل رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم .

وهذا الحديث (رواه عبدالله بن الإمام (أحمد)، في زوائد الزهد .

٢٥٣ - (إن أحب ما يقول العبد إذا استيقظ من نومه سبحان الذي

يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) قال الحفني : فهو مناسب للحال إذ

الذي هو نائم كال ميت .

وهذا كما قاله حجة الإسلام الغزالي : أول الأوراد النهارية ، وأولها . وهي كثيرة منها هذا الحديث ، ومنها ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : من قال إذا استيقظ : سبحانك لا إله إلا أنت اغفر لي ، انسلخ من خطاياك كما تنسلخ الحية من جلدها .

ومنها ما ورد أيضاً ما من عبد يقول حين رد الله روحه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر .

وقال بعضهم : يُستحب للشخص عند قيامه من النوم أن ينظر إلى السماء وأن يمسح وجهه بيديه وأن يقرأ : إن في خلق السموات والأرض الآيات اقتداء بالنبي ﷺ . وإذا استيقظ في أثناء الليل وأراد النوم بعدها يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم زدني علماً ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب . لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار .

وعن بعض العارفين : من استيقظ من منامه ، وقال بسم الله الرحمن الرحيم رزقه الله رضوانه الأكبر اهـ . وهذا الحديث (رواه الخطيب) في تاريخه . قال العزيمي : وضعفه مخرجه .

٢٥٤ - (إن أكبر الإثم عند الله) أي من أكبره وأعظمه عقوبة (أن يضيع الرجل من يقوت) أي من يلزمه قوته أي مؤونته من نحو زوجة وأصل وفرع وخادم بترك الإنفاق عليهم مع اليسار وفقد الأعدار .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : ورُوي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الأبق ، لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم . فعلى الموسر أن ينفق على عياله ولا يضيعهم ، وعلى المعسر أن يسعى في طلب الرزق لعياله ما استطاع . ويفوض أمره إلى الله تعالى ، ويصبر ولا يضجر . فقد حُكي أن رجلاً كان كثير العيال فضاقت يده فهم أن يهرب ويترك عياله ، فاستقبله

شخص وقال له: تؤجرني نفسك على أن تسقي لي طيراً في قفص حتى يروى وتأخذ مني ديناراً. ففرح بذلك وأجابه إليه طمعاً في رخصه فدلّه على بئر وأعطاه دلوّاً فقال: انزع من هذا البئر واسق هذا الطائر حتى يروى. فنزع طول نهاره والطيّر يشرب فلا يروى. فعجز وضاق صدره حيث لم يستحق الدينار. فقال له ذلك الشخص: إني لست ببشر أنا ملك بعثني الله تعالى إليك ليريك ضعفك إذا كنت لم تقدر أن تروي طيراً فكيف تقدر أن ترزق عيالكَ؟ ارجع إليهم فإن الرازق لهم الله تعالى. ففوّض أمرهم إليه وانتظر الرزق من عنده.

وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير، وهو حديث صحيح كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٥٥ - (إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) أي قولها بإخلاص وحضور قلب. (تنفض) أي تذهب وتمحو (الخطايا) عن قائلها (كما تنفض الشجرة ورقها) عند إقبال الشتاء.

قال المناوي رحمه الله تعالى: مثل به تحقيقاً لمحو جميع الخطايا لكن يتجه أن المراد محو الصغائر. (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (والبخاري في الأدب) وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي.

٢٥٦ - (إن سورة من القرآن ثلاثون آية)، وفي رواية ما هي إلا ثلاثون آية، قال الحفني: أي غير البسملة. أو أن هذا الحديث قبل نزول البسملة. فاندفع ما قيل إن هذا يدل على أن البسملة ليست آية من السورة، (شفعت لرجل) كان ملازماً على قراءتها فما زالت تسأل الله أن يغفر له، (حتى غفر له)، وفي رواية حتى أخرجته من النار (وهي تبارك) أي سورة تبارك. ومعنى تبارك تعالى عن كل النقائص (الذي بيده الملك) أي بقبضة قدرته التصرف في كل الأمور.

قال المناوي: وفي الإبهام أولاً ثم البيان بقوله: وهي تبارك، نوع تفخيم وتعظيم لشأنها إذ لو قيل أن سورة تبارك شفعت الخ. لم تكن بهذه المثابة والتنكير في رجل للأفراد. أي شفعت لرجل من الرجال ولو ذهب إلى أن شفعت بمعنى تشفع كما في نادى أصحاب الجنة، لكان له اتجاه، وهذا

حث لكل أحد على مواظبة قراءتها لينال شفاعتها اهـ. وإثبات الشفاعة لها حقيقة.

قال الحفني: بأن تتجسم وتأتي في صورة شخص فلا مانع من ذلك اهـ.

ومما جاء في فضلها ما رواه صاحب الفردوس عن النبي ﷺ أنه قال: إني لأجد في كتاب الله سورة هي ثلاثون آية من قرأها عند نومه كتب له بها ثلاثون حسنة، ومحى عنه ثلاثون سيئة، ورفع له ثلاثون درجة، وبعث الله إليه ملكاً من الملائكة يسط عليه جناحه ويحفظه من كل شيء حتى يستيقظ. وهي المجادلة تجادل عن صاحبها في القبر، وهي سورة تبارك الملك اهـ.

وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (والأربعة) وهم أبو داود، والترمذي والنسائي، وابن ماجه، (وغيرهم) كابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدرکه. وهو حديث صحيح كما في شرح العريزي.

٢٥٧ - (إن صدقة السر تطفيء غضب الرب) فهي أفضل من صدقة العلقن. قال تعالى: وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم. وذلك لسلامتها من الرياء والسمعة، قال الحفني: فيطلب الحرص على إخفائها بحيث لا يعلم الآخذ المعطي هذا إذا لم يكن عالماً يقتدى به، وإلا فإظهارها أفضل. (وأن صلة الرحم) أي الإحسان إلى القرابة (تزيد في العمر) أي هي سبب لزيادة البركة فيه بأن يصرفه في الطاعات. وهذا إن كان المراد العمر الذي في أم الكتاب، فإن كان المراد به العمر المعلق زيادته على ذلك فالزيادة حقيقية. فقد ورد أن رجلين دخلا على سيدنا داود عليه السلام فأخبره ملك الموت أن أحدهما يموت بعد سبعة أيام، ثم رآه سيدنا داود بعد مدة من غير موت، فسأل ملك الموت عنه فقال: لما خرج من عندك وصل رحمه، فزاد الله في عمره عشرين سنة. (وان صنائع المعروف) قال العريزي: جمع صنیعة وهي فعل الخير (تقي مصارع) أي مهالك (السوء) أي تحفظ منها. وقال الحفني: أي تحفظ مما يضر الإنسان من الأمور التي لا تلائم النفس (وان قول لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين) بتقديم التاء على السين فيهما (باباً) أي نوعاً (من البلاء) أي الامتحان والافتتان (أدناها) أي أقل تلك الأنواع (الهم)

فالمداومة عليها بحضور قلب وإخلاص تزيل الهم والغم وتملأ القلب سروراً وانشراحاً وفرحاً وانبساطاً. قال الحفني: والمراد بها هنا كلمتا الشهادة فلا يحصل ما ذكر بذكر لا إله إلا الله بل بذكر الشهادتين أي بالإكثار منهما اهـ. والظاهر، كما قال المناوي، أن المراد بالتسعة والتسعين التكثير لا التحديد. (رواه ابن عساكر) في التاريخ وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيري.

٢٥٨ - (إن عامة عذاب القبر) قال المناوي: يعني معظمه وأكثره (من البول) أي من التقصير في التحرز عنه لأن التطهير منه مقدمة للصلاة التي هي أفضل الأعمال الدينية، وأول ما يخاطب به في الدنيا بعد الإيمان، وأول ما يحاسب عليه يوم القيامة. والقبر أول درجات الآخرة وهو مقدمة لها، فناسب أن يعذب في مقدمة الآخرة على مقدمة الصلاة التي هي أول ما يحاسب عليه في الآخرة، (فتنزهوا منه) قال العزيري: أي تحرزوا أن يصيبكم شيء منه. فالاستبراء عقب البول مندوب، وقيل واجب والقول بالوجوب محمول على ما إذا غلب على ظنه بقاء شيء.

تبيه: ذكر العلامة الحفني رحمه الله تعالى أن يهودية قالت ذلك الحديث للسيدة عائشة رضي الله عنها. فقالت: كذبت. وكلما أعادت لها ذلك تقول لها: كذبت. لكونها لم تسمع ذلك منه ﷺ. فقالت اليهودية: لو لم يكن عامة عذاب القبر من البول لما أمر أهل الشرائع القديمة بقرض جسد المصاب به بمقاريض. ولم تزل تكذبها، حتى ترافعت أصواتهما. فجاء رسول الله ﷺ وقال لهما: ما بالكما؟ فلما أخبر قال لليهودية: صدقت. وذكر الحديث.

فائدتان؛ الأولى: قال بعض الفضلاء: من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة ويجتنب أربعة فأما الأربعة التي يلازمها: فالمحافظة على الصلوات، والصدقة، وقراءة القرآن، وكثرة التسبيح. فإن هذه الأشياء تضيء القبر وتوسعه. وأما الأربعة التي يجتنبها: فالكذب، والخيانة، والنميمة، والبول. فإن عامة عذاب القبر منه.

الثانية: ذكر الأستاذ الشيخ محمد أبو خضير حفظه الله تعالى في كتابه نهاية الأمل أنه نقل عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أن من

كتب هذه الأبيات ووضعها في كفه أمن من فتنه القبر ومن سؤال منكر ونكير،
لكن بشرط أن يجعلها في حرز يحفظها من النجاسة كقصة أو نحاس وهي
هذه:

يا قاهراً بالمنايا كل قهار
إليك أسلمني من كان يعهدني
ففي قعر مظلمة غبراء موحشة
أمسيت ضيفك يا ذا الجود مرتهاً
فاجعل قرائي منك نيل مغفرة
بنور وجهك أعتقني من النار
من أهل ودي وأصحابي وأنصاري
فرداً غريباً وحيداً تحت أحجار
وأنت أكرم منزول به قاري
أنجوا إليك بها يا خير غفار

ومثل ذلك للأستاذ البكري حيث قال:

يا رب إن ذنوبي في الورى كثرت
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه
وليس لي عمل في الحشر ينجيني
حب النبي وهذا القدر يكفيني

ومثله للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة
فأنا المسكين الذي أيامه
فارحم مبيتي في القبور ووحدي
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم
فاجعل الهي خير عمري آخره
ولت بأوزار له متواتره
وارحم عظامي يوم تبلى ناخرة
ويحار جودك يا إلهي زاخرة

ومثله للشيخ الجنيد رحمه الله تعالى:

قدمت على الكريم بغير زاد
وحمل الزاد أقبح ما يكون
من الحسنات بالقلب السليم
إذا كان القدم على كريم

ومثله للشيخ البديري الكبير رحمه الله تعالى:

قرب الرحيل إلى القبور الدائرة
رحمن دنيا لا تخيب مقصدي
ورجوت عفواً كالبحار الزاخرة
واغفر ذنوبي يا رحيم الآخرة

ولا يبعد أن يكون مثل ذلك ما نقل عن أبي نواس رحمه الله تعالى أنه
رؤي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. قيل:
بماذا؟ قال: بأبيات قتلها في مرض موتي وهي تحت الوسادة وهي هذه:

إذا كنت بالنيران أوعدت من عصي
لئن كنت ذا بطش شديد وقوة
فوعدك بالغفران ليس له خلف
فمن وصفك بالإحسان والمن واللطف

ركبنا خطايانا وستر ك مسبل وليس لشيء أنت ساتره كشف
إذا نحن لم نهفوا وتعفو تكرمًا فمن غيرنا يهفوا وغيرك من يعفوا
اهـ . (رواه عبد بن حميد والطبراني) في الكبير، (وغيرهما) كالبزار،
والحاكم في مستدركه . وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي رحمه الله
تعالى .

٢٥٩ - (إن في الجنة باباً) قال الحفني : لم يقل أن للجنة باباً إشارة
إلى أنه بمجرد عبوره فيه يجد النعيم العظيم فكأنه في وسط الجنة (يقال له
الريان) قال المناوي : بفتح الراء وشدة المثناة التحتية وهو باب يُسقى منه
الصائم شراباً طهوراً قبل وصوله إلى وسط الجنة، ليذهب عطشه . وفيه مزيد
مناسبة وكمال علاقة بالصوم . واكتفى بالري عن الشيع لدلالته عليه من حيث
أنه يستلزمه أو لأنه اشق على الصائم من الجوع ، (يدخل منه) إلى الجنة
(الصائمون) يوم القيامة، يعني الذين يكثرون الصوم في الدنيا لتتكسر
نفوسهم .

وقال الحفني : الذين يتحرون صيام الأوقات المطلوبة كالخميس
والإثنين ويوم عرفة الخ (لا يدخل منه أحد غيرهم يقال) أي يوم القيامة في
الموقف، والقائل الملائكة أو من أمره الله من خلقه (أين الصائمون)
المكثرون للصيام؟ (فيقومون) فيقال لهم ادخلوا الجنة (فيدخلون منه فإذا
دخلوا) منه أي دخل آخرهم (أغلق) بالبناء للمفعول (فلم يدخل منه) بعد
ذلك (أحد)، أي لم يدخل منه غير من دخل . قال العزيزي رحمه الله تعالى :
وكرر نفي دخول غيرهم منه تأكيداً، ولا يعارضه أن جمعاً تفتح لهم أبواب
الجنة يدخلوا من أيها شاءوا لإمكان صرف مشيئة غير مكثر الصوم عن دخول
باب الريان اهـ .

وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (والشيخان).

٢٦٠ - (إن في الجنة عُرفاً يُرى) بالبناء للمفعول (ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها) لكونها شفاقة لا تحجب ما وراءها . قالوا: لمن هي يا
رسول الله؟ قال: (أعدها الله تعالى) أي هيأها (لمن أطمع الطعام) . قال
الحفني : أي الزائد على ما يحتاجه لنفسه وعياله .

وفي شرح العزيزي يكفي في إطعام الطعام أهله ومن يمونه إذا قصد الاحتساب (وألان الكلام).

قال المناوي: أي تملق للناس واستعطفهم. وفيه إيذان بأن لين الكلام من صفات الصالحين الذين خضعوا لبارئهم وعاملوا الخلق بالرفق في الفعل والقول، (وتابع الصيام) قال ابن عربي: عني به الصيام المعروف كرمضان والأيام المشهود لها بالفضل، أي كالأثنين والخميس، وعشر ذي الحجة، وعاشوراء، ونحو ذلك.

وقال الصوفية: الصيام هنا الإمساك عن كل مكروه فيمسك قلبه عن اعتقاد الباطل، ولسانه عن القول الفاسد ويده عن الفعل المذموم، (وصلى بالليل) تهجد فيه (والناس نيام) أي لا يتهجدون وإن لم يكونوا نياماً. وفي شرح العزيزي: ويكفي في صلاة الليل صلاة العشاء والصبح في جماعة لرواية عثمان بن عفان في ذلك؛ وإن كانت ضعيفة فإن الشارع فسره له بذلك لما سأله عنه. وقضية العطف بالواو اشتراط اجتماعها ولا يعارضه خبر أطعموا الطعام وأفشوا السلام تورثوا الجنان لأن هذه الغرف مخصوصة بمن جمع.

(رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (وابن حبان) في صحيحه، (وغيرهما) كالبيهقي في شعب الإيمان، والترمذي. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٦١ - (إن في الجنة داراً) أي محلاً عظيماً جداً في النفاسة فالتنكير للتعظيم (يقال لها دار الفرح) بفتح الفاء والراء وبالحاء المهملة أي السرور أي تسمى بذلك بين أهلها (لا يدخلها إلا من فرّح) بالتشديد (الصبيان) المؤمنين ذكوراً كانوا أو إناثاً. وفيه شمول لصبيان الشخص وصبيان غيره، ولليتامي وغيرهم ألا إن دار من فرّح اليتيم أعظم من دار من فرّح غيره. لأن إكرامه أكد وأعظم ثواباً. والمراد تفريحهم بأي شيء، كأن، يتصدق عليهم ويلين الكلام لهم ويكسوهم في العيد ويطرفهم بشيء من الباكورة، ويأتي إليهم بما يستعذب ويستغرب.

نكتة: وقع أن بعض الصالحين لبس شداً أزرق. فقالت الصبيان له:

أسلم يا نصراني . فنطق بالشهادة . فجاؤا له بشد أبيض وألبسوه له وصاروا يقولون : نصراني قد أسلم . فقال له بعض الناس : ما هذا؟ فقال : لم يضرنا شيء قد فرحنا صبياننا ، وجددنا إسلامنا .

وهذا الحديث (رواه ابن عدي) في الكامل .

٢٦٢ - (إن في الجنة باباً يقال له الضحى) أي يسمى باب الضحى (فإذا كان يوم القيامة نادى مناد) من قبل الله تعالى من الملائكة أو غيرهم (أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى) في الدنيا فيأتون ، فيقال لهم (هذا بابكم) الذي أعده الله تعالى لكم (فادخلوه) فرحين مسرورين (برحمة الله) تعالى ، لا بأعمالكم .

قال المناوي : فالمداومة على صلاة الضحى لا توجب الدخول منه ولا بد ، وإنما الدخول بالرحمة لما تقرر في غير ما موضع أن العمل الصالح غير موجب للدخول ؛ بل إنما يحصل به الاستعداد للذي يتفضل الله عليه إن رحمة الله قريب من المحسنين اهـ .

قال العزيمي : ومقصود الحديث بيان شرف الضحى وإن فعلها مندوب ندباً مؤكداً وأقلها ركعتان وأكثرها إثنتا عشرة ، وأفضلها ثمان . ووقتها من ارتفاع الشمس كرمح إلى الزوال .

تنبيه : أفهم قوله يديمون ان هذه الخصوصية لمن لم يتركها إلا نادر العذر كمرض ، فينبغي المحافظة على فعلها وقد ورد أنه لا يحافظ عليها إلا كل أبواب .

ومن فضائلها أنها تجلب الرزق وتنفي الفقر .

(رواه الطبراني) في الأوسط . وهو حديث حسن كما في شرح

العزيمي .

٢٦٣ - (إن في الجنة نهراً) أي من ماء (يقال له رجب) أي يسمى بذلك بين أهلها (أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاه الله) تعالى (من ذلك النهر) فيه إشعار باختصاص ذلك بصوامه . وهذا تنويه عظيم بفضل رجب ومزيد الصيام فيه .

وقد ورد فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام.

وعن مقاتل أنه قال: إن خلف جبل قاف أرضاً بيضاء ملساء كالفضة قدر الدنيا سبع مرات مملوءة من الملائكة، ما لو سقطت ابرة سقطت عليهم، بيد كل واحد منهم لواء مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله. يجتمعون كل ليلة من شهر رجب حول الجبل يتضرعون إلى الله ويدعون بالسلامة لأمة محمد ﷺ، ويقولون: يا ربنا ارحم أمة محمد ﷺ، ولا تعذب أمة محمد ﷺ. ويبكون ويتضرعون، فيقول لهم الله تعالى: ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن تغفر لأمة محمد ﷺ. فيقول لهم الله: قد غفرت لهم.

وورد: من صام يوماً من رجب فكأنما صام أربعين سنة.

وعنه ﷺ: من صام عشرة أيام من رجب جعل الله له جناحين موشحين بالدر والياقوت يطير بهما كالبرق اللامع على الصراط.

وعنه أيضاً: أن في الجنة قصرًا لا يدخله إلا صائم رجب.

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: من صام يوماً من رجب فكأنما عبد الله عمره صائماً قائماً؛ فإذا صام رجب نودي من السماء: أبشريا ولي الله بالكرامة العظمى. وسقاه الله عند موته شربة فيموت رياناً، ويدخل قبره رياناً، ويخرج منه رياناً، ويرد الجنة رياناً.

قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: الكرامة العظمى هي النظر إلى وجهه الكريم.

وعن ثوبان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ مر على قبور فبكى، فقال: يا ثوبان هؤلاء يعذبون في قبورهم. فدعوت الله أن يخفف عنهم. يا ثوبان لو صام هؤلاء يوماً من رجب وقاموا ليلة ما عذبوا. فقلت: يا رسول الله، بصوم يوم وقيام ليلة يمنع عذاب القبر؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده ما من مسلم ولا مسلمة يصوم يوماً من رجب ويقوم ليلة إلا كتب الله له عبادة سنة صوم نهارها وقيام ليلها.

وعنه ﷺ: ينادي مناد من قبل الله تعالى: يا صُومَ رجب ادخلوا الجنة

في جوار الله تعالى .

وعن ابن مسعود عنه عليه السلام : من صام ثلاثة أيام من رجب وقام ليلها فله من الأجر كمن صام ثلاثة آلاف سنة، وقام ليلها يغفر الله له بكل يوم سبعين كبيرة، ويقضي له سبعين حاجة عند النزح وسبعين حاجة في قبره وسبعين حاجة عند تطاير الصحف، وسبعين حاجة عند الميزان وسبعين حاجة عند الصراط .

وروي بإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وإنما أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة، فإذا فرغ من صلاته صلى عليّ سبعين مرة، يقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله . ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الأكرم . ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تُقضى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن استوجب النار .

قال في الإحياء : وهذه الصلاة نقلها الأحاد، ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها اهـ .

ولعل كلاً من هاتين السجديتين يكون بعد تلاوة أية سجدة لأنه لا يجوز التقرب إلى الله بسجدة لا سبب لها . وفي الحديث من صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب الله له ثواب ستين شهراً .

وعن أبي هريرة وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما قالا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن في رجب يوماً وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة عام، وقامها . وهي لثلاث بقين من رجب .

حكاية: روي أن عيسى عليه السلام مر على جبل يتلأأ نوراً فقال: يا رب انطق لي هذا الجبل. فقال الجبل: يا روح الله ما الذي تريد؟ قال: أخبرني بخبرك. قال: في جوفي رجل. قال عيسى: يا رب أخرجه. فانفلق الجبل عن شيخ حسن الوجه، وقال: يا عيسى أنا من قوم موسى سألت الله الحياة إلى زمن محمد ﷺ لأكون من أمته ولي ستمائة عام أعبد الله تعالى في هذا الجبل. فقال عيسى: يا رب هل على وجه الأرض أكرم عليك من هذا؟ فقال: يا عيسى من صام من أمة محمد يوماً من رجب فهو أكرم عليّ من هذا.

فائدتان؛ الأولى: روي أن من تصدق في رجب باعده الله من النار كمقدار غراب طار فرخاً حتى مات هرماً.

الثانية: قال وهب بن منبه: قرأت في بعض الكتب المنزلة أن من استغفر الله في رجب بالعبادة والعشي يرفع يديه ويقول: اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي سبعين مرة لم تمس النار له جلدًا.

خاتمة

قيل أن رجلاً اسمه الأصب لأن الرحمة تصب فيه صباً. واسمه الأصم لأنه يرفع إلى الله تعالى إذا انقضى، فيسأله الله تعالى عن عمل عباده فيسكت، ثم يسأله ثانياً فيسكت، ثم يسأل ثالثاً فيسكت، ثم يقول: يا رب أنت أمرت عبادك أن يستر بعضهم على بعض، وسماني نبيك محمد ﷺ الأصم. فأنا الأصم سمعت طاعتهم دون معاصيهم. فينبغي للشخص أن يحترمه بفعل الطاعات والندم على ما فات من السيئات لعله ينجو من الدركات، ويفوز بالدرجات.

وحكي أن امرأة كانت تقرأ كل يوم من رجب اثنتي عشرة ألف مرة قل هو الله أحد، وكانت تلبس فيه الصوف. فمرضت وأوصت ابنها أن يدفن معها صوفها. فلما ماتت كفنها في ثياب مرتفعة. فرأها في منامه، فقالت: يا بني إني عنك غير راضية لأنك لم تعمل بوصيتي، فانتبه من نومه فزعاً وأخذ صوفها وذهب فنبش قبرها فلم يجدها فيه، فزاد همه وتحير، فسمع قائلاً

يقول: أما سمعت أن من أطاعنا في رجب لا يترك في القبر فريداً وحيداً. فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته ويحفظنا من مخالفته.

وهذا الحديث (رواه الشيرازي) في الألقاب، (والبيهقي) في شعب الإيمان، وهو حديث ضعيف منجبر، كما في شرح العلامة العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٦٤ - (إن في الجمعة) أي في يومها (ساعة) فلكية أو قطعة من الزمن (لا يحتجم فيها أحد إلا مات) أي بسبب الحجامة، فينبغي للشخص أن لا يخرج دماً من جسده في يوم الجمعة، سواء كان يحجم أو فصد أو نحوهما، لئلا يصادف تلك الساعة فيموت بسبب ذلك. (رواه أبو يعلى) في مسنده، وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي.

٢٦٥ - (إن لله تعالى ملكاً موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين) قال الحفني: أي بكل شخص يقول ذلك، أي كل شخص له ملك موكل به إلا أن ملكاً واحداً موكل بالجميع. (فمن قالها ثلاثاً) من المرات، (قال له الملك) الموكل به: (إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك) أي بالرفقة والرحمة والإحسان واستجابة الدعاء (فسل) فإنك إن سألته أعطاك، وإن استرحمته رحمك، وإن استغفرته غفر لك.

قال الحفني: فينبغي للشخص أن يقدم ذلك أمام دعائه مع حسن إخلاصه واعتقاده ان الله تعالى يجيبه وإلا لم ينتفع بذلك. (رواه الحاكم) في مستدركه. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٦٦ - (ان لله عز وجل تسعة وتسعون اسماً) بتقديم التاء على السين فيهما، قال الحفني: أي من جملة أسمائه تعالى ذلك وإلا فأسماؤه تعالى لا يحصيها غيره تعالى وإن كان بعضهم عدداً ألفاً، وبعضهم زاد على ذلك.

(من أحصاها)، قال المناوي: أي قرأها كلمة كلمة. على منهج^(١)

(١) المنهج الطريق، والترتيل التمهّل في القراءة أفاده في المصباح. والمعنى أنه قرأها بتمهل وعدم عجلة اهـ.

الترتيل كأنه يعدّها أو علمها وتدبر معانيها واطلع على حقائقها أو أطاقها، أي أطاق القيام بحقها والعمل بمقتضاها بأن تأمل معانيها واستعمل نفسه فيما يناسبها. فالمعنى الأول عام، والثاني خاص، والثالث أخص، ولذا قيل الأول للعوام، والثاني للعلماء، والثالث للأولياء، اهـ.

وقوله استعمل نفسه فيما يناسبها، يعني إذا قال الحكيم مثلاً، سلّم لجميع أوامره، لأن جميعها على مقتضى الحكمة.

وإذا قال القدوس، استحضر كونه منزهاً عن جميع النقائص.

وإذا قال الرزاق وثق بالرزق. وكذا سائر الأسماء، وقال الحفني: من أحصاها، أي حفظها عن ظهر قلب بدليل الحديث الثاني يعني قوله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحداً إلا دخل الجنة. وهو وتر يحب الوتر وخير ما فسرت بالوارد وإن لم يدرك معناها بل يكفي أن يدرك أنها أسماء للذات المقدسة تدل عليها.

وإن سئل عن معنى القدوس مثلاً، فقال لا أعرف. وقيل معنى الإحصاء إدراك معانيها والراجع الأول اهـ.

وقوله (دخل الجنة)، أي استحق دخولها مع السابقين الأولين أو بدون عذاب.

(هو الله) قال العزيزي: عَلم للذات الواجب الوجود، وهو جامع لجميع معاني الأسماء الآتية، وهو مبتدأ والله خبره والجملة مستأنفة لبيان كمية تلك الأعداد. أنها ما هي في قوله إن لله تسعة وتسعين اسماً وذكر الضمير باعتبار الخبر اهـ.

وسياتي حظ العبد من هذا الإسم. قال المناوي: وخاصيته زيادة اليقين بتيسر المقاصد المحمودة في الذات، والصفات، والأفعال، فقد قالوا من داومه كل يوم ألف مرة بصيغة يا الله، يا هو، رزقه الله كمال اليقين، وفي الأربعين الإدريسية يا الله المحمود في كل فعالة، قال السهروردي: من تلاه يوم الجمعة قبل الصلاة على طهارة ونظافة خالياً سراً مائتي مرة يسر الله له مطلوبه، وإن كان ما كان. وإن تلاه مريض أعجز الأطباء علاجه بريء ما لم يكن حضر أجله.

(الذي لا إله إلا هو) نعت الله، قال الشيخ عبد العزيز في شرحه لأسماء الله الحسنى: ولفظ هو ضمير عند الجمهور، وذهب بعضهم إلى أنه اسم ظاهر، وعلى كل فليس من التسعة والتسعين بل هو زائد عليها وسيأتي حظ العبد من لا إله إلا الله. وخاصيته أن من تلاه بعد كل صلاة مائة مرة أزال الله عنه الغفلة والنسيان وقسوة القلب.

(الرحمن الرحيم) نعتان أو خبر بعد خبر، وهما إسمان نبيا للمبالغة من الرحمة، وهي في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان على من رق له. وأسماء الله تعالى وصفاته إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال، دون المباديء التي تكون انفعالات، فرحمة الله للعباد إما إرادة الأنعام عليهم ودفع الضرر عنهم فتكون الأسماء من صفات الذات، أو نفس الأنعام والدفع فيعودان إلى صفات الأفعال. والرحمن أبلغ من الرحيم لزيادة بنائه اهـ. عزيزي.

قال الشيخ عبد العزيز: وحظ العبد من هذه الأسماء أن يلاحظ من الله قدرته ومن الرحمن نعمته، ومن الرحيم عصمته، وحظ العبد من لا إله إلا الله أن يعلم أنه لا معطي ولا مانع إلا من ثبتت له الألوهية. ولذا قال في تاج العروس، وأنس النفوس: إذا قال العبد لا إله إلا الله، طالبه بحقها وهو أنه لا ينسب شيئاً إلا إليه.

واعلم أن المراد بحظ العبد من الأسماء، القيام بها على نحو ما يليق به، وهو المسمى بالتخلق في عبارة بعضهم اهـ. ومن ثم قيل حظ العبد من الرحمن الرحيم، أن يرحم عباد الله فيعاون المظلوم ويدفع الظالم عن ظلمه بالتي هي أحسن، وينبه الغافل وينظر إلى العاصي بعين الرحمة لا الإزدراء^(١). فقد ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

وقد ذكر في بعض التفاسير أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يعرج

(١) أي التهاون والاستهزاء اهـ.

به كل ليلة إلى السماء وذلك قوله تعالى: وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض. فخرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب متلبس بفاحشة؛ فقال: اللهم أهلكه، يأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك. أو كما قال، فأهلكه الله تعالى ثم اطلع علي مذنب آخر فقال: اللهم أهلكه. فنودي، يا إبراهيم كف عن عبادي رويداً رويداً^(١)، فإني طالما رأيتهم عاصين ثم رأى ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في قوله: إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ فلما كشف عن كاهله^(٢) لامثال أمر ربه وتله للجبين وأخذ المدينة باليمين قال: اللهم إنك تعلم أن هذا ولدي وثمرة فؤادي وأحب الناس إليّ فسمع قائلاً يقول: يا إبراهيم أما تذكر الليلة التي سألتني فيها إهلاك عبدي. أما تعلم أني رحيم بعبادي كما أنت شفيق بولدك فكما سألتني إهلاك عبدي، سألتك ذبح ولدك واحدة بواحدة والبادي أظلم.

وخاصية الرحمن على وفق معناه صرف المكروه عن ذاكره، وحامله، ويذكر مائة مرة بعد كل صلاة فيخرج الغفلة والنسيان، وفي الأربعين الأدرسية: يا رحمن كل شيء وراحمه. قال: يكتب بزعفران ممسك ويدفن في بيت من أخلاقه شرسة ضيقة تتبدل طباعه ويظهر فيه الحياء والرحمة والعطف والمسكنة.

وخاصية الرحيم رقة القلب ورحمة الخلق فمن داومه كل يوم مائة مرة كان له ذلك، ومن خاف الوقوع في مكروه ذكره مع ما قبله وحمله.

وفي الأربعين الأدرسية: يا رحيم كل صريخ ومكروب وغيائه ومعاذه.

قال السهروردي: إذا كتب ثم محي بماء وصب في أصل شجرة ظهرت بركتها ومن شرب من ذلك الماء اشتاق لكاتبه.

(الملك) أي القادر على الإيجاد والاختراع أو المتصرف في جميع الأشياء يعز من يشاء ويذل من يشاء ولا يذل.

(١) أي أرفق بهم وأمهلمهم اهـ.

(٢) (قوله كاهله) الكاهل ما بين الكتفين وقوله تله للجبين صرعه كما تقول كبه لوجهه والمدينة بضم الميم الشفرة وهي السكين اهـ من المختار.

وقال بعض المحققين: الملك هو الغني مطلقاً في ذاته وصفاته عن كل ما سواه ويحتاج إليه كل ما سواه. وحظ العبد من هذا الإسم أنه إذا لاحظته فني عن المملكة. فالاعراض لا تشغله والشواهد لا تحجبه. وأيضاً من علم أن الله تعالى ملك تنتهي إليه الأمور جعل همته متوجهة إليه بحيث لا يتوجه إلى سواه طرفة عين.

وخاصيته صفاء القلب وحصول الغنى، فمن واطبه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره. ومن قرأه بعد الفجر كل يوم مائة وإحدى وعشرين مرة أغناه الله تعالى من فضله.

(القدوس) أي المنزه عن سمات النقص وموجبات الحدوث، وعن أن يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يحيط به عقل. وهو من أسماء التنزيه وإنما ذكره عقب ما قبله ليبين أن ملكه تعالى لا يعرض له تغير أصلاً بخلاف الحوادث فإن ملكهم يتغير بتغير أحوالهم بنحو جور وظلم. وحظ العبد منه أن يتنزه عما يشينه^(١) في أمر دنياه وآخرته.

وخاصيته السلامة من الآفات.

وفي الأربعين الأدرسية: يا قدوس الطاهر من كل آفة فلا شيء يعادله من خلقه، من قرأه كل يوم ألف مرة في خلوة أربعين يوماً اجتمع شمله بما يريد وظهرت له قوة التأثير في العالم.

(السلام) أي الذي سلمت ذاته وصفاته، من النقائص، أو الذي منه وبه السلامة، أو المعطي لها مبدأ ومعاداً أو المسلم عباده من المهالك أو المسلم على خلقه في الجنة. وحظ العبد من هذا الإسم أن ينزه نفسه من كل لهو ولسانه من كل لغو وقلبه من كل غير، ويأتي ربه بقلب سليم، وأن يدفع المضار عن الناس ويفشي السلام عليهم.

وخاصيته صرف المصائب والآلام حتى إذا قُرئ على مريض مائة مرة وإحدى وعشرين مرة برفع صوت بحيث يسمعه المريض مع رفع يديه على رأس ذلك المريض بريء ما لم يحضر أجله أو خفف عنه.

(١) أي يعيبه اهـ.

(المؤمن) أي المصدق رسله بقوله الصدق فيكون مرجعه إلى الكلام أو بخلق المعجزات وإظهارها على أيديهم، فيكون من أسماء الأفعال. وقيل معناه الذي أمن البرية بخلق أسباب الأمان وسد أبواب المخاوف. وقيل معناه أنه يؤمن عباده الأبرار يوم العرض من الفرع الأكبر أما بقوله: مثل لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. أو بخلق الأمن والطمأنينة. وحظ العبد من هذا الإسم أن يحقق اتصافه بحقائق الإيمان وأن يأمن غيره بوائقه^(١).

وخاصيته وجود التأمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الإيمان لمن لازم عليه. ومن خواصه أن يذكره الخائف مائة وستاً وثلاثين مرة يأمن على نفسه وماله. وإذا ذكره الأمن ازداد أمناً.

(المهيمن) أي الرقيب المبالغ في المراقبة والحفظ أو الشاهد على كل نفس بما كسبت. وحظ العبد منه أن يكون ملاحظاً لأفعاله من حيث الشريعة ولأسراره من حيث الحقيقة. ومن عرف أنه المهيمن خضع تحت جلاله وراقبه في كل أحواله؛ والمعين على ذلك تدبره في قوله تعالى: ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم. فإذا تأمل العبد نحو ذلك كان الله نصب عينيه والمتاع الفاني وإن كثر ليس إلا في يديه.

قال عبدالله بن قتيبة: كان عدد مال عثمان بن عفان يوم قتل مائة ألف وخمسين ألف دينار، وألف درهم وألف فرس، وألف مملوك، وخلف من الضياع ما قيمته مائتا ألف دينار، وبلغ ثمن مال الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه خمسين ألف فرس وألف مملوك. وخلف عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ثلاثمائة ألف دينار. وكثرة أموال ابن عوف أشهر من أن تذكر ومع هذا لم يشغلهم ما بأيديهم عن القيام بحقوق بارئهم^(٢) لما قام بهم من المراقبة.

وخاصية هذا الإسم الحصول على شرف الباطن وعزته برفع الهمة

(١) جمع بائقة وهي الداهية والشر الشديد وفي الحديث لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه قال قتادة أي ظلمه وغشه وقال الكسائي غوائله وشره اهـ مختار.

(٢) أي خالفهم اهـ.

وعلوها يقرؤه الشخص مائة مرة بعد الغسل والصلاة بخلوة وجمع خاطر لما يريد .

(العزیز) أي الغالب من قولهم عز إذا غلب وقيل القوي الشديد من قولهم عز إذا قوي واشتد . وقيل عديم المثل فيكون من أسماء التنزيه . وقيل هو من يتعذر الإحاطة بوصفه ويعسر الوصول إليه . وحظ العبد من هذا الإسم أن يغلب نفسه وسلطانه بالاستقامة والاستعانة به تعالى فلا يذل فقيراً لفقره ولا يعز غنياً لغناه . ومن عرف أنه العزیز رفع همته عن الخلق .

قال المرسي : والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلائق .

وقال ابن عطاء الله : يقال لك إذا استندت لغير الله ففقدته انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً .

وخاصيته وجود الغنى والعز صورة أو حقيقة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً كل يوم أربعين مرة أغناه الله وأعزه فلم يحوجه لأحد .

(الجبار) أي المصلح لأمر العباد المتكفل بمصالحهم . فهو إذاً من أسماء الأفعال . وقيل معناه حامل العباد على ما يشاء لا أنفكك لهم عما شاء من الأخلاق والأعمال والأرزاق والأجال ، فمرجه أيضاً إلى الفعل . وقيل معناه المتعالي عن أن يناله كيد الكائدين ويؤثر فيه قصد القاصدين فيكون مرجعه إلى التقديس ، والتنزيه ، وحظ العبد من هذا الإسم أن يقهر نفسه على أوامر الله واجتناب نواهيه وأن يترك أمره إلى ربه ولا يستعين عليه بغيره وهذا مقام العارفين . فقد ورد عن بعضهم أنه كان يقول يا جبار عجبت لمن يعرفك كيف يستعين على أمر بأحد غيرك؟ وعجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحداً غيرك؟ وعجبت لمن يعرفك كيف يلتفت إلى أحد غيرك؟

وخاصيته الحفظ من ظلم الجبابرة والمعتدين سفراً وحضراً يذكر صباحاً ومساءً .

وقال الشيخ زروق : يذكر بعد قراءة المسبعات العشر صباحاً ومساءً للحفظ من ظلم الجبابرة إحدى وعشرين مرة .

(المتكبر) أي ذو الكبرياء . وهو الملك أو الذي يرى غيره حقيراً

بالإضافة إليه فينظر إلى غيره نظر المالك إلى عبده. وهو على الإطلاق لا يتصور إلا الله تعالى فإنه المنفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة لكل شيء من كل وجه. ولذلك لا يطلق على غيره إلا في معرض الذم. وحظ العبد من هذا الإسم أن يتكبر عن الركون إلى الشهوات، والسكون إلى الدنيا وزينتها، فإن البهائم تشاركه في ذلك. بل يتكبر عن كل ما يشغل سره عن الحق، ويستحقر كل شيء سوى الوصول إلى جناب القدوس من مستلذات الدنيا والآخرة. ومن عرف أن العظمة والكبرياء لا يكونان إلا لله تعالى لزمه أن يعالج نفسه في تطهيرها منهما ولزم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل.

وخاصيته الجلالة والبركة حتى من ذكره عشر مرات ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقبل جماعها رزق ذكراً صالحاً.

(الخالق) أي المقدر المبدع موجد الأشياء من أصل كقوله تعالى: خلق الإنسان من نطفة، وقوله: خلق الجن من مارج من نار^(١). ومن غير أصل، كقوله تعالى: خلق السموات والأرض. وحظ العبد من هذا الإسم والإسمين بعده النظر والتفكير في غرائب المصنوعات، وتباين أشكالها الذي هو ساعة منه أفضل من عبادة سبعين سنة لأن النظر في ذلك تبصرة وذكرى لكل عبد منيب^(٢). قال تعالى: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم الآية.

وخاصيته أن يذكر في جوف الليل فينور قلب ذاكره ووجهه.

(الباريء) أي المهيء كل ممكن لقبول صورته في خلقه فهو من معاني الإرادة. وقيل الباريء الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت والتنافر المخلين بالنظام الأكمل، مميزاً بعضها عن بعض بالأشكال المختلفة.

وخاصيته أن يذكر سبعة أيام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات.

وذكر بعض الأفاضل أن من واطب على ذلك أسبوعاً لم ينزله الله في قبره، ورجلاً، أي خائفاً.

(١) قوله من مارج من نار قال الجلال: هو لهيها الخالص من الدخان اهـ.
(٢) أي مقبل على الله تعالى قال في المختار وأتاب إلى الله أقبل وتاب اهـ.

(المصور) أي مبدع الصور المخترعات ومزينها بحكمته .

ومن خواصه أن العاقر إذا ذكرته إحدى وعشرين مرة على صوم بعد الغروب وقبل الفطر سبعة أيام وتفطر على ماء زال عقمها، وتصور الولد في رحمها. وقيل يفعل ذلك زوجها، لكن بكيفية أخرى: وهي أن يصوم ثلاثة أيام ويقراه عند إفطاره على ماء إحدى وعشرين مرة وينفث في الماء، ويشربه .

(الغفار) أي الكثير المغفرة لعباده من الفقر، وهو ستر الشيء بما يصونه ومنه المغفرة، ومعناه أنه يستر القبائح والذنوب بإسبال الستر عليها في الدنيا، وترك المؤاخذة بالعمو عنها في العقبى، ويصون العبد من أوزارها. وهو من أسماء الأفعال. وقد جاء التوقيف في التنزيل بالغفار والغفور والغافر.

وقال بعض الصالحين: أنه غافر لأنه يزيل معصيتك من ديوانك، وغفور لا ينسى الملائكة أفعالك، وغفار لأنه ينسيك ذنبك. حتى كأنك لم تفعله. وقيل غافر في الدنيا، وغفور في القبر، وغفار في القيامة. وحظ العبد من هذا الإسم أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه ولا يفشي منه إلا ما حسن ويتجاوز عما يقيح منه ويقابله بالإحسان.

وخاصيته وجود المغفرة، فمن ذكره أثر صلاة الجمعة مائة مرة ظهرت له آثار المغفرة.

وقال بعض السلف: من أحب أن يكثر ماله وولده ويبارك له في رزقه فليقل أستغفر الله أنه كان غفاراً في اليوم سبعين مرة، فإن الله سبحانه وتعالى قال: استغفروا ربكم أنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً.

وفي الحديث: من لزم الاستغفار جعل الله له من كل فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب.

(القهار) أي الذي لا موجود إلا هو مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه عاجز في قبضته. وقيل هو الذي أذل الجابرة وقصم^(١) ظهورهم بالإهلاك

(١) (قوله قصم) من باب ضرب أي كسر وقصمه الله أهانه وأذله وقيل قرب موته أفاده في المصباح اهـ.

ونحوه. وحظ العبد من هذا الإسم قهر النفس الأمارة بالسوء بإسقاط التدبير والرجوع للواحد القهار بالاستسلام في كل جليل وحقير.

وخاصيته اذهاب حب الدنيا وعظمة ما سواه من القلب، وتصفيته من التعلقات الدنيوية لمن داوم عليه.

قال الشيخ زروق: ويذكر عند طلوع الشمس، وفي جوف الليل لإهلاك الظالم بهذه الصيغة: يا جبار يا قهار يا ذا البطش. ثم يقول: خذ حقي ممن ظلمني وتعدى علي.

(الوهاب) أي كثير النعم والعطاء بلا سبب سابق ولا استحقاق ولا مقابلة ولا جزاء. وحظ العبد من هذا الإسم أن يعالج نفسه على السخاء وكثرة العطايا.

وخاصيته حصول الغنى والقبول والهيبة والإجلال لذاكره ومن دوامه في سجود الضحى فله ذلك.

(الرزاق) أي خالق الأرزاق والأشياء التي يتمتع بها. وقيل الرزاق ممد كل كائن بما تحفظ به صورته ومادته. فإمداد الأجسام بالأغذية، والعقول بالعلم، والقلب بالفهم والأرواح بالتجليات. وحظ العبد من هذا الإسم أن يتيقن أنه لا رزاق إلا الله فيقطع مطامعه عن جميع عبادته بالثقة بموعوده، ويكف استشرافه إلى جميع خلقه بالرضا بمقدوره. واعلم أنه تعالى يوصل الرزق إلى جميع مخلوقاته. وان من أسباب سعة الرزق كثرة الصلاة لقوله تعالى: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ألا نسألك رزقاً نحن نرزقك. والعاقبة للتقوى.

وخاصيته سعة الرزق يقرأ قبل صلاة الفجر في كل ناحية من نواحي البيت عشراً يبدأ باليمين من جهة القبلة، ويستقبلها في كل ناحية إن أمكن.

قال الشيخ زروق في الأربعين الأدرسية: سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه ورازقه.

قال السهروردي: المداوم عليه تقضى حاجته من الملوك وولاية الأمور فإذا أراد ذلك وقف مقابلة المطلوب وقرأه سبع عشرة مرة ومن تلاه عشرين

يوماً على الريق رزق ذهنأ يفهم به الغوامض^(١)، وإن قرأه المسجون بعد صلاة الجمعة سرح، والمريض شفي والمضيق عليه فرج عنه.

(الفتاح) أي الحاكم بين الخلائق من الفتح بمعنى الحكم. قال في الكشف: والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق. وقيل هو الذي يفتح خزائن الرحمة على إصناف البرية. قال تعالى: ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها. وقيل: هو الذي فتح على النفوس باب توفيقه، وعلى الأسرار باب تحقيقه. وقيل: هو المتفضل بإظهار الخير والسعة على أثر ضيق وانغلاق؛ وحظ العبد من هذا الإسم أن يجتهد في الطاعات حتى يفتح على قلبه في كل ساعة باب من أبواب الغيب والمكاشفات وأن يفتح في كل ساعة على عباد الله أبواب الخير والمسرات.

وخاصيته تيسير الأمور وتنوير القلب والتمكين من أسباب الفتح فمن قرأه إثر صلاة الفجر إحدى وسبعين مرة ويده على صدره طهر قلبه وتنور سره وتيسر أمره وفيه سر تيسير الرزق.

(العليم) أي العالم بجميع المخلوقات أو البالغ في العلم فعلمه تعالى لجميع المعلومات محيط بها سابق على وجودها. وحظ العبد من هذا الإسم أنه إذا علم أن الله تعالى عليم بحالته صبر على بليته وشكره على عطيته، واعتذر عن قبيح خطيئته واستحيا منه حق الحياء.

وخاصيته تحصيل العلم والمعرفة فمن لازمه عرف الله حق معرفته على الوجه اللائق به.

(القابض) أي الذي يضيق الرزق على من أراد وقيل هو الذي يقبض الأرواح من الأشباح. وقيل هو الذي يضيق القلوب. وحظ العبد من هذا الإسم أن لا يعطي الحكمة غير أهلها فيظلمها.

وخاصيته أن من أراد إهلاك عدوه واتخذه رداً أهلكه الله، ومن كتبه على لقمة أربعين يوماً كل يوم مرة وأكلها آمنه الله من الجوع.

(١) الغامض من الكلام ضد الواضح قاله في المختاراه.

(الباسط) أي الذي يبسط الرزق لمن يشاء. وقيل: هو الذي ينشر الأرواح في الأجساد عند الحياة. وقيل: هو الذي يبسط القلوب للهدى؛ والقابض والباسط من صفات الأفعال وإنما يحسن اطلاقهما معاً ليدلا على كمال القدرة والحكمة. وحظ العبد من هذا الإسم ان لا يمنع الحكمة أهلها فيظلمهم.

وخاصيته أن من لازم ذكره بعد صلاة الضحى عشر مرات رزقه الله بسط الرزق والعلم، ومن رفع يديه جهة السماء، وذكره كثيراً ثم مسح وجهه بيديه فتح الله له باب الغنى.

(الخافض) أي الذي يخفض الكفار بالخزي والصغار، أو الذي يخفض أعداءه بالإبعاد والإذلال. أو الذي يخفض أهل الشقاء بالطبع والإضلال. وحظ العبد من هذا الإسم أن يخفض الباطل، ويعادي أعداء الله ويخفضهم وان لا يأمن مكر الله.

خاصيته أن من قرأه ودعا الله بعد ثلاثة أيام، وقرأه في اليوم الرابع سبعين ألف مرة، في مجلس واحد، وذكر من أراد من أعدائه كفاه الله شره ونصره عليه، ومن قرأه بنية قضاء حاجة خمسمائة مرة قضاها الله تعالى.

(الرافع) أي الذي يرفع المؤمنين بالنصر والإعزاز أو الذي يرفع أولياءه بالتقريب والإسعاد، أو الذي يرفع ذوي الإسعاد بالتوفيق والإرشاد والخافض والرافع من صفات الأفعال. وحظ العبد من هذا الإسم أن يرفع الحق، ويوالي أولياء الله فيرفعهم.

وخاصيته ان من قرأه سبعين مرة عند قدومه على الظالم المتمرد حصل له الأمن منه. ومن لازم العدد المذكور كل يوم لا يصل إليه ظالم ولا باغ ولا لص، ومن قرأه في نصف الليل أو النهار اصطفاه الله تعالى ويسر أموره وأغناه.

(المعز) أي الذي يجعل من شاء ذا كمال يصير بسببه مرغوباً فيه قليل المثال، والإعزاز الحقيقي تخليص المرء عن ذي الحاجة، واتباع الشهوة وجعله غالباً على أمره، قاهراً لنفسه. وحظ العبد من هذا الإسم أن يعز الحق وأهله، وأن يفعل الطاعة ويجتنب المعصية. إذ ما من طاعة إلا والعز معها، وما من معصية إلا والذل معها.

وخاصيته ان من قرأه مائة وأربعين مرة ليلة الجمعة أو الإثنين بعد صلاة المغرب حصلت له الهيبة في قلوب الخلائق، كهيئة السباع في قلوب الوحوش. وصار لا يخاف إلا من الله.

(المذل) أي الذي يجعل من شاء ذا نقيصة بسببها يرغب عنه ويسقط من درجة الاعتبار. وحظ العبد من هذا الإسم أن يذل الباطل وحزبه.

وخاصيته ان من صام ثلاثة أيام أولها الثلاثاء وآخرها الخميس، ثم صلى ليلة الجمعة ركعتين، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة هذا الإسم مائة مرة؛ فإذا سجد قرأ مثل ذلك وفعل مثل ذلك في الركعة الثانية، ثم ذكره بعد سلامه منهما ألف مرة. ثم قال: يا مذل أذل فلان ابن فلان أذله الله فلا يعز بعد ذلك أبداً. فعليك بتقوى الله تعالى وأن لا تفعلها إلا مع من يستحق الإذلال. وإذا قرأه من يخاف من ظالم أو حاسد خمساً وسبعين مرة وسجد بعد فراغه من العدد المذكور وذكر اسم ظالمه أو حاسده وقال اللهم آمني من فلان اللهم أكفني شره، آمنه الله منه وأجاره من شره وحسده.

(السميع) أي المدرك لكل مسموع حال حدوثه. وحظ العبد من هذا الإسم أنه إذا علم أن الله تعالى سميع كف نفسه عن ظلم الأنام إشفاقاً^(١) من إصابة السهام لا سيما في حندس^(٢) الظلام.

وخاصيته إجابة الدعاء فمن قرأه يوم الخميس بعد صلاة الضحى خمسمائة مرة ولم يكلم أحداً ودعا الله تعالى وذكر حاجته استجاب الله دعاءه، وقضى حاجته في الوقت. وكان مجاب الدعوة.

(البصير) أي المدرك لكل مبصر حال وجوده. وحظ العبد من هذا الإسم أنه إذا علم أن الله بصير زين باطنه بالمراقبة وظاهره بالمحاسبة وراقبه في الحركات والسكنات حيث لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره وخاصيته وجود التوفيق من قرأه قبل^(٣) صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله عين بصيرته

(١) أي حذراً اهـ مختار.

(٢) الحندس بكسر الحاء والبدال الليل الشديد الظلمة اهـ مختار.

(٣) (قوله قبل) كذا رأيت في شرح العلامة المناوي والذي رأيت في شرح الشيخ عبد العزيز =

ووقفه لصالح القول والعمل .

فائدة: ذكر بعض العارفين أن من أراد إخفاء نفسه عن أعين بحيث لا يرويه فليقرأ عند مروره بهم قوله تعالى: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير تسع مرات .

(الحكم) بفتح الكاف أي الحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معب لحكمه . وحظ العبد من هذا الإسم أنه إذا علم أن الله تعالى حكم إنقاد لأمره وسلم لحكمه .

وخاصيته أن من قرأه في جوف الليل على طهارة بوجود واعتقاد حتى يغشى عليه جعل الله باطنه معدن الأسرار .

(العدل) بسكون الدال المهملة أي العادل البالغ في العدل . وهو الذي لا يفعل إلا ما له فعله . وحظ العبد منه ترك الإفراط والتفريط^(١) وخير الأمور أوسطها .

وخاصيته ان من لازمه وداوم عليه حصل له انتشار العلم وتسخير القلوب وكثرة العدل في الأحكام . ومن كتبه على عشرين لقمة من خبز ليلة الجمعة وأكلها ذل الله له الخلائق أجمعين .

(اللطيف) أي المحسن الموصل للمنافع برفق . وقيل هو خالق اللطف يلطف بعباده من حيث لا يعلمون . وقيل هو العليم بخفيات الأمور ودقائقها وما لطف منها . وقال الحرالي : اللطيف من اللطف ، وهو إخفاء الأمور في صور أضدادها من نحو ما أخفى ليوسف عليه السلام من انالة الملك في إلباس ثوب الرق . حتى قال : إن ربي لطيف لما يشاء . وحظ العبد من هذا الإسم أن يتلطف بعباد الله ويرفق بهم .

قال المناوي : ومن خواصه ان من ذكره كل يوم مائة مرة أو مائة وثلاثة

= لأسماء الله الحسنى عقب فليحذر لعل أن يكون في أحدهما تحريف وإلا فالأحوط أن يقرأ قبلها وعقبها اهـ مؤلف عفا الله عنه .

(١) (قوله الإفراط والتفريط) قال في المصباح فرط في الأمر تفريطاً قصر فيه وضيعه وأفرط إفراطاً أسرف وجاوز الحد اهـ .

وثمانين مرة وسع الله عليه ما ضاق وكان ملطوفاً به اهـ. وعبارة الشيخ عبد العزيز في شرحه لأسماء الله الحسنى: وخاصيته دفع الآلام ومن ذكره كل يوم مائة وتسعة وعشرين مرة أو مائة وثلاثة وثلاثين مرة وسع الله عليه ما ضاق وكان ملطوفاً به في أموره سيما عقب الصلاة.

وقد حكى الياضي أن بعض الملوك غضب على بعض الفقراء فبنى له قبة وجعله فيها وسد عليه بابها ومنعه الطعام والشراب. فلما كان بعد ثلاثة أيام وُجد الفقير خارج القبة فرحاً مسروراً. فأخبر الملك بذلك. فقال: اتئوني به. فلما أحضر بين يديه، قال له الملك: بالذي نجاك من هذه الشدة ما كان سبب خلاصك؟ فقال الفقير: دعاء دعوت به. قال الملك: وما هو؟ قال: اللهم إني أسألك يا لطيف يا لطيف يا من وسع لطفه أهل السموات والأرض أسألك أن تلتطف بي من خفي خفي لطفك الخفي الخفي الذي إذا التفت به لأحد من خلقك كفى. إنك قلت وقولك الحق: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز.

وذكر الغزالي رحمه الله تعالى أن رجلاً حُبس مدة طويلة وكان أزيزاً^(١) ما قال يوسف عليه الصلاة والسلام ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم، فجاءه شاب في بعض الليالي، فقال له: قم فأخرج من سجنك. فقال له: كيف أخرج والأبواب دوني مغلقة؟ قال: قم ويحك. فقام فخرج وما استقبله باب إلا فتح بإذن الله تعالى ومشى معه حتى أخرجته من البلدة ثم قال له: إن ربي لطيف لما يشاء. وقال بعض العارفين من قرأ قوله تعالى: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز في كل يوم تسع مرات لطف الله به في أموره وسيق له الرزق والحسن، وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف اهـ.

(الخبير) أي العليم بواطن الأمور من الخبرة. وهي العلم بالخفايا الباطنة. فالله سبحانه وتعالى يعلم دقائق الأمور التي لا يصل إليها غيره إلا بالاختبار والاحتياي. وحظ العبد من هذا الإسم أنه إذا علم أن الله خير تنبه

(١) أي صوته قال في المختار الأزيز صوت غليان القدر اهـ.

لأحوال باطنه واشتغل بإصلاحها وتطهيرها واستدرك ما يحدث فيها من القبائح ولا يكون مقلداً للخلق إن ضلوا ضل وإن اهدوا اهتدى .

وخاصيته حصول الأخبار بكل شيء فمن ذكره سبعة أيام أتمه الروحانية بكل خير يريد . ومن كان في يد إنسان يؤذيه فليكثر قراءته . وقال بعض العارفين من أراد أن يرى شيئاً في منامه فليقرأ قوله تعالى : ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، تسع مرات عند نومه .

(الحليم) أي الذي لا يستفزه غضب ولا يحمله غيظ على استعجال العقوبة والمسارة إلى الانتقام . وحظ العبد من هذا الاسم أن لا يبادر بالانتقام ممن خالف أمره بل يصفح عن الجناة ويسامحهم فيما يفعلونه من السيئات ويجازيهم بالإحسان والغفران .

وخاصيته ثبوت الرياسة ووجود الراحة فإذا اتخذته الرئيس ذكراً كان له ذلك ، ومن كتبه في قرطاس ومحاه بماء الورد ومسح به حرفته أو آلتها ظهرت فيها البركة وإن كانت سفينة أمنت من الغرق أو داراً أمنت من كل شر .

(العظيم) أي البالغ في أقصى مراتب العظمة وهو الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصر ولا بصيرة . وحظ العبد منه أن يستحقر نفسه ويذلها للإقبال على الله تعالى . بالإنقياد لأوامره ، واجتناب نواهيهِ .

وخاصيته وجود العزة والبرء من المرض لمن يكثر من ذكره ولم يحضر أجله .

(الغفور) أي كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما يستوجبه من الانتقام بالتجاوز عن ذنبه . وحظ العبد منه ما مر في الغفار فارجع إليه إن شئت ومن عرف أنه الغفور أكثر من الاستغفار .

وخاصيته دفع الألم حتى انه يكتب للمحموم ثلاث مرات فيبرأ وان كتب سيد الاستغفار^(١) وجرع لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه

(١) هو كما في الحديث: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اهـ جامعه .

الموت، وهو مجرب .

لطيفة: ذكر بعضهم ان من أسماء الله تعالى غفاراً وغافراً و غفوراً، وسمي العبد بثلاثة أسماء ظالم لنفسه وظلوم كفار وظلام وهو المسرف على نفسه، فكأنه سبحانه وتعالى يقول أنا للظالم غافر، وللمظلوم غفور، وللظالم غفار.

(الشكور) أي الذي يعطي عباده الثواب الجزيل على العمل القليل، أو المثني على عباده المطيعين أو المجازي عباده على شكره. وحظ العبد من هذا الإسم أن يكون شاكرًا لما يجري له منه تعالى على الوجه الذي يرضاه له وان لا يستعمل نعمه في شيء من معاصيه وأن يكون شاكرًا للناس معروفهم بأن يعظم اليسير ويجازي عليه بالكثير. فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله .

وخاصيته التوسعة ووجود العافية في البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق نفس أو تعب في البدن أو ثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه برىء وان تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك .

(العليّ) أي البالغ في علو المرتبة إلى حيث لا رتبة إلا وهي منحطة عنه، وقيل هو المرتفع عن مدارك العقول ونهايتها في ذاته وصفاته وأفعاله فليس كذاته ذات ولا كصفته صفة ولا كفعله فعل . وحظ العبد منه أن يرتفع عما يشينه^(١) في دينه ويجنح^(٢) إلى معالي الأمور ويبعد عن سفاسفها^(٣).

وخاصيته الرفع من أسافل الأمور إلى أعاليها فيكتب ويعلق على الصغير فيبلغ، وعلى الغريب فيجتمع^(٤) شمله، وعلى الفقير فيجد غني .

(الكبير) أي العالي الرتبة اما باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها من حيث أنه أزلّي غني على الإطلاق وما سواه حادث بالذات نازل في حضيض^(٥) الحاجة والافتقار، وإما باعتبار أنه كبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول

(١) أي يعيبه اهـ .

(٢) أي يميل قال في المختار جنح مال وبابه خضع ودخل اهـ .

(٣) أي محقراتها قال في المختار السفاسف الرديء من كل شيء والأمر الحقير اهـ .

(٤) (قوله فيجتمع) كذا في المناوي ولعله فيجتمع اهـ جامعه .

(٥) الحضيض القرار من الأرض اهـ مختار .

وعلى الوجهين فهو من أسماء التنزيه . وحظ العبد منه أن يجتهد في تكميل نفسه علماً وعملاً بحيث يتعدى كماله إلى غيره ويقتدي بآثاره ويقتبس^(١) من أنواره ليكون من الكبراء .

خاصيته فتح باب العلم والمعرفة لمن أكثر ذكره وإن قريء على طعام وأكله الزوجان تصالحا وتوافقا .

قال الشيخ زروق في الأربعين الإدريسية : يا كبير أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته .

قال السهروردي : إن أكثر منه المديون أدى دينه واتسع رزقه، وإن ذكره معزول عن مرتبته سبعة أيام كل يوم ألفاً وهو صائم فإنه يرجع إلى مرتبته ولو كان ملكاً .

(الحفيظ) أي الذي يحفظ جميع الموجودات من الزوال والاختلال مدة ما شاء ويصون المتضادات بعضها عن بعض ، ويحفظ على العباد أعمالهم ويحصي عليهم أقوالهم وأفعالهم . وقيل هو العالم بجميع المعلومات علماً لا تغير له ولا زوال . وحظ العبد منه حفظ ما أمر بحفظه من الجوارح والأمانات والودائع والمحافظة على أوقاته ، وإن يكون في كل وقت مشغولاً بما هو أولى به ، والسعي في صيانة كل مسلم بحسب الطاقة والقدرة .

وخاصيته الحفظ حتى أنه ما حملة أحد أو ذكره في مواضع الخوف إلا وجد بركته لوقته ، وإن من علقه عليه ونام بين السباع ما ضرته .

(المقيت) أي خالق الأقوات البدنية والروحانية وموصلها إلى الأشباح والأرواح ، وقيل هو المقتدر . وحظ العبد منه إطعام الطعام وقهر النفس وإرشاد الغافل .

وخاصيته وجود القوت والقوة ، فالصائم إذا قرأه وكتبه على التراب وبله ثم شمه قواه على ما هو به ، ومن قرأه على كوز سبعاً ثم كتبه عليه وكان يشرب فيه في السفر أمن من وحشة السفر سيما إن أضاف إليه قراءة سورة قريش

(١) أي يستفاد اهـ .

صباحاً ومساءً . وقد جربت لذلك وللأمن فيه .

(الحسيب) أي الكافي المعطي لعباده كفايتهم ، أو المحاسب عباده على أعمالهم . وقيل معناه الشريف الكامل في الشرف، وحظ العبد منه أن يسعى في كفاية حاجات المحتاجين وسد خللتهم^(١) ، وأن يتقي الله حق تقاته ، وأن يحاسب نفسه بالمعرفة والطاعة .

وخاصيته وقوع الأمن بين ذوي الأنساب والقراة فيقرؤه من يخاف من قربه كل يوم قبل طلوع الشمس وبعد غروبها سبعاً وسبعين مرة فإن الله يؤمنه قبل الأسبوع وتكون البداءة بيوم الخميس والله تعالى أعلم .

(الجليل) أي المنعوت بنعوت الجلال وهو من الصفات التنزيهية كالقدوس .

فائدة: قال الإمام الرازي : والفرق بينه وبين الكبير والعظيم أن الكبير الكامل في الذات ، والجليل الكامل في الصفات ، والعظيم الكامل فيهما . وقيل الجليل من له الأمر النافذ والكلمة المسموعة . وحظ العبد منه التخلي من كل صفة ذميمة والتخلي . بكل صفة كريمة .

وخاصيته جلالة القدر لذاكره وحامله لا سيما أن كتبه بمسك وزعفران .

(الكريم) أي الرفيع القدر العظيم الشأن ، وقيل المتفضل الذي يعطي من غير مسألة ولا وسيلة ، وقيل المتجاوز الذي لا يستقصي في العقاب ، وقيل المقدس عن النقائص والعيوب . وحظ العبد منه أن يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه يحقق تقواه . ومن عرف أنه الكريم ذاتاً لم يتوجه لغيره ؛ ومن عرف أنه الكريم صفة لم يجب سواه . ومن عرف أنه الكريم فعلاً لم يطلب شيئاً من غيره ، ولم يدبر معه .

وخاصيته وجود الكرم والإكرام فمن داوم ذكره عند النوم أوقع الله في القلوب إكرامه .

(١) (قوله خللتهم) الخلة بالفتح الحاجة والفقراء مختار ومصباح .

(الرقيب) أي الحفيظ الذي يراقب الأشياء ويلاحظها فلا يغرب^(١) عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وحظ العبد منه أن يراقب أحوال نفسه، ويأخذ حذره من أن ينتهز^(٢) الشيطان منه فرصة فيهلكه على غفلة.

وخاصيته جمع الضوال، وجفظ الأهل والمال، فصاحب الضالة يكثر قراءته فينجم^(٣) عليها، ويقرؤه من يخاف على الجنين في بطن أمه سبع مرات فيثبت، ومن أراد سفراً يضع يده على عنق من يخاف عليه المنكر من أهل أو ولد ويقول سبعاً يأمن عليه.

(المجيب) أي الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويسعف السائل إذا ما التمسه واستدعاه، وحظ العبد منه الاستجابة لله تعالى ولرسول الله ﷺ، وإجابة العباد فيما أنعم الله عليه، وفي إسعاف كل سائل فيما يسأله، وفي لطف الجواب إن عز عليه. قال تعالى: وأما السائل فلا تنهر.

وخاصيته إسراع الإجابة بأن يذكر مع الدعاء سيما مع اسمه السريع.

(الواسع) أي العالم المحيط علمه بجميع المعلومات، كلياتها وجزئياتها، موجودها ومعدومها، أو الجواد الذي عمت نعمته وشملت رحمته كل بر وفاجر، مؤمن وكافر، أو الغني التام الغنى، المتمكن مما يشاء.

وقيل الواسع الذي لا نهاية لبرهانه، ولا غاية لسلطانه، ولا حد لإحسانه، وحظ العبد منه أن يوسع خلقه ورحمته لخلق الله تعالى في أحواله كلها.

وخاصيته حصول السعة والنجاة وسعة الصدر، والقناعة والسلامة، من نحو حرص^(٤) وغل^(٥) وحقد^(٦) وحسد، لذاكره الملازم له.

(١) قوله يغرب) قال في المصباح غرب من بابي قتل وضرب غاب اهـ.

(٢) أي يغتنم اهـ مختار وفي المصباح الفرصة اسم من تفرص القوم الماء القليل لكل منهم نوبة فيقال يا فلان جاءت فرصتك أي نوبتك ووقتك الذي تسقي فيه فسارح له وانتهز الفرصة أي شمر لها مبادراً اهـ.

(٣) كذا في المناوي ولعله فيجتمع اهـ جامعه.

(٤) أي طمع اهـ مختار.

(٥) بالكسر أي غش اهـ مختار.

(٦) هو الانطواء على العداوة والبغضاء اهـ مصباح.

(الحكيم) أي ذو الحكمة المحكم للأشياء حتى صدرت متقنة، على وفق علمه وإرادته وقضائه وقدره. وحظ العبد منه أن يكون حكيماً والحكمة في حقنا إصابة الحق في القول والعمل.

وخاصيته دفع الدواهي^(١) وفتح باب من الحكمة فمن أكثر من ذكره صرف عنه ما يكره، وما يخشى من الدواهي، وفتح له باب الحكمة.

(الودود) أي كثير الود لعباده والتودد لهم بوافر النعم، وصرف النقم، وإيصال الخيرات، ودفع المضرات، فالله تعالى يحب الخير لجميع الخلائق ويحسن إليهم في جميع الأحوال. وقيل معناه المحب لأوليائه. وحظ العبد منه أن يكون ودوداً للمؤمنين، بل لكل الخلائق. بأن يحب للكافر الإيمان، وللعاصي التوبة، وللصالح الثبات، ولجميع العباد الخير جملة وتفصيلاً. وأن يحب الصالحين من عباده، وأن يريد للخلق ما يريد لنفسه، ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعه، وأن لا يمنعه الغضب منهم على الإيثار والإحسان إليهم، وأن يتحمل أذاهم.

وخاصيته ثبوت الود سيما بين الزوجين، فمن قرأها ألف مرة على طعام وأكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته.

(المجيد) أي ذو الشرف الكامل، والملك الواسع الذي لا غاية له. أو الجميل الأفعال الكثير الأفضال، أو من لا يشارك فيما له من أوصاف المدح. وحظ العبد منه أن يعامل الناس بالكرم، وحسن الخلق ليكون ماجداً فيما بينهم.

وخاصيته تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهراً أو باطناً، حتى في عالم الأبدان والصور.

فمن خواصه أنه إذا صام الأبرص أيام البيض وقرأه كل يوم عند الفطر كثيراً برىء بسبب أو بلا سبب.

(الباعث) أي الذي يبعث من في القبور وللنشور، أو باعث الرسل إلى الأمم، أو باعث الأرزاق لعباده، أو باعث الهمم إلى الترقى في ساحات

(١) الداهية الأمر العظيم ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبة اهد مختار.

التوحيد. قال المناوي: والأولى تفسيره بالأعم، وهو من صفات الأفعال. وحظ العبد منه أن يؤمن بالبعث ويكون مقبلاً بكليته على التهيؤ للمعاد، والاستعداد ليوم التناد.

ومن خواصه أن من وضع يده على صدره عند النوم وقرأه مائة مرة نور الله قلبه ورزقه العلم والحكمة.

(الشهيد) أي العليم بظواهر الأشياء وما يمكن مشاهدته، كما أن الخبير هو العليم ببواطن الأشياء وما لا يمكن الإحساس به، أو الشهيد الحاضر الذي لا يغيب عنه معلوم ولا مرئي ولا مسموع ولا يحتاج إلى تعريف، بل هو المعرف لكل شيء، أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد، وقيل الشهيد مبالغة في الشاهد، والمعنى انه تعالى يشهد على الخلق يوم القيامة. وحظ العبد منه أن يعبد الله كأنه يراه، وأن يقول عن علم.

وخاصيته الرجوع عن الباطل إلى الحق، حتى أنه إذا أخذ من جبهة الولد العاق شعر وقرىء عليه أو على الزوجة كذلك الفأ صلح حالهما.

(الحق) أي الثابت الوجود على وجه لا يقبل الزوال ولا العدم ولا المتغير وهو من صفات اللذات. وقيل معناه المحق، أي المظهر للحق أو الموجد للشيء حسب ما تقتضيه الحكمة فيكون من صفات الأفعال. وحظ العبد منه فناؤه عن نفسه وعن إرادته، وأن يرى الله تعالى حقاً وما سواه باطلاً.

وخاصيته أن يكتب في كاغد مربع على أركانه الأربع، ويجعله في كفه سحراً ويرفعه إلى السماء، يكفيه الله ما أمهه. ومن لازم لا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة استغنى من فقره وتيسر له أمره. ومن ذكره كل يوم ألفاً حسنت أخلاقه وصلحت طباعه.

(الوكيل) أي القائم بأمور عباده، المتكفل بمصالحهم، الكافي لهم في كل أمر. وقيل الموؤل إليه تدبير البرية. وحظ العبد منه، السعي في حاجة أخيه المؤمن، وان يكمل الأمر إليه تعالى ويتوكل عليه ويكتفي بالالتجاء إليه، عن الاستمداد بغيره.

وخاصيته نفي الحوائج والمصائب، فمن خاف ريحاً أو صاعقة، فليكثر منه فإنه يصرف عنه ويفتح له أبواب الخير والرزق.

(القوي) أي الذي لا يستولي عليه العجز بحال، ولا يلحقه ضعف في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا يمسه نصب ولا تعب، ولا يدركه قصور. وحظ العبد منه، أنه إذا عرف أنه القوي رجع لحوله وقوته في كل شيء فغاب بحوله وقوته، عن حول كل شيء وقوته، إذ لا حول ولا قوة لشيء إلا به.

وخاصيته ظهور القوة في الوجود فما تلاه أحد ذو همة ضعيفة إلا وجد القوة. ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك، ولو ذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرة، كان له وكفى أمره.

(المتين) أي الذي له كمال القوة بحيث لا يعارض ولا يشارك ولا يداني ولا يقبل الضعف ولا يمانع في أمره. بل هو الغالب الذي لا يغلب ولا يغلب ولا يحتاج في قوته لمادة ولا سبب. وحظ العبد منه أنه إذا عرف عظمة قوته ومتانتها لم يخف من شيء، ولم يقف بهمته على شيء دونه استناداً إليه واعتماداً عليه.

وخاصيته ظهور القوة، لذاكره مع اسمه القوي، ولو ذكر بتعود على شابة فاجرة عشر مرات عادت، وكذلك الشاب.

(الولي) أي المحب الناصر لأوليائه، وقيل متولي أمر الخلائق. وحظ العبد منه أنه إذا عرف أنه الولي، لم يتول غيره بل يرجع بأمره كله إليه. وخاصيته ثبوت الولاية لملازمه حتى أنه يحاسب حساباً يسيراً، وتيسير أموره حتى ان من ذكره كل يوم جمعة ألفاً نال مطلوبه.

(الحميد) أي المحمود المستحق للثناء، فإنه الموصوف بكل كمال والمولى لكل نوال. وحظ العبد منه اعتراف بالعجز عن الثناء على الله تعالى.

وخاصيته اكتساب المحامد في الأخلاق والأفعال والأقوال.

(المحصي) أي العالم الذي يحصي المعلومات ويحيط بها، كإحاطة العاد بما يعده، وقيل القادر الذي لا يشذ عنه شيء من المقدورات. وحظ

العبد منه أن يحصي على نفسه الحركات والسكنات وأن يراقب الله في الجهر والخلوات .

وخاصيته تسخير القلوب حتى أن قرأه عشرين مرة على عشرين كسرة خبز وأطعمها لمن أراد تسخر له بإذن الله تعالى .

(المبديء) أي المظهر للشيء من العدم إلى الوجود، وهو بمعنى الخالق المنشيء . وسيأتي حظ العبد منه .

وخاصيته أن يقرأ على باطن الحامل سحراً تسعاً وعشرين مرة يثبت ما في بطنها ولا ينزلق .

(المعيد) أي الذي يعيد المعدوم، فالإعادة خلق الشيء بعدما عدم . وحظ العبد من هذا الإسم والذي قبله، أنه إذا عرف أنه المبديء المعيد رجع بكل شيء إليه لأن كل شيء منه بدأ وإليه يعود .

وخاصيته أن يذكر مراراً التذكار المحفوظ إذا نسي شيئاً إذا أضيف له الأول .

(المحيي) أي خالق الحياة ومعطيها لكل من شاء حياته على وجه يريده، ومديمها لمن شاء دوامها له، كما شاء بسبب وبغيره . وسيأتي حظ العبد منه .

وخاصيته، وجود الالفه فمن خاف الفراق أو الحسب فليقرأه على بدنه عدده .

(المميت) أي خالق الموت ومسلطه على من شاء من الأحياء وكيف شاء بسبب وبدونه . وكما أنه يحيي الأجسام بالأرواح يحيي القلوب بنور المعرفة، ويميتها بعارض الغفلة ونحوها . وحظ العبد منه ومما قبله، أنه إذا عرف أنه المحيي المميت، لم يهتم بموت ولا حياة، بل يكون مفوضاً مستسلماً في جميع أحواله لمن بيده الحياة والموت .

وخاصيته أن يكثر منه المسرف عند النوم، والذي لم تطاوعه نفسه على الطاعة فإنه تطاوعه .

(الحي) أي الموصوف بالحياة الذي لا يجوز عليه فناء ولا موت، ولا يعتره قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم.

حُكي، أن قوم موسى ﷺ قالوا: أينام ربنا؟ قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، فأوحى الله إليه أن خذ قارورتين واملأهما ماء. ففعل، فنعس، فسقطتا من يده، فانكسرتا. فأوحى الله إليه اني أمسك السموات والأرض أن تزولا، ولو نمت لزلتا. وحظ العبد من هذا الإسم السعي في تحصيل الشهادة، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون. وخاصيته ثبوت الحياة في كل شيء. وفي الأربعين الأدرسية: يا حي حين لا حي في ديمومية ملكه وبقائه. قال السهروردي: من قرأه ثلاثمائة ألف مرة، لم يمرض أبداً، ومن كتبه في إناء صيني بالمسك وماء الورد وحله بماء السكر المصري وشربه ثلاثة أيام بريء من مرضه إن شاء الله تعالى.

(القيوم) أي القائم بنفسه والمقيم لغيره على الدوام. وقيل هو الباقي الدائم المدبر للمخلوقات بأسرها. وقال بعضهم: هو القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها. وحظ العبد منه كمال تمكنه بأن يشهد أن المسببات صادرة عن عين القدرة، وان ترتبها على الأسباب أمر ظاهري فقط. ومن خواصه أن من ذكره مجرداً ذهب عنه النوم.

(الواجد) بالجيم أي الذي يجد كل ما يريد ويطلبه ولا يفوته شيء. وقيل هو الغني. وحظ العبد منه أن يستغني به ويلتجىء إليه. وخاصيته تقوية القلب حتى ان من قرأه على كل لقمة من طعامه قوي قلبه.

(الماجد) هو بمعنى المجيد، لكن المجيد أبلغ. وقيل هو العالي المرتفع. وحظ العبد منه رفع الهمة عن الخلائق، والتعلق بالحقائق، فيصير بذلك ماجداً برفع الهمة وحسن الحالة.

وخاصيته تنوير القلب فمن ذكره ملازماً حتى غلب عليه منه حالة تنور قلبه.

(الواحد) بالحاء المهملة المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله فهو واحد في

ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ، واحد في صفاته لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء واحد في أفعاله لا شريك له ولا نظير. وحظ العبد منه أنه إذا عرف أنه الواحد، أفرد قلبه له فكان واحداً به.

وخاصيته إخراج الخلق من القلب. فمن قرأه ألف مرة كل يوم أخرج الخلائق من قلبه، فكفى خوف الخلق وهو أصل كل بلاء. قال العزيري: ووقع في رواية الأحد بدل الواحد.

(الصمد) أي السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج، أي يقصد فيها. وقيل المنزه عن الآفات، وقيل الباقي الذي لا يزول، وقيل الذي لا يطعم. وسئل ﷺ عن ذلك فأجاب بقوله: الصمد الذي لا جوف له. وحظ العبد منه أنه إذا عرف أنه الصمد لم يصمد لغيره، وكان غنياً به في كل أحواله.

وخاصيته حصول النجاح والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة مرة وخمسة وعشرين مرة كل يوم ظهر عليه آثار الصدق والصدقية.

(القادر) أي المتمكن من الفعل بلا معالجة ولا واسطة.

وخاصيته أن يذكر مائة مرة بعد صلاة ركعتين عند ضعف الظاهر أو الباطن في العبادة. وان ذكره شخص عند الوضوء قهر الأعداء وظفر بهم.

(المقتدر) قال بعضهم: هو بمعنى القادر لكنه أبلغ، وقال المناوي: المقتدر أي المستولي على كل من أعطاه حظاً من قدرته. وحظ العبد منه ومما قبله أنه إذا عرف أنه القادر المقتدر الذي لا يعجزه شيء ولا يخرج شيء عن قدرته رجع بكل شيء إلى قدرته، فلم يهمله شيء من الأمر، ولا يعظم عليه نظره لعظم قدرته.

وخاصيته وقوع التدبير من مولاه له. فمن قرأه عند انتباهه من نومه دواماً، دبره الله فيما يريد حتى لا يحتاج إلى تدبير.

(المقدم المؤخر) أي الذي يقدم أوليائه ويؤخر أعداءه، وقال العزيري: أي الذي يقدم الأشياء بعضها على بعض، أما بالوجود كتقديم الأسباب على مسبباتها، أو بالشرف كتقديم الأنبياء الصالحين من عباده على من عداهم. وحظ العبد منهما أن يقدم ما يرضاه الله تعالى ويؤخر نفسه عما لا يرضاه.

وخاصية الأول القوّة في الحرب والنجاة فيه، يذكر عند دخول المعركة .
وخاصية الثاني، التأخر عن كل قبيح ، فمن أكثر منه فتح له باب من
التقوى والتوبة .

(الأول) أي الذي لا مفتتح لوجوده السابق على الأشياء كلها، فإنه
موجدتها ومبدعها .

وخاصيته جمع الشمل، فإذا واطبه مسافر كل يوم جمعة ألفاً انجمع
شملة .

(الآخر) أي الذي لا مختتم له لثبوت قدمه واستحالة عدمه، فهو الباقي
وحده بعد أن يفنى جميع الخلق . وحظ العبد منهما أن يشتغل بما يبقى عما
يفنى .

وخاصيته صفاء الباطن عما سواه تعالى فإذا واطبه إنسان كل يوم مائة
مرة خرج من قلبه ما سواه تعالى .

(الظاهر) أي الجلي وجوده بآياته الظاهرة ودلائله المثبتة، أو العالي .
وخاصيته إظهار نور الولاية على قلب قارئه .

(الباطن) أي المحتجب عن الحواس بحجب كبريائه أو العالم
بالخفيات . وحظ العبد منهما الظهور على الشيطان وإخفاء أعماله عن
الخلائق خشية الرياء والعجب .

وخاصيته وجود الأنس لمن قرأه كل يوم ثلاث مرات كل مرة ساعة
زمانية .

(الوال) أي المتولي لجميع أمور خلقه أو المالك . وحظ العبد منه أن
يكتفي بولايته ويسكن إليه في جميع أحواله ومهمات مسقطاً للتدبير معه .

وخاصيته دفع الآفات من الصواعق وغيرها .

(المتعالي) أي البالغ في العلا، المرتفع عن النقائص . وحظ العبد منه،

علو همته بحيث لا يملكه شيء من المخلوقات .

وخاصيته وجود الرفعة وصلاح الحال حتى إن الحائض إذا لازمته أيام حيضها أصلح الله حالها .

(البر) أي المحسن الذي يوصل الخيرات إلى خلقه . وحظ العبد منه أن يكون مشتغلاً بأعمال البر واستباق الخيرات ، وأن لا يضمم الشر ولا يؤذي أحداً .

وخاصيته حصول البر في الوجود . فإذا قريء على صبي سبع مرات فإن الله يبلغه ببلاغه .

(التوَّاب) أي القابل توبة عباده ، وقيل الذي ييسر للمذنبين أسباب التوبة ويوفقهم لها . وحظ العبد منه أن يكون واثقاً بقبول التوبة غير آيس من الرحمة بكثرة ما اقترفه من الذنوب ، وأن يقبل معاذير المجرمين من رعاياه وأصدقائه ومعارفه مرة بعد أخرى حتى يفوز بنصيب من هذا الوصف ، ويصبر متخلقاً بهذا الخلق .

خاصيته دفع الظلم وتحقيق التوبة ، ومن قرأه إثر صلاة الضحى ثلاثمائة وستين مرة تحققت توبته . ومن قرأه على ظالم عشر مرات خلص منه مظلومه .

(المنتقم) أي المعاقب لمن عصاه . وحظ العبد منه أن ينتقم من أعداء الله ، وأعدى الأعداء نفسه التي بين جنبيه وحقه أن ينتقم منها إذا قارفت أو أخلت بعبادة ، كما نقل عن أبي يزيد رحمه الله تعالى قال : تكاسلت نفسي عليّ في بعض الليالي عن بعض الأوراد فعاقبتها بمنعي الماء سنة .

وخاصيته أن يذكره من لا يقدر على الانتقام من عدوه فينتقم الله منه سريعاً ، لكنه كما ينتقم لك ينتقم منك ففي الخبر إذا دعا العبد على ظالمه قال الله تعالى له : عبدي أنت تدعو علي من ظلمك ومن ظلمته يدعوك عليك فإن أردت أن أستجيب لك أستجيب عليك .

(العفو) أي الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي ، ويزيلها من صحائف الأعمال وهو أبلغ من الغفور ، لأن الغفران ينبيء عن الستر والعفو

ينبيء عن المحو. وحظ العبد منه أن يعفو عن كل من ظلمه، ولا يقطع بره عن أحد بسبب ما حصل منه.

وخاصيته ان من أكثر ذكره فتح له باب الرضا.

(الرؤوف) أي ذو الرأفة وهي شدة الرحمة فهو أبلغ من الرحيم، والراحم. قال العريزي: والفرق بين الرأفة والرحمة، أن الرحمة إحسان مبدؤه شفقة المحسن، والرأفة إحسان مبدؤه فاقة المحسن إليه. وحظ العبد منه الشفقة على عباده المؤمنين، والاستغفار للمذنبين.

وخاصيته أن من ذكره عند الغضب عشرأً وصلى على النبي ﷺ مثلها سكن غضبه، وكذا من ذكر بحضرته.

(مالك الملك) أي الذي تنفذ مشيئته في ملكه ويتصرف فيه، وفي محكوماته كما يشاء. لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه. وحظ العبد منه دوام الخضوع ولزوم الحضور، وأن يكون مالكاً نفسه عما يخالف الحق بكل حال.

وخاصيته وجود الإكرام والغنى، فمن داوم عليه أعطاه الله مالاً وأغناه من فضله.

(ذو الجلال والإكرام) أي الذي له العظمة والكبرياء والافضال التام فلا شرف ولا كمال إلا وهوله، ولا كرامة ولا مكرومة إلا وهي منه. وحظ العبد منه أن يكون له جلاله عن النقائص وتكريم عنها بأن يلاطف عبيده بالتعظيم والإكرام والاحتشام.

وخاصيته وجود العز والكرامة وظهور الجلالة لذاكره.

(المقسط) أي العادل الذي يتتصف للمظلومين ويدراً بأس الظلمة عن المستضعفين. وحظ العبد منه أن يتتصف أولاً من نفسه لغيره، ثم يتتصف لغيره من غيره، ولا يتتصف من غيره لنفسه، ومن عرف أنه المقسط خاف عدله ورجا فضله.

وخاصيته الحفظ من الوسواس في العبادة، فمن داوم عليه لم يكن

للشيطان عليه سبيل ومن كانت معاملته بميزان وداوم عليه وفقه الله للعدل فيها.

(الجامع) أي المؤلف بين أشتات الحقائق المختلفة أو الجامع لأوصاف الحمد والثناء. وحظ العبد منه أنه إذا عرف أن الله جامع لأنواع الكمالات جمع بين الشريعة والطريقة، والحقيقة. فالشريعة أن تعبه والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده.

وخاصيته أن من داوم عليه جمع الله بينه وبين مقاصده وأحبابه، ومن ضلّ عنه شيء وداوم عليه رد الله عليه ضالته. ويحسن أن يكون بصيغة، يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إجمع عليّ ضالتي.

(الغني) أي المستغني عن كل شيء لا يفتقر إلى شيء. وحظ العبد من هذا الإسم أنه إذا علم أن الله هو الغني استغنى به عن كل شيء ورجع إليه في كل شيء وأظهر له الفقر والفاقة أبداً.

وخاصيته وجود العافية في كل شيء فمن ذكره على مرض أو بلاء في بدنه أو غيره أذهب الله، وفيه سر الغنى ومعنى الإسم الأعظم لمن أهل له.

(المغني) أي المعطي كل شيء ما يحتاج إليه حسماً اقتضته حكمته وسبقت به كلمته. وحظ العبد منه أنه إذا عرف أنه المغني افتقر إليه واستعمل السخاء والبذل غاية جهده، وكان بما في يد الله أوثق منه بما في يده.

وخاصيته وجود الغنى فيقرؤه الأيس من الخلق كل يوم ألف مرة يغنيه الله، وإن قرأه عشر جمع كل ليلة جمعة عشرة آلاف ظهر له الأثر على أثرها. وقال بعضهم: من ذكره بقلبه حال الجماع أحبته زوجته.

(المانع) أي الدافع لأسباب الهلاك والنقصان في الأبدان والأديان أو مانع من يستحق المنع أو الذي يحوط أولياءه وينصرهم. وحق العبد منه أن لا يعطي الحكمة غير أهلها فيظلمها وان يمتنع عما نهى عنه.

وخاصيته أن من أكثر من ذكره منع الله عنه كل مضرة. وقال بعضهم: من كان ممنوعاً من تحصيل مراده فليداوم على قراءته صباحاً ومساءً.

(الضار النافع) أي الذي يصدر عنه النفع والضرر، فلا خير ولا شر ولا

نفع ولا ضرر إلا وهو صادر عنه منسوب إليه . وحظ العبد من الأول أن يرضى بما قضاه الله تعالى من خير وشر، وأن يكون ضاراً لمن أمر بوصول الضر إليه كالنفس والهوى وأعداء الله الكافرين .

وخاصيته أن من ذكره كل ليلة جمعة مائة مرة قرب من الحق ووقاه ما يضره من جميع الأمور، وحظ العبد من الثاني أن ينفع من أمر الله بنفعه، وأولى ذلك نفسه التي بين جنبيه إذ خيرها له وضررها عليه فينفعها بترك فضول الكلام والعزلة عن الأنام والخلوة بالملك العلام . ومن عرف أن الله هو النافع لم يرج النفع من غيره .

وخاصيته أن من أجراه على قلبه حال الجماع أحبته زوجته حباً شديداً، ومن داوم عليه حتى يغلب عليه الحلال لا يضع يده في طعام إلا وجد نفعه وسلم من ضرره .

(النور) أي الظاهر بنفسه المظهر لغيره . وحظ العبد منه أن يكون مظهراً لكل خير وهداية حسب الاستطاعة . وخاصيته تنوير قلب ذاكره وجوارحه .

(الهادي) أي مرشد العباد أمراً وتوفيقاً، فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وهدى خاصته إلى معرفة ذاته، فاطلعوا بها على معرفة مصنوعاته . وهدى عامة خلقه إلى مخلوقاته فاستشهدوا بها على معرفة ذاته وصفاته . وحظ العبد منه أنه إذا عرف أن الله هاد ومرشد، كان هادياً ومرشداً لعباد الله في مصالحيهم الدينية والدنيوية .

وخاصيته هداية قلب حامله وذاكره .

(البديع) أي المبدع وهو الآتي بما لم يسبق له مثل، أو الذي لا مثل له في ذاته ولا نظير له في صفاته . وحظ العبد منه أن يجتنب البدعة، وهي ما ليس له أصل في الكتاب والسنة وإجماع الأمة . ومن علم أن الله بديع أثره على غيره، وحسن الظن به .

وخاصيته قضاء الحوائج ودفع الجوائح، فمن قرأه سبعين ألف مرة كان له ذلك .

(الباقى) أي الدائم الوجود الذي لا يقبل الفناء . وحظ العبد منه أنه إذا

علم أن الله باق لم يعتبر شيئاً سواه في أموره كلها ولم يتحول عن طاعته بل يكون باقياً فيها في كل حال.

وخاصيته أن من ذكره ألف مرة تخلص من ضره وغمه وهمه. ومن كان متحيراً في شيء يصنعه وذكره بين المغرب والعشاء ألف مرة اهتدى لما فيه رشده.

(الوارث) أي الباقي بعد فناء الموجودات، فترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك، وهذا بالنظر العامي. وأما بالنظر الحقيقي فهو المالك على الإطلاق، من أزل الأزال إلى أبد الأباد. لم يتبدل ملكه ولا يزال. كما قيل الوارث الذي يرث بلا توريث أحد، الباقي الذي ليس لملكه أمد. وحظ العبد منه أن يكون وارثاً لما عليه الصالحون والعلماء بالتحلي بأوصاف الفريقين من أحوال وأعمال وأقوال وأن يشتغل بالباقي عن الفاني.

حكايان؛ الأولى: قال محمد بن علي رضي الله عنه: أستأذنا على عفرة فحجبتنا، فلازمتنا الباب، فلما علمت ذلك قامت وهي تقول: اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك. ثم فتحت الباب فدخلنا وسألناها الدعاء. فقالت: جعل الله قراكم المغفرة. ثم قالت: مكث عطاء أربعين سنة لا ينظر إلى السماء فحانت منه يوماً نظرة فخر مغشياً عليه. فيا ليت عفرة إذا رفعت رأسها إلى السماء لم تعص الله، ويا ليتها إذا عصت الله لم تعد.

الثانية: قال بعضهم: كانت لي جارية حبشية فمضت معي إلى السوق في حاجة، فأقعدتها في مكان، وقلت لها: اقعدي حتى أتيك. ومضت فقضيت حاجتي، ثم أتيت المكان فلم أجدها. فأتيت إلى منزلي مغضباً، فلما رأته قلت: يا سيدي لا تغضب إنك تركتني في مكان لم أجده فيه من ذكر الله، بل الكل مشغولون بغيره. فخفت أن يخسف بهم ويخسف بي معهم. فقلت لها: إن هذه الأمة قد آمنها الله من الخسف، يعني العام كما هو المنصوص. فقالت: يا سيدي إنما خفت أن يخسف بالقلوب فتزل عن الاستقامة. فقلت لها: اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى. فقالت: يا سيدي حرمتني خيراً كثيراً كنت أعبد ربي وأخدمك، فكان لي أجران والآن لي أجر واحد.

وخاصية هذا الإسم أن من أكثر من ذكره صار رئيساً في قبيلته منتظراً في عشيرته .

وقال الشيخ زروق: خاصيته زوال الحيرة فإذا ذكره متحير ألفا بين المغرب والعشاء زالت حيرته .

(الرشيد) أي الذي تنساق تدابيره إلى غايتها على سنن السداد من غير استشارة ولا إرشاد . وقيل معناه مرشد الخلق إلى مصالحهم . وحظ العبد منه أن يهتدي إلى الصواب من مقاصده في دينه وديناه، ويسكن إلى تدبيره، ويرضى بما يريده لعلمه انه العالم بمصالحه .

وخاصيته قبول العمل، فمن ذكره لذلك بعد صلاة العشاء مائة مرة قبلت أعماله .

(الصبور) أي الذي لا يعجل في مؤاخذة العصاة ومعاقبة المذنبين . وقيل هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه . والفرق بينه وبين الحليم أن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة، بخلاف الحليم . وحظ العبد منه أن يكون متلبساً بالصبر بأنواعه الأربعة وهي الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر عن فضول الدنيا والصبر على المصائب والمحن .

وخاصيته دفع البلياء فمن ذكره قبل طلوع الشمس مائة مرة لم تصبه نكبة ومن أكثر من ذكره رزقه الله الصبر الجميل والله أعلم .

خاتمة

ذكر في بعض كتب الآثار ان الله تعالى خلق ملكاً له ألف رأس، في كل رأس ألف وجه، في كل وجه ألف فم، في كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى . فقال يوماً: يا رب هل خلقت خلقاً أعبد لك مني . قال نعم خلقت رجلاً من بني آدم . فاستأذن في زيارته فأذن له، فلم يجده يزيد على الفرض . فقال: هل لك من عمل غير هذا؟ قال: نعم أذكر أسماء الله الحسنى كل يوم بعد صلاة الصبح عشر مرات اهـ .

ثم إن هذا الحديث (رواه الترمذي، وابن حبان) في صحيحه،
(وغيرهما) كالحاكم في مستدركه، والبيهقي في شعب الإيمان.

٢٦٧ - (إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد) قال الحفني: هو ما يحصل
للقلب من القسوة بسبب المعاصي. فمن أهمله استمر مظلماً. ومن أخذ في
جلائه استنار كالمرأة. وقوله صدأ بالهمز مع القصر يقال صديء يصد صدأ
من باب تعب. وأما صدى يصدي صدى فمعناه عطش. (وجلاؤها) أي من
ذلك الصدأ (الاستغفار) أي طلب غفران الذنوب من علام الغيوب. وقد ورد
أن الاستغفار ممحاة للذنوب.

وروي أن الاستغفار يأتي يوم القيامة في صورة إنسان ويقول: يا رب
حقي حقي، أي لمن لازمني. فيقال له: خذ حقك فيحتفل به، أي يحيط به
ويدخله الجنة.

لطيفة، قال الحفني: وقع أن ملكاً بنى قصرأ وزينه وأرسل إلى صنعاء
الروم وصنعاء الهند، وأمرهم بنقشه نقشاً بديعاً. فقال صنعاء الهند: اجعل
بيننا وبين صنعاء الروم حائلاً لأجل أن لا يرى أحدنا الآخر. فكلّ يجتهد في
صنعه لتتنظر الأحسن. فأمر الملك بذلك، فاجتهد صنعاء الروم في النقش،
واجتهد صنعاء الهند في جلاء الجهة المقابلة للجهة التي أخذ صنعاء الروم
في نقشها. فلما فرغ الأولون من النقش قالوا: قد فرغنا وأنتم لم تصنعوا
شيئاً. قالوا: بل كذلك نحن فرغنا. فلما أزيل الحائل ارتسمت صور الأشياء
المنقوشة في هذه الجهة لشدة جلائها وصفائها، وكالمرأة التي يرسم فيها
صور الأشياء. فانشرح الملك لذلك. قال بعض العارفين: هذا مثل يضرب
لقلب الشخص فإن كان صافياً مجلياً من كل كدر ارتسمت فيه صور المعارف
والعلوم وكان محلاً لكل خير وإلا بأن كان ملوثاً مدنساً بالمعاصي لم يقبل
شيئاً من ذلك كالمرأة التي ركبها الصدأ.

وهذا الحديث (رواه الحكيم) الترمذي، (وابن عدي) في الكامل، وهو
حديث ضعيف منجبر كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٦٨ - (إن للمسلم حقاً) وذلك الحق أنه (إذا رآه أخوه) أي في
الدين (أن يتزحزح له) أي يتنحى عن مكانه ويجلسه بجنبه إكراماً له، فيندب

ذلك . وذا قاله لما دخل عليه ﷺ بعض الصحابة فأوسع له فقال بعض الحاضرين : أن المجلس لمتسع ، فذكره .

قال الحفني : أي فينبغي أن يوسع له وإن كان في المجلس اتساع تعظيماً له ، لا سيما العلماء والصلحاء إكراماً لهم ، وولاية الأمور اتقاء لشركهم . فإنه ينبغي تعظيمهم بما يروونه تنعيماً لئلا يحقدوا عليه ويردوا شفاعته إذا سألهم شفاعته اهـ .

تمتة : ذكر الأصبهاني في الترغيب في باب قضاء الحوائج عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو : يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستتر عورته ، ويقبل عشرته ، ويقبل معذرتة ، ويرد غيبته ، ويدمغ نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مريضته ، ويشهد ميتته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافي صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حرمة ، ويقضي حاجته ، ويقبل شفاعته ، ولا يخيب مقصده ، ويشمت عطسته ، وينشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطيب كلامه ، وير أنعامه ، ويصدق أقسامه ، وينصره ظالماً يرده عن ظلمه ، ومظلوماً بإعانتة على وفاء حقه ، ويواليه ، ولا يعاديه ولا يخذله ، ولا يشتمه ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه . فلا يترك واحداً منها إلا طالبه به يوم القيامة اهـ .

وهذا الحديث (رواه البيهقي) في شعب الإيمان . وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي .

٢٦٩ - (إن لصاحب القرآن) قال الحفني أي مُلأزمه ؛ فإن صاحب الشيء الملازم له بذاته أو بهمته . والمراد هنا الثاني أي همته ملازمة تلاوته على الوجه المرضي أو المراد العامل به .

وقال العزيزي : ان لصاحب القرآن ، أي لقارئه ، حق قراءته بتلاوته وتدبر معانيه (عند كل ختمة) يختمها (دعوة مستجابة) أي إذا كانت مما لله فيه رضى (وشجرة في الجنة) أي وان له شجرة فيها يستظل بها ويأكل من ثمارها (لو أن غراباً طار من أصلها لم يتنه إلى فرعها حتى يدركه الهرم) بفتح الهاء ، أي الكبر والضعف والشيخوخة . وخص الغراب لطول عمره وشدة حرصه على

طلب مقصوده وسرعة طيرانه .

(رواه الخطيب) في تاريخه . وهو حديث صحيح لغيره كما في شرح العلامة العزيري رحمه الله تعالى .

٢٧٠ - (إن لكل شيء سناماً) قال العزيري : أي علواً ورفعة . وقال الحفني : أي شيئاً مرتفعاً ولو ارتفاعاً معنوياً كما هنا . وبين وجهه بقوله من قرأها الخ وأصل السنام صنم البعير . (وان سنام القرآن سورة البقرة) أي السورة التي ذكرت فيها البقرة (من قرأها في بيته) أي محل سكنه بيتاً أو غيره ، وذكر البيت غالبي (ليلاً) أي في ليل (لم يدخله شيطان) . قال المناوي : نكره دفعاً لتوهم إرادة إبليس وحده (ثلاث ليال) أي مدة ثلاث ليال (ومن قرأها في بيته نهراً لم يدخله شيطان ثلاثة أيام) قال الحفني : فيه إشارة إلى أنه ينبغي أن يقرأها في بيته كل ثلاثة أيام مرة ، ليكون الشيطان دائماً مطروداً في بيته .

(رواه أبو يعلى) في مسنده ، (وابن حبان) في صحيحه ، (وغيرهما) كالطبراني في الكبير ، والبيهقي في شعب الإيمان . وهو حديث صحيح كما في شرح العزيري .

٢٧١ - (إن من السنة) قال المناوي : أي الطريقة الإسلامية المحمدية (أن يخرج الرجل مع ضيفه) مشيعاً له (إلى باب الدار) إيناساً له وإكراماً لينصرف طيب النفس مشرح الصدر .

قال العزيري : زاد في رواية ويأخذ بركابه أي إن كان يركب . وكذلك كان يفعل الإمام أحمد بن حنبل بالشافعي رضي الله تعالى عنهما إذا زاره . وينشد للشافعي رضي الله تعالى عنه :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أو زرته فلفضله فالفضل في الحالين له

والمراد بالدار المحل الذي أتاه فيه داراً كان أو خلوة أو معبداً أو غير ذلك . وفي رواية إلى باب البلد ، أي ان كان من بلد آخر . والأول كاف في حصول السنة ، والثاني للأكمل ، والكلام في المؤمن .

قال المناوي: ويشبه أن المراد بالضيف ما يشمل الزائر ونحوه وإن لم يقدم له ضيافة.

فائدة: قال الحفني: تطلق السنة على ما أخذ من الأحاديث صريحاً من الأحكام التي لا يمكن أخذها من الكتاب إلا بمزيد مشقة اجتهاد واستنباط. ومن ذلك قولهم: دل على هذا الحكم الكتاب والسنة. وتطلق السنة على ما ثبت كونه مطلوباً مقابلًا للفرائض، سواء ثبت بالكتاب أو السنة أو الإجماع. ويُطلق على ما واطب عليه ﷺ، فلها ثلاث اصطلاحات، لكن في الفقه انها تطلق على ما فعله ﷺ، سواء واطب عليه أم لا. فالأول المؤكد، والثاني المستحب. فيكون اصطلاحاً رابعاً اهـ.

وهذا الحديث (رواه ابن ماجه). قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى: وإسناده ضعيف.

٢٧٢ - (إن من شر) قال الحفني: وفي رواية من أشر، وهما لغتان، (الناس عند الله) تعالى (منزلة) بفتح الميم أي رتبة (يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه) بالمباشرة والجماع (ثم ينشر سرها) أي يتكلم بما جرى بينه وبينها.

قال المناوي: والظاهر أن المرأة كالرجل فيحرم عليها إفشاء ما يجري بينهما من الاستمتاع ووصف تماثيل ذلك بقول أو فعل، كأن يقول فرجها كبير، وتقول آله كبيرة، أو سريع الإنزال أو غير ذلك مما يتعلق بالمجامعة. أما مجرد ذكر الجماع فإن لم تدع إليه حاجة فمكروه، وإن دعت إليه حاجة بأن تدعي عجزه عن الجماع وإعراضه عنها فلا كراهة.

قال الحفني: وما وقع أنه ﷺ أخبر بأن طاف على نسائه في ليلة فهو تشريع وبيان لجواز ذلك. وإن من خصوصياته ﷺ عدم وجوب القسم بين الزوجات، وإن من وقع عنه القسم فهو تبرع منه، وتحقيق للعدل.

فائدة: قال بعض أهل التصوف: نزهوا أيها الناس مجالسكم عن ذكر النساء والطعام، فإن ذكر ما يتعلق بذلك من أقبح الأشياء، إذ لا ينبغي الاعتناء بالفرج والبطن.

وهذا الحديث (رواه مسلم) رحمه الله تعالى.

٢٧٣ - (ان من موجبات المغفرة) أي للذنوب الصغائر، يعني من أسباب سترها وعدم المؤاخذة بها (بذل السلام) أي إفشاءه بين المسلمين فيسن للإنسان أن يسلم على كل من لقيه عرفه أم لا سيما الفقراء والمساكين .
وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: من كرم الرجل سلامه على من عرفه ومن لم يعرفه، (وحسن الكلام) أي لإلنته للأخوان بلا مدهانة .

فائدة: ابتداء السلام سنة، ورده واجب. ويسن للراد أن يرد عليه بأحسن من سلامه، ولا ينقصه عنه. لقوله تعالى: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها، أو ردوها.

وروي أن رجلاً قال للمصطفى ﷺ: السلام عليك. فقال: وعليك السلام ورحمة الله. وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله. فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك أي السلام ورحمة الله وبركاته. فقال الرجل: نقصتني فأين ما قال الله تعالى؟ وتلا الآية. فقال: إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله. فإن قيل ما الحكمة في كون ابتداء السلام سنة ورده فرضاً؟ فالجواب أنه لما خلق الله القلم قال: أكتب توحيدي لا إله إلا الله، ثم قال: اكتب محمد رسول الله، فلما سمع القلم اسم محمد سجد. وقال في سجوده: سبحان الموصوف بالكرم، سبحان الرؤوف الأرحم، الهي قد علمت إسمك الأعظم فماذا محمد الذي قرنت اسمه مع اسمك؟ فقال: تأدب يا قلم، فوعزتي وجلالي ما خلقت خلقي إلا لمحبة محمد. فانشق القلم من حلاوة ذكر محمد ﷺ، وقال: السلام عليك يا رسول الله، فلم يجد من يرد عليه السلام. فقال الله تعالى: وعليك السلام ورحمتي وبركاتي. فصار ابتداء السلام سنة لأنه من المخلوق، والجواب فرض لأنه من الخالق سبحانه وتعالى.

خاتمة

ورد في الحديث ان من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة. ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة.

ورود أن النبي ﷺ قال لأنس بن مالك: ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ قال: بلى. قال: متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك، وإن دخلت بيتك فسلم يكثر خيراً بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين.

وسبب حديث الباب عن هانيء بن يزيد قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، فذكره.

(رواه الطبراني في الكبير رحمه الله تعالى).

٢٧٤ - (إن من موجبات المغفرة) أي مغفرة الذنوب من علام الغيوب (ادخالك) قال المناوي: وفي رواية إدخال (السرور) أي الفرح والبشر (على أخيك المسلم) وفي رواية المؤمن بنحو بشارة بولد أو بإحسان أو بقدوم نحو صديق غائب أو إتحاق بهدية أو تفريج كرب عن نحو مصر أو إنقاذ محترم من ضرر ونحو ذلك. لأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، ومن أحبه الله غفر له.

خاتمة

نقل عن الشبلي رضي الله تعالى عنه أنه قال: خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شاباً صغير السن ناحل الجسم عليه ثياب رثة وهو جالس في الجبانة يمرغ خديه بين القبور ويرمق إلى السماء مرة بعد أخرى ويحرك شفتيه، ويهيل دموع عينيه، وهو مستغرق في الدعاء والذكر والاستغفار. فملت إليه فقصدت نحوه فهرب فتبعته فلم أصل إليه، فقلت: رفقاً يا ولي الله فقال: الله. فقلت: بحقه الا ما صبرت علي. فأشار بإصبعه لا أفعل. فقلت: إن كان ما تقول حقاً فأرني صدقك مع الله تعالى. فنادى بصوت عال: يا الله. فوقع على الأرض مغشياً عليه، فحركته فإذا هو ميت. فسرت إلى حي من العرب لتجهيزه، ثم رجعت فلم أجده فبقيت متحيراً، وقلت: حجب عني هذا الشاب، ومن سبقني إليه؟ فسمعت قائلاً يقول: يا شبلي قد كفيت أمر الفتى، وما توالاه إلا الملائكة، فعليك بعبادة ربك وأكثر من الصدقة فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يوماً في الدهر. فقلت: سألتك بالله أن تخبرني بصدقته ما هي؟ فقال: يا شبلي إن هذا الشاب كان في أول عمره عاصياً،

فرأى في المنام أن ذكره صار ثعباناً، ودار بفمه، ثم خرج من فمه لهيب النار فأحرقتة حتى صار كالفحمة السوداء، فقام فزعاً مرعوباً وخرج فاراً مشتغلاً بعبادة ربه. فأطاعه اثنتي عشرة سنة، فسأله سائل بالأمس قوت يومه. فخلع ثيابه وسلمها إليه، فخرج السائل فرحاً بذلك، وبسط كفيه ودعا له بالمغفرة، فأجاب الله دعاءه له ببركة الصدقة التي فرّحه بها اهـ.

وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الكبير.

٢٧٥ - (ان أحببتم أن يحبكم الله تعالى) قال العزيزي: أن يعاملكم معاملة المحب (ورسوله) فيشفع لكم. قال الحفني: المراد بمحبة الله رضاه وبمحبة رسوله تعطف القلب ورقته (فأدوا) الأمانة (إذا ائتمتم) عليها أي خلوا بينها وبين صاحبها إن طلبها ولا تخونوا فيها. وليس المراد وجوب حملها إلى محلها (واصدقوا إذا حدثتم) أي تجنبوا الكذب في الجد والهزل. فإن الكذب حرام وقد يكون كبيرة (وأحسنوا جوار) بكسر الجيم وضمها (من جاوركم) بكف الأذى عنه ومعاملته بالإحسان وملاطفته.

قال المناوي: وفي إفهامه ان من خان الأمانة وكذب ولم يحسن جوار جاره لا يحبه الله تعالى ولا رسوله، بل هو بغيض عندهما.

وروي أن المصطفى ﷺ نزل به أضياف فلما توضع شربوا ما فضل منه ومسحوا وجوههم بما وقع منه على الأرض. فقال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: حب الله ورسوله لعل الله ورسوله يحبنا. فقال: المرء مع من أحب إن كنتم تحبون الله ورسوله، فحافظوا على ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وحفظ الجوار، فإن أذى الجار يمحو الحسنات.

وفي الحديث: من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وأن لا يؤذي جاره. وهذا كله حث على مكارم الأخلاق، لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة كإرسال شيء من الطعام إلى الجار. فإنه إذا لم يرسل له شيئاً يحصل الأذى برائحة الطعام. وربما يكون له أطفال صغار وإذا شموها حصل لهم تشوش وشق عليه أن يشتري لهم مثله. خصوصاً إن كان فقيراً أو إن كانت أرملة. وبمثل هذه الواقعة وقعت الفرقة بين يوسف وأبيه عليهما الصلاة والسلام، كما قال

وهب بن منبه: إن الله عز وجل أوحى إلى يعقوب: أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا يا إلهي. قال: لأنك شويت عناقاً وقترت على جارك، وأكلت ولم تطعمه.

وأخرج البخاري في الأدب عن ابن عمر مرفوعاً: كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب هذا أغلق بابي دوني، فمنع معروفة. وفي رواية أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة، ويقول: يا رب سل هذا لم منعني معروفة.

وسبب هذا الحديث عن عبد الرحمن بن أبي قراد قال: كنا عند رسول الله ﷺ فدعا بطهور فغمس يده ثم توضأ فتبعناه، فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ قلنا حب الله ورسوله فذكره.

(رواه الطبراني في الكبير. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيري رحمه الله تعالى).

٢٧٦ - (إن أردت أن يلين قلبك) أي تزول قسوته فيقبل امتثال أوامر الله وينزجر بزواجه (فاطعم المسكين) المراد به ما يشمل الفقير (وامسح رأس اليتيم) أي الطفل الذي مات أبوه ذكراً كان أو أنثى من خلف إلى قدام عكس غير اليتيم، فإنك إذا فعلت به ذلك إنساناً وتلطفاً يلين قلبك ويرضى عليك ربك.

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: من مسح على رأس یتيم لم يمسه إلا لله، كان له بكل شعرة مرت عليها يده عشر حسنات. ومن أحسن إلى یتيمه أو یتيم عنده، كنت أنا وهو كهاتين في الجنة. وفرق بين السبابة والوسطى.

ومن وصية سيدي أحمد البدوي لسيدي عبد المتعال: يا عبد المتعال أشفق على الیتيم، واكس العريان، وأطعم الجيعان، وأكرم الغريب والضعفان، عسى أن تكون عند الله من المقبولين.

وسبب هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: شكا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فذكره.

(رواه الطبراني، والبيهقي) وهو حديث صحيح، كما في شرح العزيري

رحمه الله تعالى .

٢٧٧ - (إن استطعتم أن تكثروا من الاستغفار) قال العريزي : أي طلب المغفرة من الله تعالى ، بأي صيغة كانت ، والوارد أولى . ومنه ، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ، ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء لك بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (فافعلوا فإنه) أي الشأن (ليس شيء أنجح) بالنصب خبر ليس (عند الله) تعالى (ولا أحب إليه منه) .

قال المناوي : لأن الله سبحانه وتعالى يحب أسماءه وصفاته ويحب من تحلى بشيء منها ومن صفاته الغفاره .

واعلم أن الإكثار من الاستغفار يوسع الرزق ويمحق الذنوب وأقل الكثرة ثلاثمائة كما قاله الحفني .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني .

وورد أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم مرض مرضاً شديداً فرأى في النوم شاباً حسناً ، فقال له : وما يبكيك وأنا ملك الموت ولم أوامر بقبض روحك؟ فقال : تذكرت ذنوبي ، فخفت من النار . فقال له : أكتب لك براءة من النار . فقال : نعم . فكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم أستغفر الله أستغفر الله إلى أن ملأ الورقة من ذلك وأعطاهها له . فقال له : أين البراءة . فقال : أي براءة أعظم من هذه . فاستيقظ فوجد الورقة في يده مكتوباً فيها ما رأى .

هذا الحديث (رواه الحكيم) والترمذي ، وهو حديث حسن كما في شرح العريزي .

٢٧٨ - (أنا بريء ممن حلق) أي أزال شعره عند المصيبة وغير زيه إظهاراً للجزع ، (وسلق) بالسین أو الصاد أي رفع صوته بالبكاء عند المصيبة ،

أو ضرب وجهه عندها، (وخرق) أي شق ثوبه عند المصيبة، ذكراً كان أو أنثى، أي أنا خارج عن عهده، بيان النهي عن ذلك، فوباله على نفسه. أو المراد بريء من هذه الأمور لأنها محرمة من الكبائر.

قال البخلي رحمه الله تعالى: من أصيب فمزق ثوباً أو ضرب صدرأ أو نتف شعراً فكأنما أخذ رُمحاً ليقاتل به الله تعالى.

وفي رواية لأبي داوود والنسائي: ليس منا من سلق، ولا من حلق، ولا من خرق. أي ليس على طريقتنا الكاملة.

قال ابن العربي رحمه الله تعالى: كان مما تفعله الجاهلية وقوف النساء متقابلات وضربهن خدودهن، وخمشهن وجوههن، ورمي التراب على رؤوسهن، وصياحهن وحلق شعورهن، كل ذلك للحزن على الميت، فلما جاء الله بالحق على يد محمد ﷺ قال ليس منا الخ.

وهذا الحديث وأمثاله تعليم للأمة الصبر على المصائب ليكمل لها الثواب. وقد جاء أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان محتبياً في المسجد فقيل له: إن ابنك قد مات. فلم يفك حبوته، وإنما قال: جهزوه فسيلقى عمله. وهكذا شين الكامل الملاحظ لمولاه في جميع أحواله.

(رواه مسلم وغيره)، كالنسائي وابن ماجه.

٢٧٩ - (انبسطوا في النفقة) أي أكثروها وأوسعوها على الأهل والجيران والفقراء (في شهر رمضان فإن النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله) في تكثير الأجر وتكفير الوزر أي يعدل ثوابها ثواب النفقة على الجهاد. (رواه ابن أبي الدنيا) أبو بكر في فضل رمضان.

٢٨٠ - (انتظار الفرج من الله) بالصبر على المكروه وترك الشكاية (عبادة) لأن إقبال العبد على ربه في تفريج كربه وتفويض أمره إليه سبحانه وتعالى وعدم شكواه لمخلوق يدل على قوة يقينه وذلك من أعلى مراتب العبادة..

وما أحسن قول القائل:

توقع صنع ربك سوف يأتي بما تهواه من فرج قريب

ولا تيأس إذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجيب عجيب

وإذا استبطأ المؤمن الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللوم وقال لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيه خير لأجبت. فإن هذا اللوم أحب إلى الله تعالى من كثير من الطاعات لأنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل به من البلاء، وانه ليس بأهل لإجابة الدعاء. فحينئذ تسرع إليه إجابة الدعاء، ويفرج كربه. فإنه تعالى عند المنكسر قلوبهم من أجله ويوجب اليأس من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه وتعالى.

حكاية لطيفة: اتفق أن جماعة من أتباع هارون الرشيد أخبروه بأنهم قبضوا على عشرة أشخاص من قطاع الطريق. وقالوا له: انظر بماذا تأمرنا فيهم. فأمرهم أن يبعثوهم إليه، فأخذهم جماعة ومضوا بهم إلى الخليفة. فهرب واحد منهم في بعض الطريق، فحصل لهم تعب شديد، وقالوا: إن ذهبنا بالتسعة إلى الخليفة يقول إنكم أخذتم الأموال وجعلتموها مع واحد وخليتم سبيله، ويعاقبنا. ولكن دعونا نأخذ واحداً من الطريق مكانه. فبينما هم كذلك، إذ مر واحد من الحجاج فأخذوه وجعلوه مع التسعة. فلما وصلوا إلى الخليفة أمر بحبسهم في السجن فحبسهم مدة. ثم قال لهم السجنان: هل لكم أحد من الأقارب أو المعارف يشفع لكم عند الخليفة؟ قالوا، نعم. فأرسلوا إلى معارفهم فبدلوا للخليفة عن كل واحد عشرة آلاف درهم وأطلقوا محابيسهم فانطلقوا جميعاً ولم يبق إلا الحاج. فقال له السجنان: ألك شفيع؟ قال: لا، ولكن إذا كتبت مكتوباً هل توصله إلى الخليفة؟ قال: نعم. قال: فأحضر لي دواة وقرطاساً. فأحضرهما له فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل إلى الرب الجليل. أما بعد، فإن المخلوقين لهم شفعاء منهم في الجرم والجنانية فقد شفَعوا لهم عند الخليفة وأطلقهم، وأنا بقيت في السجن مفرداً. وأنت يا رب شاهدي وشفيعي وأنا عبد لم أذنب. فقال له السجنان: إنني لا أقدر على إيصال هذه إلى الخليفة. فانظر في أي موضع أضعها. فقال له: ضعها على سطح السجن. فلما وضعها طارت في الهواء إلى السماء أحد من رمية السهم عن القوس القوي. فرأى هارون تلك الليلة في منامه أن ملائكة نزلوا من السماء فأخذوه ورفعوه إلى الهواء، وقالوا: يا

هارون إن المخلوقين قد شفَعوا عندك في تسعة وأطلقتهم من السجن، وإن الخالق رب العزة يشفع عندك في واحد فأطلقه وإلا فتهلك. فاستيقظ الخليفة من منامه مرعوباً ودعا بالسجان. وقال له: من في السجن عندك؟ فذكر له القصة. فقال له: أحضره عندي. فلما أحضره بين يديه قدم له الخليفة شيئاً من الحلوى، وصار يلقيه في فمه حتى شبع وأمر بأن يحمل إلى الحمام، وأمر له بخلعة سنية وأعطاه سبعين مركوباً وسبعين غلاماً وجارية، وأمر منادياً ينادي: من استشفع بالمخلوقين يعطي عشرة آلاف وينجو، ومن استشفع بالخالق فهذا جزاؤه من هارون الرشيد.

تنبيه: إنما يكون الصبر على المكروه عبادة حيث لم يجد خلاصاً من ذلك، أما نحو الأسير إذا أمكنه الهرب لزمه ذلك. ولا يقال له اصبر وانتظر الفرج منه تعالى. وكذا نحو المحبوس على ظلم فالهرب نفسه عبادة، حيث قصد قمع الظالم ومنعه من ظلمه، قاله الحفني، (ومن رضي بالقليل من الرزق) فصبر وشكر (رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل) أي المندوب. قال العلامة المناوي: بمعنى أنه لا يعاقبه على إقلاله. من نوافل العبادات لا أنه لا يعاقبه على ترك المفروضات اهـ.

وفي هذا الحديث حث على الرضا بقليل الرزق. قال بعضهم:

خبز وماء وظل هو النعيم الأجل
جحدت نعمة ربي إن قلت إنني مقل

خاتمة

حكى أنه كان في زمن بني إسرائيل أخوان مؤمن وكافر، وكانا صيادين في البحر. فكان الكافر يسجد للصنم، ثم يطرح شبكته في البحر فتمتليء من السمك حتى يثقل عليه إخراجها. وكان المؤمن يطرح شبكته فيقع فيها سمكة واحدة، وهو حامد لله شاكر له صابر لقضائه وقدره. فصعدت امرأته يوماً على سطح بيتها، فنظرت إلى امرأة أخي زوجها الكافر مزينة بالحلي والحلل؛ فاشتغل قلبها ووسوس لها الشيطان. فقالت امرأة الكافر: قولي لزوجك يعبد إله زوجي حتى يصير لك مثل ما لي، فنزلت وهي مغمومة، فدخل عليها زوجها المؤمن فوجدها متغيرة اللون فقال لها: ما شأنك؟ فقالت

له: إما تطلقني وإما تعبد إله أخيك. فقال لها: يا أمة الله، أما تخافين الله؟
 أتكفرين بعد إيمانك؟ فقالت له: لا تكثر الكلام عليّ، ولا أكون عريانة
 وغيري بالحلي والحلل. فلما رأى منها الجِد في قولها، قال لها: لا تجزعي
 وفي غد إن شاء الله تعالى أمضي إلى دار الفعلة، أعمل كل يوم بدرهمين
 أدفعهما لك لتصلحي بهما شأنك فرضيت بذلك، وسكن ما بها. ثم بكر
 الرجل إلى دار الفعلة، وجلس بينهم فلم يأخذه أحد، فلما أيس ممن
 يستعمله مضى إلى ساحل البحر وعبد الله إلى الليل. ثم انصرف إلى منزله
 فقالت له زوجته: أين كنت؟ فقال: كنت عند الملك، وقد واعدني وشارطني
 على أحد وثلاثين يوماً، ويعطيني ما أريد فصدقته. فصار يمضي كل يوم إلى
 موضعه، ويعبد الله تعالى، حتى جاءت ليلة الثلاثين. فقالت له زوجته: إن
 لم تأتني في غد بالكراء فطلقني. فخرج الرجل وهو خائف من ذلك فوجد
 يهودياً فقال له: أنت تشتغل؟ قال: نعم. فشارطه على أن لا يأكل عنده شيئاً
 فصام ذلك اليوم، فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن اجعل تسعة وعشرين ديناراً
 في طبق من نور، وامض بها إلى زوجة المؤمن، فأوصلها إليها. وقل لها: أنا
 رسول الملك إليك، وهو يقول لك: كان زوجك في عملنا فما تركناه حتى
 تركنا، ومضى مع يهودي. وهذا النقص بسبب ذلك ولو زاد لزدناه. فأوصلها
 إليها وبلغها الرسالة. ثم انها أخذت ديناراً من ذلك ومضت به إلى السوق
 فأوصلوها فيه ألف درهم. لأنه مكتوب عليه لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
 فلما أتى الرجل منزله قالت له زوجته: أين كنت يا هذا؟ قال: كنت في عمل
 رجل يهودي. فقالت: يا مسكين، كيف تترك خدمة الملك وتخدم غيره؟
 وأخبرته بما جرى، فبكى حتى غشي عليه، فلما أفاق قال لها: خدمته ولم
 ألزم حق عبوديته. ثم فارقتها وسار إلى أطراف الجبال، وعبد الله تعالى حتى
 مات فرحمة الله تعالى عليه.

وهذا الحديث (رواه ابن أبي الدنيا) أبو بكر في كتاب الفرج بعد
 الشدة، وابن عساكر في التاريخ. قال العريزي رحمه الله تعالى: بإسناد
 ضعيف.

٢٨١ - (انصر أخاك) في الدين (ظالماً) بمنعه من الظلم من تسمية
 الشيء بما يؤول إليه وهو من وجيز البلاغة (أو مظلوماً) بإعانتة على ظالمه

وتخليصه منه، (قيل) قال المناوي: يعني قال أنس (كيف أنصره ظالماً) يا رسول الله (قال: تحجزه عن الظلم) أي تمنعه منه، وتحول بينه وبينه. (فإن ذلك) أي منعه منه (نصره) أي نصرك إياه.

(رواه البخاري وغيره) كالإمام أحمد، والترمذي.

٢٨٢ - (انظروا إلى من هو أسفل منكم) قال الحفني: أي في أمور الدنيا، إما في الدين فيطلب النظر لمن فوقه ليلحقه أو يفوقه. وقوله أسفل بالرفع على الخبرية، أي هو نفس الأسفل بمعنى رتبته منحنطة، فهي نفس الأسفل. والظاهر صحة النصب أيضاً (ولا تنظروا إلى من هو فوقكم) أي في أمور الدنيا (فهو) أي النظر إلى من هو أسفل دون من هو فوق (أجدر) أي حقيق (أن لا تزدروا) أي تحتقروا (نعمة الله عليكم) فإن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه من ذلك، واستصغر ما عنده من نعم الله تعالى، وحرص على الإزدياد ليلحقه أو يقاربه. وإذا نظر لمن هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى فشكرها وتواضع وفعل ما فيه الخير. فينبغي للإنسان أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين.

وقد روي: إياكم ومجالسة الموتى. قيل: ومن الموتى يا رسول الله؟ قال: الأغنياء.

وقال ﷺ: لا تغبطن فاجراً بنعمة، فإنك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت، فإن من ورائه طالباً حثيثاً.

وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء، وثلاثة للنساء، وواحد للفقراء والمساكين.

وكان النبي ﷺ يقول: اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين.

وقال كعب الأحبار: كان سليمان عليه السلام إذا دخل المسجد فرأى مسكيناً جلس إليه، وقال: مسكين جلس مسكيناً.

وقيل: ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين.

وقال كعب الأحبار: ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين .

وقال الفضيل: بلغني أن نبياً من الأنبياء قال: يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني . فقال: انظر كيف رضا المساكين عنك .

وروي أن موسى عليه السلام قال: إلهي أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم . فإذا تأمل العاقل ذلك كره الغنى فضلاً عن أن ينظر إلى أهله، وتمنى أن يكون مسكيناً .

وهذا الحديث (رواه مسلم وغيره)، كالإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه .

٢٨٣ - (أنعم على نفسك) أي بالإنفاق عليها مما آتاك الله من غير إسراف ولا تقتير (كما أنعم الله عليك) فإن وسع عليك فأوسع، وإن أمسك فأمسك، ولا يمنعك من ذلك خوف الفقر فإن الحرص لا يزيل الفقر، والإنفاق لا يورثه كل حريص فقير ولو ملك الدنيا . وكل قانع غني، وإن كان صفر اليبدين . ومن حق من كان عبد الغني أن يتحقق أنه غني بغنى سيده . ففي الإمساك خوف الفقر إباق العبد عن ربه .

وقال الغزالي: قال سفيان: ليس للشيطان سلاح كخوف الفقر، فإذا قيل ذلك منه أخذ بالباطل، ومنع من الحق وتكلم بالهوى . وظن بربه ظن السوء .

وورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: يا زبير إني رسول الله إلى الناس عامة، وإليك خاصة . أتدري ماذا قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر إلى خلقه؟ قال: عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم . وأرزاقكم بيدي، فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم، فاطلبوا مني أرزاقكم، وإليّ فارفعوا حوائجكم . انصبوا إليّ أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم . أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال عبيد أنفق أنفق عليك، ووسّع أوسع عليك، ولا تضيق فأضيق عليك . إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سموات متواصل إلى العرش لا يغلق لا في ليل ولا في نهار ينزل الله من الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته، وصدقته ونفقته . من أكثر أكثر الله له، ومن أقل أقل الله له . يا زبير إن الله

يحب الإنفاق ويبغض الاقتار، وأن السخاء من اليقين والبخل من الشك، ولا يدخل النار من أيقن، ولا يدخل الجنة من شك. يا زبير إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمر، ويحب الشجاعة ولو بقتل حية أو عقرب.

وهذا الحديث (رواه ابن النجار) في التاريخ، وهو حديث حسن لغيره كما في شرح العزيمي.

٢٨٤ - (ألا) بفتح الهمزة والتخفيف حرف افتتاح معناه التنبيه (أحدثكم بما يدخلكم) أي بالذي يكون سبباً لدخولكم (الجنة)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، حدثنا. قال: (ضرب بالسيف) أي قتال به. قال العزيمي: والمراد الجهاد في سبيل الله لأجل إعلاء كلمة الله تعالى اهـ.

وقد جاء في فضله أحاديث وحكايات كثيرة: رُوي عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: إن الغزاة إذا هموا بالغزو كتب لهم براءة من النار، فإذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم ملائكته، فإذا ودّعهم أهلهم بكت عليهم الحيطان والبيوت. ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله بكل رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعمل حسنة إلا ضعفت له ويكتب له بكل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً. اليوم مثل عمر الدنيا، فإذا صاروا بحضرة العدو انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم، فإذا برزوا لعدوهم وشرعت الأسنة وفوقت السهام، وتقدم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها ويدعون الله لهم بالنصر والتثبيت. ونادى مناد الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الضربة والطعنة على الشهيد أهنيء من الماء البارد في اليوم الصائف. فإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله تعالى زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويقول الله تعالى: أنا خليفته على أهله، من أرضاهم فقد أرضاني، ومن أسخطهم فقد أسخطني. ويجعل الله تعالى روحه في حواصل طير تسرح في الجنة حيث شاء تآكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش. ويُعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سمك كل

غرفة، كما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين، في كل غرفة سبعون خيمة، في كل خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمه الدر والزبرجد، على كل سرير أربعون فراشاً، غلظ كل فراش أربعون ذراعاً على كل فراش زوجة من الحور العين عرباً أي عاشقات لأزواجهن أتراباً، أي على سن واحد، لها سبعون ألف وصيف، وسبعون ألف وصيفة، صُفر الحلي، بيض الوجوه، عليهم تيجان اللؤلؤ، وعلى رقابهم المناديل، وبأيديهم الأكواب والأباريق. فإذا كان يوم القيامة فولدني نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى يأتوا موائد من الجوهر فيقعدون عليها، ويشفع الرجل منهم في سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرانه حتى أن الرجلين ليختصمان أيهم أقرب جوار. فيقعدون معي ومع إبراهيم على مائدة الخلد وينظرون إلى الله تعالى كل يوم بكرة وعشيا.

وعن النبي ﷺ قال: من رمى بسهم في سبيل الله، كان له نوراً يوم القيامة. وفي رواية كان كمن اعتق رقبة.

وحُكي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه أنه قال: خرجنا للجهاد فقرأ رجل: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، الآية. فقام غلام وقال: قد بعثت نفسي ومالي لله بأن لي الجنة. فلما وصلنا بلاد الروم، وإذا به يقول: واشوقاه إلى العيناء المرضية. فقلنا: لعله أصيب في عقله. ثم سألته عن العيناء. فقال: كنت نائماً، فقبل اذهب إلى العيناء، فرأيت روضة خضراء فيها نهر من ماء غير آسن أي غير متغير عليه حور كالأقمار. فقلن: أهلاً وسهلاً بزواج العيناء. فقلت: أفيكن العيناء؟ فقلن: لا نحن خدمها، امض أمامك. فرأيت نهراً من لبن لم يتغير طعمه، عليه حور كالكوكب. فقلن: أهلاً وسهلاً بزواج العيناء. فقلت: أهي فيكن؟ فقلن: لا نحن خدمها إمض أمامك. فرأيت خيمة بيضاء، وعلى بابها جارية ما رأيت أحسن منها، فضحكت وقالت: أيتها العيناء، قد جاء زوجك. فدخلت الخيمة فرأيت العيناء على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت. فقالت: مرحباً يا ولي الله، أبشر فإنك في هذه الليلة تفطر عندنا، فاستيقظت. قال عبد الواحد: فقاتل في ذلك اليوم حتى قتل.

وحُكي عن بعض الصالحين أنه قال: كنت طائفاً بالبيت، وإذا رجل

ساجد وهو يقول: ماذا فعلت يا سيدي في عبدك المحروم؟ وكلما مررت عليه أسمعته يقول ذلك. فلما فرغت من الطواف، وفرغ من سجوده. سألته عن ذلك. فقال لي: اعلم إننا كنا في بلاد الروم نغير عليهم في قلاعهم، فجمع صاحب جيشنا جمعاً كثيراً وخرج إلى بلادهم. فاختار صاحب الجيش منا عشرة فرسان وأنا منهم وبعثنا طليعة فأتينا مفازة فرأينا نحو الستين كافراً ثم نظرنا إلى مفازة أخرى، فإذا نحو ستمائة. فرجعنا إلى صاحب جيشنا، فأخبرناه. فبعث إليهم جيشاً من المسلمين فأخذوهم جميعاً. فقال لنا صاحبنا: إنكم مباركون فاخرجوا طليعة في الليل على العادة. فخرجنا، فوقعنا في ألف فارس. فأخذونا جميعاً أسرى، ثم قدموا بنا إلى ملك الروم. فأمر بحبسنا ثم بلغه أن المسلمين قتلوا أسراهم، وفيهم ابن عم الملك. فاغتم بذلك غمّاً عظيماً ثم أمر بقتلنا. فعصبوا أعيننا، فقال الواقف على رأس الملك: إن في عصب أعينهم تخفيفاً عليهم، فاكشف عن أعينهم لينظروا عذاب بعضهم. فهو أشد عليهم. فكشفوا عن أعيننا، فظرت إلى الواقف عليّ، وهو لابس الديباج مكللاً بالذهب. كان رجلاً مسلماً عندنا، فارتد ولحق بدار الكفر، فلم أقدر أن أكلمه، ثم نظرنا إلى جهة السماء فرأينا عشر جوار مع كل واحدة منديل وطبق، وفوقهم عشرة أبواب مفتحة من السماء فبدأ السيف في قتلنا واحداً بعد واحد، فصار كلما قتل واحداً منا تنزل إليه جاريته فتأخذ روحه وتلفها في المنديل وتضمها على الطبق وتتصد بها من باب من تلك الأبواب، وكنت أنا في آخرهم فلما انتهى الأمر إليّ تقدمت جاريتي إليّ لتفعل بروحي كما فعل أصحابها، فلما أراد السيف قتلي قال الواقف على رأس الملك: أيها الملك إذا قتلتهم جميعاً فمن يخبر المسلمين بقتلهم؟ فاترك هذا ليخبر المسلمين، فتركتني من القتل فولت الجارية عني وهي تقول: محروم محروم، فلذلك أتضرع هنا وأقول: يا رب ماذا صنعت في أمر المحروم فقال لي: لا تيأس ففضل الله كبير.

وحكي أنه لما حاصر النبي ﷺ خيبر جاءه عبد أسود فقال: يا رسول الله أعرض عليّ الإسلام فأسلم ثم قاتل مع المسلمين حتى قتل، فأتوا به إلى النبي ﷺ فأعرض عنه، فقيل له: يا رسول الله ولم أعرضت عنه؟ قال: لأن معه زوجته من الحور العين تنفض التراب عن وجهه وتقول: ترب الله وجه

من ترَّب وجهك وقتل من قتلك .

ومن كرامة الشهداء ما ذكره العلامة القليوبي في بعض مؤلفاته بقوله :
حكى أن هارون الرشيد سأل محمداً البطال عن أعجب ما وقع له في بلاد
الروم، فقال: كنت يوماً في مرج من مروجها ماشياً والبرنس على رأسي وأنا
مطرق، فسمعت خلفي حوافر الدواب فالتفت فإذا بفارس شاكي السلاح
وبيده رمح فدنا مني وسلم علي فرددت عليه السلام فقال لي: هل رأيت رجلاً
يقال له بطال؟ فقلت له: هو أنا بطال. فنزل عن فرسه وعانقني وقبل رجلي.
فقلت له: لماذا تفعل هذا؟ فقال جئت لأخدمك فدعوت له. فبينما نحن كذلك
إذ أقبل علينا أربعة فرسان. فقال صاحبي: أتأذن لي أن أخرج إليهم؟ فقلت
له: نعم. فتطاردوا ساعة ثم قتلوه وأقبلوا إلي وحملوا علي. فقلت لهم: إن
أردتم محاربتني فامهلوني حتى أتسلح بسلاح صاحبي وأركب دابته. فقالوا:
لك ذلك. فلبست السلاح وركبت الدابة، ثم قلت: أنتم أربعة وأنا واحد
وهذا ليس بإنصاف فليخرج لي واحد منكم، فخرج واحد منهم، فقتلته يا أمير
المؤمنين، ثم الثاني فقتلته، ثم الثالث فقتلته، ثم خرج الرابع فما زلنا نتطارد
بالرماح حتى انكسر رمحي ورمحه. فنزلنا عن دوابنا وأخذ ترسه وسيفه،
وأخذت ترسي وسيفي فما زلنا نتطارد حتى انكسر ترسي وترسه، وانقطعت
ذؤابة سيفي وسيفه وسقطت أسيافنا على الأرض، ثم تصارعنا حتى أمسينا
وغربت الشمس فلم يقدر علي ولم أقدر عليه. فقلت له: يا هذا قد فاتتني
الصلاة في ديني اليوم، فقال وأنا كذلك، وكان أسقفاً. قلت: فهل لك أن تنصرف
حتى نقضي فوائتنا ونستريح الليلة فإذا أصبحنا عدنا إلى قتالنا؟ فقال لي: لك
ذلك، فوحدت الله تعالى وقضيت صلاتي وفعل هو ما فعل، فلما كان عند
الرقاد قال لي: إنكم معشر العرب فيكم الغدر وفي أذني جلجلتان أعلق
أحدهما في أذنك وتضع رأسك علي فإن تحركت صلصلت جلجلتك
فأستيقظ، فقلت له: افعل ذلك. فبتنا على تلك الحالة.

فلما أصبحنا، وحدت الله تعالى ثم صليت فرضي ثم اصطرعنا فصرعته
وقعدت على صدره، وأردت أن أذبجه، فقال: اعف عني هذه المرة. فقلت:
لك ذلك، ثم اصطرعنا ثانياً فزلقت رجلي فصرعني وقعد علي صدري وهم
بذبجي، فقلت: أنا عفوت عنك أفلا تعفو عني؟ فقال: لك ذلك. ثم

تصارعنا ثالثاً وقد انكسر قلبي فصرعني وقعد على صدري، فقلت له: واحدة بواحدة فتفضل بهذه المرة. فقال: لك ذلك وتصارعنا رابعاً فصرعني وقال: لقد عرفت الآن انك بطال لأذبحنك وأريحن أرض الروم منك. قلت: كلا إن شاء ربي. فقال: سل ربك أن يمنعي عنك، ورفع الخنجر ليذبحني به، فقام صاحبي المقتول يا أمير المؤمنين، ورفع سيفاً وضرب رأسه وقرأ: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً. الآية.

(وإطعام الضيف) لوجه الله تعالى لا لرياء وسمعة كما يفعله كثير الآن.

فائدة: أخرج الحافظ أبو علي الهمداني عن علي بن أبي طالب قال: أضافني رسول الله ﷺ على الأسودين التمر والماء، ثم قال: من أضاف مؤمناً فكأنما أضاف آدم، ومن أضاف مؤمنين فكأنما أضاف آدم وحواء، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومن أضاف أربعة فكأنما أضاف قراء التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة فكأنما صلى الصلوات الخمس في الجماعة، من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف سبعة غلقت عنه سبعة أبواب جهنم، ومن أضاف ثمانية فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن أضاف تسعة كتب الله له حسنات بعدد من عصاه من يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب الله له أجر من صلى وصام وحج واعتمر إلى يوم القيامة.

وفي الحديث: من قبل أن ينزل الضيف بأهل المنزل بأربعين يوماً يبعث الله إليهم ملكاً في صورة طير أبيض له جناحان يجاوزان المشرق والمغرب فيقف عند عتبة بابهم ثم ينادي: يا أهل المنزل، يسمعه جميع من حضر إلا الثقلين، فلا يجيبه أحد ثم ينادي الثانية والثالثة، فيجيبه جبريل ما تريد بأهل المنزل؟ فيقول: يا جبريل بعثني الله إليهم أبشرهم بأن فلاناً ضيفهم يوم كذا في ساعة كذا، وهذا رزقه معي من الجنة ومعه ورقة مختومة في منقاره. فيقول جبريل: ما هذه الورقة؟ فيقول: فيها براءة لهم من النار. فيدفعها إلى جبريل فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله الواحد القهار لفلان ابن فلان من النار، فيتهلل وجه جبريل فرحاً لأمة محمد، فيقول الملك: يا

جيريل أيسرك هذا؟ فيقول: أي والذي نفسي بيده. فيقول الملك: ألا أزيدك سروراً إن الله قد بعثني أكتب لهم الحسنات وأحط عنهم السيئات وأرفع لهم الدرجات حتى ينزل ضيفهم فيأكل رزقه ويرتحل. فإذا ارتحل نظر الله تعالى إليهم نظرة فيغفر لحيهم وميتهم وشاهدتهم وغائبهم وصغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وحرهم وعبدتهم.

(واهتمام بمواقيت الصلاة)، أي بدخول أوقاتها. قال الحفني: بأن يراقب دخول الوقت بعد تطهره ليوقع الصلاة أول وقتها. (وإسباغ الطهور)، بضم الطاء، أي إكمال الوضوء أو الغسل بأن يأتي بالواجبات والمندوبات. (في الليلة القرة) بفتح القاف وشدة الراء أي الشديدة الباردة، قال العريزي: ومحل هذا عند الشافعي عند العجز عن تسخين الماء فإن قدر على التسخين فلا ثواب في ذلك لكراهته عنده. (وإطعام الطعام على) أي مع (حبه) أي الطعام أي لشهوته أو عزته لقلته أو لأجل حبه تعالى.

حكايتان؛ الأولى: روي أنه حصل لسيدنا علي بن أبي طالب ولأهله جوع فأخذ من يهودي صوفاً لتغزله السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها بثلاثة أصع من شعير. فغزلت أول يوم شيئاً منه وطحنت صاعاً وخبزته، فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا مسكين من مساكين أمة محمد ﷺ أطمعوني شيئاً لله؟ فدفعوا إليه الأقراص. وفي اليوم الثاني جاءهم يتيم وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا يتيم من أيتام أمة محمد ﷺ أطمعوني شيئاً لله؟ فدفعوا إليه الأقراص. وفي اليوم الثالث جاءهم أسير وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا أسير من أمة محمد ﷺ أطمعوني شيئاً لله؟ فدفعوا إليه الأقراص، وأخبره بذلك فطاف على نسائه فلم يجد شيئاً، ثم جاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه يشتكي الجوع فقيل: يا رسول الله إن المقداد بن الأسود عنده تمر. فخرجوا إليه فلم يجدوا شيئاً. فقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: خذ هذه السلة اذهب إلى تلك النخلة وقل لها إن محمداً ﷺ يقول لك أطمعينا من ثمرك. فرمت عليهم رطباً بإذن الله تعالى فأكلوا حتى شبعوا وأرسلوا إلى فاطمة ولديها ما أشبعهم. فأنزل الله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

الثانية: اتفق أن رجلاً فقيراً مكث هو وزوجته وأولاده ثلاثة أيام لم يطعموا طعاماً فقالت له امرأته: يا هذا أما ترى هؤلاء الأولاد قد اصفرت منهم الوجوه وذابت الأكياد وليس لهم صبر ولا قوّة مثلنا. فقال لها: والله لقد طفت على من يستأجرني بدانقين فلم أجد أحداً، وإن النار في كبدي لأجلهم فقالت له: خذ قناعي هذا فبعه بما يكون واشتر بثمانه لهم ما يأكلون. فأخذ القناع فباعه بدرهمين على التمام وسار لشراء الطعام، فسمع في طريقه رجلاً يقول: أكرموني لوجه الله ولمحبة رسول الله ﷺ يا من يقرض الله الغني فوالله ما معي من الدنيا شيء. فقال له: خذ هذين الدرهمين لوجه الله ومحبة في رسول الله. ثم استحى من زوجته أن يعود إليها بلا طعام خشية أن تؤذيه بفظيح الكلام، فمضى إلى المسجد للصلاة متفكراً فيما فعله، فلما أقبل الليل مضى إلى زوجته وأولاده وقد فات زمن ميعاده فقالت له امرأته: ما فعلت بالقناع وقد تركت أولادنا وهم جياع؟ فأخبرها بما جرى له من أعماله وعن السائل وإجابة سؤاله فقالت له: إن كنت عاملته فهو غني ملي وفي ونعم ما فعلت مع الملك العلي. ثم قالت له: خذ هذا العدل تماماً فبعه واشتر لنا به طعاماً فطاف به فلم يشتره أحد فحصل له بذلك غاية النكد فأراد العود به إليها وإذا بصياد معه سمكة عظيمة يدل عليها فقال له: يا أخي خذ الذي كسد إليك وأعطني هذه التي كسدت عليك، فقبل الصيد منه ما قال ودفع له السمكة في الحال. فأتى زوجته بها فلما رأتها ظهر في وجهها أثر البهاء فبادرت بشق جوفها فرأت فيه ذخيرة لم تعرفها فأخذها زوجها وذهب بها إلى التجار فلما رأوها قالوا هذه ليست من الأحجار وإنما هي جوهرة يتيمة لا تعادل بمال ولا تقوم بقيمة وتغالوا فيها بالقيم فبلغت أربعة عشر ألف درهم فباعها بذلك المقدار ودخل به على زوجته بتلك الدار ففرحوا بذلك كل الفرح وزال عنهم الهم والترح وإذا بسائل على الباب يقول: يا أهل الله أعطوني مما أعطاكم الله، فخرج إليه عاجلاً وقال له: كلنا لنا النصف ولك وحدك النصف كاملاً، فإن كان ذلك يرضيك وإلا فنحن نزيدك ونعطيك. فقال قد رضيت. وذهب ليأتي بجمل ليحمل عليه فلم يعد فصار ينتظر عوده إليه فنام الرجل. فرآه في النوم فسأله عن ذلك فقال له: يا هذا ما أنا بسائل أنا ملك. أرسلني الله إليك ليعلم صبرك فيما آتاك. وأبشرك بأن الله قد قبل منك الدرهمين وأعطاك بدلتهما هذه الدراهم

وأعد لك في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأنك عاملته مخلصاً لوجهه الكريم وهو لا يخيب من عامله. وقد قال في بعض كتبه المنزلة على أنبيائه المرسله: لو لم أسلط ثلاثاً على ثلاث لم ينتظم أمر الدنيا، فسلطت الصبر على قلب المصاب ولولاه لمات جزعاً. وسلطت الرائحة على الميت ولولاها ما دفن ميت أبداً. وسلطت السوس على البر ولولاه لكنزه الملوك كالذهب والفضة فأنا الفعال لما أريد وأنا الملك الكريم المجيد والله تعالى أعلم. وهذا الحديث (رواه ابن عساكر) في التاريخ وهو حديث ضعيف منجبر كما في شرح العزيزي.

٢٨٥ - (ألا أخبركم بشيء) قال الحفني أي بدعاء بدليل ما بعده وإطلاق الدعاء على لا إله إلا أنت الخ مع أنه ذكر لكون المقصود منه الدعاء فهو ذكر متضمن للدعاء بقرينة المقام اهـ. (إذا نزل برجل)، يعني إنساناً (منكم كرب) أي مشقة وجهد (أو بلاء) بالفتح والمد أي محنة (من أمر الدنيا دعابه) الله تعالى (فيفرج عنه) أي يكشف ما به. قالوا بلى أخبرنا قال: (دعاء ذي النون)، أي صاحب الحوت وهو يونس بن متى عليه الصلاة والسلام حين التقمه الحوت فنادى في الظلمات أن (لا إله) أي لا معبود بحق (إلا أنت سبحانك) أن يعجزك شيء (إني كنت من الظالمين)، أي المجاوزين الحد حيث لم أنتظر الإذن بالانتقال عن قومي بل بادرت بالمهاجرة عنهم قبل أن أوامر. أي كنت فيما مضى أما الآن فأنا تائب. وهذا وإن كان ليس ظلماً لكنه منزل منزلته فأخذه بحسب مقامه فجعل في ثلاث ظلمات ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة جوف الحوت، فمكث ساعات وقيل أياماً ثم فرج الله تعالى عنه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس مرفوعاً أن يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة: يا رب هذا صوت معروف من بلاد غربية. فقال الله عز وجل: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: ومن هو؟ قال: عبدي يونس. قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة. قال: نعم. قالوا: يا رب أفلا ترحم من كان يصنع في حال الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى، فأمر الله الحوت فطرحه بالعراء أي بوجه الأرض الخالية من الشجر أي بالساحل.

تنبه: قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: وإنما كان هذا الدعاء منجياً من الكرب والبلاء لإقرار الإنسان فيه على نفسه الظلم. قال الحسن: ما نجى يونس والله إلا الإقرار على نفسه بالظلم اهـ. واعلم أنه قد ورد في فضله أحاديث كثيرة غير هذا الحديث منها ما يخرجها الحاكم عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: هل أدلكم على اسم الله الأعظم، دعاء يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فأیما مسلم دعا به في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برىء برىء مغفوراً له وروى ابن عباس عنه ﷺ أنه قال: لقد كان دعاء أخي يونس عجباً أوله تهليل وأوسطه تسييح وآخره إقرار بالذنب لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين، ما دعا به مهموم ولا مغموم ولا مكروب ولا مديون ثلاث مرات إلا استجيب له. وروى الشيخان أنه ﷺ قال: دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يضرع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. وقال سيد محمد القزويني: من قرأ دعوة ذي النون أربعين مرة مع الإخلاص تقضى جميع حاجاته. وقال القشيري: يتوضأ وضواً جديداً ثم يصلي أربع ركعات بتشهدين وسلامين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشداً عشراً، وفي الثانية بعد الفاتحة رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري الآية عشراً، وفي الثالثة بعد الفاتحة فستذكرون ما أقول لكم إلى آخر الآية عشراً، وفي الرابعة بعد الفاتحة ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير عشراً ثم يسجد بعد الفراغ ويقول في سجوده: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم. وكذلك ننجي المؤمنين، إحدى وأربعين مرة، ثم يسأل الله حاجته فإنها تقضى بإذن الله تعالى اهـ. (رواه ابن أبي الدنيا) أبو بكر في كتاب الفرج بعد الشدة. (والحاكم) في مستدرکه وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي.

٢٨٦ - (ألا أخبركم بسورة ملاً عظمتها) قال العزيزي، أي عظمة الثواب الحاصل لقارئها (ما بين السماء والأرض ولكاتبها) في مصحف أو لوح أو تميمه أو غيرها (من الأجر مثل ذلك) أي ثواب عظيم يملأ ما بين السماء والأرض لو جسم (ومن قرأها يوم الجمعة غفر له) قال الحفني: أي زيادة

على الثواب الذي يملأ ما تقدم (ما بينه وبين الجمعة الأخرى) أي الصغائر الواقعة منه من يوم الجمعة إلى الجمعة التي بعدها (وزيادة) قال الحفني بالرفع عطفاً على نائب الفاعل الذي هو ما أي غفر له ذنوب ما بينه وبين الخ وغفر له ذنوب زيادة، (ثلاثة أيام ومن قرأ) الآيات (الخمس الأواخر منها) من أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخرها (عند نومه) أي عند إرادته النوم (بعنه الله) أي أيقظه (أي الليل) أي من أيه (شاء) قالوا: بلى أخبرنا بها. قال: هي (سورة أصحاب الكهف. رواه ابن مردويه) في تفسيره، ورواه أيضاً أبو الشيخ وابن جرير وأبو نعيم والديلمي وغيرهم، وهو حديث ضعيف كما في شرح العزيمي رحمه الله تعالى.

٢٨٧ - (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا) أي من صحف الملائكة أو هو كناية عن الغفران والمراد الخطايا الصغائر (ويرفع به الدرجات) أي المنازل في الجنة أو المراد رفع درجته في الدنيا بالذكر الجميل وفي العقبى بالثواب الجزيل، (إسباغ الوضوء) قال الحفني: أي إتمامه بفروضة، أو بفروضه ومندوباته (على المكاره) كأن كان الماء بارداً ولم يجد ما يسخنه به، أو كان به مرض خفيف فتوضأ مع حصول مشقة لطيفة فلا ينافي قول الفقهاء يكره شديد البرودة والسخونة. (وكثرة الخطا) جمع خطوة بالضم ما بين القدمين وإذا فتحت تكون للمرة (إلى المساجد) للصلاة ونحوها.

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: وكثرتها أعم من كونها بعد الدار وكثرة التكرار (وانتظر الصلاة بعد الصلاة)، قال الحفني بأن يتعلق قلبه بالصلاة الآتية كالعصر بعد الظهر فيصير مشتغلاً بها حتى يصل إليها، أو المراد أنه يستمر في المسجد حتى يأتي وقت الصلاة الأخرى فيصل إليها حيث لم يعرض له مهم وقوله (فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط) أي مثل الرباط للجهاد، لأن ذلك جهاد للنفس. ولما كان قد يتوهم عدم لحوق ذلك لجهاد الكفار، أكدته بالتكرار تنبيهاً على أنه جدير بذلك اهـ. قال العزيمي: وذكره ثلاثاً أما لأنه كان عادته تكرر الكلام المهم ثلاثاً ليفهم عنه، أو لأن الأعمال المأكورة في الحديث ثلاث. (رواه مسلم وغيره) كمالك وأحمد والترمذي والنسائي.

٢٨٨ - (ألا أرقيك) بفتح الهمزة، والخطاب لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه (برقية) أي أعوذك بتعويدة (رقاني بها جبريل) أي وعلمنيها وأنا أرقيك بها وأعلمها لك (تقول: بسم الله أرقيك والله يشفيك) قال المناوي لفظه خبر والمراد به الدعاء (من كل داء) بالمد أي مرض (يأتيك من شر النفاثات) قال الحفني: صفة لمحذوف أي النفوس أو الجماعات النفاثات (في العقد) أي اللاتي يعقدون عقداً في خيوط على اسم المسحور وينفثن عليها، (ومن شر حاسد) أي متمن زوال النعمة (إذا حسد) أي أظهر حسده بالتسبب في زوال نعمته، كأن تسبب في نهب ماله أما إذا لم يتسبب في زوال النعمة فحسده ضرره قاصر عليه لا يحتاج إلى التعوذ منه، والحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء من إبليس، وفي الأرض من قابيل. (ترقي بها) أي كل مريض (ثلاث مرات) فإنها تنفع من كل داء إن صاحبها إخلاص وصدق نية قوة توكل، وفيه أن ذلك لم يكن مخصوصاً بالنبى ﷺ وأصحابه فتأكد المحافظة على ذلك، واعلم أن العلماء رحمهم الله تعالى أجمعوا على جواز الرقية بشروط ثلاثة أن تكون بكلامه تعالى أو أسمائه أو صفاته، وأن تكون بالعربي أو بما يعرف معناه فلا تجوز بما جهل معناه لئلا يكون من كلام أهل الشرك. وأن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها بل بتقديره تعالى.

وسبب هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء النبي ﷺ يعودني فذكره. (رواه ابن ماجه والحاكم) في مستدركه. وهو حديث صحيح كما في شرح العزيزي رحمه الله تعالى.

٢٨٩ - (ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل صبر) قال المناوي بإسقاط الباء جبل طيء وأما بإثباتها فجبل باليمن والمراد هنا الأول ذكره ابن الأثير، لكن وقفت على نسخة المؤلف بخطه فرأيته كتبها صبيراً بالباء وضبطها بفتح الصاد اهـ. (دينا) بفتح الدال والنصب على التمييز (أداه الله عنك) أي أعانك على أدائه إلى مستحقه وأنقذك من مذلتة، (قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك) من الخلق. وهذا قاله ﷺ لبعض الصحابة لما شكاه له هم الدين فمن قاله بصدق نية وجد أثر الإجابة. وورد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قال يوم الجمعة سبعين مرة اللهم اغني بحلالك عن حرامك وبفضلك عن

سواك، لم تمض عليه جمعتان حتى يغنيه الله تعالى. قال ابن عبد الحكم: جربته فوجدته كذلك، وقال الثعلبي: وأنا أيضاً وقفت على بركته. قال: ويكون ذلك عقب صلاة الجمعة اهـ. (رواه) الإمام (أحمد والترمذي، والحاكم) وهو حديث حسن صحيح كما في شرح العريزي.

٢٩٠ - (ألا أعلمك) أيها الرجل الذي شكنا إيلنا هموماً وديوناً لزمته (كلاماً إذا قلته أذهب الله تعالى همك وقضى عنك دينك) قال: بلى. قال: (قل إذا أصبحت وإذا أمسيت)، قال المناوي: أي دخلت في الصباح والمساء. وقال الحفني أي بعد الفجر وبعد الغروب، هذا هو المراد في أمثال ذلك وإن كان الصباح من نصف الليل والمساء من الزوال. (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن)، قيل، هما بمعنى. وقيل الهم في الخوف من أمر المستقبل والحزن بفوت أمر حصل في الماضي، كموت ولد (وأعوذ بك من العجز) أي فقد القدرة على الطاعة (والكسل) التواني عن الطاعة مع سلامة الأعضاء (وأعوذ بك من الجبن) بضم الجيم وسكون الموحدة ضعف القلب الناشيء عند عدم الإقبال على المخاوف (والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين) أي استيلائه وكثرته (وقهر الرجال) أي غلبتهم.

قال العلامة العريزي: وسببه كما في أبي داوود عن أبي سعيد الخدري قال دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال له: يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزممتني وديون يا رسول الله. قال: أفلا أعلمك كلاماً، فذكره في آخره قال: فقلت ذلك، أي لازمت هذا الدعاء صباحاً ومساءً فأذهب الله همي وقضى عني ديوني وذلك ببركة الدعاء وصدق نيته وإخلاصه. (رواه أبو داوود) وهو حديث صحيح كما في شرح العريزي رحمه الله تعالى.

٢٩١ - (ألا أعلمك) يا علي (كلمات إذا قلتها غفر الله لك) قال الحفني: أي الصغائر بدليل قوله (وإن كنت مغفوراً لك) أي الكبائر قال: علمني، قال: (قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحانه الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله

رب العالمين) قال العزيزي: وهذه كلمات جامعة: وحده أولاً ثم وصفه بالعلو والعظمة ثانياً ثم وصفه بالحلم والكرم ثم نزهه بالتسييح، ثم حتم بالتحميد. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

(رواه الترمذي) بإسناد صحيح، (ورواه الخطيب) في التاريخ (بلفظ إذا أنت قلتهم وعليك مثل عدد الذر) بذال معجمة ثم راء صغار النمل (خطايا غفر الله لك). وإسناده ضعيف.

٢٩٢ - (ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيراً) قال العزيزي: أي كثيراً وقال الحفني: أي كاملاً يعلمهن إياه) بأن يلهمه إياها أو يسخر له من يعلمه ذلك (ثم لا ينسيه) الله إياها (أبداً) قال: علمني قال: (قل اللهم إني ضعيف) أي عاجز (فقوّ في رضاك ضعفي) بفتح الضاد وضمها، أي أجيره. وهذا اعتراف بالعجز وتبرؤ من القوّة (وخذ إلى الخير بناصيتي) أي جرنني إليه، ودلني عليه، (واجعل الإسلام) أي الأعمال الصالحة (متهى رضائي) أي غايته وأقصاه، (اللهم إني ضعيف) أي حسّاً؛ ومعنى (فقوني) قال الحفني: وهذا تأكيد لقوله قبل فقوّ الخ (وإني ذليل) أي مستهان عند الناس لهواني عليهم (فأعزني) أي صيرني عزيزاً (وإني فقير فارزقني) أي ابسط لي في رزقي.

قال المناوي: وفي رواية بدله فاغني.

(رواه الطبراني) في الكبير، (وأبو يعلى) في مسنده، (والحاكم) في مستدرکه. قال العزيزي: بإسناد ضعيف.

٢٩٣ - (ألا أعلمك كلمات) قال الحفني: أي دعوات، وهي المذكورة بعد تمام الركعات (ينفعك الله بهن وينفع من علمته) إياهن. قال: علمنيهن، قال: (صل ليلة الجمعة) أي ليلة جمعة كانت (أربع ركعات) قال المناوي: أمر بالصلاة قبل الدعاء، لأن طالب الحاجة يحتاج إلى قرع باب المحتاج إليه وأفضل قرع بابه تعالى بالصلاة. أي لأنها تطهر القلب وتكون سبباً لإعطائه ما طلب. قال الحفني: لكن هذه الصلاة لم يذكر الفقهاء سنيتها لأن حديثها شديد الضعف، (تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب) أي بسورة الفاتحة بتمامها (ويس) أي وبعدها تقرأ سورة يس بكمالها (وفي الثانية

بفاتحة الكتاب) بكمالها (وبحم الدخان)، أي وبعدها تقرأ سورة الدخان، (وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبألم تنزيل السجدة) أي تقرأ بعدها سورة السجدة، (وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل) أي تقرأ بعدها سورة تبارك التي هي من المفصل، وهي تبارك الذي بيده الملك، (فإذا فرغت من التشهد) في آخر الأربعة، (فاحمد الله) تعالى (وأثن عليه) بما يستحقه من المحامد.

قال المناوي: يحتمل قبل السلام ويحتمل بعده والأول أقرب إلى ظاهر اللفظ، (وصل على النبيين) أي والمرسلين (واستغفر للمؤمنين) أي وللمؤمنات (ثم) بعد إتيانك بذلك (قل اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني) أي مدة دوام إبقائك لي في الدنيا (وارحمي من أن أتكلف ما لا يعينني) من قول أو فعل؛ فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني اللهم بديع) بالنصب منادى حذف منه حرف النداء، مضاف إلى (السموات والأرض)، أي مبدعهما يعني مخترعهما على غير مثال سبق، (ذا الجلال) أي صاحب العظمة (والإكرام والعزة التي لا ترام) أي لا يرومها مخلوق لتفردك بها (أسألك يا الله يا رحمن بجلالك) أي بعظمتك (ونور وجهك) الذ أشرفت له السموات (أن تلزم قلبي حفظ كتابك) يعني القرآن. قال الحفني: أي حفظ أسراره حتى أعمل بمقتضاه (كما علمتني) إياه أي حفظ لفظه (وارزقني أن أتلوه على النحو) أي الوجه (الذي يرضيك عني) بأن توفقني إلى ذلك (وأسألك أن تنور بالكتاب بصري وتطلق به لساني وتفرح به كربى وتشرح به صدري وتستعمل به بدني وتقويني على ذلك وتعينني عليه فإنه لا يعينني على الخير غيرك ولا يوفق له إلا أنت فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعمائة) أي أدنى الكمال ثلاث، وأوسطه خمس، وأعلى سبع، (تحفظه). قال الحفني: أي المذكور أو كتاب الله فإنه من جملة ما مر (بإذن الله تعالى وما أخطأ مؤمناً قط) أي ما أخطأ ثواب ذلك وثمرته مؤمناً فعلة قط بل لا بد أن تصيبه إجابته وتعود عليه بركته.

(رواه الترمذي، والطبراني) في الكبير، (والحاكم) في مستدركه. قال العزيزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٢٩٤ - (إياكم والغيبة) قال العزيزي: قال الغزالي: هي أن يذكر أخاه

بما يكرهه لو بلغه . وهل هي من الصغائر أو الكبائر؟ اعتمد بعضهم أنها من الصغائر إلا في حق العلماء وحملة القرآن .

ونقل القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر لأن حد الكبيرة صادق عليها لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيه اهـ .

واعلم أن من الغيبة كما قال الحفني الإشارة إلى شخص بشيء يكرهه، إذا فهمت تلك الإشارة . ومنها المحاكاة لفعله، كأن يمشي يعرج تصنعاً ليحاكي مشيته . ومنها قول الشخص لا حول ولا قوة إلا بالله فلان لا يسهل بنا أن يفعل هذا الفعل فهو حرام، حيث كره ذلك، وإن كان ذلك القول على سبيل الشفقة . ومنها أن يُذكر عندك شخص فتقول الله، يغفر الله له يسامحه الله يلطف به مثلاً، فإن هذا يشعر بارتكابه ما لا يليق فإن كان قصدك الدعاء له بذلك، فليكن سراً لا عند الناس، فإنهم يفهمون من ذلك سوء حاله، وهذا يقع كثيراً مما يدعي الورع فيظن أنه على خير بالدعاء له .
والحال أنه واقع في شر .

حُكي عن بعضهم أنه رأى سائلاً عليه عباءة ويده ركوة فسأله عن حاله فقال: إني إنسان أقصد الورع ولا أكل إلا ما يلقيه الناس، ربما أخذ قشرة شيء فيسبني النمل . فهل علي شيء من تناولها؟ قال: فقلت في نفسي: ما على وجه الأرض من يتورع مثل هذا، كالمنكر عليه . فنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضة صافية، فقال لي: الغيبة حرام وغاب عن بصري، (فإن الغيبة أشد من الزنا) أي من إثمه في بعض الوجوه بين وجهه بقوله: (إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه)، وهيهات أن يغفر له . فقد اغتاب ابن جلا بعض أخوانه فأرسل يستحله فأبى قائلاً: ليس في صحيفتي أحسن منها، فكيف أمحوها؟ قد يموت فيتعذر استحلاله .

قال العريزي: وفيه دليل على أنه لا يغفر له إلا بعد إعلامه واستحلاله، فإن تعذر أو تعسر استغفر لصاحبها . أي كأن يقول: اللهم اغفر لي وله فربما يحصل الاستحلال بذلك .

وقد ورد كفارة من اغتبت أن تستغفر له . أي قبل أن تبلغه الغيبة . وإلا

فلا بد من استحلاله إن أمكن ولم يخش ضرراً. ومحل ذلك في غير غيبة أهل العلم أمامهم فغيبتهم من الكبائر كما تقدم، فلا يكفرها الاستغفار لهم بل التوبة بشرطها المعروفة.

وقال الشعراني رحمه الله تعالى: ينبغي لمن يعلم أن عليه للناس حقوقاً في المال والعرض وتعذر رضاهم أن يقرأ مع حضور سورة الإخلاص اثني عشر مرة، والمعوذتين كل ليلة، ويهدي ثوابهن في صحائف أولئك الناس. وكيفية الإهداء إليهم أن يقول: اللهم صل وسلم على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وآله، وأثني على ما قرأته واجعله في صحائف من له علي تبعة من عبادك من مال وعرض.

تنبيه: قال المناوي: قال الغزالي: الغيبة هي الصاعقة المهلكة ومثل من يغتاب كمن ينصب منجنيقاً، فهو يرمي بها حسناته شرقاً وغرباً، ويميناً وشمالاً.

وقد قيل للحسن اغتابك فلان فبعث إليه بطبق فيه رطب، وقال: أهديت إلي بعض حسناتك فأحببت مكافأتك.

وقال ابن المبارك: لو كنت مغتاباً لاغبت أمي، فإنها أحق بحسناتي.

وقال الغزالي: العجب ممن يطلق لسانه طول النهار في الأعراس، ولا يستنكر ذلك. مع قوله هنا أشد من الزنا؛ فيجب على من لم يمكنه لف لسانه العزلة فإن الصبر على الإنفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة.

تمة: كما تحرم الغيبة يحرم سماعها وإقرارها؛ فيلزم السامع أن ينهي من يغتاب إن لم يخف ضرراً. فإن خافه لزمه الإنكار بقلبه ومفارقة المجلس. فقد ورد من اغتیب عنده أخوه المسلم، فلا ينصره وهو يستطيع نصره أذله الله تعالى في الدنيا والآخرة، أي خذله بسبب تركه نصر أخيه، أي زجر من اغتابه ومنعه من غيبته، بنحو قوله هذا حرام عليك اتق الله.

وهذا الحديث (رواه ابن أبي الدنيا) أبو بكر في ذم الغيبة، (وأبو الشيخ) الأصبهاني في التوبخ. قال العريزي: بإسناد ضعيف.

٢٩٥ - (إياكم والزنا) أي احذروه (فإن فيه أربع خصال) الأولى

يذهب البهاء عن الوجه و)، والثانية (يقطع الرزق) أي كثرته أو يقطع بركته فلا يرد أنه يشاهد كثرة رزق بعض الزناة، و) الثالثة (يسخط الرحمن) أي يغضبه، و) الرابعة (الخلود في النار). قال العريزي: أي ان استحل، وإلا فهو زجر وتهويل. وعبرة الحفني قوله: والخلود، أي وفيه الخلود في النار إن استحل. أو المراد المكث الطويل ويصح نصبه بدلاً من أربع خصال، لأن قوله يذهب الخ. مؤول باسم بدل من ذلك أي اذهب وقطع الخ اهـ.

وورد احذروا الزنا فإن فيه ست خصال: ثلاثة في الدنيا، وثلاثة في الآخرة. فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء من الوجه، ويورث الفقر، وينقص الرزق والعمر. وأما التي تصيبه في الآخرة فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب فيسود وجهه، والثانية يكون حسابه حساباً شديداً، والثالثة يسحب في سلسلة إلى النار الكبرى. ويقول الله تبارك وتعالى: لبس ما طوعت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

وروي في الحديث: من زنا بامرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة أو أمة فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة ألف باب من النار، تخرج عليه منها عقارب وحيات وشهب من النار، فهو يعذب إلى يوم القيامة.

وروي في الحديث أيضاً أن الزناة يأتون يوم القيامة تشعل فروجهم ناراً يعرفون بين الخلائق بين فروجهم، يسحبون على وجوههم إلى النار، فإذا دخلوها يكسون دروعاً من نار لو وضع درع الزاني على أعلى جبل شامخ ساعة لأضحى رماداً. ثم يقول مالك خازن النيران: معشر الزبانية اكوا عيون الزناة بمسامير من نار، كما نظرت إلى الحرام. وغلوا أيديهم بأغلال من نار كما امتدت إلى الحرام، وقيدوا أرجلهم من نار كما مشت إلى الحرام. فتبادر إليهم الزبانية فتغل أيديهم بأغلال وأرجلهم بالقيود ويكونون أعينهم بالمسامير وهم ينادون: معشر الزبانية ارحمونا، خففوا عنا هذا العذاب ساعة واحدة. فتقول الزبانية: كيف نرحمكم وأرحم الراحمين غضبان عليكم.

واعلم أن الزنا على مراتب بعضها أشد من بعض، فالزنا بالأجنبية التي لا زوج لها عظيم وأعظم منه الزنا بالأجنبية التي لها بعل. وأعظم منه الزنا

بذوات المحارم. وزنا الثيب أقبح من زنا البكر. وزنا الشيخ أقبح من زنا الشاب، وزنا الحر أقبح من زنا العبد. ومن أقبح الزنا وأفحشه الزنا بامرأة الجار، لقوله ﷺ: ما تقولون في الزنا؟ قالوا حرام، حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره.

ومن أقبح الزنا وأفحشه أيضاً اللواط. فقد ورد إذا أتى الذكر الذكر اهتز العرش. وقال ﷺ: من قبل غلاماً بشهوة فكأنما زنى بأمه سبعين مرة، ومن زنى مع أمه مرة فكأنما زنى بسبعين بكراً، ومن زنى مع البكر مرة فكأنما زنى مع سبعين ألف امرأة.

وفي سنن أبي داوود عن النبي ﷺ: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول؛ وبه أخذ الشافعي رحمه الله تعالى في أحد أقواله الموافق لمذهب الإمام أحمد فإنه يقول: يُرجم اللوطي ولو غير محسن.

وقال عليه الصلاة والسلام: مَنْ قَبِلَ غَلاماً بِشهوة عَذَّبَهُ اللهُ تعالى في نار جهنم ألف سنة، وإن كان إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله.

وقال عليه الصلاة والسلام، مَنْ مَسَّ غَلاماً بِشهوة لعنه الله وملائكته والناس أجمعون.

وحُكي أن عيسى بن مريم عليهما السلام مر ذات يوم على رجل والنار تحرقه، فصارت النار غلاماً، والرجل ناراً فأحرقته. فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام، وقال: يا رب ردهما إلى الدنيا. فردهما الله تعالى، فسألهما؛ فقال الرجل: إني ابتليت بهذا الغلام، ففعلت به ليلة الجمعة. فمر بنا رجل، فقال: اتقيا الله تعالى. فقلت: لأفعل ولا أخاف. فيصير هذا الغلام ناراً يحرقني مرة، وأصير ناراً فأحرقه أخرى.

ومن كلام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره أكثر من ساعة، حتى يبعث الله إليه ملكاً هيئته كهيئة الخطاف فيخطفه برجله، فيطرحه في بلاد قوم لوط فيلبث معهم في النار.

ثم ان الزنية الواحدة تفسد عبادة سبعين سنة، لقوله ﷺ: زنية واحدة تحبط عمل سبعين سنة. وقيل إن الزنا يورث القتل والطاعون، لخبر الحاكم. وصححه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إذا كثر الزنا، كثر القتل، ووقع الطاعون.

وبالجملة ففي الزنا قبائح كثيرة. وقد أجمع أهل الملل على قبحه.

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: ويكفي في قبحه أنه تعالى مع كمال رحمته شرع فيه سيء القتلات وأفضحها وأشنعها، وأمر أن يشهد المؤمنون تعذيب فاعله. ومن قبحه أن بعض البهائم يستقبحه، فقد ورد عن عمرو بن ميمون قال: كنت باليمن في غنم لأهلي، فجاء قرد مع قرده فتوسد يدها، فجاء قرد أصغر منه فغمزها، فسلت يدها من تحت رأس القرد سلاً رقيقاً، فنبعته فوق عجلها وأنا أنظر. ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت رأس الأول برفق فاستيقظ، فشمها، فعرف أنها زنت فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويوميء إليها، فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاءوا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما.

وذكر أبو عبيدة في كتاب الخيل من طريق الأوزاعي أن مهراً أنزى على أمه فامتنع، فأدخلت بيتاً وجللت بكساء فأنزى عليها فنزى، فلما شم ريح أمه عمد إلى ذكره فقطعه بأسنانه من أصله.

ثم ان هذا الحديث (رواه الطبراني) في الأوسط، (وابن عدي) في الكامل.

٢٩٦ - (إياكم والكبر فإن إبليس حملة الكبر على أن لا يسجد لآدم) فكان من الكافرين قال المناوي: قال ابن عطاء الله: كان الشاذلي يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى، حتى أنه ربما دخل عليه مطيع فلا يهتبل به، وعاص فأكرمه، لأن ذلك الطائع جاء وهو متكبر بعمله، والعاصي دخل بكسر معصيته وذلة مخالفته. ومن ثم قال بعض العارفين: العاصي الذليل الحقيير، خير من الطائع المتكبر المعجب بنفسه. ومعصية أورثت ذلاً واحتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً. (وإياكم والحرص) أي على وصف جميل يكون لكم من غير إذن من الشارع (فإن آدم حملة الحرص على أن أكل من

الشجرة) طمعاً في مجاورة مولاه دائماً، ولم ينتظر إذناً منه تعالى فأخرج من الجنة .

قال المناوي: فالحرص على الخلود أظلم عليه، فلو انكشفت عنه ظلمته لقال كيف أظفر بالخلود فيها مع أكلي منها بغير إذن ربي؟ ففي ذلك الوقت حصلت الغفلة منه فهاجت في النفس شهوة الخلد فيها فوجد العدو فرصة فخدعه حتى صرعه فجرى ما جرى .

قال الخواص رحمه الله تعالى: الأنبياء قلوبهم صافية لا تتوهم أن أحداً يكذب ولا يحلف كاذباً، فلذلك صدق من قال له: أدلك على شجرة الخلد، حرصاً على عدم خروجه من حضرة ربه الخاصة. ونسي النهي السابق، وانكشف له سر تنفيذ اقدار ربه فيه. فطلب بأكله من الشجرة المدح عند ربه، فكانت السقطة في استعجاله بالأكل من غير إذن صريح. فلذلك وصفه الله تعالى بأنه كان ظلوماً جهولاً حيث اختار لنفسه حالة يكون عليها دون أن يتولى الحق تعالى ذلك. ولذلك قال: خلق الإنسان من عجل، وكان الإنسان عجولاً .

وقال العارف ابن أدهم: قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع. وكثرة الحرص والطمع تورث الغم والجزع .

وقال الماوردي: الحرص والشح أصلا كل ذم وسببا كل لوم، لأن الشح يمنع من أداء الحقوق ويبعث على القطيعة والعقوق. وأما الحرص فيسلب فضائل النفس لاستيلائه عليها، ويمنع من العبادة لتشاغله عنها ويبعث على التورط في الشبهات، لقلة تحذره منها. فهذه ثلاث خصال هن جامعات للردائل مانعات للفضائل. مع أن الحريص لا يستزيد بحرصه زيادة على رزقه سوى إذلال نفسه وسخط خالقه. (وإياكم والحسد) وهو تمنى زوال نعمة الغير سواء تمنى انتقالها إليه أم لا، والثاني أقبح وأشد حرمة من الأول، أي اجتنبه وتباعدوا عنه (فإن ابني آدم) قابيل وهابيل (إنما قتل أحدهما) أي قابيل (صاحبه) هابيل (حسداً) حيث تزوج أخته دونه .

قال العزيزي نقلاً عن البيضاوي: أوحى الله سبحانه وتعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأم الآخر، فسخط قابيل لأن توأمه كانت أجمل. فقال

لهما آدم : قَرَبًا قرباناً فمن أيكما قبل يتزوجها . فقبل قربان هابيل ، بأن نزلت نار فأكلته . فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل . (فهن) أي الكبر والحرص والحسد وفي نسخة من الأصل فهو (أصل كل خطيئة) فجميع الخطايا تنشأ عنها .

تنبيه : قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : الكبر منازعة الذات المتعالية في صفته التي لا يستحقها غيره ، فمن نازعه إياها فالنار مثواه . فعقوبة المتكبر في الدنيا المقت من أولياء الله والذلة بين عباد الله . وفي الآخرة نار الله والحرص مسابقة قدر الله . ومن سابق القدر سبق وهو مبالغته الحق تقديس ، ومن غالبه غلب فعقوبته في الدنيا الحرمان وفي الآخرة النيران ، والحسد تسخط قضاء الله فيما لا عذر للعبد فيه . فعقوبته في الدنيا الغيظ الشديد ، وفي الآخرة نار الوعيد اهـ .

فينبغي للعاقل أن يتباعد عنه ويكرهه كما يكره ما وضع في طبعه من حب المنهيات . ومما يعينه على كراهته له أن يستحضر أن كل الأشياء بقضاء الله تعالى وقدره ، وانه هو الذي قسم هذه القسمة بين خلقه . لقوله : نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . وان من اعترض كفر ، وأن يتذكر أن الحسد من سخط الله تعالى ، وانه يضر الحاسد ولا يضر المحسود بل ينفعه . كما وقع أن رجلاً صالحاً من العرب دخل على المعتصم فقربه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استئذان ، ويجلس بجنبه وينصحه ، ويقول له : أحسن إلى المحسن بإحسانه كفى المسيء فعلة . فغار الوزير منه فحسده وقال في نفسه : إن لم أقتل هذا البدوي ، أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني عنه . فقال للملك : انه يقول للناس أنك أبخر وأمارة ذلك أنك إذا قربت منه يضع يده على أنفه لثلاث يشم رائحة البخر . فقال : انصرف حتى أنظر . فخرج وتلطف بالبدوي حتى انتهى به إلى منزله فطبخ طعاماً وأكثر فيه من الثوم ، فلما أكل البدوي منه ، قال له : احذر أن تقرب من أمير المؤمنين لثلاث يشم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك فإنه يكره رائحته . فخرج من عنده وذهب إلى الخليفة وقال له كعادته : أحسن إلى المحسن بإحسانه كفى المسيء فعلة . فقال الملك : أدن مني فدنا منه ووضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك رائحة الثوم . فقال الملك في نفسه إن

الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صدق. وكان الملك لا يكتب بخطه إلا جائزة، فكتب له بخطه لبعض عماله إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه. فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الوزير بالباب. فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة. فظن أنه يحصل له مال كثير، فقال: ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار؟ فقال: أنت الكبير والحاكم فافعل ما رأيت. فأعطاه ألفي دينار، وأخذ الكتاب وذهب به للعامل. فقرأه فقال: في كتابك اني أذبحك. فقال: إن الكتاب ليس لي الله الله حتى أراجع الملك. فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه. فبعد أيام سأل الخليفة عن الوزير فأخبر بأن له أياماً ما رؤي وأن البدوي مقيم بالمدينة. فتعجب وأحضر البدوي فسأله عن حاله، فأخبره بالقصة. فقال: أنت قلت أنني أبخر؟ فقال: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أقول ذلك. قال: فلم وضعت يدك على فمك؟ فحكى له ما جرى. فقال: قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله، فقد كفى المسيء إساءته. ثم خلع على البدوي واتخذته وزيراً.

وحكى أن حساد أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أرادوا إبطال كلمته، فجعلوا لامرأة رجلاً على أن تدخله دارها ليلاً. وتظهر للناس أنه أرادها بفاحشة. فتعرضت له وقت السحر وهو يريد صلاة الفجر في الجامع. وقالت له: إن زوجي يريد الوصية، وهو مريض وأخاف عليه الموت قبل ذلك، فدخل معها. فغلقت الأبواب وصاحت فجاء الحساد وأخذوا الإمام والمرأة إلى الخليفة، فأمر بسجنهما حتى تطلع الشمس. فاشتغل الإمام بصلاته في السجن. فندمت المرأة وأخبرت الإمام بما قيل لها. فقال لها: قولي للسجان إن لي حاجة، وسأعود إليك. فإذا خرجت اذهبي إلى أم حماد يعني زوجته وأخبريها بالقصة، وارسلها إلي وامضي أنت إلى شأنك. ففعلت فلما حضرت زوجته وطلع النهار، طلبها الخليفة، وقال: أيحل لك أن تخلو بأجنبية. قال: علي بفلان يعني أبا زوجته. فلما حضر قال: من هذه؟ فكشف وجهها، فإذا هي ابنته. فقال: هذه ابنتي زوجته للإمام. فأظهر الله حجته وأعلى كلمته، فقال في ذلك:

أن يحسدوني فياني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات حاسدنا غيظاً بما يجد
تمة: قال المناوي نقلاً عن الحرالي: أصول الشر ثلاثة: الكبر الذي
كان سبب بلاء إبليس، والحرص الذي كان سبب اقدام آدم عليه السلام على
الشجرة، والحسد الذي كان سبب قتل قابيل هايل.

وقال أبو حاتم: الموت خير من ثلاثة أشياء: الكبر والحرص والخيلاء،
فإن المتكبر لا يخرج الله من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل أهله وخدامه،
والحرص لا يخرج من الدنيا حتى يحوجه إلى كسرة أو شربة، والمختال لا
يخرجه منها حتى فرغه ببوله وقدره.

(رواه ابن عساكر) في تاريخه.

٢٩٧ - (إياكم والطمع) أي في الأخذ مما في أيدي الناس (فإنه هو
الفقير الحاضر) قال العزيمي: والطمع فيما في أيدي الناس انقطاع عن الله.
ومن انقطع عن الله تعالى فهو المخذول الخائب فإنه عبد بطنه وفرجه
وشهوته اهـ.

أما الطمع في رحمة الله سبحانه وتعالى، وإغداق^(١) رزقه عليه فهو
ممدوح لأنه إظهار للعبودية. وقال بعض العارفين: الطمع طمعان طمع يوجب
الذل لله وهو إظهار الاقتتار والعجز، والانكسار، وهو غاية الشرف والعز
والسعادة الأبدية. وطمع يوجب الذل في الدارين، أي وهو المراد هنا، وهو
رأس حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة. والخطيئة ذل وخزي فيهما.

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: من غلبت عليه شهوة الدنيا
لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنوع^(٢) زال عنه الخضوع.

ومن ثم قيل:

الحر عبد إن طمع والعبد حر إن قنع

وقد قال سيدنا علي كرم الله وجهه في قوله تعالى: فلنحيينه حياة طيبة،

إنها القناعة.

(١) أي إكثار اهـ مؤلف.

(٢) وفي المثل خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع اهـ مؤلف.

وقيل في قوله تعالى: والذي يميتني ثم يحييني، أي يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة.

وقال الجنيد في قوله تعالى: لأعذبه عذاباً شديداً؛ أي لألبسه ثواب الطمع ولأحرمه ثواب القناعة.

وحكي أنه لما مر موسى بالجدار وأقامه الخضر قال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً؛ فلما خرجا من القرية دعا الخضر طيباً فوقف بينهما فصار الجانب الذي يلي الخضر لحماً مشوياً والجانب الذي يلي موسى لحماً طرياً. فسأله موسى عن ذلك، فقال: لأنك طمعت وأنا قنعت.

وقال حكيم: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطاعم.

وقال بشر: لو لم يكن في القنوع إلا التمتع بالعز لكفى.

وقال العارف المرسي رضي الله تعالى عنه: أردت أشتري شيئاً ممن يعرفني، وقلت لعله يحابيني فنويت السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين. (وإياكم وما يعتذر منه) أي واحذروا قول أو فعل ما يحوجكم إلى الاعتذار.

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الكلام: وزن الكلام قبل التفوه به، ومجانبة ما يحوج إلى الاعتذار، وترك إجابة السفیه حلماً وصفحاً عنه.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن سعد بن عباد أنه قال لابنه: إياك وما يتعذر منه من القول والعمل، وافعل ما بدا لك.

وأخرج ابن عساكر عن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: احفظ عني أربعاً: لا تصحب سلطاناً وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر، ولا تخلون بامرأة ولو أقرأتها القرآن، ولا تصلن من قطع رحمه فإنه لك أقطع، ولا تتكلمن بكلام تعتذر منه غداً. وفيه شاهد لما ذكره بعض الصوفية من أنه لا ينبغي الدخول في مواضع التهم، ومن ملك نفسه خاف من مواضع التهم أكثر من خوفه من وجود الألم. فإن دخولها يوجب سقم القلب كما توجب الأعذية الفاسدة سقم البدن فإياك والدخول على الظلمة.

وقد رأى العارف أبو هاشم عالماً خارجاً من بيت القاضي، فقال: نعوذ بالله من علم لا ينفع.

ثم إن هذا الحديث (رواه الطبراني) في الأوسط. قال العريزي: وهو حديث ضعيف.

٢٩٨ - (إياكم والكذب) أي احذروه فإن جريمته عظيمة وعاقبته وخيمة لأنه يتضمن نسبة الرب إلى فعل أو قول ما لم يكن. فمن نسب إلى أحد فعل أو قول ما لم يكن، كان كاذباً على الله تعالى إذ لا يقع شيء إلا بقدره الله تعالى. فينبغي تجنبه لمنافاته لوصف الإيمان والتصديق، كما قال. (فإن الكذب مجانب للإيمان) أي مناف لكماله.

روى ابن عبد البر في التمهيد أن عبدالله بن جراد سأل النبي ﷺ: هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قال: هل يكذب؟ قال: لا.

ومن آفاته أنه يضيق الرزق، فقد روى أبو الشيخ في الطبقات عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: رفعة الكذب ينقص الرزق.

وقال حكيم: أصدق حديث يضرك ينفعك.

وفي الحديث: تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة، أي في ظاهر الأمر، فإن فيه النجاة أي في باطن الأمر، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة، فإن فيه الهلكة.

وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وأن خفته، والكذب مرديك وأن أمتته.

وقد كان السلف الصالح يتحرون التباعد عن الكذب بالتعريض، فكان بعضهم يقول لخدمه إذا جاء من يطلبه ولا غرض له في لقائه قل له: ما هو هون. يريد به الهون، الذي يدق فيه.

وكان الشعبي إذا طلب وهو في المنزل وهو يكره خط دائرة، وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي: ليس ههنا.

وكان النخعي إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية: قولي له: انظره في المسجد.

ولما هاجر النبي ﷺ وكان أبو بكر خلفه صار العرب يتلقونه وهم يعرفونه ولا يعرفون النبي ﷺ، فيقولون: من هذا؟ فيقول: يهديني السبيل. فيظنون أنه يعني هداية الطريق، وهو يريد سبيل الخير.

وكان بعضهم يقول إذا أنكر ما قاله: الله يعلم ما قلته، فيوهم النفي بحرف ما ويريد أنه موصول. فينبغي لمن اضطر إلى الكذب أن يعرض ما أمكن لأجل أن لا يعود نفسه الكذب.

وفي الخبر أن في المعارض لمندوحة عن الكذب، جمع معراض، كمفتاح من التعريض. وعرفه المتقدمون بأنه ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريده المتكلم والميم في لندوحة مفتوحة، أي سعة وفسحة وغنية عنه. كقولك للرجل سمعت من تكره يدعو لك، ويذكرك بخير، وتريد به أنه يدعو له عند دعائه للمسلمين، فإنه داخل فيهم.

واعلم أن الكذب من الذنوب الصغائر ان لم يترتب عليه ضياع حق. فإن ترتب عليه ذلك فهو كبيرة. قاله العزيزي.

وقال بعضهم: الكذب مراتب أعلاها في القبح والتحريم الكذب على الله تعالى ثم رسوله، ثم كذب المرء على عينيه فلسانه فجوارحه وكذبه على والديه، ثم الأقرب فالأقرب أغلظ من غيره اهـ.

ومن الكذب على الله تعالى ادعاء النبوة، كما حصل أن شخصاً ادعاها في زمن المأمون فبغله خبره فأحضره عنده ثم سأله: ما علامة نبوتك؟ فقال له: علمي بما في نفسك. فقال له: وما في نفسي. فقال: تقول اني كاذب. فحبسه مدة، ثم أحضره: وقال له: هل أوحى إليه بشيء؟ قال: لا. قال: ولم ذلك؟ قال: لأن الملائكة لا تدخل الجبس! فضحك منه وأطلقه. وادعاها آخر في زمنه أيضاً، فأحضره وأمر ثمامة أن يسأله ما علامة نبوته فسأله عنها، فقال: علامة نبوتي أن أضاجع امرأتك بحضرتك فتلد ولداً يشهد في وقت ولادته أنني نبي. فقال ثمامة: أما أنا فأشهد أنك نبي. فقال له المأمون: ما أسرع ما آمنت به؟ فقال: ما أهون عليك أن يفعل في امرأتي وأنا أنظر إليه. فضحك المأمون وطرده.

فائدة: قال الغزالي رحمه الله تعالى: ومن الكذب الذي لا إثم فيه ما

اعتيد في المبالغة، كجئت ألف مرة فلا يأثم وان لم يبلغ ألفاً. قال: ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل أن يقال له: كل الطعام. فيقول: لا أشتهي، وذلك منهبي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح اهـ.

وهذا الحديث (رواه الإمام (أحمد) في مسنده، (وغيره) كأبي الشيخ في التوبخ، وابن لال في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل).

٢٩٩ - (إياكم والتعمق في الدين) قال العزيزي أي الغلو فيه وطلب أقصى غاياته. قال الحفني: أي لا تشددوا بحيث لا تريدون بلوغ غاية المقصود فيه فربما يعجزكم ذلك عن أداء أصل الفعل، (فإن الله تعالى قد جعله سهلاً اتخذوا منه ما تطيقون) المداومة عليه (فإن الله تعالى يحب ما دام من عمل صالح وإن كان يسيراً) قال المناوي: أي ولا يحب العمل المتكلف غير الدائم وإن كان كثيراً. وقد كان النبي ﷺ يبغض المتعمقين وكان الصحب رضي الله تعالى عنهم أقل الأمة تكلفاً اقتداء به. ودين الله بين الغالي والجافي. وخير الناس النمط^(١) الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين اهـ. فيكره التشديد في العبادة كأن يسهر كل الليل دائماً للنهي عنه، ولضرره. فقد قال نبينا ﷺ لسيدنا عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقال: بلى. قال: فلا تفعل. صم، وأفطر، وقم، ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً، وإن لزوجك أي امرأتك عليك حقاً. أي فلا ينبغي أن تجهد نفسك في العبادة حتى تضعف عن القيام بحقها وطء واكتساب.

وفي الصحيحين أن نفرأ من الصحابة قال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا أكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراشي. وقال بعضهم: أصلي الليل أبداً. زاد النسائي وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر. فبلغ النبي ﷺ فخطب وقال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

(١) قوله النمط بفتح النون الجماعة من الناس اهـ. مختار ومصباح.

وفي الحديث: من شدد هذا الدين غلبه، أي لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب كمن بات يصلي كله ويغلب النوم فغلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في جماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس.

وقال بعضهم: لم يُكلف الله عباده بما يشق أبداً. بل دعا ﷺ على من شق على أمته، ولم يبلغنا أنه دعا على من سهل عليهم أبداً، بل كان يقول لأصحابه: أتركوني ما تركتكم خوفاً عليهم من كثرة تنزل الأحكام، التي يسألون عنها فيعجزون عن العمل بها.

وفي الحديث: بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف ستي فليس مني .

وأخرج أحمد، والبيهقي عن ابن عمر مرفوعاً: إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه .

وفي رواية الطبراني عن أبي الدرداء وغيره: إن الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه .

وبالجملة فيستحب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حراماً أو مكروهاً، كما إذا كان الشخص مسافراً سفر قصر فقصر الصلاة في حقه أفضل من إتمامها ما لم يختلف في جواز قصره، وإلا فإتمامه أفضل .

وهذا الحديث (رواه أبو القاسم بن بشران) بضم الباء وكسرها في أماليه .

٣٠٠ - (أيما امرأة خرجت من بيتها) أي مسكنها ولو بنحو إعارة أو إجارة (بغير إذن زوجها كانت في سخط الله تعالى) أي غضبه (حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها). قال الحفني: أي يرضى بخروجها ويأذن لها فيه . ومحل ذلك إن خرجت لغير ضرورة أما لو خرجت لنحو حريق أو لتخلص منه النفقة عند القاضي لمنعها، أو لتظلم مثلاً فلا بأس بذلك لكن ينبغي لها أن تخرج مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها .

فائدة: ذكر الغزالي في الاحياء: أن حقوق الزوج على الزوجة كثيرة

وأهمها أمران: أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً.

وذكر أيضاً أن رجلاً خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى، وكان أبوها في الأسفل فمرض. فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول إلى أبيها. فقال ﷺ: أطيعي زوجك. فمات فاستأمرته، فقال: أطيعي زوجك. فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها اهـ.

وهذا الحديث (رواه الخطيب) في تاريخه.

٣٠١ - (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس) بزيادة ما للتأكيد أي من غير مشقة عليها في دوام نكاحها (فحرام عليها رائحة الجنة) أي ممنوع عنها، ذلك مع السابقين، وفيه زجر عظيم ووعيد كبير في سؤال المرأة طلاقها من غير ضرورة، خصوصاً ان كان زوجها يتأذى بذلك.

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا. أما عند وجود الضرورة فلا بأس بل لها أن تفتدي ببذل مال.

(رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (وأبو داود وغيرهما) كالترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه. قال العزيمي: وهو حديث صحيح.

٣٠٢ - (أيما امرأة صامت) نفلاً (بغير إذن زوجها) وهو حاضر (فأرادها على شيء) أي طلب منها الجماع وكفى عنه بذلك لأنه يستحي من ذكره (فامتنعت عليه كتب الله عليها) أي أمر كاتب السيئات أن يكتب في صحيفةها (ثلاثاً من الكبائر). قال الحفني: تلبسها بالصوم بدون إذنه واستمرارها فيه بعد نهيه ونشوزها بعد التمكين، وهذا مسلم انه كبيرة والإثنان قبله صغيرة وتسميتهما كبيرة للزجر والتنفير اهـ.

فائدة: ينبغي للمرأة أن تعلم أن النكاح نوع رق، وأنها رقيقة لزوجها.

فعليتها طاعته مطلقاً في كل ما طلب منها في نفسها، مما لا معصية فيه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت : إني امرأة أيم ، وأريد أن أتزوج . فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها على نفسها وهي على ظهر بغير لا تمنعه . ومن حقه أن لا تعطي شيئاً من بيته إلا بإذنه . فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له . ومن حقه أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، فإن فعلت جاءت وعطشت ولم يتقبل منها اهـ .

وهذا الحديث (رواه الطبراني) في الأوسط .

٣٠٣ - (أيما رجل) ذكر الرجل غالبى والمراد إنسان (تدين) بتشديد الياء (ديناً) من آخر (وهو مجمع) بضم الميم الأولى وكسر الثانية بينهما جيم ساكنة أي جازم على (أن لا يوفيه إياه لقي الله) تعالى (سارقاً) أي يحشر في زمرة السارقين ويجازى بجزاتهم .

(رواه ابن ماجه) . قال العزيزي رحمه الله تعالى : بإسناد ضعيف .

٣٠٤ - (أيما شاب تزوج في حداثة سنه) أي إذا بلغ ليفرغ شهوته (عج شيطانه) أي رفع صوته قائلاً (يا ويله) أي يا هلاكه احضر فهذا أوانك .

تنبيه : قال العلامة الحفني رحمه الله تعالى : عدل إلى ضمير الغيبة لثلا يتوهم رجوعه إليه ﷺ وإلا فهو يقول : يا ويلي أي يا هلاكي بسبب فرار هذا الشخص مني ولم أبلغ منه مرادي ، (عصم مني) بتزويجه (دينه) أي معظمه إذ هذا إنما يحفظه من الزنا دون القتل ونحوه .

(رواه أبو يعلى) في مسنده . قال العزيزي رحمه الله تعالى : وهو حديث ضعيف .

٣٠٥ - (أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري) قال المناوي : أي على حال عري للمكسي . وقال الحفني : أي عند حاجته إليه لدفع حر أو برد أو لتجمل وإن لم يكن مكشوف العورة (كساه الله تعالى من خضر الجنة) بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين جمع أخضر أي من ثيابها الخضر ، فهو

من إقامة الصفة مقام الموصوف. قال العلامة العريزي: وخصه لأنه أحسن الألوان.

٣٠٦ - (وأيا مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيا مسلم سقى مسلماً على ظمأ) أي عطش (سقاء الله تعالى يوم القيامة من الرحيق) أي الخمر (المختوم) أي بالمسك. فالرحيق من أسماء الخمر. والمراد أنه يخص بنوع من ذلك أعلى من غيره، وإلا فكل من دخل الجنة كساه الله من ثيابها وأطعمه من ثمارها وسقاه من خمرها. أو أنه ينال ذلك قبل غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات.

وفي الحديث إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل. والنصوص فيه كثيرة.

(رواه) الإمام (أحمد) في مسنده، (وأبو داود، والترمذي) قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى: وإسناده حسن.

٣٠٧ - (أيا مسلم كسا مسلماً ثوباً) أي لوجه الله تعالى لا لغرض آخر (كان) الذي كسا (في حفظ الله تعالى) أي رعايته وحراسته (ما بقيت عليه منه رقعة) أي مدة بقاء شيء عليه منه وإن قل وصار خلقاً^(١) جداً. وليس المراد بالثوب في هذا الحديث وما قبله خصوص القميص بل المراد كل ما يلبس على البدن.

(رواه الطبراني) في الكبير. قال العلامة العريزي رحمه الله تعالى: وهو حديث ضعيف.

٣٠٨ - (أيا رجل آتاه الله) بالمد (علماً) شرعياً (فكتمه) عن الناس عند الحاجة إليه كأن جاءه شخص قريب عهد بالإسلام أو جاهل بأمور الدين، وقال له: علمني ما يجب عليّ. فامتنع (ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) أي جعل في فمه شيئاً من النار، يشبه اللجام. وهذا وعيد شديد سيما إن كان الكتم لغرض فاسد، كالتسهيل على الظلمة وتطبيب نفوسهم واستجلاب مسأرتهم. أوجر منفعة وحطام دنيا أو لبخل بالعلم.

(١) قال في المصباح خلق الثوب بالضم إذا بلى فهو خلق بفتحين اهـ.

قال سيدنا علي كرم الله وجهه : ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا .

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي : زكاة العلم تعليمه ، فمن جاءه طالب صادق متفطن فسأله عن مسألة وهو جاهل بها وجب عليه تعليمه ، كوجوب الزكاة بوجود الحول والنصاب . فإن لم يعلمه ما سأله فيه من العلم فلا بد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسألة ولو بعد حين ، حتى يبقى جاهلاً بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها ، عقوبة .

وعن ابن عباس مرفوعاً : يا أخواني تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضاً ، فإن خيانة الرجل في علمه أشد من خيانتة في ماله .

قال شيخ الإسلام : نعم له الكتم عن من لم يره أهلاً أن يكون ممن لا يقبل الصواب إذا أرشده إليه أو نحو ذلك .

(رواه الطبراني) في الكبير . قال العزيزي رحمه الله تعالى : وهو حديث ضعيف .

٣٠٩ - (أيما رجل ظلم شبراً من الأرض) أي أو أقل من شبر . فقد ورد الوعيد على الحصاة . ومن ثم قال المناوي : ذكر الشبر إشارة إلى استواء القليل والكثير في الوعيد ، (كلفه الله) تعالى (أن يحضره حتى يبلغ آخر سبع أرضين) بفتح الراء وتسكن ، (ثم يطوقه) بالبناء للمجهول . وفي رواية فإنه يطوقه ، (يوم القيامة) ، قال العلامة المناوي : أي يكلف نقل الأرض التي أخذها ظلماً إلى المحشر وتكون كالطوق في عنقه ، لا انه طوق حقيقة . أو معناه حقيقة بالخسف إلى سبع أرضين . فتكون كل أرض حالثة كالطوق في عنقه . أو ان الظلم المذكور لازم له في عنقه لزوم الطوق .

وبالأول جزم القشيري وصححه البغوي ، ولا مانع أن تنوع هذه الصفات لهذا الجاني ، أو تنقسم أصحاب هذه الجناية فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة وضعفها . ذكره ابن حجر رحمه الله تعالى . ويستمر كذلك (حتى يقضي بين الناس) ثم يصير إلى الجنة أو النار بحسب إرادة العزيز الجبار ، وهذا وعيد شديد للغاصب قاطع بأن الغصب من

أكبر الكبائر. قال العلامة العزيزي: وهذا إن لم يحصل عفو من المغصوب منه ولم يفعل الغاصب ما يكفر التبعات.

(رواه الطبراني) في الكبير بإسناد جيد.

٣١٠ - (أيما امريء اقتطع حق امريء) أي ذهب بطائفة منه ففصلها عنه (مسلم) أي أو كافر له أمان (بيمين كاذبة كانت له نكتة) قال الحفني: بالرفع، وقال العزيزي: كانت له تلك الخصلة التي هي الاقتطاع أي صارت له نكتة، (سوداء من نفاق في قلبه لا يغيرهما شيء إلى يوم القيامة)، ويخشى من ذلك سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى.

قال المناوي: فإن لم يدركه العفو أدخل النار حتى تنجلي تلك النكتة ويكون فيها حتى يطهر من درنه ويصلح لجوار الرحمن في الجنان، ومحل عدم تغييرها.

كما قال العزيزي: ما لم يتب، فإن تاب توبة صحيحة صقل قلبه وانجلت تلك النكتة كما ورد في أحاديث.

(رواه الحسن بن سفيان، والطبراني) في الكبير، (والحاكم) في مستدرکه،

قال العلامة العزيزي: وإسناده ضعيف.

٣١١ - (أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس) وأكثروا اللغظ (ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالى) قال الحفني: بأي ذكر كان، والأولى اللفظ الوارد، وهو سبحانك اللهم الخ. (أو يصلون على نبيه) سيدنا محمد ﷺ، (ان شاء) أي الله (عذبهم) بتركهم كفارة المجلس. قال العزيزي: لأنهم إذا أطالوا الجلوس وقع منهم في الغالب ما نهوا عنه من قول أو فعل ولم يتداركوا ما يكفر عنهم ذلك (وإن شاء غفر لهم) فضلاً وطولاً منه تعالى ورحمة لهم. إن الله لا يغفر ان يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

وفي رواية للإمام أحمد رضي الله تعالى عنه: ما اجتمع قوم فتفرقوا عن غير ذكر الله إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة، أي في يوم القيامة على ما فاتهم من الخير العظيم.

وورد: ما اجتمع قوم على ذكر فتفرقوا عنه إلا قيل لهم قوموا مغفوراً لكم

أي الصغائر.

وهذا الحديث (رواه الحاكم) في مستدرکه.

٣١٢ - (أيما امرأة زادت في رأسها شعراً ليس منه فإنه زور تزيد فيه) فيحرم عليها ذلك. قال العلامة الحفني رحمه الله تعالى: وظاهر الحديث أن وصل الشعر بنحو صوف لم يحرم، وهو مذهب. وبعضهم عمم الحرمة. وبعضهم قال بالحرمة حيث وافق لون الشعر الموصوف، لون شعرها، وإلا فلا. لعدم الزور. وبعضهم قال بالحرمة حيث لم يكن بإذن الزوج وإلا فلا اهـ.

واعلم انه كما يحرم على المرأة الزيادة في شعر رأسها يحرم عليها حلق رأسها بغير ضرورة.

وهذا الحديث (رواه النسائي) رحمه الله تعالى.

٣١٣ - (أيما رجل قام إلى وضوئه) قال المناوي رحمه الله تعالى: يحتمل كونه بفتح الواو أي إلى الماء ليتوضأ به، ويحتمل كونه بالضم أي إلى فعل الوضوء، (يريد الصلاة) جملة حالية أي والحال أنه يريد الصلاة بذلك الوضوء (ثم غسل كفيه نزلت خطيئته من كفيه) هذا مجاز عن غفرانها، وكذا يقال فيما بعده، (مع أول قطرة) تقطر منها (فإذا غسل وجهه نزلت خطيئته من سمعه وبصره)، قال الحفني: خصهما من الوجه لأنهما أسرع أعضاء الوجه في ارتكاب المحرمات، وإلا فخطيئة الفم والأنف واللسان كذلك تكفر، (مع أول قطرة) تقطر منه (فإذا غسل يديه إلى المرفقين ورجليه إلى الكعبين سلم من كل ذنب هو له ومن كل خطيئة) جمع بينها للتأكيد، إذ هما بمعنى؛ أي فيصير مغفوراً له لا ذنب عليه، (كهيبته يوم ولدته أمه) وظاهر ان المراد الصغائر وسكت عن الرأس في هذا الحديث.

وذكرها في رواية للطبراني فقال: فإذا مسح برأسه تناثرت خطاياها من أصول الشعر. والمراد بخطايا الرأس التفكير في محرم وتحريكها استهزاء بمسلم، والإشارة بها لشيء كبر أو نحو ذلك. (فإذا قام إلى الصلاة) أي وصلها (رفعه الله عز وجل بها درجة) أي منزلة عالية في الجنة، (وإن قعد)

أي عن الصلاة أي لم يصلها بذلك الوضوء، (قعد سالماً) أي من الذنوب فإنه قد غفر له بتمام الوضوء.

خاتمة

يستحب للإنسان أن يحافظ على الوضوء فقد ورد أن المصطفى ﷺ قال لأنس رضي الله تعالى عنه: يا أنس إذا استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت لها شهادة.

وورد في الخبر: يقول الله تعالى: من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ وصلى ولم يدعني فقد جفاني، ومن أحدث وتوضع وصلى ركعتين ودعاني ولم أستجب له فقد جفوته، ولست برب جاف.

وحكي أنه كان في زمن عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام امرأة سالحة، فجعلت العجين في التنور وأحرمت بالصلاة، فجاءها الشيطان في صورة امرأة وقال: احترق العجين. فلم تلتفت إليه، فأخذ ولدها وجعله في التنور، فلم تلتفت إليه. فدخل زوجها فوجد الولد في التنور يلعب بالجمر وقد جعله الله عقيقاً أحمر. فأخبر عيسى عليه السلام بذلك فقال: ادعها إلي. فدعاها فسألها عن عملها. فقالت: يا روح الله ما أحدثت إلا توضأت، وما توضأت إلا صليت ولا طلب عني أحد حاجة ترضي الله إلا قضيتها له، وأتحمل الأذى من الأحياء كما يتحمل الأموات منهم.

وهذا الحديث (رواه) الإمام (أحمد) في مسنده. قال العزيري رحمه الله تعالى: وإسناده حسن.

٣١٤ - (أيما امرأة قعدت على بيت أولادها) أي تركت التزوج وحضنتهم بعد موت أبيهم (فهي معي في الجنة). قال العزيري: أي قريبة من منزلي، أو تدخل مع السابقين على أثري، ولا مانع من اجتماع الشيثين اهـ.

وورد أن المصطفى ﷺ قال: حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير اني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول: ما

لهذه تبادرنى؟ فيقال لي: يا محمد هذا امرأة كانت حسناء جميلة، وكان عندها يتامى لها، فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك.

خاتمة

حكى أن رجلاً من بني إسرائيل مات وخلف امرأة وثلاث بنات فلما انقضت عدتها تزوجت، فلما كان قبل الدخول بليلة رأت زوجها الأول مهموماً في المنام، فسألته وقالت: ما نسيتك؟ فقال لها: لولم يقع النسيان لما تزوجت بفلان. فلما أصبحت أخبرت نبي ذلك الزمان عليه الصلاة والسلام، وقالت: يا نبي الله اسأل فلاناً أن يطلقني. فطلقها، فأوحى الله إليه قل للمرأة لما عاملت زوجها بالوفاء، غفرنا ما كان بيننا وبينها من الجفاء وأعطيناها بكل شعرة على بدننها جارية تخدمها، ويجمع الله بينها وبين زوجها في الجنة. وهذا الحديث (رواه ابن بشران) في أماليه.

٣١٥ - (أيما ناشيء) بالهمز (نشأ في طلب العلم) أي الشرعي، وما كان آلة له قاصداً بطلبه وجه الله تعالى وقوله (والعبادة) تعميم بعد تخصيص ويستمر في ذلك (حتى يكبر) بفتح الموحدة أي يطعن في السن ويموت على ذلك، (أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقاً) بكسر الصاد وتشديد الدال المكسورة، أي مثل ثوابهم أجمعين، فيه فضل طلب العلم.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: متعلم كسلان يعني لا يجتهد في طلب العلم أفضل عند الله من سبعمائة عابد مجتهد.

وقال ﷺ: من طلب العلم وأدركه كان له كفلان من الأجر، وإن لم يدركه كان له كفل من الأجر.

وقال عليه الصلاة والسلام: من كان همته في طلب العلم سُمِّيَ في السماء نبياً، وكتب الله له بكل شعرة في جسده ثواب نبي. وكأنما أعتق بكل قدم رقبة، وبنى الله له بكل عرق في جسده مدينة في الجنة. ويدخل مع النبيين بغير حساب.

(رواه الطبراني) في الكبير. هو حديث منكر كما في العريزي.

٣١٦ - (الأكل في السوق دناءة) فهو خارم للمروءة، راد للشهادة إن صدر ممن لا يليق به كطلبة العلم والأكابر. أما من نحو الحمامي فلا يزري به الأكل في السوق.

(رواه الطبراني) في الكبير، . (والخطيب) في تاريخه. قال العزيزي رحمه الله تعالى: بإسناد ضعيف.

٣١٧ - (الأكل مع الخادم) ذكراً كان أو أنثى حراً أو قنا (من التواضع) فهو مندوب حيث لا محذور، والا تجنب كأن كان أمرداً جميلاً. وتمام الحديث: فمن أكل معه اشتاقت له الجنة.

(رواه الديلمي) في مسند الفردوس. قال العزيزي: بإسناد ضعيف. اهـ.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله حرف الباء

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١١	مقدمة المؤلف
١٣	فضائل بسم الله الرحمن الرحيم
١٨	الحمد لله

حرف الهمزة

الصفحة	الحديث
٢٩	١ - آية العز: وقل الحمد لله لم يتخذ ولدآ، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذآل، وكبره تكبيرآ
٣٠	٢ - إيت المعروف واجتنب المنكر، وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فأته، وانظر الذي تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فاجتنبه
٣٢	٣ - أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته. فمن أبلغ سلطانآ حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط
٣٢	٤ - ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها؛ فمن بنى الله تعالى بيتآ بنى الله تعالى له بيتآ في الجنة. وإخراج القمامة منها مهور الحور العين
٣٤	٥ - أتاني آت من عند ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتي صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه بمثلها
٣٥	٦ - أحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك: ارحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك
٣٦	٧ - اتخذوا الديك الأبيض. فإن دارآ فيها ديك أبيض لا يقربها شيطان ولا ساحر ولا الدويرات حولها

- ٣٨ عن صبيانكم ٨ - اتخذوا هذه الحمام المقاصيص في بيوتكم فإنها تلهي الجن
- ٣٩ اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة يوم القيامة ٩ -
- ٤٠ حفته وهو لا يشعر ١٠ - تركوا الدنيا لأهلها فإن من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من
- ٤٣ اتق الله حيثما كان، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق ١١ - الناس بخلق حسن
- ٤٧ اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً وإن لم تفرغ من دلوك ١٢ - في إناء المستسقي. وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخبلة ولا يحبها الله. وإن امرؤ شتمك أو غيرك بأمر هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبب أحداً ١٣ - اتق المحارم تكن أعبد الناس، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس. وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً. وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ١٤ - اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله في الصلاة. اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم. اتقوا الله في الضعيفين: المرأة الأرملة والصبي اليتيم ١٥ - اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم ١٦ - اتقوا البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر ١٧ - اتقوا الدنيا واتقوا النساء. فإن إبليس طلاع رصاد. وما هو بشيء من فحوخه بأوثق لصيده في الاتقياء من النساء ١٨ - اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ١٩ - اتقوا صاحب الجذام كما يتقى السبع، إذا هبط وادياً، فاهبطوا غيره ٢٣ -

- ٢٠ - اتَّقوا النار ولو بشق تمرة، إن الحسنات يذهبن السيئات، فإن
لم تجدوا فبكلمة طيبة ٦٣
- ٢١ - اتَّقوا بيتاً يقال له الحمام فمن دخله فليستتر ٦٥
- ٢٢ - اتَّقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام. يقول الله وعزتي
وجلالتي لأنصرك ولو بعد حين ٦٦
- ٢٣ - أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي ٦٧
- ٢٤ - إثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة: قاطع الرحم وجار
السوء ٦٨
- ٢٥ - إثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد أبق من مواليه حتى
يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع ٦٨
- ٢٦ - اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس
التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم،
والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات
الغافلات ٦٩
- ٢٧ - اجتنبوا التكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله تعالى
اكتبوا عبدي هذا في الجبارين ٧٠
- ٢٨ - اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً ٧١
- ٢٩ - اجعلوا بينكم وبين الحرام ستراً من الحلال. من فعل ذلك
استبرأ لعرضه ودينه. ومن ارتع فيه كان كالمرتع إلى جنب
الحمى يوشك أن يقع فيه. وإن لكل ملك حمى، وإن حمى
الله في الأرض محارمه ٧٢
- ٣٠ - أجملوا في طلب الدنيا فإن كلاً ميسراً لما كتبت له منها ٧٣
- ٣١ - وأجيفوا أبوابكم، واكفؤا آتيتكم، وأوكثوا أسقيتكم، وأطفئوا
سراجكم، فإنهم لم يؤذن لهم بالتسور عليكم ٧٥
- ٣٢ - أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم
الجهاد في سبيل الله ٧٥
- ٣٣ - أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ٧٨
- ٣٤ - أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله ٧٩
- ٣٥ - أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكيناً من جوع، أو دفع عنه
مغرمًا، أو كشف عنه كريباً ٨١
- ٣٦ - أحب الأعمال إلى الله بعد الشواهد إدخال السرور على
المسلم ٨٢

- ٣٧ - أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان ٨٣
- ٣٨ - أحب الأعمال إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر ٨٥
- ٣٩ - أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داوود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ٨٨
- ٤٠ - وأحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داوود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه ٨٨
- ٤١ - أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي ٨٩
- ٤٢ - أحب الكلام إلى الله تعالى أن يقول العبد سبحان الله وبحمده ٨٩
- ٤٣ - أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت ٩٠
- ٤٤ - أحب الله عبداً سمحاً إذا باع، وسمحاً إذا اشترى، وسمحاً إذا قضى، وسمحاً إذا اقتضى ٩٢
- ٤٥ - أحب للناس ما تحب لنفسك ٩٢
- ٤٦ - أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما، وابعض بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ٩٣
- ٤٧ - أحبسوا صبيانكم حتى تذهب فوغة العشاء فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين ٩٣
- ٤٨ - احذروا البغي فإنه ليس من عقوبة هي أحضر من عقوبة البغي ٩٤
- ٤٩ - أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله ٩٥
- ٥٠ - أحسنوا جوار نعم الله لا تنفروها، فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم ٥٦
- ٥١ - أحفظ ما بين لحبيك وما بين رجلحك ٩٨
- ٥٢ - احفظ ودّ أبيك لا تقطعه فيطفيء الله نورك ١٠١
- ٥٣ - اختضبوا بالحناء فإنه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم ١٠٣
- ٥٤ - اخفضي ولا تنهكي فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج ١٠٣
- ٥٥ - اخلعوا نعالكم عند الطعام فإنها سنة جميلة ١٠٤
- ٥٦ - أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن؛ فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفياؤه ١٠٤
- ٥٧ - إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ ١٠٥

- ١٠٦ - ٥٨ إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجرّدان تجرد العيرين
- ١٠٧ - ٥٩ إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه قد كفاه علاجه ودخانه معه . فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين
- ١٠٨ - ٦٠ إذا أحببت رجلاً فلا تماره ولا تشارّه ولا تسأل عنه أحداً، فعسى أن توفي له عدواً فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه
- ١٠٨ - ٦١ إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني فترفع ، وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني فتلف
- ١٠٨ - ٦٢ كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه
- ١١٠ - ٦٣ إذا أخذ المؤذن في أذانه وضع الرب يده فوق رأسه فلا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه، وإنه ليغفر له مد صوته . فإذا فرغ قال الرب صدق عبدي وشهدت بشهادة الحق فابشر
- ١١١ - ٦٤ إذا أخذت مضجعك من الليل فاقراً: قل يا أيها الكافرون، ثم نم على خاتمتها . فإنها براءة من الشرك
- ١١١ - ٦٥ إذا أردت أن تفعل أمراً فتدبر عاقبته فإن كان خيراً فامضه وإن كان شراً فانته
- ١١٣ - ٦٥ إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج
- ١١٤ - ٦٦ إذا أردت أن يحبك الله فابغض الدنيا، وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك من فضولها فانبذه إليهم
- ١١٥ - ٦٧ إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك
- ١١٦ - ٦٨ إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية
- ١١٦ - ٦٩ إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبنا من الذاكرين الله كثيراً والذكرات
- ١١٧ - ٧٠ إذا استيقظ أحدكم فليقل الحمد لله الذي ردّ علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره
- ١١٧ - ٧١ إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشككي ثم قل: بسم الله أعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما أجد من وجعي . هذا ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وتراً
- ١١٨ - ٧٢ إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسب مصيبتني فأجرني فيها وأبدلني بها خيراً منها

- ٧٣ — إذا أصاب أحدكم همٌّ أو لأواء فليقل الله الله ربي لا أشرك بي شيئاً ١١٩
- ٧٤ - إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتة بي فإنها من أعظم المصائب ١٢٠
- ٧٥ - إذا أصبحتم فقولهم اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت ١٢٢
- ٧٦ - إذا اضطجعت فقل: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ١٢٢
- ٧٧ - إذا أعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها أن تقولوا: اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرمًا ١٢٣
- ٧٨ - إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد تمرًا فليفطر على الماء فإنه طهور ١٢٣
- ٧٩ - إذا أقرض أحدكم أخاه قرضاً فأهدى إليه طبقاً فلا يقبله، أو حملة على دابته فلا يركبها إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك ١٢٤
- ٨٠ - إذا أفل الرجل الطعام مليء جوفه نوراً ١٢٥
- ٨١ - إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنت تسعون. وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم معه منها فأتموه ١٢٦
- ٨٢ - إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤا بالعشاء ١٢٧
- ٨٣ - إذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: بسم الله على أوله وآخره ١٢٧
- ٨٤ - إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأبدلنا خيراً منه. وإذا شرب لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزى من الطعام والشراب إلا اللبن ١٢٨
- ٨٥ - إذا أكل أحدكم طعاماً فيلق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة ١٢٨
- ٨٦ - إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، ويأخذ بشماله ويعطي بشماله ١٢٩
- ٨٧ - إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا الله غفر لهما ١٢٩

- ٨٨ - إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً بصاحبه. فإذا تصافحا أنزل الله عليهم مائة رحمة للباديء تسعون وللمصافح عشرة ١٣٠
- ٨٩ - إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ١٣٠
- ٩٠ - إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفذه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ١٣١
- ٩١ - إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ١٣٢
- ٩٢ - إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض، حتى يلقي الله وليس عليه شاهد من الله بذنب ١٣٣
- ٩٣ - إذا تئب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوي فإن الشيطان يضحك منه ١٣٥
- ٩٤ - إذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بهما الصوت فإن الشيطان يحب أن يرفع بهما الصوت ١٣٦
- ٩٥ - إذا تقولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان، فإن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله حصاص ١٣٧
- ٩٦ - إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا ينزعه إلا الصلاة، لم تزل رجله اليسرى تمحو حتى يدخل المسجد. ولو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً ١٣٧
- ٩٧ - إذا توضأ أحدكم في بيته ثم أتى المسجد كان في صلاة، حتى يرجع. فلا يقل هكذا. وشبك بين أصابعه ١٣٨
- ٩٨ - إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها ١٣٩
- ٩٩ - إذا جامع أحدكم فلا ينظر إلى الفرج فإنه يورث العمى، ولا يكثر الكلام فإنه يورث الخرس ١٤٠

- ١٠٠ - إذا حج الرجل بمال من غير حله فقال: لبيك اللهم لبيك،
 ١٤٠ قال الله: لا لبيك ولا سعديك، هذا مردود عليك
- ١٠١ - إذا حج الرجل عن والديه تقبل منه ومنها وابتشر به أرواحهما
 ١٤١ في السماء
- ١٠٢ - إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف
 ١٤٢ ملك
- ١٠٣ - إذا ختم أحدكم فليقل: اللهم أنس وحشتي في قبري
- ١٤٢ ١٠٤ - إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع أخوانه فإن الله جاعل له في
 دعائهم البركة
- ١٤٢ ١٠٥ - إذا خرج أحدكم من الخلاء فليقل الحمد لله الذي أذهب عني
 ما يؤذيني وأمسك علي ما ينفعني
- ١٤٣ ١٠٦ - إذا خرجت من منزلك فَصَلِّ ركعتين تمنعانك مخرج السوء،
 وإذا دخلت إلى منزلك فَصَلِّ ركعتين تمنعانك مدخل السوء،
- ١٤٤ ١٠٧ - إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي وليقل: اللهم
 افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج منه فليسلم على النبي
 وليقل: اللهم إني أسألك من فضلك
- ١٤٤ ١٠٨ - إذا دخل أحدكم إلى القوم فأوسع له، فليجلس؛ فإنما هي
 كرامة من الله أكرمه بها أخوه المسلم؛ فإن لم يوسع له فلينظر
 أوسعها مكاناً فليجلس فيه
- ١٤٥ ١٠٩ - إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان عليها
 لعنتها الملائكة حتى تصبح
- ١٤٦ ١١٠ - إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها، فإنما هي من الله فليحمد الله
 عليها وليحدث بها. وإذا رأى غير ذلك لما يكره فإنما هي من
 الشيطان فليستعذ بالله ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره
- ١٤٦ ١١١ - إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له
 بالبركة. فإن العين حق
- ١٤٧ ١١٢ - إذا رأى أحدكم مبتلي فقال: الحمد لله الذي عافاني مما
 ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير من عباده تفضيلاً. كان
 شكر تلك النعمة
- ١٤٨ ١١٣ - إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه
- ١٤٩ ١١٤ - إذا سبب الله تعالى لأحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير
 له
- ١٥٠

- ١١٥ - إذا سَبَّك رجل بما يعلم منك فلا تسبه بما تعلم منه فيكون
أجر ذلك لك ويكون وباله عليه ١٥٠
- ١١٦ - إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر ١٥١
- ١١٧ - إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً ١٥١
- ١١٨ - إذا سمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت
ملكاً. وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها
رأت شيطاناً ١٥٢
- ١١٩ - إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، فإنه من
صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي
الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله،
وأرجو أن أكون أنا هو. فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة ١٥٣
- ١٢٠ - إذا سمّيتم فعبّدوا ١٥٦
- ١٢١ - إذا سمّيتم محمداً فلا تضربوه ولا تحرموه ١٥٧
- ١٢٢ - إذا سمّيتم الولد محمداً فأكرموا وأوسعوا في المجلس ولا
تقبحو له وجهاً ١٥٧
- ١٢٣ - إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء؛ وإذا أتى الخلاء فلا
يمس ذكره بيمينه، ولا يتمسح بيمينه ١٥٨
- ١٢٤ - إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ولا تشربه غباً، فإن الغب يورث
الكُباد ١٥٩
- ١٢٥ - إذا شربتم اللبن فتمضمضوا منه فإن له دسماً ١٦٠
- ١٢٦ - إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه
الأيمن ١٦٠
- ١٢٧ - إذا صليت الصبح فقل قبل أن يتكلم أحداً من الناس: اللهم
أجرني من النار، سبع مرات فإنك إن مت من يومك ذلك
كتب الله لك جواراً من النار. وإذا صليت المغرب فقل قبل
أن يتكلم أحداً من الناس: اللهم أجرني من النار، سبع مرات
فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار ١٦١
- ١٢٨ - إذا صليتم صلاة الفرض فقولوا في عقب كل صلاة عشر
مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير، يُكتب له من الأجر كأنما أعتق
رقبة ١٦٢

- ١٢٩ - إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصلّ عليّ وليقل ذكر الله من
 ١٦٣ ذكرني بخير
- ١٣٠ - إذا عاد أحدكم مريضاً فليقل: اللهم أشفِ عبدك ينكأ لك
 ١٦٤ عدواً أو يمشي لك إلى الصلاة
- ١٣١ - إذا عاد أحدكم مريضاً فلا يأكل عنده شيئاً فإنه حظه من
 ١٦٤ عيادته
- ١٣٢ - إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته، وإذا لم يحمد الله فلا
 ١٦٤ تشمته
- ١٣٣ - إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، وليقل له:
 ١٦٧ يرحمك الله، وليقل هو: يغفر الله لنا ولكم
- ١٣٤ - إذا عطس أحدكم فقال: الحمد لله، قالت الملائكة: رب
 ١٦٨ العالمين. فإذا قال: رب العالمين، قالت الملائكة: رجمك
 الله
- ١٣٥ - إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد عليّ ثلاث فهو
 ١٦٩ مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث
- ١٣٦ - إذا قال العبد يا رب يا رب، قال الله: سل تُعْطَ
 ١٧٠
- ١٣٧ - إذا قدم أحدكم على أهله من سفر فليهد لأهله، فليطرفهم ولو
 ١٧١ كان حجارة
- ١٣٨ - إذا قضى أحدكم حجة فليعجل الرجوع إلى أهله فإنه أعظم
 ١٧١ لأجره
- ١٣٩ - إذا كان للرجل على رجل حق فأخره إلى أجله كان له صدقة،
 ١٧٢ فإن أخره بعد أجله كان له بكل يوم صدقة
- ١٤٠ - إذا كان إثنان يتناحيان فلا تدخل بينهما
 ١٧٢
- ١٤١ - إذا كان عند الرجل إمرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة
 ١٧٣ وشقه ساقط
- ١٤٢ - إذا كثرت ذنوبك فاسق الماء على الماء تتناثر كما يتناثر الورق
 ١٧٤ من الشجر في الريح العاصف
- ١٤٣ - إذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء
 ١٧٤ به
- ١٤٤ - إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج رجلان دون الآخر حتى يختلطوا
 ١٧٥ بالناس فإن ذلك يحزنه

- ١٤٥ - إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه، ومُرهُ أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته، فإنه مغفور له ١٧٦
- ١٤٦ - إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ١٧٦
- ١٤٧ - إذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه ١٨٠
- ١٤٨ - إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ١٨٠
- ١٤٩ - إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل، أعوذ بكلمات الله التَّامات من شرِّ ما خلق. فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل عنه ١٨٨
- ١٥٠ - إذا نسي أحدكم اسم الله على طعامه فليقل إذا ذكر: بسم الله أوله وآخره ١٨٩
- ١٥١ - إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فليُنظر إلى من هو أسفل منه ١٨٩
- ١٥٢ - إذا نظر الوالد إلى ولده كان للولد عدل رقية ١٩٠
- ١٥٣ - إذا وجد أحدكم لأخيه نصحاً في نفسه فليذكره له ١٩١
- ١٥٤ - إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه، فإن البركة تنزل في وسطه ١٩٤
- ١٥٥ - إذا وضعت جنبك على الفراش لتنام وقرأت فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت ١٩٤
- ١٥٦ - إذا وضعت موتاكم في قبورهم فقولوا: بسم الله وعلى سنة رسول الله ١٩٤
- ١٥٧ - إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه. فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء ١٩٥
- ١٥٨ - إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء ١٩٦
- ١٥٩ - إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل ١٩٦
- ١٦٠ - إذا وقع في الرجل وأنت في ملاء فكن للرجل ناصراً وللقوم زاجراً، وقم عنهم ١٩٧

- ١٦١ - اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم ١٩٧
- ١٦٢ - أذبيوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه ففتسوا قلوبكم ١٩٧
- ١٦٣ - أربع من كُنَّ فيه حرمه الله تعالى على النار، وعصمه من الشيطان: من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي، وحين يغضب ١٩٨
- ١٦٤ - أربع حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مُدمن خمر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه ٢٠٠
- ١٦٥ - أربعة يبغضهم الله: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر ٢٠٠
- ١٦٦ - أربعة من كثر الجنة: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وصلة الرحم، وقول لا حول ولا قوة إلا بالله ٢٠٢
- ١٦٧ - ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً ٢٠٣
- ١٦٨ - أرقاؤكم أرقاءكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، وإن جاؤوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعدّبوهم ٢٠٣
- ١٦٩ - إسباغ الوضوء في المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلًا ٢٠٤
- ١٧٠ - استحيوا من الله حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلاء. ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ٢٠٤
- ١٧١ - استشفوا بما حمد الله تعالى به نفسه قبل أن يحمده خلقه وبما مدح الله تعالى به نفسه: الحمد لله وقل هو الله أحد. فمن لم يُشِفِه القرآن فلا شفاه الله ٢٠٥
- ١٧٢ - استعد للموت قبل نزول الموت ٢٠٨
- ١٧٣ - استعينوا على الرزق بالصدقة ٢٠٨
- ١٧٤ - استعينوا على النساء بالعري، فإن إحداهن إذا كثرت ثيابها وأحسن زيتها أعجبها الخروج ٢١١

- ١٧٥ - استكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها ترفع تسعة وتسعين باباً من الضرّ، وأدناها اللهم ٢١٢
- ١٧٦ - استكثروا من الأخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة ٢١٣
- ١٧٧ - استنجوا بالماء البارد فإنه مصححة للبواسير ٢١٣
- ١٧٨ - اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن: في البقرة وآل عمران وطه ٢١٣
- ١٧٩ - اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وفاتحة آل عمران: ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ٢١٤
- ١٨٠ - اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في هذه الآية: قل اللهم مالك الملك . . الآية ٢١٥
- ١٨١ - اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى دعوة يونس بن متى ٢١٥
- ١٨٢ - اسم الأصم صدقة ٢١٦
- ١٨٣ - اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله، فإن أصبت أهله أصبت أهله، وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله ٢١٦
- ١٨٤ - اضمنوا لي شيئاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم ٢١٩
- ١٨٥ - اطعموا الطعام وأفشوا السلام تورثوا الجنان ٢٢١
- ١٨٦ - أطلب العافية لغيرك تتركها في نفسك ٢٢٢
- ١٨٧ - اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن العلم فريضة على كل مسلم. إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع ٢٢٢
- ١٨٨ - اطلبوا العلم يوم الإثنين فإنه ميسر لطالبه ٢٢٣
- ١٨٩ - اطلع في القبور واعتبر النشور ٢٢٤
- ١٩٠ - أطول الناس أعناقاً يوم القيامة المؤذنون ٢٢٧
- ١٩١ - اطووا ثيابكم ترجع إليها أرواحها، فإن الشيطان إذا وجد ثوباً مطويّاً لم يلبسه، وإن وجدته منشوراً لبسه ٢٢٧
- ١٩٢ - اظهروا النكاح وأخفوا الخطبة ٢٢٨
- ١٩٣ - اعتكاف عشر في رمضان كحجتين وعمرتين ٢٢٩
- ١٩٤ - إعتّموا تزدادوا جِلماً ٢٢٩

- ١٩٥ - اغتسلوا يوم الجمعة، فإنه من يغتسل يوم الجمعة فله كَفَّارة ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ٢٢٩
- ١٩٦ - اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك ٢٣٠
- ١٩٧ - أفضل الحسنات تكربة الجلساء ٢٣١
- ١٩٨ - أفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أعطيتهما في الآخرة فقد أفلحت ٢٣٢
- ١٩٩ - أفضل الرباط الصلاة ولزوم مجالس الذكر، وما من عبد يُصلي ثم يقعد في مُصلاه إلا لم تزل الملائكة تصلي عليه حتى يُحدث أو يقوم ٢٣٣
- ٢٠٠ - أفضل الصدقة أن يتعلّم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم ٢٣٤
- ٢٠١ - أفضل الصدقة في رمضان ٢٣٤
- ٢٠٢ - أفضل العبادة قراءة القرآن ٢٣٥
- ٢٠٣ - أفضل العيادة أجراً سرعة القيام من عند المريض ٢٣٦
- ٢٠٤ - أفضل الفضائل أن تصِل من قطعك وتُعطي من حرّمك وتصفح عمن ظلمك ٢٣٧
- ٢٠٥ - إقرأ القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن ٢٣٩
- ٢٠٦ - اقرؤا سورة البقرة في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً. ومن قرأ سورة البقرة تُوجُّ بتاج في الجنة ٢٤١
- ٢٠٧ - اقرؤا سورة هود يوم الجمعة ٢٤١
- ٢٠٨ - اقرؤا على موتاكم يس ٢٤١
- ٢٠٩ - اقرؤا المعوذات في دبر كل صلاة ٢٤٢
- ٢١٠ - اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين، وأهل الفسق؛ فإنه سيجيء بعد قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم ٢٤٢
- ٢١١ - اقرؤا على من لقيتم من أمتي بعدي السلام الأول فالأول إلى يوم القيامة ٢٤٤

- ٢١٢ - أفلوا الدخول على الأغنياء فإنه أحرى أن لا تزددوا نعم الله عز وجل ٢٤٤
- ٢١٣ - اكتحلوا بالأممدم المروح فإنه يجلو البصر وينبت الشعر ٢٤٥
- ٢١٤ - أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة ٢٤٦
- ٢١٥ - أكثروا من تلاوة القرآن في بيوتكم فإن البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن يقل خيره ويكثر شره ويضيق على أهله ٢٤٦
- ٢١٦ - أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمني ٢٤٧
- ٢١٧ - أكرموا الخبز فمن أكرم الخبز أكرمه الله ٢٤٨
- ٢١٨ - أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله ٢٤٩
- ٢١٩ - أكرموا عمتمكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله تعالى من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الولد الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر ٢٤٩
- ٢٢٠ - أكل اللحم يحسن الوجه ويحسن الخلق ٢٥١
- ٢٢١ - أكل الشمر أمان من القولنج ٢٥٢
- ٢٢٢ - ألبان البقر شفاء، وسمنها دواء، ولحومها داء ٢٥٢
- ٢٢٣ - التمسوا الرزق بالنكاح ٢٥٣
- ٢٢٤ - أمانٌ لأمتي من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقولوا: بسم الله مجريها ومرسيها. الآية، وما قدروا الله حق قدره - الآية ٢٥٣
- ٢٢٥ - أمش ميلاً عدّ مريضاً، أمش ميلين أصلح بين اثنين، أمش ثلاثة أميال زُر أخاً في الله ٢٥٤
- ٢٢٦ - أمط الأذى عن الطريق فإنه لك حسنة ٢٥٤
- ٢٢٧ - إن الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فمن قال سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر مثل ذلك، ومن قال لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون خطيئة ٢٥٥
- ٢٢٨ - إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، وهو عند العرش، وإنه أنزل منه آيتين ختم بهما

- سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان
 ٢٥٥ إن الله كتب في أم الكتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض . - ٢٢٩
 إني أنا الرحمن الرحيم خلقت الرحم وشققت لها اسماً من
 ٢٥٧ إسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته
 ٢٣٠ إن الله تعالى كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال
 ٢٥٨ فمن صبر منهن إيماناً واحتساباً كان لها أجر الشهيد
 ٢٣١ أن الله تعالى وملائكته يُصَلُّون على الذين يَصَلُّون الصنفوف،
 ٢٥٩ ومن سدَّ فرجة رفعه الله بها
 ٢٣٢ إن الله تعالى يبغض السائل الملحف
 ٢٦١ إن الله تعالى يبغض المعبِّس في وجوه أخوانه
 ٢٦٢ إن الله تعالى يحب السهل، الطليق
 ٢٦٢ إن الله تعالى يحب الصمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن،
 وعند الزحف، وعند الجنائزة
 ٢٦٣ إن الله تعالى يحب العبد التقي، الغني، الخفي
 ٢٦٣ إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف، أبا العيال
 ٢٦٤ إن الله تعالى يزيد في عمر الرجل بيره والديه
 ٢٦٥ إن الله تعالى يطلع في العيدين إلى الأرض فابرزوا من المنازل
 ٢٦٥ تلحقكم الرحمة
 ٢٤٠ إن الرجل ليوضع الطعام بين يديه فما يرفع حتى يغفر له .
 يقول: بسم الله إذا وضع والحمد لله وإذا رُفِع
 ٢٦٧ إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة
 ٢٤١ رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال
 أصابعهما
 ٢٦٧ إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقتك؟ فيقول: الله؟
 فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت
 بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه
 ٢٦٨ إن الصدقة على ذي قرابة يضعف أجرها مرتين
 ٢٧٠ إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء
 ٢٧٢ إن الصدقة لتطفيء عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن
 ٢٧٢ يوم القيامة في ظل صدقته
 ٢٤٦ إن الغسل يوم الجمعة لِيَسُلَّ الخطايا من أصول الشعر
 ٢٧٣ استللاً

- ٢٤٧ - إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين اثنين
بعد خروج الإمام كالجار قُصبه في النار ٢٧٣
- ٢٤٨ - إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة فيقال لهم أحيوا
ما خلقتم ٢٧٤
- ٢٤٩ - إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإن
رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في
نفسه ٢٧٤
- ٢٥٠ - إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في مخرفة الجنة حتى
يرجع ٢٧٦
- ٢٥١ - إن أبغض الخلق إلى الله تعالى العالم الذي يزور العمال
..... ٢٧٦
- ٢٥٢ - إن أحب عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده ٢٧٩
- ٢٥٣ - أن أحب ما يقول العبد إذا استيقظ من نومه: سبحان الذي
يحیی الموتى وهو على كل شيء قدير ٢٨١
- ٢٥٤ - إن أكبر الأثم عند الله أن يضيع الرجل من يقوت ٢٨٢
- ٢٥٥ - إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض
الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها ٢٨٣
- ٢٥٦ - إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي
تبارك الذي بيده الملك ٢٨٣
- ٢٥٧ - إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن صلة الرحم تزيد في
العمر، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وأن قول لا
إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء أذناها
الهم ٢٨٤
- ٢٥٨ - إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه ٢٨٥
- ٢٥٩ - إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل
منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فيدخلون
منه. فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحدًا ٢٨٧
- ٢٦٠ - إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من بطنها وباطنها من ظاهرها
أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع
الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ٢٨٧
- ٢٦١ - إن في الجنة داراً يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلا من فرح
الصبيان ٢٨٨

- ٢٦٢ - إن في الجنة باباً يقال له الضُّحى ، فإذا كان يوم القيامة نادى
 منادٍ: أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم
 فادخلوه برحمة الله ٢٨٩
- ٢٦٣ - إن في الجنة نهراً يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن وأحلى
 من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك
 النهر ٢٨٩
- ٢٦٤ - إن في الجمعة ساعة لا يحتجم فيها أحد إلا مات ٢٩٣
- ٢٦٥ - إن لله تعالى ملكاً موكلًا بمن يقول يا أرحم الراحمين . فمن
 قالها ثلاثاً: قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك
 فسَلِّ ٢٩٣
- ٢٦٦ - إن لله عز وجل تسعة وتسعون إسمًا من أحصاها دخل الجنة:
 هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس
 السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ
 المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض
 الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم
 العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي
 الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب
 المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
 الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد
 المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد
 القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوال
 المتعال البرّ الشواب المنتقم العفو الرؤوف مالك المالك ذو
 الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار
 النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور ٢٩٤
- ٢٦٧ - إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلأؤها الإستغفار ٣٢٦
- ٢٦٨ - إن للمسلم حقاً إذا رآه أخوه أن يتزحزح له ٣٢٦
- ٢٦٩ - إن لصاحب القرآن عند كل ختمة دعوة مستجابة وشجرة في
 الجنة لو أن غراباً طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركه
 الهرم ٣٢٧
- ٢٧٠ - إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها
 في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته
 نهاراً لم يدخله شيطان ثلاثة أيام ٣٢٨

- ٣٢٨ - ٢٧١ - إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار
- ٣٢٩ - ٢٧٢ - إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها
- ٣٣٠ - ٢٧٣ - إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام
- ٣٣١ - ٢٧٤ - إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم
- ٣٣٢ - ٢٧٥ - إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدوا إذا أتممتم، وأصدقوا إذا حدثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم
- ٣٣٣ - ٢٧٦ - إذا أردت أن يلين قلبك فاطعم المسكين وامسح رأس اليتيم
- ٣٣٤ - ٢٧٧ - إن استطعتم أن تكثرُوا من الاستغفار فافعلوا، فإنه ليس شيء أنجح عند الله ولا أحب إليه منه
- ٣٣٤ - ٢٧٨ - أنا بريء ممن حلق و سلق و خرق
- ٣٣٥ - ٢٧٩ - انبسطوا في النفقة في شهر رمضان فإن النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله
- ٣٣٥ - ٢٨٠ - انتظر الفرج من الله عبادة
- ٣٣٨ - ٢٨١ - انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قيل كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك أنصره
- ٣٣٩ - ٢٨٢ - انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم
- ٣٤٠ - ٢٨٣ - أنعم على نفسك كما أنعم الله عليك
- ٣٤١ - ٢٨٤ - ألا أحدثكم بما يدخلكم الجنة؟ ضرب بالسيف وإطعام الضيف واهتمام بمواقيت الصلاة وإسباغ الطهور في الليلة القرة وإطعام الطعام على حبه
- ٣٤١ - ٢٨٥ - ألا أخبركم بشيء إذا أنزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به فيفرج عنه؟ دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
- ٣٤٨ - ٢٨٦ - ألا أخبركم بسورة ملاء عظمتها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام. ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء؟: سورة أصحاب الكهف
- ٣٤٩

- ٢٨٧ - ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ :
إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد،
وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط ٣٥٠
- ٢٨٨ - ألا أريك برقية رقاني بها جبريل؟ تقول: بسم الله أريك والله
يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات في العُقد ومن شر
حاسد إذا حسد. ترقى بها ثلاث مرات ٣٥١
- ٢٨٩ - ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل صبر دِيناً أداه الله
عنك؟: قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغني
بفضلك عن سواك ٣٥١
- ٢٩٠ - ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله تعالى همك وقضى عنك
دِينك؟: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك
من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك
من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ٣٥٢
- ٢٩١ - ألا أعلمك كلمات إذا قلتهم غفر الله لك وإن كنت مغفوراً
لك: قل لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم
الكريم، لا إله إلا الله سبحان الله رب السموات السبع ورب
العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين بلفظ إذا أنت قلتهم
وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك ٣٥٢
- ٢٩٢ - ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيراً يعلمهن إياه ثم لا ينسيه
أبداً؟ قل: اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي، وخذ
إلي الخير بناصيتي، واجعل الإسلام منتهى رضائي؛ اللهم
إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فارزقني ٣٥٣
- ٢٩٣ - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته؟: صل
ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة
الكتاب ويس، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان، وفي
الثالثة بفاتحة الكتاب وبألم تنزيل السجدة، وفي الرابعة
بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل. فإذا فرغت من التشهد فاحمد
الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل:
اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني من
أن أتكلف ما لا يعنيني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك
عني. اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام
والعزة التي لا ترام. أسألك يا الله، يا رحمن، بجلالك ونور

- وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، وارزقني أن تكون على النحو الذي يرضيك عني . وأسألك أن تنور بالكتاب بصري وتطلق به لساني وتفرّج به كربى وتشرح به صدري وتستعمل به بدني وتقويني على ذلك وتعينني عليه فإنه لا يعينني على الخير غيرك ولا يوفق له إلا أنت . فافعل ذلك ثلاث جُمع أو خمساً أو سبعمائة تحفظه بإذن الله تعالى ، وما أخطأ مؤمناً قط
- ٢٩٤ - إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه . وإن صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر له صاحبه
- ٢٩٥ - إياكم والزنى فإن فيه أربع خصال: يُذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق، ويُسخط الرحمن، والخلود في النار
- ٢٩٦ - إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم، وإياكم والجحور فإن آدم حمله الجحور على أن أكل من الشجرة، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً فهنّ أصل كل خطيئة
- ٢٩٧ - إياكم والطمع فإنه هو الفقير الحاضر، وإياكم وما يُعتذر منه
- ٢٩٨ - إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان
- ٢٩٩ - إياكم والتعمق في الدين فإن الله تعالى قد جعله سهلاً . اتخذوا منه ما تطيقون فإن الله تعالى يحب ما دام من عملٍ صالح وإن كان يسيراً
- ٣٠٠ - أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله تعالى حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها
- ٣٠١ - أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة
- ٣٠٢ - أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها فأرادها على شيء فامتنعت عليه كتب الله عليها ثلاثاً من الكبائر
- ٣٠٣ - أيما رجل تدبّر ديناً وهو مُجمع أن لا يوفيه إياه لقي الله سارقاً
- ٣٠٤ - أيما شاب تزوج في حداثة سنة عجز شيطانه: يا ويله عصم مني دينه

- ٣٧٠ ٣٠٥ - أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عُري كساه الله تعالى من خضر الجنة
- ٣٧١ ٣٠٦ - وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة. وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم
- ٣٧١ ٣٠٧ - أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً كان في حفظ الله تعالى ما بقيت عليه منه رقعة
- ٣٧١ ٣٠٨ - أيما رجل أتاه الله علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار
- ٣٧٢ ٣٠٩ - أيما رجل ظلم شبراً من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوّقه يوم القيامة حتى يقضي بين الناس
- ٣٧٣ ٣١٠ - أيما امرئ اقتطع حق امرئ مسلم بيمين كاذبة كانت له نكتة سوداء من نفاق في قلبه لا يغيرهما شيء إلى يوم القيامة
- ٣٧٣ ٣١١ - أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس، ثم تفرّقوا قبل أن يذكروا الله تعالى أو يصلّون على نبيّه كانت عليهم ترة من الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم
- ٣٧٤ ٣١٢ - أيما امرأة زادت في رأسها شعراً ليس منه فإنه زورٌ تزيد فيه
- ٣٧٤ ٣١٣ - أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت خطيئته من كفيه مع أول قطرة، فإذا غسل وجهه نزلت خطيئته مع سمعه وبصره مع أول قطرة، فإذا غسل يديه إلى المرفقين ورجليه إلى الكعبين سلّم من كل ذنب هو له ومن كل خطيئة، كهيشته يوم ولدته أمه. فإذا قام إلى الصلاة رفعه الله عز وجلّ بها درجة وإن قعد قعد سالماً
- ٣٧٥ ٣١٤ - أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة
- ٣٧٦ ٣١٥ - أيما ناشيء نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صدّيقاً
- ٣٧٧ ٣١٦ - الأكل في السوق دناءة
- ٣٧٧ ٣١٧ - الأكل مع الخادم من التواضع